سلسلة إصدارات دار الفقيه المقاوم (1)

أضواء على الفكر السياسي الإسلامي

الجزء الثاني

سماحة آية الله
الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)

دار الفقيه المقاوم
لحفظ ونشر آثار آية الله قاسم

دار المحجة البيضاء

صوت البحرين
VOICE OF BAHRAIN
WWW.VOB.ORG

أضواء على

الفكر السياسي الإسلامي

الجزء الثاني

محطَّات من سيرة ومسيرة

سماحة آية الله الشَّيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله تعالى)[١]

١٩٤٢ م: وُلد في قرية الدُّراز بالبحرين، وفيها نشأ وترعرع، «ويذكر أهلُ محلَّته بأنَّه من أفاضل أبناء الحيِّ، فقد كان مُحافظًا على الموازين الشَّرعيَّة، مخلِصًا للدِّين، فلم تُرَ فيه خصلة تُعاب، أو سجيَّة تنتقص، وقد تُوفِّي والدُه وهُو صغير السِّنِّ، ورعاه إخوتُه، وتربَّى تربية إيمانيَّة، مُحاطًا بإخوتِه، وأُمِّه المؤمنة الصَّبورة، حيث تعلَّم القرآن الكريم في الكتاتيب، ثُمَّ أُدخِل المدراس الحكوميَّة، وتخرَّج منها، وانتظم بالمدارس الثَّانوية، وحصل على شهادتها، وكان ذلك في عام ١٩٥٨، ويشهد له أقرانه بأنَّه من أفاضل التَّلاميذ خُلُقًا ودِينًا وتحصيلًا، وسِجِلُّه الأكاديميُّ يدلُّ على ذلك».

وقد اشتُهِر بحدَّةِ ذكائه وقدراته بين أقرانه منذ صباه، وحرصه الشَّديد على الالتزام بحكم الشَّرع في تحرُّكاته واهتمامه ببثِّ الوعي الدِّينيِّ.

١٩٥٩ م: «دخل في سلك التَّعليم، فصار مُعلِّمًا لمادَّة اللُّغة العربيَّة، والتَّربية الإسلاميَّة».

١٩٦٢ م: مارس سماحته التَّدريس الأكاديميَّ، وتزامن ذلك مع أوَّل خطواته في الدِّراسة الدِّينيَّة في حوزة الغريفي بقرية النعيم في البحرين».

١٩٦٤ م: هاجر سماحتُه إلى النَّجف الأشرف طالبًا لعلوم آل الرَّسول صلى الله عليه وآله، فالتحق بـ(كليَّة الفقه)، وقد درس السُّطوح العالية في فترة قياسيَّة.

١- هذه الترجمة مستفادة ممَّا دوَّنه بعض طلبة العلم، وكذلك نقلنا بين علامات التنصيص «» ما كتبه الأستاذ ميرزا العبيدي (مسؤول في مكتب البيان للمراجعات الدِّينيَّة، ومرافق سماحته - حفظه الله تعالى - لما يزيد على أربعين عامًا).

١٩٦٩ م: في هـذا العـام – تقريبًـا – تخرَّج سماحته من «كليَّـة الفقه»، وحصل على «اللِّيسانـس في العلـوم الإسلاميَّـة والشَّرعيَّة، وفي نفس العام عاد شيخُنـا إلى مزاولة التَّعليم في المدارس الحكوميَّة، وأخذ يدرِّس اللُّغة العربيَّة، والتَّربية الإسلاميَّة في مدرسة الخميس الإعداديَّة ولمدَّة عام واحد فقط».

«أثناء مزاولته التَّعليم عنَّ له من جديد أنْ يواصل الدَّرس في النَّجف الأشرف، وأنْ يكـون في هذه الفترة طالبًـا حوزويًّا، فهاجر بمعيَّة السَّيِّد عبـد الله الغريفي، وانتظم في الدَّرس لمدَّة عام واحـد»، وقد حضر البحث الخارج عند كبار الفقهاء الأفذاذ، والمراجع الأعلام كالسَّيِّد الشَّهيد الصَّدر قدس سره.

١٩٧١م: مـع الشُّـروع في قيام المجلـس التَّأسيسيِّ؛ لوضع دستـور دولة البحـرين – آنذاك – استدعاه جَمع من المؤمنين في البحرين؛ للقدوم والتَّرشيح لهذا المجلس، وهكذا كان، وفاز بأعلى الأصوات، وكان له مع المجموعة الإسلاميَّة في المجلس التَّأثير البارز في إدخال كثير من المواد الإسلاميَّة في الدُّستور.

١٩٧٢ م: أسَّـس مـع جمع مـن المؤمنين واحدةً مـن أكبر الجمعيَّـات الإسلاميَّة في الخليج، وهي «جمعيَّة التَّوعية الإسلاميَّة»، وكان رئيسها لثلاث دورات.

١٩٧٣م: اُنتخـب بأكـثر الأصوات على الإطلاق؛ لعضويَّـة المجلس الوطنيِّ، وبرزت شخصيَّتـه في جلسـات المجلس كأبرز رمز من رموز الكتلـة الدِّينيَّة إلى حين حلِّ المجلس الوطنيِّ عام ١٩٧٥ م.

١٩٨٤م: تمَّ إغلاق جمعيَّة التَّوعية الإسلاميَّة في ١٩٨٤/٢/٢٨ م من قبل الحكومة، «وفي أثنـاء إغـلاق الجمعيَّـة تعرَّض عـدد مـن نشطـاء الحَـراك السِّياسـيِّ والفكريِّ والاجتماعـيِّ والتَّبليغيِّ إلى الاعتقـال والتَّعذيـب، والحكم القاسي، أمَّـا سماحته فقد فُرضـت عليه الإقامة الجبريَّة بعد جَلَسات من الاستجواب والتَّحقيق والملاحقة اليوميَّة، وبقـي كذلك حتَّى بداية التِّسعينـات من القرن المنصرم، ومع ذلـك لم تُثْنَ عزيمتَه عن

تأديـة واجبه الشَّرعـيِّ»، فاشتغل بالتَّدريس للسُّطوح والسُّطـوح العُليا، والتَّصدِّي للتَّبليغ مـن خلال إمامته للصَّلاة المركزيَّة في أهم مساجـد البحرين وجوامعها، ومشاركاته في شتَّى المناسبات الدِّينيَّة والسِّياسيَّة.

١٩٩٢م: هاجر إلى مدينة قم المقدَّسة؛ لتحصيل المزيد من المراتب العلميَّة الرَّفيعة، فحضـر أبحاث الآيات العِظام فيها، حتَّى نال مُنـاه، وحقَّق مراده بشهادة وتصريح أهل الخِبرة.

١٩٩٤م: كانـت الانتفاضـة الإصلاحيَّة في فترة التِّسعينـات، وكان لسماحته الدَّور التَّوجيهيُّ البارز والمؤثِّر خلالها.

١٩٩٩م: بطلـب من مجموعة من فضـلاء الحوزة في مدينة قم المقدَّسة بدأ رسميًّا بإلقـاء دروس بحث الخارج - بحث القطع في الأصول -، وكان إلى جانب البحث الخارج قد ألقى دروسًا في تفسير القرآن الكريم في مسجد أمير المؤمنين عليه السلام.

كما استمرَّ في إلقاء بحوث الخارج في الأصول والفقه بعد عودته إلى البحرين، ولكن لم يستمرَّ الدَّرس طويلًا.

وحاليًـا - كمـا علِمنـا من مكتبـه -، بأنَّ سماحتـه يعكف على كتابـة البحوث رغم الظُّـروف العصيبـة التي تمرُّ بها البلد والعاصفة الهوجاء التي لم تبقِ لذي بال بالًا على إثر ما جرى ويجري منذ ثورة الكرامة في ١٤ فبراير ٢٠١١ م.

٢٠٠١ م: في الثَّالـث عشر من ذي الحجَّة ١٤٢١هـ (٨ مارس ٢٠٠١ م) عاد سماحته إلى البحريـن بعد انفراج الوضع الأمنيِّ حائزًا على ثِقة شعب البحرين بأغلبيَّة أطيافه، حيث استُقبل استقبالًا عظيمًا لم يحصل في تاريخ البحرين من قبل.

لقـد عاد مُباركًا بعد أنْ نال مـرادَه، وأصبح فقيهًـا متضلِّعًا فمسـك زمام قيادة السَّاحة المحلِّيَّة، وأثبت كفاءته في إدارة دفَّة أخطر الأزمات السِّياسيَّة، وهو إلى اليوم يؤمُّ واحـدة من أهم صلوات الجمعة على مستوى الخليـج، مضافًا لاهتمامه بهموم وأزمات

العالم الإسلاميّ، والمجتمع الدّولي، ومشاركته في المؤتمرات الخارجيّة.

٢٠٠٢م: كانت له خطابات قويّة وشديدة في رفض الدُّستور غير العَقدي الذي أصدره أمير البحرين بإرادة منفردة آنذاك، ومن دون أنْ يكون للشّعب دور في صياغته، أو التّصويت عليه.

٢٠٠٢ م: أسّس سماحته «مكتب البيان للمراجعات الدّينيّة»، وهو يُعنى بالمساهمة في رفد الوضع الدّينيّ والعلميّ والثّقافيّ والاجتماعيّ على مستوى مختلف مناطق البحرين.

٢٠٠٥م: أسّس مع إخوته العلماء مشروعًا فريدًا ليس له نظير على مستوى المنطقة، وهو «المجلس الإسلاميّ العلمائيّ» في البحرين، وترأّسه في الدّورة الأولى فقط، ثُمّ بقيت رئاسة المجلس في الدّورات اللّاحقة تستظلّ بظِلال مرجعيّته، وتسير بهداه ورشده إلى جانب إخوته من كبار العلماء إلى يومنا هذا.

٢٠٠٥م: دعا لأكبر مسيرة في تاريخ البحرين - في حينها - أسقط بها توجُّه السُّلطة؛ لتقنين قانون وضعيّ غير دينيّ للأحوال الشّخصيّة.

فبراير ٢٠١١ م: في ظلّ التّحرُّك الشّعبيّ العارم الذي حصل في البحرين يوم ١٤ فبراير ٢٠١١ م، مثّل سماحته «القيادة الحكيمة والشُّجاعة» التي وقفت مع الشّعب في ثورته ضدّ الاستبداد والظّلم.

التّاسع من مارس ٢٠١٢ م: دعا سماحته لخروج الشّعب بكلّ أطيافه، فكانت أعظم مسيرة وطنيّة عرفها تاريخ البحرين على الإطلاق، وكان شعارها: «لبّيكِ يا بحرين»، وقد تقدّمها هو مع كبار العلماء!

٢٠١٤ م: لا يزال سماحته يمثّل صمّام الأمان للوضع الدّينيّ والاجتماعيّ والسّياسي في البحرين، وهو رُبّان السّفينة لمسيرة الشّعب المطالِبة بالإصلاح السّياسيّ الجَذري، والحقوق المسلوبة عبر المنهج السّلميّ الذي أثبت صوابيّته وقوّته في استمراريّة الثّورة.

الجزء الثّاني

الفصل السَّابع

قضايا سياسيَّة معاصرة

(١)

قضيَّة الطَّائفيَّة

مشروع الفتنة الكبرى

مشـروع الفتنـة الذي يُحرّك ضـدّ الأمَّة هذه الأيـام، وتُجرّ إليه بقـوَّة وعنف ومكر ودهاء، ليس مشروع فتنة عادية، وإنما هو مشروع فتنة كبرى طاحنة مستأصلة، تبدأ ولا تـكاد تنتهي، تهدم ولا تبني، تدمّر وتنسف، وتجـرف، ولا تستثني قطرًا من أقطار الأمَّة من لهب وشر ومأساة، ولا تبقي للمسلمين صدق دين، وإنسانية وحضارة.

فتنة طائفية مجنونة، جارفة، حارقة، مهلكة، مستبيحة لكل ما حرّم الله على المسلم من أخيه في الدين[١].[٢]

وإنما اختير لهذه الفتنة أن تكون طائفية انتقامًا من توجُّه الأمَّة لإسلامها، وحنينها للعودة إليه، وبداية هذه العودة وتفعيلها.

أضـف إلى ذلـك أنَّهـا[٣] الأنسب؛ للاستغـلال السيئ الخبيث للـروح الدينية التي أخذت تسري بقوّة وحيوية في عروق الأمَّة ودمها.

ولـو كان التوجُّه قوميًا عند مكوّنـات أمّتنا لاختير للفتنة أن تكـون قومية؛ للإجهاز على وحدتها.

وهناك أطراف تتلاقى على تحريك الصراع، وإثارته، وتغذيته مستخدمة التعددية المذهبية في الأمَّة أداة؛ لإشعال الصراع الذي ليس مثله في القوة التدميريّة، والقدرة على الاستقطـاب لون آخر مـن الصراع إلا ما كان بين أهل ديانتـين متباينتين خُطِّطَ لهم أن يتخلّوا عن قِيم الدين، ويرفعوه شعارًا للصراع.[٤]

١- التنفيذ لهذه الفتنة قائم على قدم وساق.

٢- لماذا اختير لها أن تكون طائفية لا قومية مثلًا؟

٣- أي الفتنة الطائفية.

٤- هتاف سماحة الشيخ وجموع المصلين بـ(إخوان سنّة وشيعة، هذا الوطن ما نبيعه).

هنـاك طرف خارجي أرعبه تحرُّك الوعي الإسلامـي عند الأمَّة وشوقُها للإسلام، وبداية التحرُّك على خط اللحاق بأفقه البعيد.

وهنـاك حكّامٌ مـن حكّام الأمَّة ممَّن لا يهمهم من أمر الإسلام شيئ إلا خوفهم من عودة الأمَّة إليه.[1]

وطرف ثالث هم أصحاب النظرة المذهبية الضيّقة، وممَّن لا يملكون نظرة صحيحة للإسلام من أيّ مذهب كانوا.

هـذه الفتنـة أوّلُ ما تقضي عليه موقعُ الأمَّة في واقع الحيـاة، وأوّلُ ما تفعله تحويلها إلى سلعة رخيصة بيد الأعداء، وجعلها قِسْمَة بين الأمم.[2]

وفيها قضاء على أصالة الإسلام، وصدقيته في الأجيال الوارثة.

أما خسائرها، فأكبر ممَّا يُتصوّر، على كل المستويات، وبصورة شاملة.

مسؤولية كلّ مسلم يهمه أمر الإسلام، وأمر الأمَّة، ولم تسلب عقله العصبيّة العمياء، ولم يُذهـب جهلُه حكمته، ويعرف ما عليـه الإسلام كلّه من أنّ المسلم حقوقًا لا يُسقطها خـلاف المذاهب، وأن حرماته مصونة في ديـن الله أن يعمل جاهدًا على درء هذه الفتنة الكـبرى، وإحـداث أيّ عرقلة ممكنة في طريقها، وأن يحول بينهـا وبين أن تبدأ، وتنطلق من أيّ بلد من بلدان المسلمين ما أمكن، ومن بلده بالخصوص.[3]

العلاقة بين الطَّوائف

هل نختار الصراع الطائفي، أو التقارب والتعاون بين طوائف المسلمين؟

المؤكـد أن الصـراع والاقتتال بلا سنـد من دين ولا عقل ولا مصلحـة وطنية، وكان هنـاك حديـث متسلسل بهـذا الصدد طرحت منـه حلقتين، وتركت الباقـي، لأن خطبة الجمعة ليست محلًا للدراسة والتحقيق.

١- هتاف جموع المصلين بـ(لبيك يا إسلام).

٢- الفتنة الطائفية ستؤدي إلى أن تكون هذه الأمَّة مائدة تقتسمها الأمم.

٣- خطبة الجمعة (٤٨٩) ١٠ ربيع الأول ١٤٣٣هـ ٣ فبراير ٢٠١٢م.

نعـم، الصراع والاقتتال بين طوائف المسلمين، كاذب من ادَّعى أن له سندًا من دين أو عقل أو مصلحة، وإذا وُجد مذهب يؤسّس للفتنة والاقتتال، فهذا يكشف عن زيفه.

السنـد مع التقـارب والتعاون، فـكل التكاليف الاجتماعية الإسلاميـة التي يتحدث عنهـا القرآن الكريم، والسُّنَّـة المطهَّرة هي موجَّهة لهذا المجتمع المسلـم بسنّيه وشيعيّه، التكاليـف الاجتماعيـة التي يستمـر بها الإسلام، يقـوى بها الإسـلام، يُحافظ بها على الإسـلام، تكاليف تشمـل كلّ المسلمين الذين يؤدون الشهادتـين، ولا ينكرون ضرورة من ضروريـات الإسلام الواصلة إليهم بكل مذاهبهم مَن كان ملتزمًا كل الالتزام، ومَن كان غير ذلك.

العقـل لا يمكـن أن يحكـم باقتتـال فيـه مفسـدة الجميـع، ومضرة الجميـع، وكل المجتمعات العقلائية تعمل على رأب الصدع، وعلى توحيد الصف، ولو من أجل المصالح المشتركـة، والمصلحة الوطنيـة في مهبِّ الريح مع الفتنة والاقتتـال، المصلحة الوطنية لا يمكن أن تنحفظ إلا بالتقارب والتعاون على الخير.

ما هي الأرضـيَّات للتَّقارب؟

هناك أرضيات متصوّرة للتقارب، ويطرح على مستوى بعض العناوين:

١- الحسُّ الوطني: هل الحسّ الوطني هو الأرضية الأصلح لأن يقوم عليها التقارب والتعاون على الخير؟

الأخذ بمبدأ الحسّ الوطني، واعتماده للوحدة أو التقارب يعني إلغاء للمذهبيّة، وأن يكون الولاء للوطن ولو على حساب المذهب، وهذا لا يقبله شيعيّ ولا سنيّ.

حيث تتصادم مصلحة يُتصوّر أنها مصلحة وطن مع أساسية من أساسيات المذهب السنـي، أو مـع أساسية من أساسيات المذهـب الشيعي، فما بقي السنـيّ سنيًا فهو غير مستعد لأن يُضحّي بأساسية من أساسيات مذهبه، وكذلك الشيعي.

والحسّ الوطني يعني أن كل الحسابات منصبّة على هذا الحس، وعلى هذا الانتماء،

وعلى هذه المصلحة، ولو كان في ذلك تحطيم السنيّ خارج الوطن، وتحطيم الشيعي خارج الوطن.

الوطن قبل كل شيئ.

فمعناه السنيّ، أو الشيعي في السعودية، أو في العراق لا شيئ أمام مصلحة هذا الوطن، أو ذاك الوطن.

٢- الحس القومي: فيه إلغاء للمذهبية، وأمامنا حالة التعدد القومي في الوطن الواحد، فكيف نفعل؟

٣- التوجه العلماني: وهذا ما يطرح في الصحافة أحيانًا، وأنه منقذ من الطائفية، والتوجه العلماني معناه، إلغاء الانتماء الديني والمذهبي، أو ضعفه وإسقاطه أمام الحالة العلمانية ومقتضياتها.

والتوجه العلماني تعصب من نوع جديد نراه مدمّرًا في تركيا، وباسم العلمانية تُشنّ الحروب الداخلية وباسمها تسقط حكومات وكيانات سياسية ذات توجه ديني، فالعلمانية إذا أخرجتنا من عصبية تدخلنا في عصبية جاهلية أخرى.

٤- الفهم الديني: الفهم الديني هناك فهم سيئ للدّين، وهذا لا يصلح أرضية للتقارب، وإنما هو منبع التباعد، والفتنة، والاقتتال.

أناس لا يفهمون الدين على واقعه، ولا يفهمون مقاصده، فيسيئون الفهم له، وباسمه تتحرك العصبية العمياء؛ لتقتل، وتسفك، وتنشر الفساد والرعب في الأرض.

كان هذا الفهم منتسبًا إلى التشيُّع، أو إلى التسنُّن لا فرق.

أن يكون هناك مذهب فتّاك في أصوله ومرتكزاته، وبعيد البناء عن قِيم الإسلام وفكره الأصيل، فهذا مذهبٌ بليّة، وهو يكشف عن ضلاله وغيّه وبعده عن الإسلام.

ومذهب يمتهن الفتنة، والقتل، والسفك للدم المسلم لو وُجد لا بدَّ لأتباعه أن يراجعوه، فإنهم لا بدَّ أن يعثروا على خطئه، وغريب أن يخفى خطؤه في ظل الوضوح

الإسلامي في مجال الحرص على الأمن والسلام والتعايش السلمي ما أمكن.

نعم، غريب أن يخفى خطؤه على أحد.

الفهم الديني الصحيح يتركز على مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى﴾[١] مما فيه تثبيت لأصل العدل والإحسان، وما فيه دعوة إلى التعاون على الخير، وعدم التعاون على الإثم: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢]، وكم من إطلاقات لتعليمات قرآنية ونبوية، ومعصومية عامة تدعو إلى التوحّد وإلى التقارب والتفاهم، والحوار الجميل، وتنأى بالمسلم عن أخلاقيّة العصبية، والوحشية، وأخلاقية الاستخفاف بالدماء، والأعراض، والأموال.

فالنتيجة: إنَّ إنهاء حالة الطائفية العملية المتنكرة للحقوق والواجبات، والتي تعني العداوة والبغضاء والاقتتال بين المسلمين يتوقف على شيئ واحد هو أن نفهم الدين بصورته الصحيحة.[٣]

الطّائفيّة الدّينيّة والمذهبيّة

إيانا والطائفية الدينية، والطائفية المذهبية، فإنها مَحرقة عامة، وإرهابها أشرّ إرهاب.

والطائفية المذهبية ليست على يد الحكومة فحسب، وإنما على يد كتّاب وكتّاب، وهي تُرسّخ في هذا البلد، وعلينا أن نعمل جاهدين؛ لتخفيف الوضع الطائفي، وبثّ ثقافة التسامح، وثقافة الإخاء، وثقافة المحبة، وأخوّة الإسلام والمحبة في الله تبارك وتعالى.

وعلى الحكومة أن تعدل، أن تُنصف، أن تساوي بين مواطن ومواطن؛ لئلا تشتعل نار الفتنة.[٤]

١- النحل: ٩٠.

٢- المائدة: ٢.

٣- خطبة الجمعة (٢٩٨) ١٧ شعبان ١٤٢٨هـ ٣١ أغسطس ٢٠٠٧م.

٤- خطبة الجمعة (٢٠٧) ١ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ ٨ يوليو ٢٠٠٥م.

الطائفية شرٌّ مستيطر يساعد على القضاء السريع على الأمَّة كما يريد أعداؤها.

الطائفيـة تعني حربًا داخلية تقضي على وحدة الأمَّة، وعلى إمكاناتها، وعلى وقتها الذي يجب عليها أن تستثمره في صالح بنائها، ومواجهة عدوها، الطائفية تعني مواجهة الإخوة مواجهة لا تبقي من أخضر ولا يابس.

فهـي خطـر مدمر ليس من تقيٍّ أولًا، ثم ليس من عاقـل ثانيًا يعمل على تغذيتها، أو أنه يملك أن يوقفها فلا يوقفها.

والوقت وقت حساس وبالغ الخطورة، وكل البلاد الإسلامية مشتعلة بحرب مصيرية مع أعداء الله في الأرض.

فنحـن مهددون من الخـارج، فـأَنْ يأتي مع ذلك تهديـد داخلي وهو إثـارة مسألة الطائفية، يكبر الخطر، وتتعاظم المحنة.

مَن يقف وراء الطائفيَّة داخل بلدنا؟

الطائفـي ومغذي الطائفية: محتمل أن يكون هذا الطرف، أو ذاك الطرف، أو أكثر من طرف:

الجهات المحتملة وراء تأجيج الطَّائفيَّة

١- القرار الرسمي في العديد من مواقعه.

٢- الكتابات التي تلاحق الملف الطائفي، ووقائعه الشاهدة.

وأقف هنا: إذا كانت الكتابات بلا موضوع فهي المسؤولة، وإذا كانت الكتابات وراءها موضوع، فالمسؤول هو منشأ ذلك الموضوع.

يعنـي إذا كانـت الكتابات عن الطائفية وراءها واقع طائفـي، فليست هي المسؤولة، وإذا لم يكـن وراءهـا واقع طائفي واختلقت الطائفية اختلاقًا، فهـي المسؤولة، ويجب أن تحاكم.

فهنا نحتاج إلى تحقيق، وليكن هذا التحقيق بعيدًا عن الاستثارات الصحافية، وليس الغرض أن نثير ضجّة، وإنما أن نصل إلى حلّ.

فإذا كان الحل ممكنًا عن الطريق الهادئ، وعن طريق التفاهم، وبناء على الاستقراء العلمي الصادق؛ لتعالج المشكلة، فهذا هو المفضّل.

والصحافة ليس لها أن تلجأ إلى كشف الواقع بما قد يخلق نوعًا من الاختلاف، وسوء الظن إلا حيث تتعذر تلك الوسيلة.

افتحوا باب الوسيلة الأولى، فهي مفضّلة جدًّا عندنا على الوسيلة الثانية.

٣- الكتابات التي تمتهن شتم مذهب معين، ولا تكف عن ذلك.

وهذا أيضًا يحتاج إلى تحقيق.

٤- توزيع الأشرطة والكراسات الشاتمة والمزيفة للحقائق، والتي تصل إلى الطالب والمعلّم في مدرسته، وإلى الموظف في دائرته، وقد تصل إلى البيوت من خلف الأبواب.

المطالبة به الحكومة هي أن ترصد الظاهرة تمامًا، وتتّبعها تتبعًا علميًا، وتحمّل نفسها المسؤولية التي تتحملها واقعًا، ثم تحمل الآخرين ما عليهم من مسؤولية.

٥- جمهور الطائفتين.

وفي نظري أن جمهور الطائفتين، والشارع من الطائفتين هو الأكثر أمانة في هذه المسألة وانضباطًا وحرصًا على الوحدة.

٦- علماء الطائفتين المشهورون المقدرون عند جمهورهم.

وفي نظري أن هؤلاء العلماء هم شديدو الحرص على الوحدة، وهم أتقى وأورع وأعقل من أن يحرّكوا مسألة الطائفية.

أؤكد أن المسألة تحتاج إلى تحقيق؛ لتصحيح الوضع ودرء الخطر لا لإغماض البصر.

ونقول كما سبق: لا إصرار على التشهير والفضح وهو آخر ما ينبغي أن يصار إليه،

ولكن الإصرار على الحل.

وإذا كانت الصحافة مطالبة باللغة الهادئة - ونحن نطالبها بذلك، وباللغة العلمية - ونحن نطالبها بذلك، وبأن تكون حريصة جدًّا على وحدة البلاد، وعلى العلاقة الإيجابية بين الشعب والحكومة، فإن الحكومة مطالبة بذلك كله بدرجة أكبر وأكبر.

والكتابات تذكر أن هناك ممارسات رسمية طائفية، ولا تقول بأن هناك طائفية على مستوى الشارع، ولا تدعو إلى طائفية بين أفراد الشعب.

علينا جميعًا أن نكون متبصرين عقلاء رزينين مقدرين للعواقب، والعواقب وخيمة جدًّا إذا كانت الحكومة - وهي مطلوب منها أن تكون شديدة الحرص على وحدة الوطن - تضرب على هذا الوتر.

الشَّرُّ يعمُّ

فليراجع الإسلاميون الشتامون للمذاهب الإسلامية، الممزقون لوحدة المسلمين الإسلام مراجعة ممعنة، وليستفتوه واعين غير عمين، فإنهم لن يجدوه أبدًا يهدم وحدة المسلمين، ويمزق صفوفهم.

وليراجع السياسيون بإذن مفتوحة لا صمّاء المصلحة الوطنية، ويراجعوا القِيم الإنسانية وقِيم الدين، ومصلحة الحفاظ على الدماء والأعراض والأموال والمكاسب الوطنية، فلن يجدوا أن واقعًا القارِب الواحد المشترك يسمح لهم بأن يعملوا على التفرقة؛ ليضمن طرف السلامة بغرق الطرف الآخر، فإن غرق القارب الواحد ليس من شأنه أن يجعل غرق طرف مقدّمة لنجاة طرف، إنما غرق القارب الواحد غرق لكل أهله في الغالب.[1]

قد ينطلق صوت الطائفية من مسجد، ينطلق من ساحة اجتماعية، من ساحة سياسية، من أي ساحة من الساحات في أي قطر من أقطار البلاد الإسلامية.

للطائفية لغتان: لغة لفظية، ولغة عملية، وكلٌّ منهما لغة فعّالة مفسدة، تهدم الصالح

---

١ خطبة الجمعة (١١٥) ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ ١٣ يونيو ٢٠٠٣م.

من البناء، وإذا كان لها أن تقيم شيئًا، فإنما تقيم عمارة خرابًا.

ولا أرى في الطائفية المجنونة إلا أنها تهدم كلّ خير، ولا تستطيع أن تقيم على الأرض صالحًا.

الطائفية استعداء من طرفٍ لطرف، واستباحة إضرار به، وشرخٌ اجتماعي واسع، وتربية أجيال على الكراهية، وسلب حقوق، وإسقاط قيمة، ومشاعر بغضاء بلا عقل ولا إيمان.

وطائفية الكلمة - أي التي تأتي عن كلمة - لا تبقى طائفية كلمة، وإنما تمتد إلى كل مساحات الحياة؛ لتصبغها بلون الطائفية السوداء الكالحة.

وطائفية منطقة لا تبقى طائفية منطقة، إنما من شأنها أن تمتد إلى كل مناطق المسلمين، وإلى كل أقاليمهم؛ لتنشر الخراب، لتنشر البغضاء، لتنشر سُنّة الاحتراب.

فإذا حدثت طائفية في العراق، فعلينا أن نفكّر فيها هنا، إذا حدثت طائفية في الكويت فعلينا أن نفكّر فيها هنا، إذا حدثت طائفية هنا فعلى كل المسلمين أن يفكّروا فيها؛ للتخلّص منها.

وطائفية المساجد لا تبقى طائفية مساجد، وإنما تخترق كل الجدران، وكل الأبواب، ولو كانت الجدران محكمة، ولو كانت الأبواب موصدة لتدخل الجامعة، لتدخل الدائرة، لتدخل السوق، لتدخل كل قرار، لتدخل أفكار الصبية، أفكار الصبايا، أفكار الشيوخ، أفكار كل الأعمار؛ لتدمِّر، لتفسد، لتحوّل الحياة عذابًا.

والطّائفية منطلقاً هي إمّا:

١- سياسية مربوطة بسياسة داخلية، أو سياسية مربوطة بسياسة خارجية، وكلّهما شر.

كلّ سياسة تتخذ من الطائفية مركبًا؛ لتثبيت قدمها هي سياسة شرّ قتّالة لنفسها والآخرين.

٢- وقد يكون منطلق الطائفية هو الحقد العام على الإسلام من غير المسلمين، ومن

أعداء داخليين في المجتمع الإسلامي.

٣- ويأتي منطلق آخر خطيرٌ - أيضًا - وهي العصبية العمياء بخلفية من تربية جاهلة لا تعرف الإسلام، ولا تقدّر الأمور، وتقوم في تنشئتها للجيل على الكراهية البغيضة للمسلمين، والاستخفاف بكل فهمٍ للإسلام غير الفهم الذي تربّت عليه حتّى لو كان هذا الفهم سقيمًا.

فلا بدَّ من بعد ذلك من تيارٍ عام داخل المسلمين، تيّار معتدل يرفض الدعوات والمواقف الطائفية، ويدينها بصورة مبكّرة، وبشكل جدّي حازم.

وحين تثار الطائفية في أي بلد يجب أن يهبّ ضدها كل المسلمين، لأنها لن تحرق طائفة منهم فحسب، وإنما ستكون محرقة كل الطوائف والفئات.[1]

الطَّائفيَّة السِّياسيَّة

البلية كل البلية في الطائفية السياسية، والطائفية السياسية ماذا تعني؟؟

تعني محاولة إقصاء طرفٍ لطرف، محاولة تقزيمه في أعماله من ناحية مالية، من ناحية ثقافية، من ناحية أمنية، هنا تجري محاولة دائمة؛ لإقصائه، وطرده عن مواقع التأثير، عن مواقع النمو، عن مواقع الرشد، وما إلى ذلك.

الطائفية السياسية تعني استعمال الموقع ضد طائفة معينة، تعني تسخير الطاقات والإمكانات في هذا البلد أو ذاك؛ من أجل ملاحقة طائفة معينة في مستواها العلمي والثقافي والاقتصادي، وما إلى ذلك.

الطَّائفية السِّياسيَّة مصدرها الأقوى!

هذه الطَّائفية في العادة من أين تبدأ؟

هل تبدأ من القاعدة، من الشعب؟

أو تبدأ في العادة من السُّلطة؟

١- خطبة الجمعة (١٥٠) ٢٦ صفر ١٤٢٥هـ ١٦ أبريل ٢٠٠٤م.

المعقول والذي يسمح به الواقع العملي أن الضعيف لا يتحر، لقوي، وأن الضعيف يحاول أن يمهد الطريق للمصالحة مع القوي حتى تسلم له بعض مصالحه، والسُّلطة بما تملك من إمكانات، وفي تقدير من التقديرات، وفي حالة السلم أقوى من الشعب، الشعب أقوى من السُّلطة حين تهب ريح الفتنة، وحين تشتد وتشتعل نارها، أما في حالات السلم فالسُّلطة أملك للأمر، والناس كل الناس ليسوا طلاب فتنة وتتعبهم الفتنة، ويحبون الراحة والاسترخاء، ويحبون التفرغ لأعمالهم ولأفكارهم ولنموهم الذاتي ولمصالحهم الشخصية، في المتصور أن الحرب الطائفية، وأن الفتنة الطائفية، وأن الطائفية السياسية، إنما تبدأ من موقع السُّلطة، وربما استجابت لها الشعوب بسرعة، وإن كان عن غفلة منها.

المطالبة بالعدالة نقيض الطَّائفيَّة

الشعوب تطالب بالعدالة، المستضعف والمظلوم والمحروم يطالب بالعدالة، فإن كانت المطالبة بالعدالة طائفية كان بذلك أن أمر الطائفية منطلقه الشعب.

إذا كانت المطالبة بالعدالة تعني الطائفية، فالشعب صحيح بهذا الفهم المغلوط أنه يكون منطلقًا للطائفية، لكن في الحق أن المطالبة بالعدالة، المطالبة برفع المحرومية، المطالبة بالمساواة لا يمكن أن تكون طائفية، وذلك لسبب واضح جلي، ذلك لأن العدالة نفسها سبب من أسباب الاتحاد، وسبب من أسباب الائتلاف والمحبة والمودة، فكيف ما يكون سبب مودة ومحبة واتحاد يكون سبب فرقة؟!

الذين يطالبون بالعدالة والمساواة إنما يطالبون بمد الجسور، وبناء الجسور لحياة المودات والمحبات والاتحاد.

لماذا إلهاب الجو؟، ودق طبول الحرب، حرب الطائفية؟

أنا في نظري أن الصحافة تخطئ كل الخطأ إذا أحسنت النية حين تحاول إثارة غبار الطائفية.

والطائفية بغيضة ممزقة، تعبر عن مرض داخلي قاتل فتَّاك.

من أحب إثارة الفتنة الطائفية من موقع شعبي أو من موقع رسمي، فهو إنما يحاول أن يهدم البيت على غيره وعلى نفسه.

الوطن بيت الجميع، وعلى الجميع أن يرعوا هذا البيت، وأن يحافظوا على بنائه وبناؤه لا يستقيم مع الفرقة، والشَّتات، والتَّناحر.

الصحافة تخطئ حين تثير جوًّا ملهِبًا تدّعي أنها تحاول أن تعالج به أمر الطائفية، وهذه الحملة تمثّل في نفس الوقت إثارة روح الطائفية والتشنج وإلفات أنظار الناس إلى ما يمكن أن يكون منبع فتنة كبرى.

دعاة الطائفية هادمون لمقدارت الأمَّة.

أنا واحد من هذا الشعب، ومن الطائفة الشيعية الذي يؤمن بالمذهب الشيعي كل الإيمان - إنْ شاء الله -، وفي نفس الوقت أُعادي الشيعي الذي يحاول أن يثير فتنة طائفية، وأواجه الشيعي الذي يحاول أن يثير فتنة طائفية، وأواجه الصحافة التي تحاول أن تثير فتنة طائفية، وأواجه السُّلطة ما لستطعتُ إذا حاولت أن تثير الفتنة الطائفية.

فلتبقَ إخوة، وإخوة مسلمين متحابين.

فليضع كل منا يده في يد الآخر؛ من أجل بناء وطن واحد متماسك يعمر بالمحبة والمودّة، ويسير على هدى الله، وفي طريق الله، وعلى أساس من العدل.

وإن لي وصيةً واضحة للحكومة في البحرين، وغير البحرين: بأن تأخذ بالعدل، وتتمسك به، وتأخذ بالمساواة، وتتمسك بها؛ من أجل إقامة بناء وحدوي متين سميك قوي فولاذي يقف أمام كل الأعاصير.[1]

الطَّائفيَّة ذلك الشَّبح المخيف

ربما بدأت بوادر طائفيةٌ تطفح على السطح في العراق منذرة بتفجرٍ خطير، وهي أمنيةٌ سعى إليها المحتل الأجنبي والإرهابيون في العراق على السواء، وطائفية الخطف، والذبح واستباحة المال والعرض والدم كفرٌ عمليٌّ لا إيمان - وقيد الكفر بكونه عمليًّا لمن

١- خطبة الجمعة (١٧) بتاريخ ٧ جمادى الأولى١٤٢٢هـ، ٢٧يوليه٢٠٠١م.

يفهمه - وجاهليةً لا إسلام، وهي تمثل مصيرًا أسود ينتظر الإنسان والأرض باليابس منها والأخضر.

ويرجى للعراق ألا يسقط في محرقة الطائفية البغيضة بدرءٍ من الله، ثم بجهد الواعين المخلصين المشفقين على مصير الإسلام والمسلمين من أبنائه والقوى الإسلامية الخيرة من خارجه.

وعلى البحرين أن تشارك حكومةً وشعبًا ما استطاعت في إطفاء هذه الفتن وأمثالها وأشباهها في العراق، وأي بلدٍ آخر من بلاد الجوار وغيرها من أقطار الأمّة المسلمة، وأن نحذر جميعًا من استيراد مثل هذه الفتن القاضية من الخارج، أو التأسيس لها ابتداءً من الداخل، فإنها خيار المجانين.

والأمّة إذا لم تنكر هذه الجرائم البشعة مجاهرةً بإنكارها، وإذا لم تقف في وجهها بكل الوسائل الممكنة، فهي أمّة مضيعةٌ لدينها، خائنةٌ لأمانتها، متعرضةٌ لغضبٍ من الله وعذابٍ أليم.

والصحيح أن تدان هذه الجرائم النكراء من أهل أي مذهبٍ إذا كان مرتكبها من أبنائه قبل أهل المذهب الآخر.

إذا كان مرتكب جريمةٍ من هذا النوع شيعيًا، فعلى الشيعة أن يكونوا هم المبادرين؛ لإدانة هذا الجرم حتى لا يُحمل ردّ الفعل على الطائفية.

وإذا كان المجرم سنيًا كان على الإخوة السنة أن يكونوا هم المبادرين في الإنكار، وأن يقفوا في وجه الجرم وقفةً حقيقيةً جادة، لأن رد الفعل الشيعي ربما حُمل على الطائفية.

ومن أراد الاحتراس لبلده من فتنة الطائفية أو غيرها، فلتكن كلماته محسوبة، وطرحه معتدلًا، ومشاعره منضبطة، آخذًا على نفسه احترام الآخر قبل اشتعال نار الفتنة، فربّ كلمةٍ أشعلت نارًا لا تنطفئ إلا بعد أكوامٍ من الكوارث المهولة، وربّ خبرٍ كاذبٍ مغرض ودعايةٍ سيئة في هذا الباب أشعلت نار حربٍ ببلدٍ، فأحرقته.

فلنتقِ الله في دماء المسلمين، وحرمة أهل القِبلة، فأي شهادةٍ سيؤديها نهر دجلة بين

يـدي العدل الحكيم وهـو يفيض بدماء الأبرياء من أهل القِبلـة، وتتقاذف أمواجه جثث المؤمنين شِيبًا وشبَّانًا ونساءً وأطفالًا، وهي ممثلٌ بها.

ألا من عاقل، ألا من غيور، ألا من منكر؟!

إما إنكارٌ، وإلا بلاءٌ وعذابٌ من الله يعمُّ هذه الأمَّة.[١]

لا للطَّائفيَّة، نعم للحقوق

لا للطائفية شعارًا، دعوة، ممارسة.

لا للطائفية التي تستبيح الآخر، تنقص حقه، تحاول تقزيمه والإضرار به، تسترخص حقوقه، تستهدف تهميشه، ترتاح لمظلوميته، تتأخر عن نصرته عند ظلم مسّه.

لا لطائفيـة تمـزّق المجتمع، تفصم عرى الألفـة والمحبَّة والأخوَّة بـين أبنائه، تهدم الجسـور، وتحفر الخنادق، وتقطِّع الصِّلات، وتوسِّع الشُّقة، وتوهن الإسلام، وتطمع فيه أعداءه.

ونعم للاعتراف بالحقوق والمشاركة العامة في المطالبة بها حتى إقرارها.

وإذا كنـا شيعـة وسنة، فإن الإسـلام يرعى حقوق الجميـع، وإن المواطنية الواحدة قاعدة لحقوق ثابتة مشتركة.

وهنا ينبغي التنبيه على أمرين مهمين:

١- ينبغـي أن لا يتضايـق الشيعـة من وصـول إخوانهم السنة لشيـئ من حقوقهم، وإنصـاف الحكومة لهـم والتوسعة عليهـم في الوظائف، والخدمـات، والمشاريع الدينية والثقافية، وغيرها مما يشارك في راحة الحياة، وتقدم المستوى.

والصحيح هو أن يفرح المسلم لخير أخيه المسلم.

فهنيئًا للإخوة السُّنَّة أنْ يُوسَّع عليهم، أنْ ينالوا حقوقهم، أنْ يتقدم مستواهم.

١- خطبة الجمعة (١٩٦) ١٣ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ٢٢ أبريل ٢٠٠٥م.

٢- مـن حـق الشيعة بل من واجبهم أن يطالبوا الحكومـة بكامل حقوقهم من حيث إنهـم مواطنون كاملـو المواطنية، وأن يصروا علـى تطبيق العدل والإنصـاف بعيدًا عن شعـارات الطائفيـة، ولا يليق بالإخـوة السُّنة أن يحملوا هذه المطالبـة بالحق من الشيعة علـى الطائفية، فإن الحق أحق أن يتبـع والإنصاف فيه خير الجميع، وسد لأبواب الشر، ولا يصح أن يسرَّ أحدًا ظلمُ إخوة له في الدِّين والوطن، وأن يقف من ذلك موقف المتفرِّج الذي لا يعنيه من جرح أخيه شيئ، ولا يسيئه اختلال موازين الحق والعدل والإنصاف.

وملخص القول: إنه إذا أردنا أن نكون مسلمين كما يحب لنا الإسلام ويرضى، فعلى الشيعي أن يفرح لخير أخيه السنيّ، ولنه قد نال شيئًا من حقوقه في ذمَّة الحكومة، وعلى السني أن يُفزع لشر أخيه الشيعي، ويهب معه للمطالبة بحقه الثابت في ذمة الحكومة.

علـى أن الأمـر لا يعنـي المواجهة بين حكومـة وشعب، ولا يتجه إلى خلـق حالة توتر وصـراع، وإنما كل الأمر هـو أن يؤخذ بالعدل، وتؤدي الحكومة وظيفتها الواجبة، ويعطى لكل ذي حق حقه في جو من المودة والمحبة والاطمئنان الذي يعم الجميع.[١]

الطَّائفيَّة والحياة الإصلاحيَّة

وأقـول: لا بدَّ من حياة إصلاحية بعيدًا عـن مصطلح الإصلاحات السياسية، الذي استعمـل كثيرًا في الساحة، وأؤكـد وأركِّز على أن الحل في الحيـاة الإصلاحية، وللحياة الإصلاحيـة معالم، من هذه المعالم، ألا طائفية ولا فئوية على مستوى القرار الرسمي في الوزارات والدوائر، وكل مناحي الحياة.

مهلِكـةٌ هي الطائفية في حدّ ذاتها ومهلِـكٌ، ومملكة هو الشعور الطائفي هو الآخر، فإنـه إذا تركـز الشُّعور الطائفـي تشتّتنـا، وخسرنا وحدتنـا وعزتنا، وكرامتنـا وأمننا واقتصادنا، وكل شيئ.

إنَّنـا نريد وحدة وطنية حقيقية، وهذه الوحدة الوطنية الحقيقية لا يمكن أن تتم في ظـل ممارسات طائفية تعمـق الشعور، أو توجد الشعور بالطائفية ثمَّ تعمِّقها مما تتطلبه

١- خطبة الجمعة (٢٠١) ١٨ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ ٢٧ مايو ٢٠٠٥م.

الحياة الإصلاحية، ألَّا تكون مصادرة للكلمة النَّاقدة في أسلوبها العلمي البنَّاء.[١]

صُنَّاع الطَّائفيَّة

نشر العداوة بين الطائفتين المسلمتين الكبيرتين هدم لكيان المسلمين، وتمكين لأعداء الله منهم، لا يفعل تأجيج هذه العداوة، وإشعال نارها إلا غافل أو مجرم.

وهناك صنّاع للطائفية، أتحدث عن بعضهم، على مستوى العناوين فقط[٢]:

١- شخص جاهل أسرته - هذا الشخص الجاهل، ومن يقابله قد يكون عالمًا، وقد يكون مثقفًا بالثقافة غير الفقهيَّة، وقد يكون زعيمًا سياسيًا، وقد يكون غير ذلك - النظرة الخانقة.

فهو ينظر للإسلام نظرة خانقة، مجزوءة، ليست له النظرة التي يستطيع من خلالها أن يرى أين تكمن مصلحة المسلمين، وأين تكمن مصلحة الحقّ.

إذا كان المذهب السنيّ هو الحقّ، فهل تكمن مصلحة المذهب السني في أن يشنّ حربًا على التشيّع؟، وهو يلتقي معه في مساحة كبرى من الإسلام؟

وإذا كان الحقّ كلّ الحق في التشيع، فهل من صالح التشيع أن يشنّ حربًا على التسنّن في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، والسنّة تلتقي مع الشيعة في كثير من القضايا؟

وهل أنّ الفكر الشيعي الصافي الأصيل، وما قدّمه الأئمة عليهم السلام من دروس نظرية وعملية في هذا المجال، تبعث على شنّ حرب من هذا النوع؟

أو أنَّ الأئمة عليهم السلام يرفضون أن تخلق حالة من العداوة، وأن تضرم نار العداوة بين المسلمين، وأنه إذا كانت هناك دعوة، ولتكن فإنّما هي دعوة على منوال ما أوصى به

١- خطبة الجمعة (٥٢) ١٥ محرم ١٤٢٣هـ ٢٩ مارس ٢٠٠٢م.

٢- خطبة الجمعة (٦٧) بتاريخ ١ جمادي الأولى ١٤٢٣ هـ ١٢ يوليو ٢٠٠٢م.

الكتاب الكريم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1]، وعندنا: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.[2]

٢- غزارة الحقد الذي قد يغزو القلب والإنسانُ في سنيّه الأولى، جدّة غافلة، أب غافل، أمّة غافلة، بدل أن توضح حدود الحقّ وتميز الحق عن غيره، وما ينبغي أن يكون عليه التعامل بين المسلمين من الخلق الرفيع، والتراحم والتعاون على الخير، ورفع حاجة المحتاج، وعوز المعوز، شيعيًا كان أو سنيًا، هذه الجدة أو تلك الأم أو ذلك الأب يزرع الحقد على الشيعة والتشيع، أو على السنة والتسنن.

ليس مطلوبًا منا أبدًا أن نزرع هذا الحقد في نفوس أبنائنا.

مطلوب جدًّا جدًّا أن نقدم لهم الرؤية الدينية الصافية، والمدرسة الحق وهي مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وعلينا مع ذلك أن نزرع في نفوسهم الخلق الإسلامي، وكيفية التعامل الصحيح مع المسلمين.

٣- عالم لا ورع له أو أيّ شخص، شخص لا ورع له يبحث عن جمهور من طائفة سنية أو شيعية؛ لأغراض دنيوية.

٤- شخص يعمل على التفريق بين المسلمين بالوكالة عن عدوهم، ويتقاضى أضخم الأجور على هذه العمالة.

٥- حاكم يعتمد في تثبيت حكمه، ووضعه على إضعاف الأمّة بالفُرقة.

ولقد كان دور الدولتين الأمويّة والعباسيّة في التفريق بين المسلمين واضحًا جدًّا حتى أُبعد مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وأُسقطت صحة التعبّد به وهو أصل المذاهب.

١- النحل: ١٢٥.

٢- النحل: ١٢٥.

وهنا الدعوة تتوجه للنخبة من الشيعة والسنة، ولكل المهتمين حقًا وصدقًا بشأن الإسلام بأن يوحدوا الصف في مواجهة دعوات التفريق والتخريب الذي يستهدف صفوف المسلمين.[١]

الطّائفيّة العمياء تحصد أرواح الأبرياء

في باكستان، وفي يوم قريب، سقطت أرواح أبرياء في مسجد من مساجد الإخوة السنة على أيد شيعيَّة[٢]، وقبل ذلك ذهبت أرواح بريئة من الشيعة على أيدٍ سنية[٣]، وهكذا إذا اشتعلت الطائفية الشيعية السنية، أو أي طائفية أخرى حصدت أرواح الأبرياء من غير حساب.

إنها لطائفية عمياء لا تقوم على هدى الدين، ولا تستبصر بتعاليمه، ولا تعرف من روح التسامح أي شيئ.

ليس وراء هذا القتل دين حق، وفهم حق للدين.

وراء هذا القتل انتقام للذات، وثارات أرضية، ولو عرف السنة والشيعة أساسات الإسلام، وركائزه، وخطوطه العريضة بحق لما استباح سني أن يسفك دم شيعي، ولا استباح شيعي أن يسفك دمَ سُنّي.

ولتأخذ المجتمعات الإسلاميَّة الأخرى عبرة، ولتتقِ الله في دم المسلمين بأن لا تثير طائفية بأي شكل من الأشكال، وليتقِ الساسة والمسؤولون الرسميون الله، ويراعوا هذه الأمَّة بأن لا يقيموا أوضاعًا سياسية طائفية، فتجرّ إلى نزاع طائفي، وإلى أحقاد طائفية تعصف بالبلاد والعباد.[٤]

١- خطبة الجمعة (٦٧) بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ ١٢ يوليو ٢٠٠٢م.

٢- كما نقل.

٣- كما نقل.

٤- خطبة الجمعة (١٦٩) ٢٣ شعبان ١٤٢٥هـ ٨ أكتوبر ٢٠٠٤م.

تكفير المسلمين

الحكم بالإسلام، أو بالكفر من أخطر أحكام الدين، وهما حكمان موضوعهما واضح جدًّا في الكتاب والسنة، والحكم على أي أحد بالكفر من أكبر العدوان إذا تجاوز مقياس كتاب الله، وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله، وهو جاهلية، وفتنة كبرى.

أمّا أنْ يحكم أحد النّاس من موقع ديني رسمي كبير على ملايين المسلمين بالكفر على مسمع من العالم كلّه فضلًا عن جميع المسلمين، فهو فتحٌ باب شرٍّ عظيم على الأمّة بكاملها، وإعلان حرب داخليّة بين أبنائها - وقى الله المسلمين ذلك وإباحة للدماء والأعراض والأموال التي حرّم الله، وصانتها شريعته -، وفي ذلك أكبر خدمة للكفر المتربّص بالإسلام والمسلمين.

وفي الوقت الذي ننكر بأشد درجات الإنكار على التعاطي مع الشتم والسبّ واللعن بين المسلمين صحابة كانوا أو غير صحابة، فإن التكفير للمسلم لجريمة أكبر وأخطر.

ولو كان التكفير من السهولة بحيث من سبّ مسلمًا، أو لعنه ظلمًا حُكم بكفره لخرج من الإسلام خلق كثير من كل المذاهب، وفي كل العصور، ولخرج عدد كبير من الصحابة أنفسهم عن الإسلام.

وعجبًا أن يحكم ذوو المناصب الدينية الرسمية الكبيرة بقضية الكفر على ملايين المسلمين المصلّين الصائمين، الملتزمين بأصول الإسلام وفروعه ببرودة أعصاب حُكمًا فاسدًا في كلٍّ من كبراه وصغراه؛ فكبراه وهي أن من سبّ مسلمًا فقد كفر، مخالفة لقواعد الإسلام وأحكامه الواضحة الضرورية، وأمّا من حيث صغراه وهو أنّ علماء الشيعة يسبّون، يشتمون، يلعنون، ويتعبّدون بسب الصحابة، فأنّى لصاحب الفتوى أن يتيقن بأن كل عالم شيعي شغله وتعبّده باللعن والسبّ والشتم لهذا أو ذاك من الصحابة الذين تولوا أمر الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

أليس هذا من الرجم بالغيب؟!

هذا العالم الشيعي في بيته ما أدرى هذا المفتي والمتفوّه بالباطل أنه يتعبد بشتم لهذا

الخليفة أو ذاك حتى يعطي حكما كليًّا بكفر كل عالم شيعي؟!، أهذا علم؟!

ولو تواجهت مساجد المسلمين وجوامعهم في قضية التكفير بأن صارت كل طائفة تكفر الأخرى من خلال مساجدها ومحاريبها لاحترقت هذه الأمَّة في أيام، ولم يمهلها عصف الفتن عن الهلاك أكثر من ذلك.(١)

الدَّم الحرام

تُحلُّه دائمًا مطامع المستكبرين، ويُحلّه الجهل بالإسلام، والبُعد عن الإسلام.

أُحلّ الدم الحرام سنيًّا سنيًّا: فهو حلال على هذا المستوى في أفغانستان، وفي فلسطين، وفي تركيا، والجزائر، والصومال، والسودان.

وأُحلّ سنيًّا شيعيًّا: كما هو الوضع في العراق، وفي باكستان.

ويمكن أن يحلّ شيعيًّا شيعيًّا في معارك أخرى، وهو قد حصل في إيران، وفي لبنان.

أقول: وراء أن يحل الدم المسلم الحرام مطامع استكبارية عالمية من الخارج، تُثير الفتن في داخل هذه الأمَّة، وتُغذّيها تحت شعار مُدمِّر تبنّاه جناح متطرّف في أمريكا وهو ما يُسمّى بـ «الفوضى البنَّاءة»، والفوضى البنَّاءة تعني أن يُعمل جدًّا، ومن خلال كل الوسائل على خلق فوضى في المجتمعات الإسلامية عن طريق الحروب الطائفية والقومية والعرقية وإلى آخره، وهذه الفوضى هي التي يمكن من بعد ذلك، ومن بعد أن يحصل يأس من الإسلام، ومن حلٍّ من الداخل أن تقود إلى ديمقراطية الغرب بخلفيتها الفكرية، وبأخلاقيتها، وبأهدافها المادية بعيدًا عن قِيم الدِّين، وعن انتماء هذه الأمَّة إلى الهُوية الإسلامية، وبحيث تضمن تبعيَّة الأمَّة للمستكبر.

فيا شيعة وسنَّة في الخليج، وفي البحرين، احذروا، فإنكم غير متروكين، فمصالح من الخارج، وربما تبعتها مصالح من الداخل، أو كانت معها في عرض واحد تتجّه إلى خلق الفتنة الحارقة داخلكم، فابغضوا قلمًا يثير الفتنة، حاربوا هذا القلم، وابغضوا

١- خطبة الجمعة (٣٦٩) ١٩جمادى الأولى ١٤٣٠هـ ١٥مايو ٢٠٠٩م.

وحاربوا أي لسان يثير مسألة الطائفية البغيضة.

لا تحتاج إلى نظر ممعن حتى تعرف أن فتنةً سيئة قاتلة مقصودةٌ لهذا المحيط الخليجي، ووقود هذه الفتنة مستضعفو الشيعة والسنة.

فيا إخوتي السنة والشيعة، احذروا أن تكونوا وقودًا لأطماع المستبكرين؛ مستكبري أمريكا، ومستكبري أوروبا.[١]

الخطاب التّحريضي

إنّ من مسؤولية الحكومات الثّابتة في العالم اليوم هي المساواة بين المواطنين من مختلف المذاهب في الحقوق السياسيّة والخدميّة والثّقافيّة، وغيرها وحماية الحريّات الدينيّة والمذهبيّة.

إنّ أبعد ما يمكن أن يُوحّد فئات الشعب على ما فيه صلاح الجميع هي روح استئصال الآخر، وضربه في دينه ومذهبه.[٢]

وبشأن الخطاب التحريضي الذي يريد أن يحرق الأمّة من منطلق الطائفية، أو ما يشبهه سواء جاء شيعيًا أم سنيًا يطلب من كلّ الشعوب الإسلامية وشبابها الغيور على الإسلام والأمّة أن يكون أذكى من أن يَجرّه هذا الخطاب الفتنةُ الآثمُ إلى حالة افتراق عمليّة، فضلًا عن فتنة عمياء طاحنة تُدمّر الأخضرَ واليابس في محيط الأمّة، ولا تُبقي لها دينًا أو دنيا كما يشتهي أصحاب ذلك الخطاب المقيت، ويُخطّطون له، أو يسعون إليه عُمْيًا عن جهل وغباءٍ وبلاهة وضلالٍ كبير.

ويذكر أنه قد أنكر من أنكر من المسلمين على الحاخام اليهودي الذي ظهرت فتواه الأخيرة بإباحة قتل الشيوخ والأطفال المدنيين من المسلمين وغير المسلمين في عددٍ من الحالات، وقد حقّ النّكير.

١- خطبة الجمعة (٢٤٦) ١٢ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ ٩ يونيو ٢٠٠٦ م.

٢- تكبّلني، وتلغيني، وتصفّيني، وتقول لي: هذا هو طريق الوحدة؟!

ولكن ماذا يقول المنكرون عن الفتاوى المتتابعة التي تُكفِّر طائفة كبيرة من المسلمين، وتُبيح دماءهم بلا حساب وهي دماء موحِّدين لا يُشركون بالله شيئًا، ولا يعبدون من دونه أحدًا، ويُجاهدون في سبيله، ويوالون من والاه، ويُعادون من عداه؟

ألا تحتاج هذه الفتاوى إلى إنكارٍ وإدانةٍ من كل كبير وصغير من أبناء هذه الأمَّة؟!(١)

فتنة وقى الله المسلمين منها (٢)

المنطقـة مشتغلـة بالتحضـير الميـداني العسكـري والسياسي والنفسـي، وعلى كل الأصعدة لحرب عدوانية جديدة بإرادة وتخطيط أمريكيين.

والفتنـة الطائفية بين الإخوة من أبناء الأمَّـة الإسلامية الواحدة وقع الاختيار عند المخطِّط على أن تكون من بين الآليات الفعّالة الأهمّ في هذه الحرب.

ومعلـوم أن تأثـير الفعل يحتـاج إلى قابل، والمسلمـون حسب واقـع علاقاتهم حتى داخل المذهب الواحد والقومية الواحدة والقطر الواحد لا يملكون عصمة أمام مؤامرات الفرقة والشتات والاقتتال، وذلك من بُعدٍ شاسع ارتكبوه عن الإسلام.

ونحن على يقين بأن تأجيج الفتنة بين المسلمين، وإثارة الأحقاد والأراجيف المفسدة في صفوفهم ممَّا يغضب الله ورسوله، ويمكّن منهم أعداءهم والمتربّصين بهم الدوائر.

والساحـة العامة الإسلامية، والساحة المحلية في هـذا البلد تتعرّض لشحن طائفي فـوق العادة، وضخٍّ مستمر لمشاعر الحقـد والكراهية بين المسلم الشيعي والمسلم السني، ولكلمـات تستفزّ النفوس، وتدفـع إلى المواجهات المجنونة التي حـرّم الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله.

وهـي كلمات تُحذّر دائمًا طائفـة من المسلمين بأن حرب الطائفـة الأخرى لها على الأبـواب، وأنهـا مصمّمة أن تسلبهـا كل المواقع والامتيازات إلى حـد الإسقاط والإلغاء، وسحـق المذهب الآخـر، وكأن الطائفة الأولى صفرٌ على الشمـال، ولا تملك أيّ إمكانات

١- خطبة الجمعة (٣٨٩) ٢٤ ذو القعدة ١٤٣٠هـ ١٣ نوفمبر٢٠٠٩م.

٢- وهذا دعاء.

للدفاع عن نفسها.

الله أعلم ماذا وراء كل هذه التَّهويلات، والاختلاقات، والتَّوهُّمات من تصور وتصديق وتوقُّع، ونية في نفوس أصحابها.

وليست لنا وقفة مناقشة حتى موضوعية مع هذه الممارسات.

ولكن من الضروري أن نذكّر النفس، وكل الإخوة من المسلمين شيعة وسنّة بوجوب الحذر من الانسياق وراء هذا التخويف للمسلم من مسلم، وحرق العلاقات الإسلامية بينهما لحساب الاطمئنان إلى الأجنبي الذي ما فتِئ يكيد بالإسلام والمسلمين.

كما ندعو المستهدفَين بهذه الحملات المنظّمة المستعرة إلى مقابلتها بالصبر، أو التصبُّر وقاية لشر مستطير يوقع المسلمين كلّهم في هول أعظم نكبة.

علينا أن نصرّ بأن يضع الشيعي يده في يد السني، وأن يضع السني يده في يد الشيعي، غير ملتفتين إلى كل الأصوات النشاز من هذا الطرف، أو ذلك الطرف ممَّن يُريد أن يُشعل الفتنة.(١)

الفتنة لعنة قاسية

الفتنة لعنة قاسية على أيّ شعب، وعلى أيّ أمَّة اعترتها.

قد تبدأ الفتنة غير مسموعة، ولكنها تتفجر إذا تفجّرت مدوية، وإذا شبت نارها لا تكاد تُطفأ.

وإذ انطلقت انطلقت مجنونة لا حساب فيها لربح ولا خسارة، ولا مصلحة، ولا مفسدة، ولا حاضر، ولا مستقبل.

عمياء لا ترى وحدة دين، ولا مذهب، ولا وطن، ولا نسب.

فاجرة منفلتة على يد الكثيرين لا تُعير اهتمامًا لقِيم، ولا تفرّق بين حقّ وباطل، وحرام وحلال.

١- خطبة الجمعة (٢٧٤) ١٢ صفر١٤٢٨هـ ٢مارس٢٠٠٧م.

محطّمة تأكل ما بنته السنون، وإن كان اشتعالها لأيّام أو حتّى لساعات.

تبدأ في الكثير كلاميّة، وإذا ما وصلت حدّ الشتم والسب العلني، والإساءة المتكرّرة على مستوى الكلمة، والتهريج، والكذب، والتطاول، والألفاظ الساقطة، والإهانات، والإثارات السيئة المتعمّدة؛ أنذرت بذلك - والعياذ بالله - بتحريك كل وسائل الانتقام، وأدوات الهلاك المدمّرة.

وهذا البلد الصغير في جغرافيته، القليل في عدد سكانه يحتضن - ومع الأسف الشديد - أكثر من فتنة، وينذر بأكثر من انفجار فيه فساد ودمار وهلاك.

والفتنة الطائفية في مقدّمة هذه الفتن المحرقة، ولهذه الفتنة رافدان: رافد العصبية المذهبية المنغلقة، ورافد المصلحة السياسية الضيّقة.

والرافد الثاني يوظف الأول بكفاءة عالية، ويوجهه بدقة إلى المستوى الذي يطمئن أنّه لا يتجاوز حدّ السيطرة، والقدر الذي لا يؤثر على المصلحة السياسية المنظور إليها سلبًا أو هكذا يُخيّل له.

والاطمئنان المذكور ليس بعيدًا عن الواقعية والصواب في الحالة الراهنة، وإن كان لا ضمانة على الإطلاق؛ لأن يبقى الأمر كذلك، أو حتى يطول عمر الثقة الظاهرية غير المرتكزة على أساس متين بين مصدر الرافد الأول، ومصدر الرافد الثاني.

على كل حال، هناك طرف قويّ يدير اللعبة السياسية، ويتحكّم في المسألة السياسية بدرجة كافية حتى الآن، وهو يعدّ الطائفية وسيلة من وسائل تلك اللعبة، وترجع إليه بالدرجة الأولى مسؤولية توتير الوضع الطائفي، وتأجيجه، أو التخفيف من غلوائه وتصاعده.

وتعتمد صناعة التوتير للوضع الطائفي وسائل عديدة من أقلام مأجورة، وصحف، ومواقع التكرونية، وميزانيات ضخمة، ومنح مواقع سياسية، وتسهيلات، ووظائف عالية، وهبات، ومشاريع تمييز على الأرض، وأما الاختلاف المذهبي فهو المنفذ والورقة المستخدمة لخلق وضع طائفي متأزّم مقصود وليس أكثر من ذلك.

ولـو التفـت النـاس كل النـاس، والحكومـات كل الحكومـات، والفئـات كل الفئات، والشعـوب كل الشعـوب لرأوا في العدل الذي أمر الله به السعـة والخير والأمن والراحة، وأن في الظلـم الذي نهى عنـه سبحانه الضيق والشر والتعب والقلـق، وأن عمر الدول لا يقصر بعدل، ولا يطول بظلم، إنما هو العكس.

والمشـير بالعدل هـو الناصح الأمـين، والمشير بالظلـم ساعٍ بالشـر والغش وطالب للفساد.

ولحدِّ الآن، فإن الفتنة الطائفية لم تدخل النفق المسدود الذي لا يسمح إلا بالانفجار، ذلـك لأن طرفًا محـدَّدًا وهو الحكومـة لا يزال قادرًا علـى التحكم في الأمـر كما سبق، ودرء الخطـر، ووأد الفتنة من حيث سطرته على مصدر الرافد الأول، ومن حيث إمكانه الأخذ بطريقة العدل والإنصاف والإصلاح، وطلب الاستقرار السياسي عن هذا الطريق المربـح المريـح بدلًا من الطريق الوعـر المظلم المخيف المليئ بالمغامـرات غير المحسوبة، والمجازفات الكارثية.

ويبقى إمكان التحكم في إشعال الفتنة إلى حد التفجّر وعدمه مهددًا بالتغيرات غير المنظـورة، والظـروف المفاجئة، والمعادلات المستجدة التي يتعذر علـى الإنسان أن يحيط بها علمًا وخبرًا.[١]

الصَّحافة والفتنة الطَّائفيَّة

يُطلـب منا اليقظة الكبيرة، أن لا ننـدفع وراء مـا تريد الصحافة من استدراجنا له من معاداة الإخوة السنة.

وعلـى الإخـوة السنة مـن جهتهـم، على الشـارع السني مـن جهته أن يعـي اللعبة السياسية، وأن نحتفظ جميعًا بالأخوَّة الإسلاميَّة قبل الأخوَّة الوطنيَّة على لزومها.

وعلـى الجميع أن يرفضوا حالة الانجرار لما تخطط لـه الصحافة السيئة من حالة التصادم والاحتراب.

١- خطبة الجمعة (٣١٩) ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٩هـ، ٤ أبريل ٢٠٠٨م.

ويـراد من الإخوة العلماء والمثقفين السُّنة أن يقولوا للناس كلمةً تحميهم من الوقوع في فخّ التأسيس لعداوات مذهبية طائفية متأصلة في هذا الوطن العزيز.(١)

مقاطعة الصَّحافة الطَّائفيَّة

أقول: صحافة الشتم لا تُشترى ولا تقرأ، أمدّ سبابي بما يساعده على سبّي؟!

أعينه على نفسي؟!

أُقر أكثر ذلة من إقرار العبيد بصحة سبّي وشتمي؟!

صحافة الشتم لا تشترى ولا تقرأ.

ونحن نعرف أن صحافة التفرقة الطائفية المشينة، وإثارة روح الشحناء بين الإخوة مـن أبناء الإسلام، وفي هـذه الظروف السياسية الحرجة التي تعيشهـا الأمّة، ويراد أن تستفـرد القوى الأجنبية الطاغية فيها بكل بلد من بـلاد الإسلام على حدة إنـما تنطلق – أي تلك الصحافة – من خدمة الأهداف الأجنبية القذرة، وتشارك في جريمة الإجهاز على وجود الأمّة المسلمة الواحدة.

وتجعل الأخ يتفرج على مصير أخيه كيف يصادر.

والإخوة المجاهدون المخلصون السّنة في أي ساحة من ساحات الجهاد يعرفون جيدًا جهاد إخوتهم الشيعة وإخلاصهم وأخوّتهم لهم، ولا يعيرون كتابات التفريق أي اهتمام.

نعـم، هي كتابات يمكن أن تغشّ السذج هنا وهناك من أبناء الشارع العاديين، ومَن تربّى على الطائفية البغيضة والحقد بلا تبيُّن.

وهو أمر ضار جدًّا، وبالغ الضرر.(٢)

تعدُّد الطَّوائف والمذاهب

تعـدد الطوائـف الإسلامية أمر واقع لا يُنكر، والإلغاء لهـذا الواقع بالقوة فيه محق

١- خطبة الجمعة (٢٧١) ٢٠ محرم الحرام ١٤٢٨هـ ٩ فبراير ٢٠٠٧م.

٢- خطبة الجمعة (٦٣) ٢ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ ١٤ يونيو ٢٠٠٢م.

أكيد للأمّة، وإحداث زلزال شامل لا يدع يابسًا ولا أخضر.

ومثل هذا لا يقصد إليه عاقل متديّن مشفق على أمّته.

وتعدد الطوائف له حالتان:

١- حالة الاعتراف العملي المتبادل، والقَبول الفعلي بالآخر على مستوى الحقوق والواجبات.

والنتيجة على هذا الفرض هي: التقارب، والتعاون، والتفاهم، والأخوّة.

٢- حالة التهميش والإقصاء والازدراء للآخر.

والنتيجة: التباغض، والتنابذ، والتناحر، والاقتتال.

فطائفية الموقف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وهي الطائفية التي يمكن التخلص منها إنما تنتجها حالة التهميش والإقصاء، لا حالة الاعتراف بالوجود والحقوق.

الإسلام في واقعه واحد لامتعدّد، ولكنه على مستوى الفهم مذهبي، والمذاهب متعددة.

وفرضنا فهمًا مذهبيًا واحدًا على الكل إكراه للآخرين على هذا الفهم.

هل يمكن إلغاء الخصوصيّات المذهبيّة؟

ولك أن تتحدّى من جهة عملية قول القائل بإيجاد منهج إسلامي تعليمي وتربوي واحد لأبناء المذاهب المختلفة بعيدًا عن كل الخصوصيات المذهبية، مجرّدًا عمّا به تمايزها، فإنه هذا أمر لا يكاد يكون ممكنًا، وإذا كان ممكنًا، فليس كلُّ ممكن بواقع.

على أن حصول هذا الأمر على مستوى الواقع لا يفي بالحاجات المذهبية في التعليم والتربية لأبناء المذاهب، وسينتشر الجهل بكل المذاهب انتشارًا كبيرًا كما هو الحال في كثير من ناشئة وشباب مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا الوطن، وهم لا يتلقون التربية

الإسلامية طبقًا على مذهبهم في مدارس بلادهم[١]

نبذ الطَّائفيَّة ليس معناه إلغاء الطَّوائف

هل أنت مذهبي؟

أقول لك: نعم، أنا مؤمن بمذهب معيّن من المذاهب الإسلامية لا غبار عليه في رأيي، وهو المذهب المتلقّى عن أهل البيت عليهم السلام ، وانتمائي له عن نظر وبرهان ترشّحت عنه قناعة تامة وإيمان أكيد، وفي الوقت نفسه لا أكفّر أحدًا من إخواني المسلمين، ولا أكنّ لهم حقدًا، ولا أستحل أن أمكر بهم لهذا المذهب أو ذاك.

وتسألني: هل أنت طائفي؟

أقول لك: إذا كان ذلك بمعنى أني أُحبّ لطائفتي الاستقامة والخير والتقدّم، وأحبُّ منها ولها العدل، وهو الشيئ الذي أُحبّه لكل المسلمين، بل ولكل إنسان، فأنا بهذا المعنى طائفي، وهو معنى لا يؤاخذ عليه أحد أحدًا، وهو من أكبر معاني الانفتاح الإنساني الكريم.

وإذا كان معنى الطائفية أن أحب لطائفتي الهدى ولغيرها الضلال، ولها الاستقامة وله الانحراف، ولها الخير وله الشر، وأن يسودها العدل وأن يُعامل الغير بالظلم، فهذه طائفية أمجّها، وأكرهها، والسبب واضح، ذلك لأن ديني ومذهبي يُكرّهُها لي ولكل منتسبيه، فهي طائفية ينبذها القرآن الكريم، وسنة المعصومين عليهم السلام ، وسيرتهم الوضّاءة الشريفة.

نعم، أبغض الكفر والفسق والظلم والعدوان أين كان، ومن أيّ كان، وأؤمن بمواجهته بما يُستطاع، ومن منطلق حبّ الخير للإنسان كل إنسان، إذ لا خير في الكفر، والخير كلّه في الإيمان والهدى والاستقامة والالتزام.

١- خطبة الجمعة (٢٠٣) ٣ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ ١٠ يونيو ٢٠٠٥م.

ومـن ناحيـة سياسيـة، ومن منطلـق مذهبي أجدني مـع حكومة سنّيّـة في سيرتها المنصفـة للشيعة والسنة علـى السواء، ولست مع حكومة شيعية في سيرتها المجحفة بحقّ أهل السنة.

إذا وجدتُ الأولى، فسأكون معها في سيرتها العادلة.

وإذا وجدتُ الثانية، فسأكون ضدّها في سيرتها الباغية.

ومـن ناحية المرشّحين أنا مع مرشّح سنيّ يقف مع حقوق الشعب على مرشّح شيعي يقف ضدّها، هذا صدق، وأنا مستعد أن أُبرهن عليه في أي امتحان في مورده، وأنا أستقي ذلك من وحي مذهبي.(١)

إسلام بلا مذاهب!

قرأت لكاتب سعودي لقبه المالكي دعوة إلى إسلام بلا مذاهب، والقول عنده يقسم أن دعوة «إسلام بلا مذاهب» على رأيين:

١ - رأي يبقي على المذهبية والانتماء إلى أئمة خاصين، ويوجب التعبد على رأي هذا الإمام أو ذلك الإمام من الناس الذين اتخذهم المسلمون أئمة لهم في الدين.

ولكـن إذا سُئل الشخص عن انتمائه الديني، قال: أنا مسلم من غير أن يضيف إلى ذلك أنه حنبلي، أو جعفري، أو شافعي، وما إلى ذلك.

وكأن شـأن هذا الرأي شأن التقليد عند الإماميـة في الوقت الحاضر، فإن المكلفين ينقسمون في التقليد ولكنهم في النسبة لا ينتسبون إلى هذا المقلد أو ذلك المقلد في مقام التعريف بانتمائهم، وإنما ينتسبون إلى مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

إذا كان هـذا الرأي يعنـي مذهبية بلا عصبية تبقي على حـق الآخر في التمذهب، وفي المشـتركات الإسلامية والوطنية العامة، وعلى احـترام الإنسان المسلم فهو، وإلا إذا كان إلغـاء النسبـة إلى المذاهب ليس لحفـظ الحقوق، ودفع العصبيـات وإلغائها، وإنما

١- خطبة الجمعة رقم (٢٦٠) ٢ ذو القعدة ١٤٢٧هـ ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٦م.

لتضييع الحقوق، أو أنه يُتخذ مقدمة لرفع اليد عن الإسلام، وعن أخذ الرأي العبادي من مصادره ومراجعه الموثوقة، فإنه يلتقي مع التفسير الآتي لمقولة إسلام بلا مذاهب.

٢- المعنى الثاني والذي يطرحه الكاتب هو أن قولة: «إسلام بلا مذاهب»، تعني إلغاء المذاهب كليًا وعلى مستوى الواقع، فلا يوجد أي مذهب في الإطار الإسلامي، ولا مرجعية لأي من الأئمة الذين اتخذهم المسلمون أئمة.

هذا الرأي الأخير للتكليف معه بقاءً وارتفاعًا أكثر من فرض:

أ- أن ينحصر التكليف في الضروريات، ومعنى ذلك أن نرفع يدنا عن المساحة الكبرى من الإسلام، وأن يتعطل الإسلام في أكبر مساحته، وتنفصل عنه الأمَّة، وتبحث عن قاعدة أخرى لها غير الدين في التعامل مع المساحة الكبرى من الحياة.

ب- أن يُستغنى عن الشريعة كليًا بعد إلغاء المذاهب، إذ يعسر الوصول إلى الحكم الشرعي على المكلفين، أو على أغلبهم.

فالعلاج لمسألة عدم الوصول إلى الأحكام عند سائر المكلفين بعد التخلي عن المذهبية بإلغاء الالتزام بالشريعة نهائيًا، وهذه دعوى لنفي الإسلام.

ج- هناك فرض آخر: أن يعم التكليف بالأحكام، وأن يعم التكليف بالاجتهاد، فصحيح لا مذاهب، ولكن تجب الأحكام الإسلامية على كل مكلف، ولأنه لا وصول إلى الأحكام بعد إلغاء المذهبية إلا بالاجتهاد في أغلب الأحكام.

فإذًا يجب الاجتهاد على جميع المكلفين، وهذا فرض غير عملي بتاتًا، لأن الاجتهاد من أصعب الاختصاصات، ولا يمكن للأمَّة لو أُوتيت الذكاء الكافي، الفطنة الكافية أن تتوفر جميعها على الوقت الذي يتطلبه الاجتهاد، وهذا يعني أيضًا إلغاء الإسلام، ورفع اليد عنه بالنسبة للغالبية العظمى من المكلّفين.

د- فرض آخر: يأتي مع إلغاء المذهبية انتقائية الهوى للأحكام، أن يترك لكل مكلف أن ينتقي ما يشتهي من الأحكام من أقوال العلماء الماضين واللاحقين، أو مما عنَّ له هو أن يعتبره حكمًا، وهذه الفوضى الضاربة والبعد الواضح عن دين الله تبارك وتعالى،

فالمرجعيـة هنا لا تكون للرأي العلمي وإن أُخذ الحكـم منه؛ إنما المرجعية للهوى، ومعنى ذلك أن نلغي العقل والدين، ونأخذ بمرجعية الهوى.

هـ- يأتي فرض التخيير بين الاجتهاد والتكليف وعدمهما، بأن إذا اجتهدت أمكن لك أن تصل إلى الحكم الشرعي، وبذلك تكون مكلفًا بما أوصلك إليه اجتهادك، أما إذا أردت أن لا تجتهد فلا تجتهد ولستَ مطالبًا حينئذٍ بحكم شرعي، وهذا رجوع في الحقيقة إلى ربوبيـة العبـد وليس إلى ربوبية الرب، فالعبد رب نفسه، أراد أن يكلّف نفسه فليكلّف نفسه، وإذا أراد أن لا يُكلّف نفسه، فله أن لا يكلّف نفسه.

و- عمـوم التكليف مع بقاء الاجتهـاد والتقليد، التكليف باقٍ، وأنـت إمّا أن تجتهد، وإمّا تقلّد.

وهنـا نرجـع في الحقيقـة إلى تعددية المذاهب، فـإذا كان طرحُنـا أن على نفر من الأمّـة أن يجتهد، وعلى الآخرين غير القادرين أو الذين لم يجتهدوا فعلًا أن يرجعوا إلى المجتهدين رجعنا إلى تعددية المذاهب.

فالرأي باطل، وفيه مواجهة للإسلام على كثير من فروضه، وهو على بعض فروضه غير عملي، أو يرجع بنا إلى ما حاولنا أن نهرب منه، وهو قضية تعددية المذاهب.

والنتيجـة الأولى لهذا الرأي إلغـاء الشريعة كليًا، أو بصورة شبـه كلية، وولادة أمّة غريبة على الإسلام، والإسلام غريب عليها.

النتيجة الأخرى: إلغاء الإمامة والعصمة عند أهل البيت عليهم السلام، والمصادرة لهما.

ثـم نتيجـة أخرى لو بقيت صلاة وصوم وحج ....، إلـخ، لكنا أمام صور من الإسلام بعدد مَن يصلي، ومَن يصوم على بعض فروض المسألة.

والخلاصة: إذا وجد مَن ينادي بقضية إسلام بلا مذاهب بهذا المعنى، فهو ينادي بقضية ألّا إسلام.[1]

١- خطبة الجمعة (٣٢١) ١١ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ ١٨ أبريل ٢٠٠٨م.

(٢)

الإرهاب

مفهوم الإرهاب

لمصطلح الإرهاب - الذي يسوق له عالميًا - أن يستوقف كل الشعوب، وكل الناس مرة بعد أخرى لما يترقب له من تطويق الأعناق، وشل الإرادة، وإسكات صوت الحق، واستباحة الدم الحرام، ونسأل هنا:

ما هو الإرهاب الذي إذا ثبت في حق فرد، أو جماعة، أو دولة وجب أن تهب الدنيا كلها في وجه مرتكبه؟

أولًا: المصطلح الغربي

وأضع الحديث عن الإجابة، وما يتصل بها في نقاط:

١- المصطلحات المصنعة في معامل الفكر الغربي الحضاري والسياسي يتصف العديد منها بالتشويش والاضطراب وعدم الدقة، والكثير منها مصطلحات بيئية لا يصح تعميمها على العالم كله، ولكل حضارةٍ رؤاها وخصائصها التي قد تتنافى وحمولة تلك المصطلحات، وفي استيرادها المفتوح، أو تصديرها القهري مخاطر حضارية وأخلاقية، وعلى مختلف المستويات.

٢- نسأل ماذا تعني قوة الردع النووي التي تمتلكها أمريكا، أوروبا، روسيا ألا تعني إرهابًا؟

ألا تعني أن يسكت صوت الدول الأخرى، أن تتقزم الدول الأخرى؟

أن تندق- الدول الأخرى، أمام الإرادة الأمريكية خوفًا من القوة النووية الرادعة -؟

ما معنى الردع؟

الردع هنا بماذا؟

الردع هنا بالقوة الإرهابية؟

فهل تريد أن تحارب أمريكا نفسها، لأنها مرهبة؟!

٣- إذا لم يتحدد معنى للإرهابي خاص، فإن الإرهاب شاملٌ بالموقف الأمريكي الذي يهدد العالم كله.

٤- ماذا تعني أجهزة الشرطة والجيش والمخابرات في كل مكان؟!

ألا تعني أنها قوّة إرهابيَّة؛ لتسكت صوت الشعوب، مرةً لتأدب المجرم، ومرةً؛ لتسكت المطالب بالحق والعدل.

بماذا تحاول أمريكا اليوم أن تفرض سلطتها على العالم؟

عن طريق ضرب المثل الأعلى في العدل والإحسان؟!

الآن أمريكا تتقدم بزعامة العالم؛ لقيادة العالم عن طريق ضربها المثل الأعلى في العدل والإحسان والتسامح والقِيم الخلقية الرفيعة، أم عن طريق آخر؟!

أم عن طريق التهديد، وتحريك الأساطيل والبطش والفتك وإشعال النار؛ لحرق الإنسان، وما زرع، وما بنى، وما صنع؟

أي الموقف هو موقف أمريكا، والدول القوية الآن؟!

ثانيًا: المصطلح الإسلاميّ

عن النظرة الإسلامية في الموضوع نقرأ بعض النصوص من كتاب الله العزيز الحكيم:

١- الإرهاب إرهابان: إرهاب مطلوب، وإرهاب مرفوض:

أ- الإرهاب المطلوب: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[1]، يرهبون لإرهاب الله، الله له إرهاب سبحانه

١- الأعراف: ١٥٤.

وتعالى، ملكه العظيم يرهب أصحاب العقول والقلوب المنفتحة على الله ﷻ، قدرته التي لا تجارى، بطشه سبحانه وتعالى لمَن يقاوم ملكه، لمَن يتمرد هذه الإماتة، هذا الافقار، هذا الإغناء، هذا التقليب للأحوال - من رأت عينه شيئًا من قدرة الله رهبه، رهب وخضع وخشع - في هذا المساق: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾.[1]

كأن الآية الكريمة تحمل فكرة القوة الرادعة.

ولكن القوة الرادعة التي يقف ورائها العدل.

ومن أجل تطبيق العدل.

ومن أجل تأديب المستكبرين.

ومن أجل قطع أيدي المستغلين.

لا من أجل استنزاف الشعوب والأمم، ومن أجل إضعاف الآخرين، ومن أجل استحمارهم، ومن أجل تجهيلهم، فرقٌ بين الأمرين.

الإسلام يتخذ القوة الضاربة التي تردع من تحدثه نفسه في مقاومة العدل والحق ومواجهة الله ﷻ.

هذه النفس التي تتحدث بهذا حين ترى من قوة الإسلام ما تراه ترتدع، وتُغنى الأرض عن الحرب بما في يد العدل من قوة.

إذا كانت القوة بيد العدل استراحت الأرض من الحرب، لأن العالم لا تمتد يد الإثم منه إلى أي إنسان.

هذا إرهاب وهو ارهاب بأمر الله ﷻ به: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُم وَآخَرِينَ مِن دُونِهِم لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُم وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيكُم وَأَنتُم لَا تُظلَمُونَ﴾.

١- الأنفال: ٦٠.

ب- الإرهاب المرفوض: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

نحارب مصطلح فقهي، إسلامي، وهو المخل بأمن الآمنين، بالأمن العام للناس، ولا يعني المعارضة للحكم السياسي.

هؤلاء الذين يقطعون على الناس السبيل، ويقفون في الطرق بالسلاح؛ لينهبوا، ليقتلوا، ليخيفوا.

الذين يسطون على الآمنين في كل مكان، شراذم، عصابات، تخرج هنا وهناك؛ لتمارس هذا الدور، كان الممارس فردًا، أم عصابة، أم جماعة، فإنَّ الإسلام هنا يعطي هذه العقوبة الصارمة لمثل هؤلاء الذين يخلون بأمن الآمنين.

والآية الكريمة في جانب، وما تتحدث عنه الرسميات من الأمن العام في جانب آخر فلا يكن خلط.

هذا الإرهاب قطع السبيل عن الناس الطريق عن الناس إرهاب يواجه الإسلام بكل صرامة.

انظروا إلى العقوبة: ﴿... أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ...﴾.[2]

وفي بعض التطبيقات الفقهية والتفسيرية أن ينفى من أرض، ولينفى من الأرض الثانية، ولينفى من تلك الأرض الثالثة، وهكذا فالإسلام يواجه الإرهاب كل المواجهة بصلابة، وبأشد ما يكون.

المصطلح الإسلامي ليس الإرهاب، وإذا أردنا الإرهاب مصطلحًا نقسمه إلى: إرهاب عدواني، وإرهاب غير عدواني (تأديبي).

١- المائدة:٣٣.

٢- المائدة:٣٣.

وإذا كان هنـاك إرهابٌ عدواني، وإرهابٌ تأديبـي لا بدَّ أن يبحث عن الجاني الأول في المسألـة، ومن أين صدرت الفتنة، ومـن كان السبب في نشر الرعب والإرهاب في هذه الدنيا حتى وصل الأمر إلى ميكروب الجمرة الخبيثة، وهو إرهابٌ من أخطر الإرهاب.

٢ - لا ظلم ولا عدوان في الإسلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]، ﴿... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ...﴾.[٢]

هنـاك بغض من قريش شديـد للمسلمين، هنـاك صد عن المسجـد الحرام، هذه الأسبـاب لا يقبلها الإسلام خلفية؛ لاستساغة العـدوان على قريش من المسلمين، قولوا: الله أكبر للإسلام: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[٣]

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾، لا سبيل لأحدٍ على أحد إلا أن يكون ذلك المأخوذ قد ظلم.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٤]، العـدوان هو أي انحراف عن حدود الله سبحانه وتعالى، على أي مستوى من المستويات، وحـدود الله هي العدل الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[٥]

٣- رفض الظلم والعدوان: ﴿... فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.[٦]

١- النحل: ٩٠.

٢- المائدة: ٢.

٣- التوبة: ٩٣.

٤- البقرة: ١٩٠.

٥- المائدة: ٨٧.

٦- البقرة: ١٩٤.

لا تجـاوز في الـرد على الظلـم والعدوان؛ إنما يـرد على العدوان بمثلـه: ﴿... فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...﴾.

وانظـر إلى التذيـل، وهذه الضمانـة موجودة في نفس المؤمـن، في قلب المؤمن، في أعماقـه، ولا توجـد في ظل تربية كافرةٍ فاجـرة: ﴿... وَاتَّقُـوا اللَّهَ ...﴾، هنـاك تأديبات قانونية في الإسلام وعقوبات.

لكـن الركيزة الأولى للارتداع هي: ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ ...﴾، لأن النفوس المؤمنة قابلة لأن تتقي الله ﷻ، وترى في عقوبة الله، في سخط الله أكبر مما تراه في عقوبة الآدميين، واعلموا أن الله مع المتقين.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1]، ظلمت أعطيت رخصـةً للمظلوم أن يقـاوم: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[2]، لا مؤاخذة على جهة يتحدد ويتعين أنها مظلومة، وليست ظالمة.

الإسلام لا يطلق المصطلحات على عواهنها، الإسلام دقيقٌ كل الدقة.

كيف لا وهو من عند الله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3]

يـا أمّـة الإسلام، وأنظمـة الحكم في بلاد الإسـلام تعاونوا على الـبر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان.

فهـل شخصتـم أن التعـاون مع أمريـكا على أفغانستـان هو من التعـاون على البر والتقوى؟!

مبروكٌ لكم أيتها الأنظمة الحاكمة!!

١- الحج: ٣٩.

٢- الشورى: ٤١.

٣- المائدة: ٢.

الحكومة الإسلاميَّة وموقفها من الظُّلم والعدوان

الحكومــة التي يرتضيهــا الإسلام، التي يقيمها الإسلام، حكومــة القرآن: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.[١]

هــذه هــي حكومة البنــاء، حكومة الإصلاح، حكومــة العدل، حكومة مــداواة جراح المستضعفين في كل مكان.[٢]

أسباب ظاهرة العدوانيَّة

العدوانيــة الدموية - في الإطلاق الصحيح، لا ما يسمونه بالإرهاب بقصد سياسي ماكــر؛ ليشمل الدفاع عن النفس - إمَّا أنْ تكــون ابتدائية، وإمَّا جزائية وعلى مستوى رد الفعل.

والمنظــور لهذا الحديث هــو أسباب الظاهرة التي قد تكــون ابتدائية بحيث لا يكون الشخــص أو الجهة قد تعرض لظلم الغير، ومع ذلك ينطلــق في أعمال إرهابية عدوانية دموية تفزع حياة الآخرين.

ويدخــل في هذا الحــروب الاستكباريــة الطاحنــة، والممارســات الطاغوتية لبعض الحكومــات المتعطشــة للدماء والدمــار، وممارسات بعض الأحــزاب السرية والعلنية في التنكيل بالآخرين، والولوغ في الدماء إلى حد الاستهتار كما كانت عليه أساليب الشيوعية.

وتنطلق هذه العدوانية من أسباب:

١- منهــا الروح المادية الجشعة المتنكــرة للقيم المعنوية الكريمة الدِّينية والإنسانية - والتي تعشش في داخل البعض وتحكم كل حياته -.

٢- روح الطاغوتيــة والاستكبــار التي قــد تتفاقم في بعض النفوس بما يبرر لها أن ترتكب كل شيئ في سبيل السيطرة الظالمة على الآخرين.

١- الحج: ٤١.

٢- خطبة الجمعة (٢٩) بتاريخ ٢ شعبان ١٤٢٢هـ ١٩ أكتوبر ٢٠٠١ م.

٣- التربيـة المتعصبـة عن عمى وجهل قومية كانت هـذه التربية، أو طنية، أو دينية إذا كان الدين مختلقًا، أو أسيئ فهمُه من معتنقيه.

٤- كلمـا غابت القِيم السماوية الطاهرة من حياة المجتمعات كلما انفتحت الأبواب على مصراعيها على الحالة الهمجية العدوانية الإرهابية بصورة أكبر وأخطر.

وهناك الإرهاب العدواني من موقع رد الفعل على ظلم الآخرين وتعديهم، بحيث لا يقـف عند حد الجزاء العادل، وإنما يتحول إلى عملية استهتارية عابثة، لا تقيم وزنًا لأي حرمـة مـن الحرمات، ولا تلتفت إلى أي قيد من القيود مـا أمكن لها أن تفسد، وتخرب، وتنهب، وتقتل، وترعب.

والدين الحق وفهمه السليم بريئ من هذه العدوانية، والبهيمية الشرسة، والتعطش للدماء والدمار كان ذلك على مستوى الفعل القبيح ابتداء، أم رد الفعل من النوع السيئ المتجاوز.[١]

مناشئ الإرهاب

والإرهاب له مناشئ؛ ومن مناشئه:

١- الفكر المنحرف.

فالفكر المنحرف منشأ خطير من مناشئ الإرهاب، وأي انحراف آخر.

ومسؤوليـة المدارس الفكريـة في الإسلام أن تُراجـع فكرها؛ ليكـون منضبطًا مع خط القرآن الكريم، والسُّنَّة المطهَّرة.

٢- لا بدَّ من التخلُّص من النظرة التجزيئية في فهم الإسلام، والتخلّص من النظرة العوراء لمقررات الإسلام، وقضاياه، وأحكامه، وتعاليمه.

١- خطبة الجمعة (١٠١) ٤ محرم ١٤٢٤هـ ٧ مارس٢٠٠٣م.

٣- الوضـع المتسلِّط منشـأ آخر مـن مناشئ الإرهـاب، والوضـع المتسلّط الظالم المستبيـح لحرمات الناس المستولي على جهودهم، ونتـاج عرقهم سائدٌ في الأرض، فلماذا لا نرتقب إرهابًا؟

٤- إذا كان كل شـبر مـن أكثر الأرض يعاني من ظلم، ويعاني من طاغوتية، ويعاني من نهب، ويعاني من جبروت، فلماذا لا نتوقع إرهابًا في الأرض؟

٥- الصحافة السيئة، ونحن نعاني من الصحافة السيئة منشأ من مناشئ الإرهاب، ويُخاف على هذا البلد الآمن أن تعتريه موجات إرهابية عارمة لما ترتكبه الصحافة المحليـة من خطـأ، ولخيانتها لأمانة الأمن الوطني، ولأجـواء المحبة والإخاء في هذا البلد الكريم.

٦- الإرهـاب في لنـدن يحدث ضجـة، ونحن مع هذه الضجة، ولكـن لماذا لا يحدث الإرهاب في العراق كل هذه الضجة؟!

أين لندن؟

أين أمريكا؟

أين فرنسا؟

أين روسيا؟

أين العالم العربي؟

أين العالم الإسلامي من الإرهاب في العراق؟![1]

إرهابان مدمِّران

١- إرهـاب الحكومـات المناقضة لمصلحـة الأمَّـة وإرادتها، والمتآمرة مـع أعدائها علـى هُويتها، والداخلة في التبعية المذِلّـة والانسياق المخزي وراء إرادة أولئك الأعداء مع

١- خطبة الجمعة (٢٠٧) ١ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ ٨ يوليو ٢٠٠٥م.

استعمال القوّة الباطشة، وأساليب القمع والتنكيل؛ لتثبيت هذه السياسة، وقهر كل صوت حر وصرخة شعبية مؤثرة، ذلك إلى جنب النهب والغصب والاستحواذ على الثروة، وممارسة ألوان الظلم والتمييز، وإحداث الفتن والتفنن في خلق أنواع الأزمات.

أنظمة من هذا النوع هي إرهابيّة، وهي أساس الفتنة في الأرض، وسياسات من هذا النوع لا بدَّ أن تولِّد حالة الإرهاب.

٢- إرهاب الجماعات المتطرفة التي امتهنت جريمة القتل الجماعي الحرام بلا حساب، ولا تفريق بين رجل وامرأة، أو شيخ كبير، وطفل صغير وحتى الرّضع، وبين من له دور سياسي، ومن لا دور له في السياسة، وبين سوق ووزارة، ودار عبادة، وبين جماعة تزفّ عريسًا، وأخرى تشيّع جنازة.

وقد وُلِد الإرهاب الثاني في الأجواء الفاسدة البغيضة للإرهاب.

الأول؛ ليجتمع تدميران هائلان لوجود الأمّة، وتشويهان بالغان لإسلامها، وطاعونان للقضاء على أخضرها ويابسها.

والمصيبةُ الكبرى أنَّ كلًّا من الإرهابيين ينتسب للإسلام، ويدّعي تمثيله، ويتمترس بجبهة عريضة من العلماء والفتاوى العُلمائية المتراشقة.

وليس من الضّروري أن يكون هؤلاء العلماءُ علماء، ولا أُمناء ولا أتقياء، وممَّن يخاف اللهَ في دينه، وفي أموال المسلمين، وأعراضهم، ودمائهم.

ولو كانوا ممَّن يعرفون الدِّين، ويخافون الله، لما اشتركوا في ظلم، ولم يدفعوا إلى جرم، ولَفَقَدَ كلُّ الإرهابيين دعامة من أكبر دعائمهم.

أيُّ عالم بحقٍّ له فهم بالإسلام، وإيمانٌ بقيمه، وفقهٌ بأحكامه، وتقيّدٌ بشريعته يمكن أن يُبرِّر ما يجري من الاستهداف المتعمد للشيوخ، والأطفال، والنساء، والأبرياء من كل الأعمار بتمزيق الأشلاء، وتطاير الأكفّ والرؤوس، وعلى مستوى جماعي كبير من الضحايا في الأسواق، والمساجد، ودور العلم، والمصحّات، وفي كل مكان كما في العراق، وباكستان، وغيرهما؟!!

وهـل يُحارَب الغـزاة المستكبرون بهذا القتل والتدمـير للمستضعفين الأبرياء ممن يُعـادُون الاستكبـار، ولا يكنّون لـه إلا البغضاء، وينشـر الرُّعب وفوضـى الخوف والهلع في صفـوف الآمنين مـن المسلمين المصلّين والصّائمين الذيـن لا يتمنّون للإسلام والأمّة الإسلامية إلا النّصر والعزّ والسّؤدد؟!

وفي الساحـة العراقيـة يتناصـر إرهـاب الحكومـات المعاديـة؛ لاستقـرار العـراق ومصلحتـه وفي مقدمتها الحكومة الأمريكية مع إرهاب الفئـات المتطرّفة وذيول البعث، ويتـمُّ التنسيـق بين الإرهابين في مواجهـة الخيار الديمقراطي للشعـب، وإرادته الحرة، واختياره لحكومته، وتقرير مصيره.(١)

الإرهاب لا دين له

يعتـدي مسلم على مسيحي في بلد مسلـم أو مسيحي، أو يعتدي مسيحي على مسلم في بلد من البلدان، فيثأر هؤلاء أو أولئك في البلد نفسه أو غيره في صورة انتقام عام من أهل الدين الآخر، وإن كانوا أهل الدين الآخر أبرياء ولا يرضون بالجريمة.

يثـأرون بروح جاهلية جهـلاء بعيدة كلَّ البعد عن موازين الدّين ومقرّراته، ومنطق العدالة.

إنـه ليس من دين الإسلام، ولا المسيحية، ولا اليهوديـة عدا ما افترى الإنسان على دين الله أن تزر وازرة وزر أخرى، وأن تؤاخذ نفس بما كسبت نفس آخر.

والإجـرام الذي يرتكب باسم الدين من أكبر الظلم له، ومن أفتك سلاح بقدسيته، وأشدّ أساليب الحرب التي تواجهه، وأقضى ما يقضي عليه.

لا يفعـل ذلك إلا جاهل انقلب فهم الإسـلام عنده رأسًا على عَقِب، أو من لا يساوي الإسلام عنده قلامة ظفر، أو مريدٌ سوءًا بالإسلام.(٢)

١- خطبة الجمعة (٣٨٦) ١٠ ذو القعدة ١٤٣٠هـ ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٩م.

٢- خطبة الجمعة (٤٨٦) ١٩ صفر ١٤٣٣هـ ١٣ يناير ٢٠١٢م.

الارهاب ومسؤوليَّة الحكومات

المطلوب من الحكومات الإسلامية، وحكومات العالم أجمع أن تحدد مفهومًا واضحًا للإرهاب، على مستوى هيئة الأمم المتحدة، وأن تتخذ قرارات مشتركة مدروسة وعادلة في مكافحة هذه الظاهرة التي تهدد العالم بالدمار، تهدف هذه القرارات إلى معالجة المشكلة من الجذور بتوفير العدل، وعدم إلغاء القوي للضعيف والاستخفاف بحقوقه، وإنسانيته، وحياته.

إن التأديبات العسكرية الصارمة المنطلقة من روح التشفي والانتقام والتي تحدث الدمار، وتغرق الأرض بالدمار، إذا أسكتت فإنما تسكت إلى حين، ولكنها تفتح ملف حالات الاختلاف في داخل البلد الواحد أو بين البلدين المسلمين، وكذلك في حالات الاختلاف مع العالم الآخر.

ولكن هل هو صحيح أن تمارس دول مجتمعة أبشع صور الإرهاب؛ لتقتل، وتفتك، وتدمر، وتشرد الملايين من شعوب أمَّة من غير حساب؟!

إن العنف يدعو للعنف، والإرهاب يدعو للإرهاب، فلا بدَّ أن يكون الشجب شاملًا منسحبًا على الجميع، وألا تفتح باب لظاهرة الإرهاب في تبادل مستمر للعنف، وتفنن دائم في أساليب المواجهة الفتاكة.

كلنا ننكر الإرهاب من أي كان، ونشجبه ونشجب معه أسبابه ومنابته، ونؤكد بأن فيه خسارة العالم كله، وننكر أن تواجه أمَّة وتباد شعوب، وتُحشد دول في عملية إرهاب واسع صار في بشع تقوده الدولة التي تريد زعامة العالم، وباسم محاربة الإرهاب.[١]

استغلال قوانين مكافحة الإرهاب

لا بدَّ من مواجهة الإرهاب الظالم الذي يحوِّل حياة المجتمعات الإنسانية إلى حياة فزع ورعب وفوضى ودمار، ولكن استغلال مثل هذه العناوين استغلالًا سيئًا؛ للتضييق

١- خطبة الجمعة (٢٥) بتاريخ ٣ رجب ١٤٢٢هـ ٢١ سبتمبر ٢٠٠١م.

على الحريات العامة والخاصة الإنسانية الكريمة، واستباحة ما حرَّم الله من دم ومال باسم القانون هو إرهاب كذلك، وهو أحوج للمكافحة وأولى بها، لأن الإرهاب الذي يُضفي عليه التقنينُ الشرعية ولو كانت وضعية أخطر أنواع الإرهاب.

فلنحذر من تسلل الإرهاب إلى مجتمعنا باسم القانون ومكافحة الإرهاب.(١)

كلمة «الإرهاب» قنبلة إرهاب!

كلمة الإرهاب تحوّلت بالإعلام الفتّاك إلى قنبلة إرهاب حارق فعلي مدمّر مرعب، وصارت آليةً؛ لاستعباد الجماعات والحكومات والشعوب، وإسقاط الدول، والهيمنة على الأمم.

انطلقت كلمة، ثم تحولت إلى هذه الآليَّة الفتَّاكة المدمرة والمبرّر الشيطاني الذي يستهدف كل خير في الأرض هدمًا ونسفًا، وبهذا السلاح الظالم - أي تهمة الإرهاب - تجرّد المقاومة في البلاد الإسلامية، والدول الخارجة عن الإرادة الأمريكية من سلاحها، ولن يبقى لو نجح هذا العدوان السافر إلا السلاح الذي تحركه الإرادة الأمريكية، ويُحارب به للصالح الأمريكي، وتحرق به بلاد المسلمين، وتستنزف الشعوب الإسلامية وإن كان من السلاح الذي باليد العربية، أو الأفغانية، أو التركية، أو الفارسية المحسوبة على المسلمين.

ومن قبل رفعوا شعار «الرجعية»!

وقبلُ قد تحركت شعارات التخلف والرجعية وسوّق لها حتى أخرجت خلقًا كثيرًا عن دين الله، وجمّدت آخرين خوفًا من عار التخلُّف والخروج عن روح العصر والتقدم.

وهي شعارات لا زالت تنشط في أوساط المسلمين، ومنها هذا البلد؛ لتُرعب، وتربك، وتضل، وتفشل أي مواجهة للانحراف كما في مواجهة الخروج على أحكام الشريعة في دائرة ما يسمى بالأحوال الشخصية سمّوك رجعيًا، سمّوك متخلّفًا، سمّوك ظلاميًا، وليسمّوا المؤمنين ما سمّوا ويسمّون، فإنَّ المؤمنين أصلب عودًا، وأشدّ إرادة.(٢)

---

١ خطبة الجمعة (١٩٤) ٢٨ صفر ١٤٢٦هـ ٨ أبريل ٢٠٠٥م

٢- خطبة الجمعة (١١٤) ٥ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ ٦ يونيو ٢٠٠٣م.

الحرب الإرهابيَّة على الإرهاب!

فلأن الحملة المطلوبة حملة محدودة لا تفجر حدثًا عالميًا هائلًا يحرق العالم بما فيه أمريكا، لذا فإن أمريكا تحتاج في هذه الحملة المحدودة إلى إسناد من الدول الإسلامية.

وعليه ستكون المشاركة بدرجة وأخرى من الدول الإسلامية في هذه الحرب بقيادة أمريكا عنصرًا فعَّالًا في توسعة حدود الحرب على المسلمين، ومستوى الضربات الموجهة لهم.

قل: إنَّ الحملة الأمريكية دولًا وأهدافً وجماعاتٍ، تعتمد على حجم المشاركة الفعلية لمستوياتها المختلفة من الدول الإسلامية نفسها.

إنه كلما تمزق شمل الأمَّة الإسلامية، وكثرت الخلافات داخلها بسبب هذه المشاركة، واشتدت تبعيَّة الدول للإرادة الأمريكية كلما ثقلت الضرائب على الأنظمة؛ لبقائها لحماية أمريكية خالصة فيما بعد.

الموقف المعادي للأمَّة من قبل الأنظمة، وضرب الأمَّة في حملة تشارك فيها الأنظمة، سيحوج هذه الأنظمة بدرجة كبيرة جدًّا إلى أن تكون تحت حماية أمريكية مباشرة، وتحت رحمة القرار الأمريكي، وبهذا ترتقب الأنظمة خطأين: إضعاف الأمَّة، وخيانتها، وإهلاك نفسها، واستغلالها بدرجة أكبر ممَّا عليه ذل اليوم.

لذا لا بدَّ من نداء للأنظمة بألَّا تشدوا حول عنق الأمَّة وأعناقكم حبل المشنقة.[1]

ازدواجيَّة المعايير: الإرهاب نموذجًا

أسيكون مقياسُ الدول الإسلامية والعربية هو المقياس الذي تأخذ به أمريكا والغربُ في مسألة الإرهاب حيث توصل به الفلسطينيين المدافعين عن أنفسهم وأرضهم وكرامتهم، ومَن تستثيره مظلوميتهم وحرمانهم، وتبرِّئ منه إسرائيل التي تتفنن في أساليب القتل والتَّعذيب، والتَّجويع، وسحق الكرامات والاستخفاف بالقِيم والمقدَّسات؟

١- خطبة الجمعة (٢٧) بتاريخ ١٧ رجب ١٤٢٢هـ ٥ أكتوبر ٢٠٠١م.

أم ستتخذ هذه الدول المقياس الذي يفرضه العدل والحق، ويبرّئ المستضعف المظلوم، ويدين الطاغية الظالم؟[1]

يحاربون الارهاب، أو يسوقونه؟!

ولأسمه نشر الرعب في الأرض، واتخاذ الإخافة والقتل والتخريب مهنة ووظيفة يمثل فسادًا كبيرًا، ويخلق فوضى عامة، ويحوّل الحياة عذابًا لجميع الأطراف، وكل إرهاب ابتداءً يبرر إرهابًا بعده.

والعنف الابتدائي يستجلب العنف، والفوضى الابتدائية تستجلب فوضى أخرى، ونحن ضد الإرهاب، وعلينا أن نعمل دائمًا ضد الإرهاب، وعلينا أن نكرّس ونركز تربية تنأى بالناس عن الإرهاب، ولكن الذين يدَّعون محاربة الإرهاب وعلى رأس القائمة أمريكا نسألهم: أهم يحاربون الإرهاب، أو يسوقونه؟

أمريكا حيث احتفاظها بأفتك سلاح في الأرض إلى حدٍّ يمكّنها من تصفية أهل الأرض مرّات ومرّات ومرّات، وتطويرها لهذا السلاح، ودعم حليفها الإسرائيلي في توفّره وتطويره للسلاح الفتاك، وإصرارها على تجريد الآخرين من السلاح الذي يدافعون به عن أنفسهم - وإذا ملكت أمريكا السلاح النووي، فأي دولة أخرى لا تستطيع أن تدافع عن نفسها أمام أمريكا إلا بسلاح نووي، فإما أن تُجرّد الأرض كل الأرض من السلاح النووي، وإمّا أن يفتح الحق لكل دولة بأن تتملّك السلاح النووي دفاعًا عن نفسها -.

المهم، هذه مفردة؛ مفردة التوفّر على أفتك سلاح نووي وجرثومي وكيمياوي وتطويره.

ثم إن هناك فرض حكومات وسياسات قهرية على الآخرين، والديمقراطية الأمريكية ديمقراطية مشروطة بأن لا تؤدي إلى الإسلام، ولا تفتح الباب على حكومة إسلامية.

١- خطبة الجمعة (٥) ١ صفر ١٤٢٢ هـ ٤مايو٢٠٠١م.

مفـردة أخـرى وهي فرض الهيمنة الثقافيـة، ومواجهـة قِيم الديـن وأحكامه في الشعوب المؤمنة به.

وأمـر آخر، وهـو سلب ثروات الآخريـن، والسيطرة على رؤوس الأموال العملاقة، ويضـاف إلى ذلـك الوجـود العسكري الضخـم في مناطـق مختلفة من العـالم إعلامًا بالاحتلال، وفرض الإرادة والهيمنة.

كل ذلـك يعنـي تسويقًا للإرهـاب، لأنَّه لا بدَّ مـن أحد أمرين: إمـا أن يفقد النـاس إرادتهـم أمام الهيمنـة الأمريكية، ويستسلموا للقرار الأمريكي الـذي يذبحهم، وإما أن يحتفظوا بدرجة من الإرادة، وبدرجة من الإنسانية والكرامة.

في الفرض الأول تنتهي إنسانية الإنسان وإن لم يكن إرهابًا إلا من طرف واحد، أما إذا كان للشعوب والأمم أن تحتفظ بشيئ من إرادتها، وبشيئ من وعي ذاتها، وبشيئ من أصالتها، ومن الحفاظ على كرامتها ومصالحها، فإن كل المفردات المتقدمة نداء صارخ بالإرهاب المتبادل في الأرض كل الأرض.[١]

الحرب الإرهابيَّة التي تشنُّها أمريكا هي نهاية الإرهاب أم بدايته؟

كثـير ممَّن في العالم يختار هـذا الجواب، وهو: إن هذه الحرب الإرهابية هي بداية إرهـاب عالمي واسـع، وهذا هو المظنـون، لأن الإنسانية لم تمت كلهـا، وإذا لم تمت كلها وكانـت هنـاك إرادة غير الإرادة الأمريكيـة حتى في العالم الغربي، وحتـى على مستوى الأنظمة الاستكبارية، فإن الفتنة ستكبر، والإرهاب سيشتد، لن يكون إرهابًا من الدائرة الإسلاميـة - كما يقولون -، وإنما سيكون إرهاب عالمي يشارك فيه الكافر والمسلم، وكل حريص على وطنيته، وكل حريص على قوميته.[٢]

١- خطبة الجمعة (١١١) ١٤ ربيع الأول ١٤٢٤هـ ١٦ مايو ٢٠٠٣م.

٢- خطبة الجمعة رقم (١٠٢) ١١ محرم الحرام ١٤٢٤هـ ١٤ مارس ٢٠٠٣م.

هدف الحرب الإرهابيّة على الإرهاب

مـن جهة أخرى يواجه الأمّة مستقبلٌ خطير، يُنذر به واقعها المرير، والأسر الخانق لإرادتها الحضارية، التي تريد حضارة المادة الغازيةُ إلغاءها بالكامل.

إن التصفيـات الجسديـة التي قد تحصد باسم محاربـة الإرهاب كثيرًا وكثيرًا من أبنـاء الشعوب لهذه الأمّة، في صورة مطـاردة للأفراد والجماعات، وحروب شاملة تشن علـى الأوطان المسلمـة، إنْ هي إلا مقدمـة لمحاولة استئصال ثقـافي، واجتثاث حضاري لا تخفـى ملامحهـا في بداية الحملة الحربية الطويلة المدى، بـل لا تخفيها التصريحات والمطالبـات للحكومات الإسلامية من قبـل أمريكا بالتدخل في التوجيه الديني، وإحداث التغيرات في مناهج التربية الإسلامية بما يحقق حلم الطرف الآخر في تهجير الإسلام نهائيًّا من واقع المسلمين، وفكرهم، وشعورهم.

تجدون أن الحكومات في البلاد الإسلامية مطالبة من قادة ما اصطلح عليه بالحملة العالميـة ضد الإرهاب بشهادة براءةٍ مكلفـة، لا بدَّ أن تتحصل عليها كل حكومة على أمل أن تنجو من العقوبة الصارمة.

هـذه الشهادة تكتبها كل حكومة بنفسها تاركة مكانًـا لامضاء الطرف الآخر عليها بعـد التحقيـق والتدقيق، وهي شهادة بـراءة مؤقتة لا أكثر تجدّد بنفس الثمن بين حين وآخر.

أما ما تخط به هذه الشهادة، فدماء المسلمين، وأسراهم، وإن لم يدخلوا في حروب وكانـوا ممَّن يُطاردون مطـاردة الجراد هنا وهنـاك؛ لتسلّمهم حكوماتهـم بيد العدالة الغربيـة المنصفة!، التي تنطلق مـن مراعاة الهيمنة الأمريكـة، وحماية المصالح المادية للقطـب الواحد في الأرض كلها أولًا وبالـذات، والمصالح الأوربية من النـوع نفسه ثانيًا وبالتَّبع.

وممـا تخط به كذلك الإجـراءاتُ والترتيبات الكثيرة العاجلـة، التي تضمن موقف تدفق الوعي الديني لا المشبع بروح الإرهاب، وهو ليس وعيًا دينيًّا عندنا، بل الوعي الديني

المبرّء من الإرهاب والعدوانية، وتقطيع أوصال الإنسانية الكريمة الواحدة بالباطل كما يرتكبه الغرب.

ولكن لأنه وعي، ولأنه يحترم الانسان، ولأنه يعترف بحاكمية الله وربوبيته، وعبودية الانسان لخالقه التي تعني كرامته وحريته البناءة ودوره الإصلاحي الكبير، ولأنه ينادي بالحق والعدل والإنصاف، ويناهض الظلم والنهب والاستغلال، ويحل الطيبات، ويحرم الخبائث، فلا بدَّ أن يُلفَّ في الأكفان ويُقبر.

بل لا بدَّ من الترتيبيات والإجراءات التي تُحل البديل الحضاري النقيض بالمعنى الأعم محل الإسلام في واقع المسلمين وفكرهم ومشاعرهم بما في هذا البديل من إلحادٍ وشركٍ وإنحرافٍ في التصور وحطةٍ في السلوك، وعندئذٍ ربما نحصل على شهادة حسن السلوك والرقي والتقدم.

وهذا لو كان، فالخسارة ليست خسارة للأمّة الإسلامية وحدها، وإنما هي خسارة للبشرية بجميع أجيالها الحاضرة والقادمة، لأنَّ فيه إطفاءً لنور الشمس الذي يمكن أن ينبعث به العالم من جديد، وحجبًا لأشعتها التي تمد الحياة المعنوية للإنسان بالبقاء والنماء.(١)

إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلاميّين

ومِنْ أنكر المنكر، وأفحش القول، وأسوأ الظلم أن يُوصم الإسلامُ والإسلاميُّون في كل مكان – وهم الذي يرون الخلق عِيال الله، والعباد عباد الله، وأن الإنسان أقل ما يربطه بالإنسان أنهما نظيران متكافئان في أصل إنسانيتهما، وما وجدا عليه من فطرة، وأن القاعدة الكبرى في التعامل هو أن يكون بالعدل والإحسان، وأنا لا تحامل يجوز معه رفع اليد عن الأخذ بالعدل، وأن ليس لهم أنفسهم، إي الإسلاميين إلا أن يذلّوا لله، ولعدله، وحكمته، وعلمه، وقدرته، وأن ليس لهم أن يطغوا في الأرض، وأن

١- خطبة الجمعة (٤٣) ١١ ذو القعدة ١٤٢٢هـ ٢٥يناير٢٠٠٢م.

يستكبروا، أو يسعوا بالفساد، وأن عليهم أن يسترجسوا كل بغيٍ وسوء - من أنكر المنكر، وأفحش القول، وأسوأ الظلم، وأقبح القبيح - أن يوصم هولاء والإسلام النقي من قبل دعاة العنصرية، ومصاصي دماء الشعوب، وأصحاب الحملات الاستعمارية المستنزفة لخيرات الأمم، والذي يحصرون مقياس القِيم والحق والعدل في موافقة المصالح الأمريكية كما يصرحون أنفسهم.

من أنكر المنكر أن يوصم الإسلاميون بعد كل هذا من قبل هؤلاء بالإرهاب، والغوغائية، والهمجية مستغلين في ذلك الحادث المدمر في أمريكا، الذي إنّ صدق أنه من بعض المسلمين، فقد جاء رد الفعل خاطئًا، مدانًا من سائر المسلمين دولًا وهيئات ومؤسسات وشخصيات في طول العالم الإسلامي وعرضه لمآسي عانى منها المسلمون ولا زالوا يعانون كما تعرف الدنيا كلها، وهو رد فعل نكرر إدانته، ونطالب الإسلاميين في كل مكان أن يقدّموا البديل الإعلامي الراقي عنه، والذي لا يشوّه صورة الإسلام الناصعة إرضاءً للعلقلية الغربية المادية، والمستوى المتدني من الناحية الخلقية بفعل من طغيان الدوافع الجسدية، ولا يستسلم لإرادة التمييع والتذويب، وفقد الثقة، واهتراء الرجولة مما يحاوله الغرب بنا، ولا يقضي على روح الجهاد للذود عن الأوطان والقِيم والكرامة.

نحن مع النداء الذي وجهه النبي عيسى (على نبينا وآله وعليه السلام) لبني إسرائيل؛ للخروج بهم من جاهليتهم، وما تفرزه الجاهلية من مشاكل لها أول وليس لها آخر، وهو نداؤنا لجاهلية القرن الواحد والعشرين، ولشعوب العالم كله من كل العناصر والأقطار والألوان، وهو النداء الذي أمر الله سبحانه خاتم أنبيائه ورسله أن يسمعه أهل الكتاب، ولا زال القرآن يطلقه؛ ليصل مسامع الدنيا بكل من فيها من أفراد وشعوب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].[2]

١- آل عمران: ٦٤.

٢- خطبة الجمعة (٤٤) ١٨ ذو القعدة ١٤٢٢هـ ١فبراير٢٠٠٢م.

هل الإسلام يدعو إلى الإرهاب؟

قسٌّ يجهل على رسول الله ﷺ، يقول ذلك القسّ جهلًا منه أو حقدًا: إنَّ الرسول ﷺ عاش إرهابيًا، فتّاكًا قتّالًا، سيفه يقطر بالدم، ولا ينتهي من غزوة حتّى يدخل غزوة أخرى، تاريخ دموي، يدلّ على غلظة في النفس، وعلى تلذذ بحمرة الدم، هذا ما قاله القسُّ!!

هنا تطاولٌ دينيٌّ، كبيرٌ شائن، وبلحاظ الظروف السياسية العالمية، يستبطن هذا القول تحريضًا على أمّة الإسلام بكاملها.

المسلمون تلامذة رسول الله ﷺ، وقدوتهم شخصيته، فمعنى ذلك أنّه إذا كان الرسول ﷺ إرهابيًا فكلّ مسلم فيه إرهابي.

إذًا، لا بدَّ أن تستهدف حملة بوش كلّ مسلم على وجه الأرض.

إنَّه حثٌّ، وتشجيع، وتحريض للعالم المسيحي كلّه وللعالم اليهودي أن يتحوّلوا أعداءً ألدّاء وبشدّة وبفعلية ضد كل مسلم على وجه الأرض!

دعا رسول الله ﷺ إلى كلمتين، بما للكلمتين من مضمون حضاري كبير، لما لهما من أثرٍ بعيد على عالم الفكر والشُّعور والسُّلوك، وبما يعنيان من صياغة خاصَّة للإنسان: (لا إله إلا الله، محمَّدٌ رسول الله)، ومن كان رسول الله لا يُقبل منه إلا العدل، والرحمة والإحسان.

رسول الله ﷺ هنا وضع نفسه موضع المحاسبة أمام كلّ العالم، أترى أنَّ من كان رسول الله يجهل؟!

فإذًا، رسول الله مطالبٌ بألّا يجهل، أترى أنَّ مَن كان رسولًا لله يظلم؟!

إذًا، رسول الله ﷺ مطالبٌ بحسبِ دعوته أن لا يظلم.

الرسول من الله، لا يرتقب منه إلا الخير، إلا الإيثار، إلا الرحمة، إلا الإحسان، إلا

العدل إلا الرجولة، إلا الشهامة، إلا الخلق النبيل، وإذا جاء منه ما يشذّ عن هذا الخطّ بكل مفرداته لم يكن رسولاً.

فحينما قال صلى الله عليه وآله: لا إله إلا الله، وهي الأولى، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله قد حكم نفسه على بأن لا يأتي منه إلا الخير، ولا يفعل إلا ما يلتقي والعقلَ وحقّ الدين.

قطع على نفسه صلى الله عليه وآله درب الظلم، درب ما يسمّيه القسّ بالإرهاب، درب كلّ شر.(١)

الإسلام يرفض أن نكون عدوانيّين، ويرفض أن نستسلم للإرهابيّين

والظاهر أنّه حتى لا يكون المسلمون إرهابيين، وحتى يحصلوا على شهادة براءة من الغرب لا بدَّ أن يكونوا دجاجًا ونعاجًا، ولا بدَّ أن تجرّد دولهم نفسها من كلّ أسباب الدفاع المشروع؛ ليبقوا صيدًا سهلًا للغرب، هذا هو المطلوب للقسّ، وهذا هو المطلوب لبوش، وهذا هو المطلوب لكلّ الطامعين في هذه الأمّة.(٢)

إن الإسلام الحق يجعلنا نرفض الإرهاب العدواني من أي صدد، وعلى أي صدد وندينه، بل ندين من المنطلق نفسه كل عدوان وإن جاء بمظهر الوداعة، وظهر بعنوان التعاون الاقتصادي، والسياسي، والعسكري، والثقافي، وهو يستبطن الاستغلال والاستضعاف، ومسخ القِيم، والسيطرة على الشعوب من غير حق.

إذا كان مسؤولون في الغرب قد صدرت منهم تصريحات تثير الحقد في الأرض، وتبعث روح العدواة والعدوان، فإن الإسلام لا يأذن لنا أن نثير روح الحقد والكراهية بين الشعوب والأمم، وإنما يطالب بإدانة الظلم والكفر، وقطع أسباب البغي والعدوان.

إننا لا نرى لقائمة الإرهاب الأمريكية البريطانية التي تزداد طولًا وتمددًا إلا أنها ستطال حتى أصدقاء أمريكا في الأخير، وخاصة إذا خرجت من أحدهم خطأ كلمة لا توافق الرؤية الأمريكية بالكامل.

١- وكيف سرت الرحمة والعدل والإحسان والخلق القويم في صفوف الأمّة التى بناها رسول الله صلى الله عليه وآله من كبار أبنائها وصغارهم لو كان قدوتهم الأولى يخالف واقعه دعواه؟!

٢- خطبة الجمعة (٨٠) ٤ شعبان ١٤٢٣هـ ١١أكتوبر٢٠٠٢م.

تشعر الأمَّة الإسلامية بكل شعوبها بأن القرار الأمريكي في مسألة الإرهاب الذي تسجلها عمليًّا على كل الأمَّة بأنه مستخف بها إلى أقصى حد، ويستهدف هدر كرامتها، واستعداء شعوب الأرض عليها على أن هذا يسد على العالم كله طرق الاستقرار، وأن ينظر إلى الأمور بعين العقل، وأن يفكر في المصالح المشتركة.[1]

بقايا ضمير

نلاحظ أن هناك بقية من ضميرٍ في هذا العالم، وهي مكبوتة ومقموعة إعلاميًّا وسياسيًّا وعسكريًّا، إلا أن الضمير الإنساني والفطري والديني له بقية في هذا العالم وهو يطلق صرخاته ضد الإرهاب الأمريكي، واشعال الساحة العالمية نارًا وحقدًا بغيضة، والأخذ بشعار التصادم الحضاري بدل شعار الحوار الحضاري القائم على الفكر الدقيق العلمي، والقائم على الموضوعية، والقائم على طلب الحق والتسليم له.

وإذا اتجه العالم إلى حوارٍ حضاري من هذا النمط وهو لا يكون على يد الساسة، أؤكد أن هذا النمط لا يكون على يد الساسة، لو اتجه العالم من النمط المذكور لكان الرابح في الساحة العالمية هو الإسلام وبصورة قاطعة، وبكل تأكيد.

نعم، أطلق القسيسون، وبعض الرهبان صوتهم مع أصوات المنكرين للإرهاب الأمريكي والغرب معط حقًّا أن يتحدث عن ضميره، أن يتحدث عن نفسه في شارعه قبل العالم الإسلامي بسنوات وسنوات، وبمسافات ومسافات، لأن الإنسان هناك غير الإنسان هنا، الإنسان هناك معترفٌ له بإنسانيته، الإنسان هنا وبالنظرة الداخلية، أيضًا بنظرة العالم الإسلامي في الداخل على المستوى الرسمي، أنه إنسانٌ حيوانيته تبلغ ثلاثة أرباع من مستواه.[2]

كيف نتخلص من الإرهاب؟

أما كيف نتخلص من الإرهاب، فلنرجع إلى الحديث عن التوحيد، والوحدة، والرَّحمة، فلا بدَّ من قيم، لا بدَّ من دين.

١- خطبة الجمعة (٣٢) بتاريخ ٢٣ شعبان ١٤٢٢هـ ٩ نوفمبر ٢٠٠١م.

٢- خطبة الجمعة (٣٠) بتاريخ ٩ شعبان ١٤٢٢هـ ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١م.

والدين الحق هو دين التوحيد.

ولا بدَّ من فهم قويم للدين، لا يحوله إلى أحقاد وعصبيات بغيضة، وتعطُّشٍ لدم الآخرين.

نحن بعيدون عن هذه التربية، ولا نؤمن بها، ونشجبها كل الشجب، وقبل أن يُشجب أيّ طرف.

لا بدَّ من تشديد الشجب والإنكار والسخط على الإرهاب الأمريكي الغاشم.[١]

ما يتمناه الإنسان المسلم للناس جميعًا هو الهدى، والتمتّع بالعدل، والأمن والسلام، وارتفاع كل أسباب الرعب الهلع في الأرض، وتلاشي ظاهرة الإرهاب سواء كان من مستوى الفعل الابتدائي، أم رد الفعل.

ويستحيل أن يتحقق هذا بلا عودة إلى قيم السماء، والكفّ من شياطين العالم عن تدمير إنسانية الإنسان، ومحاولات مسخ الفطرة التي فطر الله الناس عليها.[٢]

إنّنا نألم أن تنصب جهود الإنسانية على بناء حضارة مادية تتميز بناطحات السحاب، والصواريخ العملاقة، والصناعة الضخمة، والعمران المادي المحكم على أساس من ملح أو كف عفريت يتمثل في القِيم المادية من شره وحرص وعدوانية، وتهارش على متاع الدنيا وإن قلّ؛ لتتهدم هذه الحضارة على رؤوس الناس في كل مكان، ويتبخر وجودهم ووجود سعادتهم الموهومة في لحظة.[٣]

١- خطبة الجمعة (١١١) ١٤ ربيع الأول ١٤٢٤هـ ١٦ مايو ٢٠٠٣م.

٢- خطبة الجمعة (٢٤) بتاريخ ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ ١٤سبتمبر ٢٠٠١م.

٣- خطبة الجمعة (٢٤) بتاريخ ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ - ١٤سبتمبر ٢٠٠١م.

(٣)
الوطنيَّة والمواطنة

العلاقة بين الوطن والأمَّة والدِّين

ما هي العلاقة بين الثلاثة؟

علاقة تنافر وتضاد في الوجودات والمصالح؟

أو علاقة تلاقٍ وتوافٍ وترابط؟

والكلام عن وطن هو جزء بوجوده البشري الأغلب من أمّة هي الأمّة الإسلامية، وجزء بأرضه من الوطن العام الإسلامي - إذا لم يعترض البعض على التسمية - وعن أمّة هي الأمّة التي تحدّث عنها القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة بصورة محدَّدة المعالم من حيث الرؤية الكونية الواحدة، وأخوّةُ الدّين الواحد، ونمطُ العلاقات، وترابط المصالح، ووحدة الهدف، ومن حيث النظام العام في أبعاده المختلفة، وتبادل المسؤولية الدفاعية، وحفظ الدين وتبليغُه، والدعوةُ إليه، والذَّودُ عنه، والنهوض بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاء المشترك المتبادل بين المسلم وأخيه المسلم.

فكل ذلك، وما هو أكثر منه الأمّة فيه كيان واحد.

والدِّين المعنيُّ في العنوان هو الدين الإسلامي، دين الفطرة التي فطر الله النّاس عليها، ولا تبديل لخلق الله.

وكونُ الأمّة الإسلاميّة في القرآن الكريم، والسُّنَّة المطهَّرة للمعصوم الأول وهو الرسول ﷺ واحدة في أصولها العقيدية العامة من التوحيد، والعدل - إذ لا يقبل مسلم أيًا كان أن ينسب الظلم ملتفتًا إلى الله سبحانه، متخذًا ذلك عقيدة باسم الإسلام -، والنبوّة، والمعاد، وواحدة في أصول عباداتها، ومجمل هيئات تلك العبادات بغض النظر عن التفاصيل الجزئية الاجتهادية، وواحدة في مرجعيتها السياسية العامة

وإن اختُلف على أخذ وصف العصمة وعدمه فيمن هو الإمام أو الخليفة، وأنه معيّن بشخصه أو بوصفه، وكون أرض الإسلام واحدة وإن اتسعت رقعتها، وتعددت القوميّات والشعوب واللغات عليها؛ ضرورةٌ من ضرورات الإسلام التي لا يليق التشكيك فيها.

انقسام الأمَّة إلى كيانات سياسية متعددة خروج على الأصل المسلَّم به بلا ريب، وقد تم في الكثير تحت ضغط الأجنبي وبتخطيطه.

وكون هذا الانقسام واقعًا شاخصًا مسألة لا تحتاج إلى تنبيه، ولا يمكن إنكاره، ولا تجاوزه عملًا، ولا التخلص منه في المدى المنظور، وهو لا يبيح لنا أن نضعف أي وطن من هذه الأوطان المتشظية التي أفرزتها الانقسامات المتوالية، أو الإخلال بمصالحه الحقيقيّة، وأمنه المشترك.

ولكن كل ذلك لا يحوّل حالة الانقسام والتمزّق أصلًا إسلاميًّا، فالأصل الإسلامي هو الوحدة، ولا يقلب واقع ما عليه الإسلام من تصور وهدف في هذا المجال، ولا يصح لنا أن ننظِّر له، ونُحاول بصورة غير علمية تبريره وتركيزه، والدعوة إليه.

والعودة بالأمَّة إلى واقعها السياسي الوحدوي يحتاج إلى مدى بعيد، وجهود مكثّفة تثمر وعيًا كافيًا، وقناعة عامة أو واسعة إلى الحد الذي يشعر معه المسلمون جدًّا بضرورة هذا الأمر دينًا وواقعًا، ويتقبلونه من داخل أنفسهم، وليس الطريق إلى ذلك هي النزاعات الحدودية، والصراعات المادية على الأرض، والبحور الغزيرة من دماء المسلمين ممَّا يضرّ بوحدتهم وقوتهم أكثر مما هم عليه، ويؤثر سلبًا لا إيجابًا على ما تبقّى من وحدتهم الفكرية والشعورية.

ونعطف على السؤال الرئيس في هذا الموضوع، والمتعلق بنمط العلاقة بين الوطن الإسلامي الخاص والعام والدين.

والواضح أنّه مع كون الوطن الخاص إسلاميًا، والأمَّة إسلامية، والوطن العام إسلاميًا، لا وجه للتصادم والتنافي في المصالح من هذه الجهة، ولا خلل في صدق هذا العنوان على الموصوفات الثلاثة: إذ مع صدق الوصف يكون الإخلاص للوطن الخاص، وعلى الطريقة الإسلامية ملتقيًا تمامًا مع مصلحة الأمَّة، ومصلحة أي وطن آخر

إسلامي، وفيه دعمٌ وقوة للدين، ويمثل أخذًا بحكمه، واستجابة له.

والحقّ أنه لا تنافي، ولا تصادم بين الكيان العام والخاص من وطن وأمّة إلا بمقدار ما يتباعد هذا الوطن أو ذاك من الأوطان الإسلامية الخاصة عن الإسلام، ومقدار تبعيته لإرادة الأجنبي، ونفوذه، وتدخلاته.

وهذا هو المستنقع الذي تردّى فيه واقع المسلمين في الأكثر اليوم، وهو ما يمثّل خسارة فادحة وخيانة كبرى للأمّة والوطن الإسلامي العام، وكذلك الأوطان الإسلامية الخاصة على حد سواء.

وموقف المسلم الملتزم بإسلامه إزاء هذا الواقع المتردّي والمعقّد لا بدّ أن يهتدي كما في كلّ الأحوال بهدى دينه، ونور شريعته، فيعمل في صالح وطنه الخاص بما يُرضي الله سبحانه، ولا يتساهل في حفظه ودرء الشرّ عنه، وهذا الموقف الذي يفرضه الإسلام في حق الوطن الخاص هو نفسه الذي يفرضه في حق الوطن الإسلامي كلّه والأمّة من دون أن يتهافت الأمران ما دام المستفتى هو الإسلام، والمنظورُ في الموقف هو الله سبحانه.

- فينتج أنه لا تفريط بمصلحة الوطن الخاص، ولا تآمر على حسابه، ولا بمصلحة الوطن العام والأمّة، ولا تآمر على حسابهما، بل رعاية وحفاظ وإخلاص وذود عن كل هذه الكيانات المتلاقية المتوافية ربحًا وخسارة في نظر الإسلام، وأحكامه الشرعية الصادقة.

وإنك لتلاحظ كثرة كلام في هذا الوطن عن حب الوطن وولائه والإخلاص له، وكأن الأرض لتهتز بأهلها لكثرة المعادين للوطن من أبناء الشعب المتآمرين عليه الداخلين في عمليات بيع له، أو كأن حب الأوطان مسألة فلسفية جديدة تحتاج إلى دروس مكثّفة، وتنظيرات تغتال حقائق إسلامية وتطمسها، وكأن هناك تناقضًا بين الإسلام بكل حقائقه الثابتة وبين مصلحة أي شبر من أرض الإسلام، وأي فئة صادقة من أبنائه حتى لا نستطيع تركيز حب الوطن ورعاية مصالحه، ودرء الشر عنه إلا بطمس أو تشويه تلك الحقائق الإسلامية الواضحة الكبرى، وكل ذلك غير صحيح، وغير وارد.

ومنذ بعيد والحكومات العربية والإسلامية هي التي تبيع الأوطان والثروة وعز الأمّة

وكرامتها والإنسان، وعلى من بيّوها!؟ على أعدى أعدى الدّين والأمّة والإنسان، على المستكبرين على الله المسترقّين لعباده.[١]

حبُّ الوطن واستقلاله

هناك حبّان من حبّ: حبّ طبيعي يعبّر عنه الارتباط النفسي، والأنس بالأرض والأهل، وهذا معروف عند الناس.

حبّ آخر هو حبّ الخير للوطن، والعمل بما فيه صالحه، والحفاظ عليه.

والإنسان المسلم يرى هذا واجبًا ورسالة.

ولكن هل من حبٌّ عند الإنسان المسلم يقابل حب الله!؟

كل حبّ من حبّ الإنسان، المسلم بمقتضى إسلامه يجب أن يكون تابعًا لحب الله، حب رسول الله ﷺ إنما هو حبّ تابع وقائم على حبّ الله في نفس الإنسان المسلم المؤمن، وكذلك كل حب آخر.

هناك حبّ على مستوى عاطفة الميل والألفة بحسب طبيعة النفس للأهل والأرض مثلاً، وهناك حبّ آخر عقلي يقوم على تقدير الخير، والتعلق بالكمال، والانشداد إليه، وتقوم عليه الطاعة عند الفعل، ويكسب الطمأنينة والسعادة للنفس.

وهذا اللون من الحب لا يصح لأحد إلا بأن يكون متفرّعًا على حب الله سبحانه وتعالى.

وكيف نحبُّ الوطن؟

كما أحبّ نفسي، كما أحب ولدي.

إنّه الحب القائم على الأخذ بتعاليم الشريعة.

إنه الحب الذي نعبّر عنه التعبير الذي حدّده الله تبارك وتعالى.

١- خطبة الجمعة (٣٢٥) ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ ١٦ مايو ٢٠٠٨م.

إذا أحببت ولدك، وجاء حبّك على غير طريق الله، وعلى خلاف ما أمر ونهى، فأنت لا تحبّه.

إذا أحببنا الولد، إذا أحببنا الوطن، فإننا نحبّه بالطريقة التي قالت بها الشريعة الغرّاء، وهذا هو الحب الصادق النافع.

أمِنْ حبّ الوطن أن نغرقه بالخطايا؟!

أن نغرقه بالفساد الخلقي؟!

أن نطعم جوعى الوطن بكدّ الفُرُوج؟!

هذا حب لا يرضاه الله سبحانه وتعالى.

يجب أن ينبع حبّنا لأي شيئ من الله، ويجب أن يأخذ الحبّ في تعبيره الطريقة التي أمر الله بها ﷻ.

تقول الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. [١]

علينا أن نحب الوطن، ونخلص في حبّه.

وأن يكون حبّنا له من حبّنا لله، وهو مقياس كل حب.

وأن يكون تعبيرنا عن هذا الحب لا يغادر خطّ الشريعة على الإطلاق.

والكلام عن استقلال الأوطان الإسلامية، مرتبط بعلاقة ذلك بوحدة الأمّة، وفرقتها، وتقاربها.

باختصار: وحدة الأمّة هدف كل مسلم وأمنيته، ولو تمنّى أحد المسلمين غير ذلك لخالف إسلامه.

١- التوبة: ٢٤.

وحدة الأمّة هدف كل مسلم، ولكنّه هدف بعيد يفصل الأمّة عنه واقع مليئ بالتناقضات والقصور والنواقص، فهذا الهدف ليس على مرمى قريب من النظر العملي عند الإنسان المسلم المتعقّل، وطلبه بالقوة يضاعف من مشكلات الأمّة ومحنها وفرقتها، ويحتاج إلى قطع مسافة طويلة من التثقيف والتوعية، وتنقية المشاعر والارتفاع بالنفوس إلى الأفق الإيماني الرفيع.

لو أردنا أن نوحّد بلدين من البلاد الإسلامية، ولنفرضهما أنهما أكثر البلدان الإسلامية تقاربًا لصعبت الغاية، أما توحيد الأمّة تحت راية واحدة، وقيادة واحدة، وأطروحة واحدة، فهو من المستحيلات العادية في المدى المنظور، فطلبه على هذا المستوى شيئ من تضييع الوقت والجهد، وينتج مزيدًا من فرقة الأمّة، وشتاتها، فلا يُطلب على المدى القريب، ولكن على الأمّة أن تجدّ في طلبه ولو على المدى البعيد، ونحن نأمل من الإمام القائم ﷺ - وهو أمل صادق بإذن الله - أن يوحّد هذه الأمّة كلّها تحت راية الإيمان الخفّاقة العالية.

إذا لم نختر الوحدة، فلنختر مزيدًا من فرقة الأمّة لكنّ هذا هدف كلّ عدو ومتآمر على الأمّة، فما هو العملي؟

العملي أن نقول باستقلال كل بلد إسلامي، وأن نقول بوجوب التقارب والتحالف غير الضّار بالوحدة، ونفض اليد من التحالفات الأجنبية التي تضرب وحدة الأمّة، وتغتال هُويتها.

ولا للاختراقات الحدودية العدوانية والتوسعات الجغرافية بين المسلمين التي قد تحرّك الأطماع الرغبة إليها.(١)

الوطنيّة والإسلام

كثيرًا ما يقابل في المصطلحات السائدة بين الوطنية والإسلام، بما قد يُشعر أو يُراد منه بأن الوطنية تنافي الإسلام، والإسلام ينافي الوطنية.

١- خطبة الجمعة (٣٣٦) ٢٨ رجب ١٤٢٩هـ ١ أغسطس ٢٠٠٨م.

وهـذا صحيح لـو اتخذ الوطن معبودًا مـن دون الله، وكان التقديـس والتحميد له، واتخذ مثلًا أعلى وإلهًا مطلقًا، حينئذٍ ما هو دين غير ما هو وطنيّ ١٠٠٪، وما هو وطنيّ هـو ليس دينًـا بالكامل وبالمطلق، أما حسـب الفهم الذي نتبناه والوعـي الرشيد، الوعي لمعنى الوطنية، والفهم الصحيح للإسلام، فالأمر ليس كذلك.

إنَّ الوطنيـة من الإسـلام، والإسلام يعنـي المصلحة الوطنيـة، والمصلحة الوطنية تصب في صالح الإسلام.

نحن نفهم مـن الوطن الإسلامي أنه وطنٌ آمن بالإسـلام وارتضاه منهجًا وطريقًا وقدّمـه على كل الأطروحـات الأخرى، الوطن الإسلامي وطـنٌ يؤمن من أعماقه بالخط الإسلامي وبالقِيم الإسلامية.

فإذًا، هو لا يسعى من خلال هذا الفهم والتوجه إلى ما يضاد الإسلام، ولا يرى في مصلحته أنها تقع في شيئ يخالف الإسلام.

والإسـلام رحمة، الإسلام للبناء، الإسلام للتقـدم، الإسلام لإعمار الدنيا، لإعمار الذات الإنسانية، ولأن تفعم القلوب بالنور، ولأن تزدهر الأنفس بالطمأنينة.

هو للأمن، للتقـدم العلمي، للتقدم التكنولوجي، للتقدم في كل المسارات الصالحة، وإسلامٌ هو هذا لا يمكن أن يتقاطع مع مصلحة أي وطنٍ رشيد.[١]

الولاء للوطن والولاء للأمّة ورجالاتها

فهمُنـا أنّـه لا تنافي بين الـولاء للوطن والـولاء للأمّـة، ورجالات الأمّـة، الرجالات الرساليين، رجالات الإنقاذ، الرجالات المخلصين.

نحـن نقف مع كلّ قيادة محليّة تخلص للإنسان والإسلام، ونحن نقف مع كلّ قيادة عالمية مع أي قيادة ولو كانت في أمريكا.

في موقف القيادة إذا كانت قيادة مع الإنسان والإسلام.

١- خطبة الجمعة (٤٦) بتاريخ ٢ ذو الحجة ١٤٢٢هـ ١٥فبراير٢٠٠٢م.

يوم أن يتحول الأمريكي إلى إنسان مسلم سنتعلق به، سنعشقه، سنلتف حوله.

هذا وأوصي جدًّا بالاعتزاز بالوطن لكن في ظل الفهم الإسلامي، والإخلاص للوطن على خطّ الإسلام.(١)

الولاء للوطن والولاء للأمّة والدِّين

موضوع الولاء للوطن، وعلاقته بالولاء للأمّة والدين، وهو موضوع وإن تمّ تناوله في حديث سابق في غير هذا المكان لكن يبقى نافعًا أن يُعاد إليه بالتركيز على بعض أبعاده العملية بصورة أوضح وأصرح.

يطلب تسليط الضوء على نوع العلاقة بين الولاءين، وهل هي علاقة تضاد وتنافر، أو علاقة تلاقٍ وانسجام؟ رفعًا لما قد يحصل من تصوّر غير مدروس من جانب، أو سوء ظنّ من جانب آخر، لا بدّ أن نفهم وظيفتنا في الموقف من هذين الولاءين؛ لنتحرك على بصيرة كافية.

لا يختلف مسلمان على أن الولاء الأصل لله وحده لا شريك له: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.(٢)

ماذا يعني الولاء لله؟

يعني الولاء لله فيما يعني حبه، والاستسلام الكامل لرضاه، لكل حكم من أحكامه، وتبعية إرادة الإنسان لإرادته، فلا يأخذ إلا بما أراد الله، ولا يقارف ما كره الله سبحانه وتعالى، ويعني ولاءه سبحانه نصرة دينه، والإخلاص في طاعته، ويعني فيما يعنيه أيضًا تبعية أي حب، وأي نصرة، وأي طاعة لحبه ونصرته وطاعته، حتى طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله لا يصح أن تكون طاعة مستقلة عن طاعة الله وإنما يطاع رسول الله صلى الله عليه وآله بوعي أن طاعته من طاعة الله، وأنّها طاعة أمر بها الله، هذا هو من الولاء لله.

١- خطبة الجمعة (٥٨) ٢٧ صفر ١٤٢٣هـ ١٠مايو٢٠٠٢م.

٢- المائدة: ٥٥.

أقول: لا يختلف مسلمان يسلّمان للإسلام أمرهما، ويعيشان الإسلام وعيًا صحيحًا وشعورًا صادقًا على هذه البديهية الإسلامية الجليّة.

والحديث عن أيّ ولاء لا بدَّ أنْ يكون محكومًا لهذه البديهية.

وأريـد هنا أن أركّز الكلام على العلاقة بـين الولاء للوطن، وولاء الأمَّة والدين، وفي نظري هما ولاءان غير منفصلين بالنسبة للأوطان الإسلامية.

والتركيز على هذه العلاقة في دائرة كل أنواع الارتباط بالأمَّة والدين.

موقعيَّة الولاء للوطن من ارتباطات الدِّين والأمَّة

هنـاك عدد من الارتباطات بالدين والأمَّة، فأيـن يقع ولاء الوطن والارتباط به من كل واحد واحد من هذه الأبعاد من الارتباط؟

وهل يتنافى أي واحد من هذه الارتباطات بالمصلحة الوطنية ويناقضها؟

١- هنـاك ارتبـاط ثقافي بالدين، وإن ثقافة الإنسـان المسلم يجب أن تنبي في ضوء دينه، وثقافة الأمَّة الإسلامية بما هي أمَّة إسلامية هي ثقافته.

معايشـة هذه الثقافـة، والارتباط بها، والانكباب على فهمهـا، والتفاعل معها، هذا الارتباط هل يتنافى مع الولاء للوطن؟

الوطـن إما أن تكـون ثقافته ثقافة إسلا ميـة، وإما أن تكون ثقافتـه ثقافة جاهلية، وإمـا أن تكون ثقافته ثقافة مزيجًا من هـاتين الثقافتين، والحاصل العملي في كل أوطاننا الإسلاميـة الآن هو أن ثقافـة مزيجة من ثقافة الإسلام وغيره هـي التي تحكم ساحات الأوطان الإسلامية كلها.

ومـن حـق كل مسلم، بل من الواجـب عليه أن ينبذ أي ثقافـة جاهلية لأي وطن من أوطانـه، وأن يدعو بقوة إلى تركز الثقافة الإسلامية إخلاصًا لوطنه، وحماية لمصالحه، وحبًّـا لأهلـه وقومـه، وليس يجـوز لأي مسـلـم في الأرض أن ينسى الثقافـة الإسلامية،

ويضحّـي بها لأي شيئ من ثقافة جاهلية إيرانية، أو تركية، أو عربية مصرية، بحرينية، وأي ثقافـة أخـرى، يجـب أن يرمى بكل الثقافـات الجاهلية أيًـا كان انتماؤها؛ من أجل الثقافة الإسلامية التي توحدنا، وتجتمع عليها قلوبنا وعقائدنا.

٢- هنـاك ثقافـة الارتباط بالمرجعية الفقهية، الأزهـر الشريف، النجف الأشرف، قـم الشريفة، مراكز علمية فقهية تمد البـلاد الإسلامية كلها بالحكم الشرعي، والرأي الفقهـي، هل الولاء لتونس، أو للبحرين، أو لأي بلد مـن البلدان يتنافى مع مرجعية هذه المراكز؟

إذًا، الأمَّـة ستقع في فقر فقهي شديد، وستخسـر منابعها الفقهية، وستنفصل عن الإسلام عمليًّا في بعض سنوات.

طبعًـا لا تطلـب السياسة في أي بلـد من مواطنيها أن ينفصلوا عـن المراكز العلمية الفقهيـة في التعامل الفقهي، وفهم الحكم الشرعي، وتلقيـه في مختلف المسائل العمليّة، وهـذا ما عليه سيرة المسلمين منذ وجدوا، فسـواءً كان المركز العلمي المدينة، الكوفة، أم الأندلس، أم أيًّا كان، كانت كل أفئدة المسلمين تهوى للمراكز العلمية، وترتبط بها؛ لتأخذ منها دينها، والسيرة قائمة على هذا، ولا غبار عليه.

٣- هنـاك قدوات ورمـوز دينية وطنية، ورموز سياسية علـى الخط الديني وطنية، وهنـاك قدوات مـن داخل الأمَّـة على مستـوى الأمَّة، بل علـى مستوى العـالم، تاريخيًّا وحاضـرًا، والقدوات والرمـوز الدينية والجهادية إذا كانت رمـوزًا وقدوات على مستوى الأمَّة عاشت هم الأمَّة، واستوعبت همّ الأمَّة، وأخلصت للأمَّة، بل تجاوزتها إلى الإنسان كل إنسان.

أنت لا تستطيع أن تقزم مثل هذه القدوات والرموز في إطار زمان معين، أو في إطار مكان معين.

إننـا ونحـن مسلمون نكبر مـن ناحية الجهـد العملي، ونفع الانسـان المخترعين في العـالم، فلا يمكن أن يطلـب للأمَّة أن تنسى كبار فقهائها، وكبـار مجاهديها، الذين لم يرضوا بأي تقوقع دون أن ينفتحوا على مصلحة العالم كله، فضلًا عن مصلحة الأمَّة.

إننـــا نظلمهم، ونظلم أنفسنا حين نسجنهم في قفص أوطانهم، وفي حدود جغرافية ضيقة.

إنَّنا نخسر بذلـك هُويتنا الواحدة، وانتماءنا الواحد، ونبقى بلا رموز عملاقة، فإنَّ الأوطـان الصغيرة مهما أعطت مـن رموز، فلن تعطي رموزًا كما هـي الرموز والقدوات الواسعة التي تنتشر بقدر ما ينتشر أفق العالم.

وهل تكريم رسول الله صلى الله عليه وآله يخالف الوطنية؟!

رسول الله ليس خاصًا بوطن واحد.

هل تكريم أي من الصحابة؟!

وأي من الأئمَّة عليهم السلام يعني الانفصال، والانفصام عن الولاء الوطني؟!

٤- هناك الارتباط العاطفي والمشاركة في أفراح الأمَّة وآلامها.

فللأوطـان مناسباتها الخاصة، وهـذه المناسبات ذات المصلحـة، والتي تركز على الاستقلاليـة عن الأجنبـي، وتعني الرجولة والأخلاقية، وتعني منعطفًـا تاريخيًّا إيجابيًّا لهذا الوطن أو ذاك تكرم، وتحيا، ويتفاعل معها.

لكـن حـين نأتي لإحداث الأمَّة حـدث كربلاء، فتوحات رسـول الله صلى الله عليه وآله انتصار المسلمـين في أي موقع مـن المواقع، فنحتفل بهذه المناسبـات، نتفاعل معها، ونفي لها هل نكون كفَّارًا بالولاء الوطني؟

وهل هناك تنافٍ بين هذا والولاء الوطني؟

نحـن جزء من هذه الأمَّة، وأنا حين أكرم الأمَّة أكرمت وطني، وهل أنا جزء منسلخ من الأمَّة حتى إذا كرمت الأمَّة عاديت وطني؟!

وطنـي جـزء - من جسم أمَّة - عملاق، وتكريم هـذا الجسم الكامل هو تكريم لكلِّ عضو منه، وبعث للحياة فيه.

٥- الإسهـام في نصرة قضايـا الأمَّة الكبرى كقضية فلسطـين، والقدس، والمسجد

الأقصى هل يعني كفرًا عمليًا آخر لقضية الوطن؟!

وهل يمثل ذلك تنافيًا مع مصلحة الوطن؟

أو أنه يصب في مصلحة الوطن؟!

معالجة أي جزء من إجزاء الأمّة هو إعطاء العافية والصحة لمجموع الجسم، وإذا لم تحضر البحرين في المشكلة الفلسطينية، فمن سيحضر للبحرين في مشكلاتها؟!

نحن جسم واحد، ولا أظن الحكومة هنا تريد أن تقول للشعب بأنَّ مثل هذه الأمور تتنافى والولاء الوطني.

٦- هناك ولاء خاص يتمثل في الارتباط السياسي الخاص المضر بالوطن وسلامته، واستقلاله في ظل التَّجزئة السياسية والجغرافية القائمة بين البلاد الإسلامية.

نحن نعيش واقعًا هو أن مصر وجود وطني، والبحرين وجود وطني آخر، وإن كانت الاثنتان جزأين من جسم أمَّة واحدة ولهما مشتركاتهما العريضة وخطوطهما الرئيسة الكبيرة التي تمثل لب الحضارة الإسلامية والانتماء الإسلامي، لكن حين يراد مني أن أتعامل مع النظام السياسي في أي بلد لأحدث فوضى في بلدي، ولأنشر الخراب في بلديحين يراد مني أن أهدم وطني؛ من أجل بناء وطن إسلامي آخر، فذاك وطن وهذا وطن، ولماذا أقطع يدي اليمنى؛ من أجل أن تبقى اليسرى من غير ضرورة!

هنا نحن نتفهم لحساسية الدول ولحساباتها الخاصة الاحتياطية في هذا الجانب، ولكن المؤاخذ عليه هو فرط الحساسية والمبالغة في الحساسية، وحمل أي مظهر تكريمي عام، وأي مشاركة في مناسبة من مناسبات الأمَّة على مثل هذا التوجه.

هذا التوجه نرفضه كما نرفض هذه الحساسية المفرطة.

نحن مع استقلالية هذا الوطن، وسلامته، وأمنه واستقراره، ولا نرضى لأنفسنا، ولا للإخوة والأبناء أن ينسوا مصلحة هذا الوطن، وسلامته، واستقراره.

ثقافة الأمَّة ثقافتنا، وكل المراكز العلمية للأمَّة هي مراكزنا، واليد التي تمتد إلى الأزهر بشرٍّ، يد امتدت إلى قلب كلّ مسلم بسكين، ونالت من كرامة كلّ مسلم، واليد التي

تمتد إلى النجف الأشرف أو قم هي يدٌ آثمة كأختها، ولا بدَّ أن يكون مسّ النجف، أو مس قـم بما فيهما من فقهاء، بما فيهما من رموز دينية عالية، وقدوات على مستوى الأمَّة أن يكون مسًّا للأمَّة ومصالحها في كل شبر من أرض الأمَّة.

علينا أن نصوغ مواطنين بعقلية الإنسان الذي يعرف كيف يجمع بين إخلاصه لوطنه وأمَّته، وهذا ميسور جدًّا لو ارتبطنا بالإسلام وركّزنا وعيه، فإنَّه في دائرة الإسلام، وعلى خـط الإسـلام نستطيع أن نفهم جيدًا نظريًّا وعمليًّا كيف لا نفصل بين الإخلاص للوطن والإخلاص للأمَّة، بين الإخلاص للأمَّة والإخلاص للوطن.

حياة أيّ بلد من بلدان الأمَّة، تكون بحياة البلدان الأخرى لا بموتها.[1]

الوطنيَّة وموالاة الحكم!

لا أريـد أن أؤكد علـى وطنية جماهيرنا، لأنّها غير قابلـة للتشكيك بأي مقياس من المقاييس حتى تحتاج إلى التأكيد.

والمواطنـة والوطنيـة لا تعني الموافقة على السياسة السقيمـة على حدّ الموافقة على السياسـة الصحيحـة، ولا تعنـي السكوت على الظلـم والموالاة لأي مشـروع وإن كان فيه هلاك الوطن والمواطنين.

السكـوت على غبن الحقوق، والإيغال في الظلم، والتهميش والإقصاء إنما هو على خلاف المواطنة الصالحة والإخلاص للوطن.

إن المواطـن الصالح هو من يطلب الخير لشعبه وأرضه، ولا خير إلا في العدل الذي به حياة الأرض ومن عليها وما عليها.

فالمطالبـة بالعدل والإنصاف من صميم المواطنة الصالحة، ومقوّم رئيس للمواطن الصالح، فلا تجد مواطنًا صالحًا يسكت على الظلم وهو قادر على إنكاره.

والجماهير إنما تهفو للعدالة، وإذا طالبت فإنما تطالب بها.

١- خطبة الجمعة رقم (٨٢) ١٨ شعبان ١٤٢٣هـ ٢٥ أكتوبر٢٠٠٢م.

والمواطن الصالح من لا يخون شعبه في فلس واحد، ولا يزرع الفتنة في أهل وطنه، ولا يبيع شبرًا من أرض الوطن على أجنبي، ولا يمكّن له فيها بأي عنوان من العناوين بما يضر بالوطن بأي ثمن من الأثمان، والجماهير بريئة من كل هذا.

والمواطن الصالح هو مَن يقف مع استقلال وطنه، ومع أي انفراجة في الوضع السياسي العام تبشّر بشيئ من مد الجسور، وإعادة الثقة، وتحمل بارقة أمل في الاستقرار العادل، والاعتراف بالحقوق، واحترام الكرامة برغم ما يعانيه من ظلم واستهداف وإقصاء في وطنه، والتجارب تشهد بأن جماهيرنا هي كذلك.[1]

الولاء من أين يبدأ، وإلى أين ينتهي؟

الولاء المطروح بمعنى المحبَّة، والطَّاعة، والنُّصرة.

وقضية الولاء قضية محسومة عند من له دين.

ولا شأن لنا بمَن لا دين له، ولا يرى من عظمة الله وحقّه ما يكفي.

أمَّا مَن له دين، ويرى من عظمة الله وحقه العظيم ما يكفي، فإن ولاءه أولًا وبالذات هو لله وحده لاشريك له، وكل ولاء يدين به هذا العبد المتديّن هو ولاء منبثق من ولاء الله، ومنتهٍ إليه.

والولاء لله ولاء للحق، والعدل، والخير، والجمال المعنوي الأسمى.

والمؤمن يعيش حالة الولاء وعدم الولاء، فلكل مؤمن حالة من الولاء، وحالة من عدم الولاء.

إنه يعيش الحالتين مع نفسه، فيوالي من نفسه خيرها، ويعادي منها شرّها، ولذلك يتوب عن السيئة، ويهبط في نظر نفسه كلما ارتكب من ذَنْب، فأنت وأنت مؤمن تُوالي نفسك وتعاديها، ولا يكون أحدنا مؤمنًا حقًّا إذا كان ولاؤه لنفسه على الإطلاق؛ حيث يرضى منها الخير والشر، والحق والباطل، والهدى والضلال.

١- خطبة الجمعة (٣٣٠) ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ ٢٠ يونيو ٢٠٠٨م.

وإنما تُحب نفسك، وترضى عنها، وتسكت عليها حين تكون على خط الله.

وإنك لتقف أمامها منتفضًا ثائرًا حين تجد منها ميلًا إلى خط الشيطان.

والمؤمن يعيش هاتين الحالتين: حالة الولاء، وعدم الولاء مع أهله، مع زوجه وولده وأخيه وأخته وحامته، فيحب منهم خيرهم، ويبغض منهم شرهم، ويناصرهم على هداهم، ويواجههم على باطلهم إخلاصًا لهم ومحبة وشفقة.

وهو يعيش هاتين الحالتين مع مؤسسته، ومع قريته، ومع مدينته، ومع وطنه وأمّته؛ فيحب من وطنه ولوطنه الخير، ويبغض من وطنه ولوطنه الشر، وهكذا بالقياس إلى أمّته.

ومرتكزه الأساس في عيشه لهاتين الحالتين هو ولاؤه لله تبارك وتعالى.

نفس المؤمن مصنوعة جميلة، مهديّة، متعلِّقة بالخير، فلا تحب إلا الخير، ولا تجد منها للشر إلا بغضًا، ذلك من منطلق حبها لله تبارك وتعالى.

أما عن العلاقة بأمن الوطن، فما من عاقل إلا ويسيئه، ويزعجه، ويغيضه، ويرعبه أن يُعتدى على وطنه، وأن يُمسّ أمن الوطن وكرامته، وليس عاقلًا من ساعد على ذلك، وكيف لعاقل أن يهدم بيته على رأسه؟!

أو أن يُحوّل حياته، وحياة أهله فيه إلى جحيم؟![1]

المسلمون السُّنَّة والشِّيعة وتهمة عدم الولاء للأوطان!

ما هو الولاء للوطن؟

أنْ أسجد، أنْ أركع للأشخاص؟

أنْ أُسبِّح، أنْ أقدِّس ليلي نهاري للأشخاص؟

إنّ التسبيح والتَّقديس لله وحدَه.

ما هو الولاء للوطن؟

١- خطبة الجمعة (١٩٢) ١٤ صفر ١٤٢٦هـ ٢٥ مارس ٢٠٠٥م.

هو الميل النفسي له بحسب الطبيعة البشرية، ثم الحرص على سلامة مصالحه، وطلب تقدم أوضاعه الكريمة، لا الساقطة والخبيثة، السعي في منفعة ووحدة وصلاح أبنائه، عدم عون أعدائه عليه، الدفاع عنه.

وماذا يُراد من الشيعة أكثر من ذلك؟

وماذا يراد من السنة أكثر من ذلك؟

ماذا يُراد من السنة في دولة شيعية أكثر من ذلك؟

وماذا يراد من الشيعة في دولة تحكمها حكومة سنّية أكثر من ذلك؟

والشيعة كما أثبت واقعهم غير مستعدين أن يُسلّموا شبرًا واحدًا من الأوطان التي تضمهم إلى أي طامع.

أمام الدنيا ثورة العشرين في ظل الحكومة العثمانية، والتي قادها الفقهاء، وأعطى العراق من شيعته تضحيات ضخمة في سبيل إنقاذ البلد المسلم من الاستعمار الكافر.

هناك وثيقة فيما أتذكر لصاحب الكفاية الشيخ الآخوند وأضرابه تحثّ الشيعة على الانتصار لإخوتهم في المغرب العربي أمام الزحف الفرنسي.

ما هو الموقف في جنوب لبنان؟

ومن أصبر من الشيعة في مواجهة إسرائيل في تلك الساحة الساخنة؛ ساحة الدماء والأشلاء؟

كيف كان شيعة الكويت في الموقف من الغزو العربي للبلد العربي، من غزو حارس البوّابة الشرقية للكويت؟!

دعونا نقف وقفة تسأل عن العلاقة بين الولاء للوطن والدين، بين الولاء للوطن والولاء للأمّة المسلمة، والولاء للوطن والمطالبة بالحقوق.

الولاء للدين وللمذهب الذي أراه الدين، وأراه الصورة الأنصع للدين كما يرى أصحاب المذاهب الأخرى أن مذاهبهم هي الصورة الأنصع للدين، ومن حقّي أن أرى

مذهبي هو ما يمثّل الدين الحقّ في صورته الدقيقة الكاملة، وإن كان كل الآخرين من أصحاب المذاهب الأخرى مسلمين، كما هو من حق الآخرين أن يروا لمذاهبهم هذا الموقع وهذا الوزن.

ولائي للدِّين ينقض ولائي للوطن؟!

إنَّ الدِّين ليدفع في اتجاه ولاء الوطن، ويقوم على تعاليمه ولاء الوطن، ولكن ولاء الوطن الذي لا يعني بيعه للأجانب، الذي يعني وجود القواعد الاستعمارية في الأرض الإسلامية.

هذا هو ما يسمَّى الولاء للوطن؟!

والذي يدافع عن أصالة وطنه، وعن إسلامه، وعن الأخلاق الموروثة لهذا البلد هو الذي يرمي عنه بعدم الولاء؟!

الذين يبيعون الأوطان للأجانب، للكفرة، ويثبّتون أقدامهم في أرض الإسلام هم أصحاب الولاء؟!

والمواطن السُّنّي، والمواطن الشيعي الذي ينكر على استعمار المستعمر لبلاد الإسلام يمكن أن يُتّهم بفقد الولاء؟!

وهل الولاء للوطن يقطعني عن الولاء للأمَّة المسلمة؟!

البحرين جزء من الوطن العام الإسلامي، وحبّي للبحرين حبّ للناس، لمصر، حبّ للسعودية، حبّ لكل بلد آخر.

أنا عندي حبّان لهذا الوطن: حبٌّ جِبِلِّيٌّ، حبٌّ عادي هو الحب الذي يورثه حب الارتباط بالتربة منذ نعومة الأظفار، ولأنه وطن الآباء والأجداد، والشيعة هنا من العصر الأول في الإسلام، فهم لا بدَّ أن يحبّوا هذا الوطن من هذا المنطلق.

وهناك حبٌّ آخر أشرق، وأركز، وأوعى وهو أن حبّي للبحرين، لأنها بلد الإسلام والإيمان، وهذا الحب منتشر على كل شبر من الأرض الإسلامية الكبرى.

الذين يريدون لي أن أحبّ البحرين لأبغض مصر، أن أحبّ البحرين لأبغض

السعودية، لأبغض آفغانستان، لأبغض إيران، لأبغض أي شبر آخر من أرض الإسلام، فهم يطلبون مُحالًا.

وإذا طالبت بحقوق مُضيّعة، وإذا طالبت بموقعي الوطنيّ اللائق بي، وإذا طالبت باللقمة، وإذا طالبت بالدّار، وإذا طالبت بحق أولادي في التعليم، وفي التوظّف، وإذا طالبت بدستور عادل أكون قد فقدت ولائي للوطن؟!

وهل الولاء للوطن مربوطٌ بالظلم؟

وبالسكوت عن الحقوق؟

فهمٌ لا يُمكن أن يُقبل.[١]

مَن يَبيع الأوطان؟

ينطلق المسلم المؤمن بدينه حقَّ الإيمان في حبّ وطنه، وكلّ ما يقع عليه حبّه من رؤية وشعور دينيّ لا يعدل به عن حبّ الخير، وبُغض الشرّ لمن خلق الله من نفس.

ولا يبغض المؤمن في أحدٍ إلّا شرّه، ولا ينكر منه إلا إضراره، ولا يُخرجه من حبّه إلا سوءه، وبمقدار سوئه.

وحبّ المؤمن لوطنه يدفع به إلى الأخذ به دائمًا في اتّجاه خيره، ورقيّه، وصلاحه، والعمل على رفاهه، وسلامة أوضاعه، وذلك لا يتم إلّا بالأخذ بإرادة الله سبحانه في إقامة القِسط، والرّضا بالعدل، والتمسُّك بالحق، وخضوع كلّ طاعة لطاعته، وكلّ رضًا لرضاه، وكلّ تشريع لتشريعه.

فلا بدَّ من الدعوة لكل ذلك بالتي هي أحسن.[٢]

والمؤمن لا يبيع وطنه على المخلوقين، كما لا يبيع نفسه إلا لله، ولا يجد ثمنًا أبدًا عند أحدٍ لبيع الأوطان، وأيُّ ثمن ذاك الذي يبيع به المؤمن نفسه، وولده، وأهله، وإخوانه ومواطنيه في ظلّ شعوره الدّينيّ النافِذ الذي يحترم الإنسان، ويخاف الله؟!

---

١ خطبة الجمعة (٢٣٨) ١٥ ربيع الأول ١٤٢٧هـ ١٤ أبريل ٢٠٠٦م.

٢- وهذا دأب المؤمنين.

وإذا كان خارج وطنه نماذج إنسانية طيّبة، ففي وطنه نماذج طيّبة كذلك، وإذا كان من أبناء أمّته الواسعة مؤمنون أتقياء، ففي وطنه منهم الكثير، وإذا كان لأمّته كلّها عليه حقّ، فإنّ حق أبناء أمّته، وإخوته في الإسلام والإيمان من أهل وطنه أكبر.

وراحة الأوطان وسعادتها في إصلاحها، وسلامة أوضاعها، وليس في وضعها في مزادٍ علنيٍّ أو سريٍّ لبيعها على أيٍّ كان.

المؤمن لا يمكن أن يبيع وطنه، وإنما يبيع الأوطان والمقدّسات أهل الدنيا، ومن لا يرون أنّ لهم وزنًا إلا في المال والجاه، ولا يُشبع أحدهم أن تكون له الدُّنيا خالصة بلا مُزاحم.

لا يبيع الأوطان إلا من لا دين له ولا شرف، ولا احترام عنده للإنسان.

وكثيرًا ما يُسوّق الإعلامُ العَربيُّ الرَّسميُّ اليوم في حقّ الحركات التصحيحية والمطلبية والتغييرية وصمةَ التآمر، وبيع الوطن للخارج، تهرُّبًا من الاستجابة لضرورة الإصلاح والتغيير، وللتشويش على سمعة وصدق المعارضة، واستغفال من يُمكن استغفاله، واصطياد من يمكن اصطياده.

وهذا مضحك!

فماذا أبقت الأنظمة العربية من مادّةٍ أو معنًى مما تغنى به الأوطان لم تُساوِم عليه الأجنبي القريب والبعيد؛ من أجل الإبقاء على تسلُّطها الظالم، واستنزافها لما يبقى من ثروات الأوطان[١]، ومن أجل استعباد إنسانها؟[٢]

يقول المثل العربي: (رمتني بدائها وانسلّت)[٣]![٤]

١- بعد أن تُعطي ما تعطي منها للأجنبي.

٢- هتاف جموع المصلين بـ: (لن نركع إلا لله).

٣- جمهرة الأمثال١/٤٧٥، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد الحميد قطامش، الطبعة الثانية ١٣٨٤ - ١٩٦٤م، دار الجيل، بيروت - لبنان.

٤- خطبة الجمعة (٤٧٠) ٢٤ شوال ١٤٣٢هـ ٢٣ سبتمبر ٢٠١١ م.

الولاء للوطن لا للأشخاص

أبنـاء الوطن الذين خلقوا من تربته[١]، ونشـأوا عليها، وتربوا فيها، واغتذوا منها، وأعطوها من عرقهم وعرق الآباء والأمَّهات والأجداد، وهي مدفن أحبتهم وأهليهم منذ مئات السنين، ولا يجدون بديلًا عنها، ولا وطن لهم آخر غير هذا الوطن.

حبهم له لا يقتلع من القلوب، ولا مورد للتشكيك في ذلك، والمشكك يرتكب زيفًا من الكلام، ويقف باطلًا من الموقف.

ومَن كان وطنه هو مأواه ومرباه وليس له وطن غيره، وكذلك كان أمر آبائه وأمهاته، وحتى أجداده وأجداد أجدادهم ممَّن كانوا في أعماق الزمن المنصرم البعيد، ونبت حبه لوطنـه من أرضية هذا الواقع وفي ضوء عقيدة الإيمان، فلا يمكن أن يتمنى لهذا الوطن إلا الخـير والإعمار، ولأهله إلا الأخوَّة، والمـودة، والاحترام المتبادل، والتراحم الصادق، والعـزة، والحرِّيَّة القويمة المسؤولة، والصـلاح والاستقامة على طريق الإنسانية الرفيعة والدِّين القويم.

وهـل رأيت راشـدًا يهدم بيته خاصـة وأن ليس له غيره، ويفسـد مسكنه في حين لا مسكن ولا مأوى له دونه؟!

وإذا كان النـاس يتفاوتون في الحب والوفـاء، فلا يعقل من حديث جنسية وله وطن آخـر أن يكون أصـدق حبًّا ووفاء للوطن ممَّن كان أصل وجـوده ووجود أجداده الى مدى زمنـي بعيـد قد مضى من هذه التربة، وما أعطته من طعـام وشراب وما لها من نصيب هواء وشعاع.

حكموا الولاء للوطن لا للأشخاص، ومَن كان من الأشخاص مخلصًا للوطن وأناسه حقًّا، فلن ينفصل الولاء للوطن عن ولائه، على أنَّ كلَّ ولاء من بعد الولاء لله.

و(لا)، ثمَّ ألف (لا) لأيِّ ولاء لا يلتقي بولائه سبحانه وتعالى.[٢]

١- نطفة هذا الإنسان مصدرها ما أكل أبواه وشربا من أرض وطنهما وتنفسا من هوائه، واستفادا من أشعة الشمس المرسلة إليه.

٢- خطبة الجمعة (٢٦٤) ٣٠ ذي القعدة ١٤٢٧هـ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٦م.

ولاء الوطن وولاء النِّظام

المقياس الذي تعمل به الحكومات العربية غالبًا هو مقياس الولاء للنظام لا الكفاءة.

وينبغـي أن نلتفت جيّدًا إلى أنّ ولاء النظام يختلف عن ولاء الوطن، لأن ولاء الوطن قاضٍ برعاية مصلحته، وأخطاءُ الأنظمة وظلمها وتجاوزاتها لا تلتقي مع مصلحة الوطن.

ولاء النظام يتطلَّب منك أن تقف مع أخطاء سياسته وظلمها واستخفافها بمصلحة الوطـن، وأن تقـف مع مخالفتها لديـن الله، وإرادته، وكـم للسّياسـة الوضعية من هذه المخالفات والمعاندات؟!

ويتطلَّـب منك أن تقف بحزم في وجه أيّ دعوة إصلاحية لا يُعطي النظام بها إشارة ضوئية خضراء لحاجة في نفس يعقوب، أو ضرورة قاهرة، وأن تُعينَ على كل ظلم ترتكبه السّياسة، وتُسرف فيه.(١)

معيار المواطنة في الحقوق والواجبات

وطـن الجميع خـيره لا بدَّ أن يكون للجميع، ووطن الجميـع مسؤوليته لا بدَّ أن تكون مسؤولية الجميع.

ومما يبحث عنه هـذا الوطن وبإلحاح هو الخلاص من طائفية الحقوق والواجبات – وليسـ من واقـع الطوائف –، ويُطرح معيار؛ للتخلّص مـن طائفية الحقوق والواجبات وهو معيار المواطنة، وأن يكون معيار المواطنة هو المأخوذ به في قضية الحقوق والواجبات.

أنت مواطن والآخر مواطن.

إذًا، أنت مساوٍ له في مسألة الحقوق والواجبات العامة، وللخصوصيات الشخصية من حيث الكفاءة والخبرة والأمانة حسابها الخاص.

هـذا المعيار له فاعليَّة، ولا نرفضه، ولكننا نملك معيـارًا أدق وأسمى وأكثر فاعلية، ولـه الاستيلاء على النفوس وهو أن نحكّم كتـاب الله وسنَّة رسوله ﷺ في مسألة حقّ المسلم على المسلم وواجبه تجاهه.

١- خطبة الجمعة (٤٦٩) ١٧ شوال ١٤٣٢ هـ ١٦ سبتمبر ٢٠١١م.

كـذب الذيـن ينسبـون إلى القرآن الكـريم، أو السنَّـة المطهَّرة مشروعيـة عدوانية الشيعـي على السني، وهضمه لحقوقه، واستئثاره بالثروة العامة، وبالحق القانوني العام دونـه، وكـذب مَن يعطي السنة هـذا بالنسبـة إلى الشيعة، أي مذهب يدّعـي أنَّ الكتاب الكـريم والسُّنَّـة المطهّرة يحملان رائحـة التشريع لصحة سلب حق الآخـر، لأنه سنيّ أو شيعـي، ونهبـه، وتهميشه في الحقوق العامـة، فهو لا يجد سندًا صحيحًـا من القرآن ولا السنة، وعليه أن يراجع نفسه، ومنطلقاته الزائفة للأخذ بهذا الرأى.

الخلاص من واقـع الطوائف لمن استهدفه بالإلغاء للآخـر أمر مستحيل، ومحاولة سحـق طائفـة لحساب طائفة، والإلغاء لهـا أمر مستحيل كما تتحـدث لغة الواقع في كل مكان، وما بهذا أُمر المسلمون، وأن يفتكوا، ويظلموا، ويستأصلوا بالسيف بعضهم البعض لمجـرد الاختلاف الاجتهـادي في الرأى، ولم يأذن الإسلام بأن يظلـم مسلم مسلمًا؛ من أجل إلغائه.

والاعتراف بالآخر بوجوده، بحقوقه، بواجباته هو الطريق إلى أن لا يؤثِّر واقع وجود الطوائف على مصلحة المسلمين التأثير القاتل.

والصورة المثالية أن لا يكون المسلمون طوائف، ولكن هذا ينتظر إمَّا أن يُبعث رسول الله ﷺ من جديد، وإمَّا يأتي يوم القائم (عجَّل الله فَرَجَه، وسهَّل مَخْرَجَه)، إذ من المرتقب قريبًا أن تذوب حالة الطائفية على مستوى الوجود الخارجي إلا ما ندر.

وفي غـير هـذا الفرض علينـا أن نقبل واقـع الطوائـف، ويحترم بعضنـا البعض، ونتعايش التعايش السلمي المخلص القائم على التعـاون الإيجابي، وعلى رعاية مصلحة الآخر، وحتى على التضحية في سبيله؛ وذلك من أجل مصلحة كلّ طائفة.

ومن أجل مصلحة كل المسلمين.

ومن أجل مصلحة الإسلام نفسه.

نخطئ جدًّا لمَّا يحاول أحدنا إضعاف الطرف الآخر؛ ليبقى هو ضعيفًا كذلك أمام الغزاة الأجانب.(١)

الأيَّام الوطنيَّة

اعتاد النَّاس اتِّخاذ أيام باسم أوطانهم.

وهذا لا كلام لنا فيه، فهو داخل في دائرة المباح إذا لم يعطِ صفة التشريع الديني، ولم يخرج عن حدود ما أحلَّ الله.

وفيما ينبغي أن تكون عليه الأيام الوطنية في الأوطان الإسلامية، أن تكون أيام وقفة على الهموم والآمال، هموم الشعوب قبل هموم الحكومات، وآمال الشعوب قبل آمال الحكومات، والحكومات إذا انسجمت مع شعوبها لم تكن لها هموم، ولا آمال إلا من هموم وآمال شعوبها، وهو ما ينبغي أن يكون عليه وضع أي حكومة عادلة.

وهذه الأيام يجب أن تكون أيام استذكار لتضحيات التحرير والإصلاح - هناك تضحيات تحرير من عدو خارجي، وهناك تضحيات إصلاح داخلي -، وأن تكون أيام مراجعة لمسيرة العدل والظلم، الائتلاف والاختلاف، المساواة والتفرقة، أن تكون أيام نقد للذات؛ للتركيز على الصَّالح، ونفي الطَّالح.(٢)

المناسبات الوطنية الكريمة التي تؤكد على العزَّة، والأصالة، والرِّفعة، والاستقلال الحميد إنَّما تُحيا بالمعنى الأكثر جدية من خلال التركيز على هذه المعاني، والمشاريع العملية الشاهدة بالتقدم على مسار العلم، والعدل، والعمران، والمساواة الاجتماعية، والتحرر من سيطرة الأجنبي الغاشم.

وأي تعبير شكلي عن الفرحة لا بدَّ فيه من أن يكون من النوع الراقي والأخلاقي الكريم، وإلا كان شائنًا، ومنافيًا لاستقلال البلد ومصالحه.

١- خطبة الجمعة (٣٠١) ١٤ شوال ١٤٢٨ هـ ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٧م.

٢- خطبة الجمعة (١٣٣) ١٨ شوال ١٤٢٤هـ ١٢ ديسمبر ٢٠٠٣م.

والمناسبات الوطنية ما كان منها بناءً ومجيدًا، رسمية كانت أم شعبية غير متهافتة في نفسها، فلا يهافت بينها لا على يد شعب ولا حكومة، ولا على مستوى الكلمة أو التطبيق.

وهـي لا تكون مبعث قلق ولا ارتيـاب، ولا يناسبها أن تأتي استفزازية أو مثيرة شكًّا، ولا أن تحمل على ذلك قصدًا.

وإني أرى من اللائق أن تتوافق الإرادة الرسمية والشعبية معًا على الاعتزاز بالوطن، والعمل علـى سلامته وأمنه واستقـراره، واحترام مناسباته البنَّـاءة المجيدة، وارتباطه بدينـه وتاريخه الإسلامي المجيد وقيمه، وعلـى تكريم شهدائه، ورجال العلم الصالحين ممَّـن مضى مـن أبنائه بالأساليـب المختارة البنَّاءة التـي تشجع علـى للفضيلة والبذل والعطـاء والإيثار، وتركز المعاني الإسلامية والقِيـم الرفيعة، وتساعد على التلاحم؛ من أجل الخير، والرفعة، والتقدم.[١]

١- خطبة الجمعة (٩٠) ١٥شوال ١٤٢٣هـ ٢٠ ديسمبر٢٠٠٢م.

(٤)

قضيَّة حقوق المرأة

شعار حقوق المرأة

وهـو شعار صار يُرفع بقصـد التغريب والأغراض السياسيـة الدنيئة، والتقليل من شأن الإسلام، والتزهيد فيه، والنفرة منه.

هناك مزايدة كاذبـة على الإسلام في حقوق المرأة، ومسلّم أن على الرجل واجبات ولـه حقوق، وعلى المرأة واجبات ولها حقوق، ولكـنّ كل الأمر يتمركز في هذا السؤال: ما هو المرجع في كل ذلك وغيره من الحقوق والواجبات في حياة الناس؟

شريعـة الله العدل الحكيم، العليم الخبير، أم شريعة الإنسان الظالم لنفسه، الذي لا علم ولا حكمة له من ذاته؟!

القرآن الكريم وسنَّة المعصومين عليهم السلام، أم اتفاقية سيداو، وقرارات الأمم المتحدة، ووثيقة حقوق الإنسان بما فيها من علم وجهل، وحق وباطل، وصلاح وفساد؟!

أيـن العلم، والحكمة المطلقـة، والرأفة المطلقـة، والعدل المطلق؟، عنـد الخالق أم المخلوق؟

عند الكامل المطلق، أم الناقص المحدود؟!

الناس الذين يعيثون في الأرض فسادًا، ولا يكفّون يومًا عن ظلم أنفسهم والآخرين، وعـن البغي في الأرض، ولا يقيمون لحقّ الله عز وجل وحق خلقه وزنًا هم الذين يؤخذ منهم التشريع، ويرجع إليهم في معرفة العدل؟!

بئـس به من عـدل مصـدره الظالمون، ومن حـقٍّ يحـدده الباغون، ومـن خُلُق يراه الهابطون![1]

١- خطبة الجمعة (٣٧٦) ١٧ رجب ١٤٣٠هـ ١٠ يوليو ٢٠٠٩م.

المرجع في تحديد حقوق المرأة

الإسلاميون مع توعية المرأة على حقوقها وواجباتها والعادلة، وتنقية قوانين الأسرة من كل ما يتعارض مع مبدأ المساواة والعدالة.

ولكن يتركّز خلافهم مع الآخرين في العلم والعدل والإحاطة التي يُرجع إليها في تشخيص المساواة والعدالة في مختلف الموارد التي تنظمها الأحكام الشرعيّة، وتتعرض إليها والقوانين الوضعيّة.

فهل المرجع هو علم الله عَجَلَ، أم علم الإنسان؟

وإحاطة الله، أم تجربة الإنسان؟

وعدل الله المطلق، أم ما قد يدّعيه الإنسان من عدل وما يمكن أن يكون عنده منه وهو قليل محدود مضطرب غير ثابت ولا مأمون؟[١]

وليس العدل كما يراه كثير من البسطاء بأن تساوي بين المتباينين، وتضع الأخضر مكان الأبيض، والأبيض مكان الأخضر، أو تباين بين المتساوين.

إنّ العدل تساوٍ في الحكم حيث يتساوى الموضوعان، وتباين فيه بمقدار ما بين الموضوعين من تباين، وقد تتحد بعض جهات الموضوعات المتعددة، وتتفاوت منها جهات أخرى.

فالإنسان واحد بكل أصنافه من حيث إنسانيته، وعلى ذلك تجمعه أحكام واحدة من جهة هذا الاشتراك، وتتفاوت بعض أحكامه من جهة الاختلاف.

في إطار الرجل وحده يمكن أن تتفاوت الأحكام، وكذلك على مستوى المرأة وحدها، على مستواهما معًا، وذلك من حيث ما بين الأصناف من افتراق.

فالغني له تكليفه المناسب لغناه - ذكرًا كان هذا الغني، أم أنثى -، والفقير له تكليفه الذي يلائمه من جهة ما هو عليه من فقر، والقوي له تكليف، وللضعيف تكليف

١- خطبة الجمعة (٥) ١٠ صفر ١٤٢٢ هـ ٤مايو٢٠٠١م.

آخـر، ولخصوصية الذكورية دخل في بعضـ التكاليف، ولخصوصية الأنوثة دخل كذلك، ومن أنكر ذلك فهو يرمي بالعقل، والمنطق، وموازين الحق والعدل جانبًا.

وأين الانسان من القدرة على التشريع العادل؟!

العدل له مقوّمات، ومن مقوّماته:

١- علم لا يحده، ولا يشوبه جهل، ولا غفلة.

٢- عـدم الحاجـة للظلم على الإطـلاق، المشرّع العـادل يشترط فيـه أن يخلو من الحاجة للظلم على الإطلاق، وإلا ارتقب منه أن يظلم في تشريعه.

٣- انتفاء كامل للخوف من العدل.

ربمـا اتّجهت نفس لأن تقيم العـدل، ولكن يردها عن ذلك أنها تخاف، فيشترط في ضمان أن يكون المشرّع عادلًا أن ينتفي الخوف من العدل عنده على الإطلاق.

٤- تنزه شامل عن الهوى.

٥- قدرة لا يردها رادّ.

وهل لغير الله سبحانه كل ذلك؟!

وهل من شيئ من ذلك إلا وهو لله العظيم؟![1]

المرأة والتّشريعات الإسلاميّة

كثيرًا ما يُسأل عن موقف الإسلام من المرأة، والإسلام من بعد أساسه العقيدي فيه رؤى ومفاهيم، وتشريعات، وآداب، وتوجيهات، وتربية، وإعداد.

وتشريعه فيما يتصل بأي موضوع من الموضوعات الرئيسة يسبقه تقديم رؤية دقيقة وافيـة عن ذلك الموضوع، وإعطاءُ النّاس التصورَ الـذي يُريهم من حقيقة ذلك الموضوع ما يستطيعون، ويقرّبُهم إلى فهمه قدر ما تتسع له مداركهم.

١- خطبة الجمعة (٣٧٦) ١٧ رجب ١٤٣٠هـ ١٠ يوليو ٢٠٠٩م.

١- قاعدة الاشتراك في الأحكام

والمرأة والرجل موضوع واحد مشترك للأحكام التشريعية التي تنظم حياة الإنسان وتعدّه إعدادًا ربّانيًا حكيمًا لبلوغ غايته حيث إن كلًّا منهما حصّة من حقيقة واحدة هي حقيقة الإنسان.

ولذلك يأخذ الفقهاء المسلمون بقاعدة الاشتراك في الأحكام بين الرجل والمرأة إلا ما قام الدليل على خلافه.

فخطابات الشريعة وتكاليفها محمولة عندهم قاعدة على أنها خطابات لكلّ من الرجل والمرأة.

٢- الاشتراك على أساس الإنسانيَّة

وهذه الخطابات المشتركة تقوم على أساس من الحقيقة المشتركة بينهما، وهي إنسانية الإنسان.

وتجد وفرةً من النصوص قرآنًا وسنَّةً في موضوع الإنسان، وتقديم تصور إسلامي واضح عنه.

وتعطي المطالعة لكلٍّ من التصور الإسلامي للإنسان، والأحكام التشريعية المتعلّقة به صورة جليّة عن التناسب الدقيق بين ما هو التصور الإسلامي لهذا الكائن، وبين الأحكام المتمشيّة مع مسار هذا التصور.

وإذا كانت القاعدة في المرأة والرجل هي الاشتراك في الأحكام للاشتراك في الإنسانية، فإنَّه يوجد من بين الأحكام وهو قليل ما يخصّ الرجل وحده، أو يخصّ المرأة وحدها، ووراء هذا الاختلاف، اختلاف بين الاثنين لا يمسّ جوهر إنسانيّتهما، ولا ينال من قيمة هذا أو ذاك فيما هو المهم من واقعهما الكبير وهو تلك الإنسانية نفسها.

٣- الرَّجل والمرأة حقيقة واحدة

وكما يقدّم الإسلام رؤية واضحة للإنسان بما هو إنسان رجلًا كان أم امرأة؛ ليدلَّ على طبيعة هذا الكائن، وطبيعة الأحكام التي تتسّق مع واقعه؛ يقدّم تصوُّرًا لطبيعة المرأة التي قد شكّكت حضارات وأمم في حقيقتها، وأنّها إنسان أو لا.

وإذا كانت إنسانًا، فهي متوفرة على إنسانية كاملة كالرجل أو أنّ إنسانيتها ناقصة مما يجعلها في المرتبة الثانية من الإنسان.[1]

فارق الذُّكورة والأنوثة غير جوهري

وتركز النصوص القرآنية على اتحاد المرأة والرجل في حقيقتهما الواحدة، وأنّهما من مستوى واحد في هذه الحقيقة، وقيمتُهما من هذه الجهة لا تتأثر بفارق الذكورة والأنوثة، وأنّ السبْق في المضمار الإنساني على المستوى الفعلي كما يمكن أن يكون للرجل بالقياس إلى المرأة، يمكن أن يكون للمرأة بالقياس إلى الرجل، بعد أن كان التأهيل لذات كلٍّ منهما بحسب الفطرة وبفيض الله سبحانه يُعطي قابلية هذا السبق لهذا أو ذاك.

ويلوّن فارق الذكورة والأنوثة الاستعداد، والتناسب بين كلٍّ من الرجل والمرأة والدور الوظيفي في بعض المجالات بحسب ما عليه تكوينهما من حيث هذا البعد السطحي الذي لا يلامس عمق ما هو إنسانيتهما الواحدة.

النَّتيجة

وبهذا يتوقع طبيعيًا ومنطقيًا من التشريع الإسلامي أن تكون القاعدة فيه الاشتراك في الأحكام بين الرجل والمرأة، مع الاختصاص الوظيفي في بعض الموارد.

قضيَّة المرأة بين التأصيل الإسلامي، والتَّسطيح الوضعي

ودراسة أيّ تشريع في دقّته وقيمته لا يمكن أن تكون صحيحة إلا في ضوء ملاحظته بالقياس إلى عدد من الأبعاد؛ وهذا بالنسبة للأنظمة التشريعية التي تنطلق من نظرة

١- نعم، هناك حضارات بحثت هذا الأمر وقرّر بعضها أنّ المرأة ليست بإنسان، وقرّر الآخر بأنّ المرأة وإن كانت إنسانًا إلا أنها من مرتبة دونية والرجل فوق مرتبتها، أما القرآن فهو غير ذلك.

كونيـة محـدّدة، وتحديـدات للموضوعـات الرئيسة المتّصلـة بعملية التشريـع كموضوع الإنسان، والحياة والآخرة، والفرد، والمجتمع، والحرية المطلقة للإنسان وسيادته الكاملة على نفسه، والهدف من هذه الحياة، وما هو المهم والأهم في الإنسان.[1]

والمثل الحي لهذا النوع من الأنظمة التشريعية هو النظام التشريعي الإسلامي.

وأمـا الأنظمة التشريعية السطحية السائدة، فهي تتجـاوز كثيرًا من هذه الأسئلة، وتشتغل بملاحظة الحالة السطحية لواقع الاجتماع في مقطع زمني قصير المدى، وتهدف إلى ضبـط العلاقـات الاجتماعية بما يتناسـب مع هذا الواقع، أو بمـا يتماشى مع رغبة مصادر الحكم في المجتمعات، وتستند إلى الأعراف الغالبة ودساتير مختلفة لم تقم على نظرة كونية متكاملة.

إنّ التأصيـل للتشريـع بنظـرة فلسفية للكون والحيـاة والآخرة والإنســان والهدف الأقصـى له، ومدى سيادته على نفسه، وما يمكـن أن تناله معرفته، ومدى حاجاته، وما عليه خصائص ذاته إمّا أن يكون مهملًا تمامًا عند المشرّع الأرضي، وإمّا منقوصًا، و إمّا مضطربًا، وإمّا مستعارًا من هنا وهناك.

---

١ - التشريعات الأصيلة يسبق فيها التشريع نظرة فلسفية للكون والحياة والإنسان، النظم التشريعية التي تحترم أنفسها لا تكتفي بالنظرة السطحية للواقع المعاش، وإنما لا بدّ أن تفرغ من قبل أن تبتدئ التشريع، أو تلامس مساحته أيّ ملامسة من تأصيل نظرة كونية متجذرة تتناول الكون ابتداءه والكون انتهاءه، والإنسان وموقعه، والإنسان في هذه الدنيا، وهل تستقبل الإنسان حياة أخرى؟

ما هي حقيقة الإنسان؟

ما طاقاته؟

ما مواهبه؟

ما هي استعداداته؟

ما هو الهدف المناسب له؟

أهو سيد مطلق في هذا الكون؟

أو أنّه حر بحرية محدودة؟

ما لم يفرغ النظام التشريعي الأصيل من الأجوبة الحاسمة على كلّ هذه الأسئلة لا يعطي لنفسه حق التشريع للإنسان وأنتم تعرفون خفّة كلّ الأنظمة التشريعية في الأرض التي لا تتناول هذه الأسئلة بجدية، وبعضها قد يتلقى الأجوبة على هذه الأسئلة من فيلسوف يتغير رأيه يومًا بعد يوم.

ودراسة أيّ تشريع في دقته وقيمته لا يمكن أن تكون صحيحة إلا بما ذكرنا.

وهـو في كلّ الأحوال لا يمكن أن يمتلك الدقّة والاستيعاب والمعرفة الصائبة بالكامل من إنسان علمه محدود متغيّر لا يثبت على حال.

أمـا خالـق الكون والإنسان، فهـو خبير بما أبدعته يداه، محيـط علمًا بكلّ ما خلق، فتشريعاته لا يتخلّلها قصور ولا نقص على أيّ مستوى من المستويات.[١]

وإنّ القـرآن الكـريم والسنة المطهَّرة يسبـق فيهما التشريع للإنســان تقديمُ تصوّر متكامـل عن تكوينه ودوافعه وهواجسه وقـواه، وواقع الحياة الدنيا التي يعيشها، وطبيعة الآخـرة التي يستقبلها، والهـدف الذي كان من أجله الإنســان، وكانت من أجله الحياة، وكلّ ذلك معلوم لله سبحانه على حقيقته بما لا يتوفّر للإنسان، ولا لأيّ مخلوق آخر.

وتأتـي التشريعات الإلهيَّة لهذا المخلوق متناسبة مـع الحجم الحقيقي لهذه الأمور وغيرهـا مما له دخل في موضوع التشريع، ومـا تهدف إليه تربية الإنسان مما تدعو إليه فطرته، ويحقّق سعادته.

فالتشريـع الإلهـي مقاس على قـدْر الإنسان، وطاقاتـه، وحاجاتـه، واستعداداته، وغايته.[٢]

أصل: المرأة الإنسان

ويتحـدث المصـدران الإسلاميان العظيمـان الكتـاب والسنة عن المـرأة الإنسان، ويقدّمـان عنها تصورًا يؤكّد علـى أخوَّتها للرجل، والتقائها معـه في أصل واحد وحقيقة واحـدة، وعلى قيمتهمـا المشتركة تعزيزًا لموقعهـا الإنساني في المجتمع الـذي يعمل على صياغتـه، ودفعًـا لتوهم الفـارق في الحقيقة حين يختلف الـدور الوظيفي بين الاثنين في بعض الموارد مما يقتضيه الفـرق بين طبيعة الذكورة والأنوثة، وهو أمر آخر لا علاقة له

١- وإدراك أن فهم الإنسان لفلسفة أحكام الله ليس مقياسًا لصحة تلك الأحكام أساسًا، لأنّ الأمر هكذا: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾. (الإسراء:٨٥)

٢- بالدقة بالكامل وبصورة مائة في المائة.

بمستوى إنسانية الإنسان، وإنما هو من باب التفاوتات الحاصلة في صفّ الرجال نفسه، أو في صفّ النساء نفسه مما يفاوت بين رجل وآخر، وامرأة وأخرى في تفصيلات الأدوار الوظيفية المختلفة.

شواهد من القرآن الكريم

نقرأ هذه الآيات الكريمة في انطلاق الرجل والمرأة من أصل واحد من حيث التكوين.

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١].[٢]

فأنتم إخوة من حقيقة واحدة، وأصل واحد، وانقسامكم إلى ذكر وأنثى، وتعدُّدكم شعوبًا وقبائل لا للفُرقة والتناحر، وإنما للتعارف والتكامل.[٣]

أما القيمة الفعلية من الناحية الأهم، ومن حيث المعنى الكبير والإنسانية الواحدة للذكر والأنثى، لهذا الشعب أو ذاك، لهذه الأمّة أو تلك، لهذا الفرد أو لأخيه الفرد الآخر فميزانها التقوى ومدى الانشداد إلى الله، وتكوينُ الشخصية في ضوء أسمائه الحسنى.

٢- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾.[٤]

أزواج الرِّجال من النِّساء، وأزواج النساء من الرجال ليست من طبيعتين مختلفتين من حيث الإنسانية وعدمها، أو من مرتبتين مرتبة إنسانية كاملة، وأخرى ناقصة، إنهما

١- الحجرات: ١٣.

٢- أنت يا أحمد، أنتِ يا زينب، أنت يا صنف أحمد، أنتِ يا صنف زينب، خلقتم من ذكر وأنثى، فأنتم من أصل واحد. ليس أحمد وزينب فقط، إنما زينب السوداء وزينب البيضاء، وأحمد الأسود وأحمد الأبيض كلّكم جئتم من ذكر وأنثى.

٣- وهي وظيفة انحرفت بها الحضارة المادية إلى درجة مائة وثمانين؛ لتتخذ من اختلاف الناس إلى ذكر وأنثى، وإلى شعوب وقبائل أداة تمزيق وتخريب وإفساد.

فهناك حروب تثار باسم المرأة، وباسم العنصرية، وهناك حروب تثار باسم الوطنية، وباسم القبيلية، وكلها حروب لا يعترف بها الإسلام، وينظر إليها كاستغلال بشع جاهلي ترتكبه الحضارة الجاهلية؛ لإقلاق حياة الإنسان، واستغلال الإنسان نفسه.

٤- النحل: ٧٢.

ذكر وأنثى من مرتبة إنسانية واحدة بتأهيل يهيؤهما لاختصاصين وظيفيين متكاملين، تحتاجهما حياتهما، وتصان بها مصلحة إنسانيتهما.

٣- ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.[1]

فالأصل الواحد، والذكورة والأنوثة، كلّ ذلك من أجل زوجية مترابطة متكاملة ينجذب فيها كلّ طرف إلى الآخر من موقع الفطرة والتكوين، ومن منطلق الحقيقة الجامعة، وحاجة كلّ شطر فيها إلى الآخر.

التّشريعات تتفرع من هذا الأصل

ويقوم على هذا الاتحاد في الأصل والإنسانية حكم الإسلام بالاشتراك في المسؤولية، والتكليف في المساحة الواسعة من فعل الرجل والمرأة، والمساواةُ في الجزاء مثوبة وعقوبة كما يشهد بذلك النظام التشريعي والجزائي في الإسلام في عموم مواردهما إلا ما استثني مما هو قليل جدًّا، وله فلسفته الخاصة به، والنابعة من طبيعة الذكورة والأنوثة، والدور الوظيفي المناسب لكلّ منهما، وما يقتضيه هذا الدور.

فمن حيث التكاليف يشترك الاثنان في كلّ الواجبات والمحرّمات، ويختص الرجل بالتكليف في مورد الجهاد الابتدائي، ومن حيث الجزاء في المورد الذي تقطع فيه يد أحدهما تقطع يد الآخر لو ارتكب ما ارتكبه صاحبه، وكذا مورد الجلد والرجم، وكلّ الحدود والقصاص، وفي مورد تقتل فيه المرأة الرجل يقتص منه قتلًا إذا دفع أهلها نصف ديته.

وهنا اختلاف بين الاثنين مرجعه ليس الاختلاف في الإنسانية التي لا تشترى بمال أبدًا، وإنما قد يكون مرجعه الاختلاف في القوة النوعية الإنتاجية، وفارق التكاليف المالية التي أُنيطت بالرَّجل دون المرأة في نظام الأسرة في الإسلام.[2]

١- القيامة: ٣٩.

٢- خطبة الجمعة (٥٩) ٤ ربيع الأول ١٤٢٣هـ ١٧ مايو ٢٠٠٢م.

النَّتيجة

المرأة أختُ الرَّجل أصلًا ومنحدرًا فيما يقرِّره الكتاب الكريم.

قيمة مشتركة

بعد اتحاد الأصل والمنحدر بين الرجل والمرأة، وأنهما فرعان على ساق واحد، فهل نتوقع من الإسلام أن يعطي للذَّكر مرتبة تفوق مرتبة المرأة؟!، ثم هل نتوقع من الإسلام أن يعطي المرأة مرتبة تفوق مرتبة الرجل؟!

١- تقول الآيات الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.[1]

والآية فيها قسم بخلق الذَّكر والأنثى، وهو إشارة إلى أنه من الخلق العظيم، والخلق الدقيق، والخلق القويم.

وعظمة هذا الخلق، واستقامته، واستواؤه، ودقته؛ كل ذلك لا فرق فيه بين رجل وامرأة، لأنَّ الآية الكريمة تجعل الاثنين متعلَّقًا واحدًا للقسم، فهي لا تقسم بخلق الذَّكر وحده؛ لتضيف إليه القسم بخلق المرأة، ولا تقسم بخلق المرأة ثمَّ تضيف إليه القسم بخلق الرجل، إنما هو قسم واحد مشترك بخلق واحد على درجة واحدة من العظمة في ما يعطيه السياق: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾، وليس التعبير: (وما خلق الذَّكر وما خلق الأنثى)، ولا العكس.

فهنا قيمة مشتركة واحدة، ومستوى واحد، ومرتبة واحدة يتبوَّأها كلّ من الرجل والمرأة.

٢- آية كريمة أخرى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2]، ويستمر السياق إلى أن يقول سبحانه: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ

١- الليل: ٣.

٢- آل عمران: ١٩١.

مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾.[١]

تجـدون في الآية الكريمة الأولى نموذجًا رفيعًا مـن الناس، فئة قطعت شوطًا بعيدًا علـى درب الكمال، وفي اتجـاه الله سبحانه حتى تجاوزت الدنيا، ومـا فيها، وشعت منها الروح حتى غدت تتلألأ بنور من نور الله، هذه الفئة فيما تعطيه الآية الأخيرة: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾.[٢]

كما تضمّ الرجل تضمّ المرأة، فهناك فئة منها رجالٌ، ومنها نساء؛ تستمر هذه الفئة في رحلـة الكمال، وتتجاوز آفاقـا بعيدة على ذلك الدرب حتى ينـوّه الله سبحانه وتعالى بهـا في كتابه المجيد: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.[٣]

قلوب تعلقت بربها، أرواح شعّت بنور بارئها، أفئدة كبُرت وسمقت حتى لم يستلفتها علـى طريقها شيئ من زينة الدنيا وزخرفهـا، أفئدة لا ترى وجودها ولا ترى معناها، ولا تسعد لها حياة إلا بأن تتجه إلى الله، تعيش ذِكره سبحانه وتعالى، تتغذى بذِكره؛ ليغنيها غذاء الذِّكر عن كل غذاء، ويرتفع بها غذاء الذِّكر فوق كل منزلة، هذه الفئة فيها رجال، وفيهـا نساء، لأنَّ الآية الأخيرة وهي في نفس السياق: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾[٤]، تفهمنا ذلك.

فإذًا، ليس غريبًا أن تفوق امرأة خمسة ملايين، أو عشرة ملايين، أو بليون رجل.

وليس غريبًا أن يفوق رجل واحد بلايين الرجال والنساء.

إنها قيمة التقوى: ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ...﴾.[٥]

١- آل عمران: ١٩٥.

٢- آل عمران: ١٩٥.

٣- آل عمران: ١٩١.

٤- آل عمران: ١٩٥.

٥ - الحجرات: ١٣.

الخلاصة

وإذا كان الأصل واحدًا، والمرتبة من حيث الإنسانية مرتبة واحدة، فهذا يؤسس إلى أن تكون المسؤولية مشتركة، وأن تكون التكاليف واحدة.

فإذًا، لا غرابة في أن تكون القاعدة في الشريعة الإسلامية هي اشتراك المرأة مع الرجل في كلّ التكاليف إلا ما دلّ عليه دليل خاص، ومواقع الافتراق كما تقدم إنما تنشأ لفوارق عرضية لا تمس أس الإنسانية في ذات الإنسان امرأة كان أم رجلًا، وهذه الفوارق العرضية إنما تؤسس لفوراق في الدور الوظيفي، وليس في القيمة الإنسانية، وليس في مستوى المسؤولية التي يتحملها كل من الرجل، وكل من المرأة.

مسؤوليَّة مشتركة وتوزُّع في الأدوار

تقول الآيات الكريمات:

١- ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ...﴾[1]، الناس برجالهم ونسائهم.

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ...﴾.[2]

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.[3]

النداء بـ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نداء محمول فقهيًا على التغليب، والمخاطب فيه الرجال والنساء من المؤمنين والمؤمنات، والكل متفق على قاعدة الاشتراك في الأحكام - كما سبق - إلا أن يأتي استثناء واضح في هذا المجال.

٤- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا

١- آل عمران: ٩٧.

٢- البقرة: ١٨٣.

٣- التحريم: ٦.

يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

هناك بيعة من الرجال لرسول الله صلى الله عليه وآله رسولًا وقائدًا، والبيعة إنما تكون بلحاظ الولاية والقيادة لا بلحاظ التبليغ، فقبول التبليغ أول ما يقوم عليه القناعة، وهذه القناعة تؤسس؛ لإعطاء الطاعة.

والبيعة إنما هي؛ من أجل الطاعة.

وكما أخذت البيعة على الرجال أُخذت البيعة على النساء، وإن كان هناك نوع اختلاف بينما هو متعلق البيعة بالنسبة للرجال، وبينما هو متعلق البيعة بالنسبة للنساء، والفرق راجع للفوارق العرضية - كما سبقت الإشارة إليه -، أما أساس البيعة فأمر مشترك والرجال صنفًا، والنساء صنفًا يتحملان مسؤولية بناء الدولة الإسلامية في ظل القيادة الشرعية، ويتحملان مسؤولية الحفاظ عليها، وأن يكونوا مجتمعًا مؤمنًا متراصًا يتحمل مسؤولياته الاجتماعية كل رجل، وكل امرأة بحسب كفاءته، وبحسب مقدوره، وبحسب ما عليه قدراته الخاصة.

٥- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ...﴾[2]، وهذا المبايعة على عدم الشرك بالله وهو أمر عقيديٌّ إنما كان لوضوحه، فلم يبقَ فيه بعد الاقتناع الفطري إلا الاستجابة العملية بعدم الدخول في الشرك، وما ينسجم مع البيعة الخارجية في الأكثر إنما هو عدم إبداء أيّ موقف من مواقف الشرك، وأي مناصرة لخط الشرك، هذا الذي يمكن أن يحاسب عليه في العلاقات السياسية على أساس البيعة، أما القلوب فأمرها متروك لله بارئها، والخبير بكل خفقة من خفقاتها.

٦-﴿... وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ...﴾[3]،

١- الممتحنة: ١٢.

٢- الممتحنة: ١٢.

٣- الممتحنة: ١٢.

الزِّنـا وهو كبيرة من الكبائر القذرة، وإتيان البهتـان المفترى بين الأيدي والأرجل هو أن تكـون المـرأة ذات بعل، فتخون بعلها، وتأتي بولد من الحرام، والولد يأتي عند ولادته بين يدي ورجلي أمّه، فهو تعبير عن الولادة المحرمة، وفي ظل عصمة الزوج.

وفي هذا بهتان، لأنَّ الولد هنا سيُنسب زورًا إلى الزوج، فهنا جريمتان: جريمة الزِّنا وهي كبيرة، وجريمة هذا البهتان العظيم، والله المحاسب والمؤاخذ.

﴿... وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ...﴾[1]، فمن متعلق البيعة عند النساء هو الالتزام الخلقي، والتمشي مع الأخلاقية الإسلامية الرفيعة، من دون أن تثلم المرأة كرامة الإسلام وكرامة الإيمان، وهي أهمّ من كرامتها حين تلتوي في سلوكها وتنحرف.

٧- ﴿... وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ...﴾[2]، هناك أمران:

أمـر إلهي يبلّغـه الرسول صلى الله عليه وآله، وأمـر ولائي يصدره الرسول بـإذن الله سبحانه وتعـالى، وهو أمر من موقع القيادة، ومن موقع الحكومة، ومن موقع كون الرسول صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمنـين مـن أنفسهم هذا الأمـر - أمر القيادة - كما يجب علـى الرجال اتباعه يجـب على النساء اتباعه، وإذا كانت المـرأة لم تكلف بالجهاد الابتدائي، فهناك تكاليف اجتماعيـة وسياسية كثيرة يقدرهـا المعصوم أولًا، ثم يقدرها الفقيه ثانيًا، وإذا أصدرت القيادة الشرعية من الموقع الذي يتبوؤه رسول الله صلى الله عليه وآله، أو أمير المؤمنين عليه السلام، أو مَن نصّبـه الأئمّة عليهم السلام حاكمًا في الأمّة، فإن هذه الأوامر الولائية كما تجري في حق الرجال تجري في حق النساء بلا فارق.

فالبيعـة كانت ثابتة في عنق الرجال للقيادة الشرعيـة المتمثلة في المعصوم أولًا بعد الله سبحانه وتعالى، وهي ثابتة أيضًا في أعناق النساء.

١- الممتحنة:١٢.

٢- الممتحنة:١٢.

﴿... وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

والمؤمنون أيُّها الإخوة، يحاولون أن يعطوا كلما في وسعهم من إخلاص لله، ومن إخلاص للقيادة التي يرتضيها الله سبحانه وتعالى، ومن بعد ذلك يحتاجون للاستغفار لأنفسهم، واستغفار الرسول لهم، ولولا غفران الله ورحمته، فإن أحدًا من الناس لا يستطيع قط أن يوفي حق الله.

٨- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾.[2]

وبعد التشريع، وبعد القرار في القضاء، وبعد القرار في الحكومة من القيادة الشرعية لا يبقى أمام المؤمن ولا المؤمنة إلا الانصياع والاستجابة، وهي استجابة عن رضًا؛ ليثاب هذا المؤمن والمؤمنة وإلا لكانت الاستجابة لا تمثّل طاعة من طاعة الله سبحانه وتعالى.

فالمؤمن والمؤمنة يتحملان مسؤولية مشتركة أمام التشريع الإلهي وأوامر، ونواهي القيادة الشرعية، وبناء مجتمع الإيمان مجتمع العبادة والعمل الصالح، وأخلاقية الإنتاج والنشاط والعدل والإخاء والمساواة والإحسان والقوة والهيبة كلّ ذلك من مسؤولية الجميع من ذكر وأنثى.

والقيمة الإنسانية الواحدة، والمسؤولية المشتركة تمثلان معًا موضوعًا لكون النتائج مشتركة.

نتائج مشتركة

برغم توزع الأدوار تأتي نتائج العمل الصالح مشتركة، وقد يفوق فلاح فقيهًا في النتيجة، وقد تفوق امرأة رجلًا، والخادم المخدوم، والطالب المدرس، والجندي القائد.

١- الممتحنة: ١٢.

٢- الأحزاب: ٣٦.

أنت في موقع الجندي، وأخوك من أبيك وأمك في موقع القائد.

لـه مؤهلات من رزق الله تجعله قائدًا، ولك مؤهلات من فيض الله تجعلك جنديًّا، والقائد في نظر الناس أعلى مرتبة بكثير من الجندي، لكن إذا أخلص الجندي عمله وقام بدوره متقنًا، وأدّى وظيفته كما أراد الله، واستقام على الخط في نيته متجهًا إلى الله، وقصر القائد بمقدار خمسة في المائة من قدراته وفرصه ومواهبه؛ فأيهما أكثر ثوابًا، وأنجى عند الله؟

إنه الجندي بلا إشكال.

وصحيح أن للمرأة دورًا خاصًا في بعض الموارد، وأنَّ للرجل دورًا خاصًا في بعض الموارد؛ الرجل قد يخوض معارك فيها يبذل نفسه، ويعيش شدة الحرب، ويواجه الموت مواجهة، والمرأة تربي طفلها في المنزل، وتحتفظ بأخلاقيتها الإسلامية، وتصون عرضها، وتحسن تبعلّها، المقاتل يدخله شيئ من العجب والغرور، فيموت على هذا، فلئن ذهب شهيدًا إلا أنَّ شهادته قد تكون مثلومة، والمرأة تموت وفي يدها طفلها تناغيه استجابة لأمر الله، وخضوعًا لأمره، ورضا بالوظيفة التي حددها الله سبحانه وتعالى، هذه المرأة، تموت مرضية عند الله، رفيعة المنزلة، وربما تقدمت على من نسميه شهيدًا، خاصة في مثل هذه الأزمان التي لا ترتفع فيها المرأة في نظر الناس إلا بأن تتبوأ موقعًا سياسيًّا، أو حتى موقع العضوية في المجلس البلدي حين تصغي لأمر الله، وتوازن بين ما فيه رضا الله وما فيه سخطه، بين ما هو أرضى لله، وما هو أقل رضًا؛ فتختار ما هو أرضى لله سبحانه وتعالى، فإنها البطلة في نظر الإسلام، وإنها لتسبق الرجل في ميزان الله سبحانه وتعالى.

قد تستطيع التقدم للمجلس البلدي بكفاءة، ولكن الأجواء أجواء الاختلاط، وأجواء التبذل، وأجواء الزمالة التي يفرضها العمل مع الرجل، وهي زمالة تعيشها شبه يوميًّا، وما تتعرض له في هذه الأثناء، وقد تختار المؤمنة ترك مثل هذا الموقع زهدًا فيه؛ من أجل

حفظ العِرض والعفَّة، وهي البطل الأكبر حينئذٍ في نظر الإسلام من مليون امرأة تتقدم لمثل هذه المواقع من غير ورع ولا تقوى.

٩- ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[١]

نفهـم من تربية الإسلام، ومن مجمل أحكام الإسـلام أنّه يميل إلى أن تكون المرأة راعيـة بيت، ومدبرة بيت، وصاحبة عفاف وأنه لم يخطط لأن تكون المرأة شريكة الرجل في أدوار العمل الكادح؛ من أجل المعيشة بقدر ما خطط أن تكون أمينة على الجيل مربية له، محتضنة للرجل، موجدة جوًّا مفعمًا بالحب وبالراحة في بيتها، وبأن تكون شبه ملكة البيت.

الإسـلام خطـط لأن تكون المرأة مربية راعية للجيل الجديـد أكثر مما خطط، لأن تكون بنَّاءة ونجَّارة وحدَّادة، وما إلى ذلك، نفهم ذلك بكل تأكيد.

وهذه المرأة التي تموت في بيتها، وذلك الرجل الذي يموت وهو يمارس مهنة البناء، أو مهمـة الجهـاد معًا تقول عنهـم الآيـة الكريمـة: إذا أخلصـا لله، وكان سعيهما إليه سبحانه: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

- ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.[٢]

١- الفتح:٥.

٢- الحديد:١٢-١٣.

نور ماذا؟

نور الروح، نور الإيمان.

لا ظلمة في وجود هذه المرأة.

لا ظلمة في وجود هذا الرجل الذي تتحدث عنه الآية، حتى ليفيض النور ويتقدمهم، ويفتح لهم طريق الجنة.

نتائج مشتركة بين فئة من الرجال والنساء.

ونتائج مشتركة بين فئة أخرى من الرجال والنساء.

المؤمنون والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم، ولهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

أمّا المنافقون والمنافقات، والكافرون والكافرات، فلهم باب يسد عنهم عن الرحمة، يسد عليهم دون فَرَج الرحمة، باطنه العذاب، فهم في وسط العذاب، وليس عذابًا تحفه رحمة.[١]

جبهتان تقسمان المجتمع

الفئة الأولى: المنافقون

١٠- ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[٢]

هذه جبهة، وهي جبهة النفاق، وهي دائمة، ولها معالمها التي تحدّثنا عنها الآية الكريمة.

نقرأ أن هذه الفئة دأبها أن تأمر بالمنكر، وأن تنهى عن المعروف.

والمنكر ما فيه فساد الإنسان والحياة والكون، والمعروف هو ما تنبني به الحياة ويصلح به وضع الإنسان، وينسجم من خلاله كل شيئ مع الوضع الكوني العام.

١- خطبة الجمعة (٦٠) ١٢ ربيع الأول ١٤٢٣هـ ٢٥ مايو ٢٠٠٢م.

٢- التوبة:٦٧.

السمة الثانية أنهم يقبضون أيديهم في موقع المحكوم، وفي موقع الحاكم، إذا بذلوا إنما يبذلون لدنياهم، وإذا أعطوا إنما؛ ليأخذوا ما هو أكبر، وإذا بذلوا إنما؛ ليشتروا الناس، وما يملك الناس.

هذا الدور التخريبي المفسد؛ هو لازمة النفاق التي لا تنفك عنه.

وتجدون أن الرجل هنا في صف واحد مع المرأة، وأن المرأة في صف واحد مع الرجل.

إنها الجبهة الواحدة المشتركة، التي قوامها رجل وامرأة بلا أن تفرق بينهما ذكورة وأنوثة.

الفئة الثانية: المؤمنون

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[١]

الفئة الأولى تعيش نسيجًا: ﴿بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾[٢]، يأتلفون، ويتناصرون، ويدخلون في مؤامرة مشتركة على الإنسان والحياة، يبيعون من أجل دنياهم كل القِيم، ويرتكبون كل الجرائم؛ من أجل لذة البدن.

هذا الدور التخريبي له نهايته.

إنَّ المنافقين هم الفاسقون، والفاسقون من أهل جهنم، ومن أهل غضب الله سبحانه.

في مواجهتهم جبهة أخرى فيها الرجل والمرأة وهو نسيج متلاحم يشدّ بعضه بعضًا، وللمرأة فيه دور كما للرجل دور والمسؤولية يتوزعانها مشتركة: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[٣] يتناصرون، ولكل منهم على الآخر درجة من الآمرية؛ للرجل على الرجل والمرأة، وللمرأة

١- التوبة: ٧١.

٢- التوبة: ٧١.

٣- التوبة: ٧١.

علـى الرجل والمرأة درجة من الآمرية ودرجة من الحاكميـة هي التي تعطيهم حق الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر، بمـا يعنيه الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر من التعرّض لشخصية الآخر، والتصرف في شأنه بعض التصرف.

هذا التصرف، وهذا النيل هو لون من الحاكمية للآمر والناهى بالقياس إلى الآخر على أنهما واجبان على ذات الآمر والناهى، أو ما تقتضيه الحاكمية والآمرية المتمثلة في حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الآخر.

فهنـا دوران متعاكسان تمامًا: الفئة الأولى تأمـر بالمنكر وتنهى عن المعروف، الفئة الثانية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

قـل لي بربِّك كيف تتلاقى الفئتان على صعيد اجتماعي واحد؛ لتكون هاتان الفئتان داخلتين في نسيج واحد متلاحم؟!

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[١]، هذا دور؛ لبناء الوضع الاقتصادي، والوضع الاجتماعـي الصحيح، للتقدم بالإخاء، لنشر الأخـوَّة الإيمانية، لإحـداث التماسك في المجتمع الذي لا يمكن، ولا يتأتى إلَّا على خط الله.

إنـه لا تماسك في الاجتمـاع، ولا ائتلاف بين الإنسان والإنسان كما ينبغي، ولا يمكن إشادة بنيان مرصوص إلَّا على أساس من قاعدة الإيمان الصلبة الموحدة.

﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢]، وكفى للدور أن يكـون إيجابيًـا، وأن يكون إصلاحيًا، وأن يكون بنـاءً ومتقدمًا، أن يكون تحت هدايات الله، وتحت أوامره ونواهيه العليمة الحكيمة، وكفى بالإنسان استقامة وإيجابية، وفاعلية خيرة أن يكون مرجعيته الله سبحانه وتعالى.

المطلـوب هنـا: أن نلتفـت إلى أن المرأة ليسـت جبهة، في قبال جبهـة أخرى قوامها الرجـل، فهذا ليس بالانقسام الذي يؤمن به الإسـلام، الانقسام الذي يؤمن به الإسلام

١- التوبة: ٧١.

٢- التوبة: ٧١.

هو هذا الانقسام.

إنَّ هناك جبهة هي جبهة الإيمان قوامها الرجل والمرأة، وفي قبالها جبهة هي جبهة النفاق والكفر قوامها الرجل والمرأة.

فالنساء في الإسلام لسن صفًّا واحدًا ضد الرجال، ولا الرجال هم صف واحد ضد النساء.

إنَّ المواجهة ليست بين النساء مجتمعات، وبين الرجال مجتمعين، ولكن بين جبهة من المنافقين والمنافقات، وجبهة أخرى من المؤمنين والمؤمنات.

ولا تلتقي المرأة المؤمنة مع المنافقة في صف واحد وخندق واحد، ولا يلتقي الرجل المؤمن مع المنافق في صف واحد وخندق واحد.

الرجل المؤمن والمرأة المؤمنة يلاقي بينهما الإيمان، ويوحِّد جبهتهما، وكذلك الرجل المنافق والمرأة المنافقة.

والصراع قائم على أساس الإيمان والنفاق، وليس على أساس الذكورة والأنوثة.

فليتعلم الرجل المؤمن ذلك ولا يخدع، ولتتعلم المرأة المؤمنة ذلك ولا تخدع.

ومحاولات اختلاق معارك جانبية بين المرأة والرجل، وبين المكان والمكان، وبين نوع من الاختصاص، ونوع آخر كلها؛ من أجل أن تضعف جبهة الإيمان بالتمزق والصراع.[١]

حقوق المرأة والقانون المنصف

والقانون الذي سينتصر للمرأة على الرجل كما يسيئ للرجل يسيئ للمرأة، لأن المرأة يعزّ عليها - أيضًا - أن تزوج ابنها؛ ليكون عبدًا بيد زوجته.

ما يسيئ للمرأة في هذه العلاقة يسيئ للرجل، وما يسيئ للرجل في هذه العلاقة

١- خطبة الجمعة (٦١) بتاريخ ١٨ ربيع ١٤٢٣هـ ٣١ مايو٢٠٠٢م.

يسيئ للمرأة، وعلينا أن نتمسك بقوانين الله سبحانه وتعالى، مستفيدين من المساحة المباحة، وأن لا يكون تحايلنا في إطار التشريع مضرًا بروح التشريع نفسه.(١)

هذه المزايدة على مَن؟!

هناك مزايدة تملأ الساحة العربية كلها على المستوى الرسمي وغير الرسمي، تتعلق هذه المزايدة بحقوق المرأة، هذه المزايدة على مَن؟!

سيبقى الإسلام أكبر راعٍ لحقوق الإنسان ذَكَره وأُنثاه، والله سبحانه وتعالى ليس صديق الرجل، وليس صديق المرأة، ليس صديق الرجل على حساب المرأة، وليس صديق المرأة على حساب الرجل، الله رب العباد جميعًا، وهو أرأف بهم من أنفسهم.

رسول الله صلى الله عليه وآله أرأف بالناس من أنفسهم، فضلًا عن الله سبحانه وتعالى، هذه المزايدة على الله؟! المزايدة على رسول الله؟! على الإسلام؟! وهم إنما يرفعون هذا الشعار دائمًا في وجه الإسلام، وفي وجه الإسلاميين، وكأن الإسلاميين خلقوا جفاةً، وخلقوا بلا ضمير، وخلقوا كلهم غلظة على الأم والأخت والبنت والزوجة، عجباه!!

سيبقى الإسلام أكبر راعٍ لحقوق الإنسان ذَكَره وأنثاه، روحه وبدنه، والغرب الذي يفتك بالملايين؛ من أجل النفط والتسويق لبضائعه، ويتاجر بالجنس لا يمكن أن نصدّق بأنه مخلص للمرأة.

المتاجرون بالمرأة!

وكذب جدًا من كل الذين يمتصون خيرات الشعوب، ويقهرونها، ويذلونها بما فيها من رجال ونساء، وكذب من كل الفئات التي تناصرهم أن يقولوا بأنهم أنصار المرأة.

مَن هو نصير المرأة؟

تمتلئ خزائن الأرض من أموال شعوبهم.

١- خطبة الجمعة (١٥٢) ١٠ ربيع الأول ١٤٢٥هـ ٣٠ أبريل ٢٠٠٤م.

تمتلئ المصارف في الغرب من ثروات شعوبهم.

أوَ ليس من هذه الشعوب التي تمتص خيراتها عنصر المرأة؟!

أين الشفقة على المرأة؟!

أنا لا أستطيع أن أصدق أن نفعيًا مخلص للمرأة، لا تجتمع روح النفعية وروح الإخلاص أبدًا.

والعملية عملية استغفال، واستغلال للمرأة باسم حمايتها.

إذا كانت المطالبة في حدود الإسلام، فهي لا تستوجب المطالبة بتشريعات وضعية فرنسية وأمريكية وبريطانية.

ولا تستقيم مع هذا التغريب العملي لوضع المرأة.

وإذا كانت المطالبة بتشريعات أخلاقية مستوردة، فهي تستهدف:

١- خلق روح عدائية عند المرأة المسلمة لقيم إسلامها وأحكامه؛ تمهيدًا لفصلها عن الدين، وحين تنفصل لا بدَّ أن ينفصل الرجل، لأنَّ الرجل من تربيتها، رجل الجيل الثاني، رجل الجيل الثالث هو صناعة المرأة من جيل اليوم، فحين تنفصل المرأة في هذا الجيل عن الإسلام، فكل الرجال من الجيل الثاني والثالث يكونون قد انفصلوا عن الإسلام، هذا هو المطلوب.

٢- تحقيق مكاسب سياسية في مواجهة الإسلاميين - في الحملات الانتخابية وغيرها - بتصويرهم أنهم يقفون ضد حقوق المرأة، حين ينادون بحقوق المرأة في الإسلام، وعلى الطريق الإسلامية.

فالشعار حماية المرأة، والمطالبة نتائج انتخابية وغير انتخابية على حساب الإسلاميين، والشعوب بكاملها، وصرف الأمَّة عن همومها الرئيسة، وخلق معركة وهمية؛ لتفتيت طاقات المجتمع.

٣- الملاحظُ أن الغيارى على حقوق المرأة وحماتها الادعائيِّين في الكثير من الماديين

المثقفين بالثقافة الغربية، وأصحاب الولاء الأجنبي، وتدخل فيهم حكومات تعاني شعوبها حتى الطفل والطفلة منها الأمرَّين.

والكلام على مستوى الساحة الإسلامية العامة، وليس على مستوى هذا البلد الخاص غريب أن يكون هؤلاء - حسب دعواهم - هم الأحرص على إحقاق الحقوق، وحفظ العدالة من كل المؤمنين، ومن الرسل، وحتى من الله العدل الحكيم تبارك وتعالى عمَّا يصفون.

٤- ويلٌ للسياسة، مَن يُستعدى على مَن؟

والتفريق بين مَن ومَن؟

والبعثرة لأي كيان؟

البعثرة لكيان الأسرة، الاستعداء للولد على أمِّه، للأم على ولدها، للزوج على زوجه - من ذكر، وأنثى - للأخ على أخيه.

اتقوا الله، لا توجد بعثرة للمجتمع أخطر من هذه البعثرة، والله عز وجل يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ...﴾[1]، إلى آخر الآية الكريمة.

هذا هو الهدف الإسلامي، أن يخلق الأسرة كيانًا متراصًا، رباطه رباط الإيمان والحب والود والتفاني والإيثار، والقوم يأتون؛ ليخلقوا العداوة في داخل الأسرة، وليثيروا الزوج ضد زوجه من ذكر وأنثى؛ ليصطادوا في الماء العكر.

السياسة[2] خبيثة، فهي تضحي بالملايين، وترمي في البحر بكل القِيم، وتخلق الفوضى؛ من أجل مصلحة كرسي، أو من أجل حفنة من المال.

أليس كلما تركزت القِيم المادية، وابتعدت الأحكام عن شريعة الله تفاقمت مشاكل

١- الروم: ٢١.

٢- القائمة على حب الدنيا المفصولة عن القِيم الخلقيّة وتقوى الله.

الأسر، وارتفعت معدلات الطلاق؟

ماذا تقول الأرقام عن وضع المرأة في الغرب، يا عشاق الغرب؟ والذين تقدمون المرأة فيها نموذجًا لبنت الإسلام؟

ألستم تنقلون الإحصائيات المرعبة عن الغرب، وعن تشتت الأسر في الغرب، وعن غلظة الرجل الغربي على زوجه التي تصل إلى الضرب، والإهمال الشديد؟

ألستم تنقلون حالة عن الغرب ينسى فيها الأب ابنه، وينسى فيها الإبن أباه؟

وقد تقطعت الأرحام هناك بفعل الاتجاه المادي؟

أليست بنت الغرب تضج مما هي عليه من فقد الدفء العاطفي، ومن احترام الكرامة الإنسانية؟، أليست تفتش عن ذاتها؟[١]

إكراه على التَّبذُّل!

هناك إكراه على التبذّل، إلجاءٌ للاستخفاف بالدين، والخروج على العفة والشرف، امتهانٌ لكرامة المواطن، استغلال بشع لحاجة الإنسان.

هناك أخلاقية عسكرية تركية في بعض المؤسسات التجارية في محاربة عفاف المرأة، وتدخل في حريتها الدينية.

هناك إكراه على لباس التبذّل، والتخلي عن لباس العفة واللياقة؛ من أجل لقمة العيش، والمرتب الشهري الذي يُتقاضى قبال التعب وصرف جزء عزيز من العمر.

بعض البرادات في البحرين تفعّل ذلك كله - حسب النقل المتكرر الذي يعطى الوثوق -، فأي أخلاقية، وأي إنسانية، وأي ضمير، شريف، وأي قانون يحمل رائحة الإسلام العدل القويم الكريم يجعل التعرّي شرط اللقمة، والعبودية للقرارات المتعسفة ثمنًا للعيش؟!

١- خطبة الجمعة رقم (٨٤) ٣ شهر رمضان المبارك ١٤٢٣هـ ٨ نوفمبر٢٠٠٢م.

دموع التَّماسيح!

كُفُّوا عن هذا أيُّها التَّقدميون، الذين تتباكون على حرية المرأة وحقوقها المسلوبة!!

وكأنــه فيما أرى تباكٍ؛ لتكون المرأة ألعوبــة، وإلا فأين التباكي على حرية المرأة من هذا الإكراه، والامتهان للكرامة؟

هذا من جهة.

ومــن جهة أخرى، فإن الفتاة التي تخضع لمثل هــذه المساومات الرخيصة والجائرة بتوهــم الجواز للاضطرار مخطئة جدًّا، ومرتكبة للمحــرم، فأين المضحَّى من أجله هنا من المضحَّى به؟!

المضحَّــى من أجله مال يسير حقير مغموس في مستنقع الذلة والهوان، والمضحَّى به دين عزيز، وشرف رفيع، وعفة وطهارة وكرامة.

المضحَّى به رضا الله الذي لا يعدله أبدًا، رضا المخلوقين مجتمعين، ومن أجله تبذل الـثروات، ويُضحى بالحياة، ودعوى انحصار الحيــاة في مثل هذه اللقمة الفاجرة دعوى بعيدة عن الانصاف والصواب، وفيها كثير من سوء الظن بالله الغني العلي القدير.[1]

المرأة الإنسان

الإنسان بدنًا: لحم، ودم، وعظم ... إلخ، وهو كذلك فكر ومشاعر لا يبارح أي منها الطين، ودوافع وحاجات وضرورات وشهوات ولذائذ بدن.

وهو بذلك كلّه حتى بأفكاره، وبمشاعره المذكورة على حدّ الحيوان.

وإنَّــه كان له فكر لكنّه منشد دائمًــا إلى المادة، وإن كانت له مشاعر ولكنها مرتبطة دائمًا بالأرض حيوان.

١- خطبة الجمعة (٩٠) ١٥ شوال١٤٢٣هـ ٢٠ ديسمبر٢٠٠٢م.

والإنسان مما هو فوق ذلك عقل متجاوز لحدود المادة وحاجاتها، وقلب عارف، وروح مشعّة، ونفس زكيّة، وأشواق سماوية طاهرة، وهدف كبير وراء هذه الحياة، وخلق رفيع مستضيئ بأسماء ربّه الحسنى.

والإنسان بذلك ملك لا حيوان.

ورحلة الحياة يجب أن تكون صعودًا إلى سماء الملائكية، لا هبوطًا إلى منحدر الحيوانية.

والإسلام وحده هو المنهج الصاعد بحياة الإنسان، أمَّا المادية الساقطة، فلا بدَّ أن تكون طريق الانحدار.

والإنسان روحًا وبدنًا محترم في الإسلام، ولا يُنقصُ الإسلام أحدهما حقّه.

وظلم الإنسان في روح أو بدن قبيح، إلَّا أن ظلمه وخيانته في بُعده الروحي أقبح وأفدح.

والنظر للمرأة أو الرجل ليس إلا جسدًا يحتاجه الآخر، ويستمتع به إلغاء لإنسانية الإنسان، وفتك بها، وتحقير لهذا المخلوق الكريم.

وإذا عُمِّمت المرأة جسدًا لمتعة الرجال، ونيلت منها الشهوة حرامًا كان ذلك حطًّا شنيعًا لقدرها، وأكثر إيغالًا في هدر ما وهبها الله من كرامة.

والذين يعملون على إسقاط حياء المرأة؛ لتكون سلعة رخيصة، ومقضى للشهوات الحرام إنما يلغون بذلك إنسانيتها، ويسحقونها سحقًا.

والمرأة في كل الأرض مستهدفة من الكثيرين بشتّى الأساليب، ولدواع شريرة مختلفة، وبشعارات جذّابة منها شعار حقوق المرأة، وشعار حريتها، والانتصار لها؛ لتنفصل عن المحور الحافظ لإنسانيتها وهو الدين الحقّ، وتسقط في مستنقع الرذيلة، ولتباع وتُشترى، ويُتاجر بها متاجرة السلع الرخيصة، ولتتحول أداة طيّعة في يد السياسة الظالمة الباغية القبيحة.

والمرأة المسلمة التي تعتزّ بدينها وشرفها صارت تعيش المعاناة من الكثير من التحديات والإهانات والتعديات والاستهداف الخبيث؛ لتتحدر المنحدرات، وتسقط في الساقطات؛ وهي - بإذن الله - ثابتة كل الثبات، منتصرة في مقاومتها الصلبة الواعية لمحاولات الحرف، والتضليل، والإسقاط.

وعجيب لِمَن يسمّون أنفسهم بالتقدّميين وهم عندنا متخلّفون! إنهم لا يأخذون من الغرب إلّا ما خبث، ويَدَعون ما طاب، وقد يوجد في الغرب طيّب، فهناك اعتراف ببعض الحقوق من حقوق الإنسان، وهناك رعاية ذوق في بعض الجهات.[١]

حرّيّة المرأة

القاعدة الشرعيَّة في الإسلام أن لا قيد لإرادة أحد من خلق الله في نفسه على إرادة أحد، وأن الإرادة التشريعية الماضية على أي شيئ من الخلق إنّما هي لله وحده بلا قيد ولا حد، على أنه تبارك وتعالى هو أعلم العالمين، وأحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين.

ومشترك الرجل والمرأة هو إنسانيتهما، وبذلك يمثّلان من هذه الجهة بالتحديد موضوعًا واحدًا لا تعددية فيه بلحاظ موضوعيته، ولا بلحاظ الأحكام المترتبة عليه؛ ولذلك جاءت القاعدة الشرعية بوحدة خطابات التكليف الإلهي لهما، وكذلك وحدة العقوبات الدنيوية المترتبة على بعض أفعالهما.

ويمكن أن نجد مفارقة بينهما في بعض الموارد النادرة سواء كان ذلك في مجال التكليف أم العقوبة.

ولا بدَّ أن يكون لذلك منشأ من فارق الخصوصية الصنفية التي تمثّل موضوعًا آخر متباينًا بينهما لا يصح أن يُلغى اعتباره في مقام التشريع العادل، ولكن بما لا يمسّ النظر إليه إنسانية أحدهما بالتأثير السلبي، ولا ينقص من كرامته على الإطلاق.

١- خطبة الجمعة (٣٢٠) ٤ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ ١٢ أبريل ٢٠٠٨م.

وتستطيع أن تلقى أمثلة بذلك في مسألة الجهاد الابتدائي، وباب الصلاة، وباب الطهارة، والإرث، والقصاص، وغيرها مما تقف وراءه خلفية التنوّع الصنفي، والدور العملي المرتبط بذلك التنوّع، والقدرة على مواجهة الظروف الموضوعية والتحديات القاسية في التعامل مع الطبيعة، وطرق إنتاج الثروة، وتحديات الصراع، ونوع شيئ من الواجبات المناطة بكل منهما مما يتلاقى بدرجة أكبر مع طبيعته.

وأما المثوبة الأخروية، والمقامات الإنسانية، والدرجات عند الله سبحانه، فباب التنافس فيها مفتوح على مصراعيه أمام كل الناس ذَكرهم وأُنثاهم على حدّ سواء، ومن غير تفاضل أو تفاوت حيث إن مردّ ذلك إلى الكمال الروحي، والرفعة الإنسانية، ولا صلة لشيئ من هذا نهائيًا بخصوصية الذكورة والأنوثة، وما قد يرجع إليهما.

فالإنسان في الإسلام من حيث إنسانيته وطهره وكماله مؤمن وفاسق، ومتّقٍ وفاجر، ومهتد وضال، وليس ذكرًا وأنثى، ورجلًا وامرأة وهو في الأخير فريقان - من حيث الإنسانية - فريق في الجنَّة، وفريق في السعير.

قوام الأوّل رجال ونساء، وقوام الثاني رجال ونساء.

وحتى تعرف أن تمايز الأدوار بتمايز الصنف لا يقوم عليه تفاضل إنسانية، ولا ثواب تسمع مما روي عن الإسلام أن جهاد المرأة حسن تبعّلها، وأن من ماتت في ولادتها فهي شهيدة.

والحرية في الإسلام ليست مسألة انطلاقة غير مسؤولة وراء الشهوات، ولا تفجّر فيها يدمّر صفاء الحياة وأمنها وجمالها المعنوي، ويحوّلها إلى حياة حيوان.

وليس حد الحرية أن لا نقتل الآخر ونلغيه جسديًا، ونأكل لقمة عيشه ظلمًا فحسب، كما تذهب إليه مذاهب الأرض من معنى الحرية وحدّها، ولكن يقيّد الحرية كذلك أن لا تُذهِبَ إنسانيتك وكرامتك وشرفك هدرًا، ولا إنسانية الآخر وكرامته وشرفه، وأن لا تفسد في الأرض الإفساد المعنوي كما لا تفسد فيها موارد وحياة المادة.

وعلى هذا إذا طالبنا بحرية المرأة، وحرية الرجل على ضوء الإسلام طالبنا بأمر ليس هو ما يُطالب به من حريتهما بالمعنى الذي تأخذ به مذاهب المادة في الغرب، أو الشرق، أو أي مكان.

وما نسمعه من ضجيج صاخب وشعارات خادعة تنادي بحرية المرأة في مجتمعات المسلمين إنما تعني الحرية المادية المتاجرة بالمرأة سياسيًّا واقتصاديًّا، وعلى كل المستويات، والمتخذة منها أداة تلهية ومقضى شهوة في معارض الأزياء والسينمات والمسارح والمراقص، وفي احتفال أقوام ممَّن يعدّون أنفسهم كبارًا في هذه الحياة، وفي مؤتمراتهم، وفي كل زاوية ومفترق طريق.

شعار (حرِّيَّة المرأة) الدَّوافع والأسباب

نعم، يفضح نية السوء وراء شعارات الحرية للمرأة والتي تطلقها حكومات كثيرة، ومن خلفها مؤسسات وجماعات أمورٌ منها:

١- إن هذه الحكومات كما تمارس الظلم والقمع ضد الرجل تمارسه بالقسوة نفسها ضد المرأة، وتنتهك حريتهما بصورة صارخة في أكثر ساحات الحياة، وتأبى عليهما أن يشاركا - ولو بالرأي الحر - في اختيار نمط الحياة السياسية التي ترتبط بهما، وبشعبهما وبأمتهما، فأين الفرق؟!

٢- إنَّها تصدِّر، وتستورد المرأة؛ لسد حاجة الملاهي، والمراقص، والفنادق التي تتلاعب بأعراض النساء، وتبيع عفتهنَّ بالثمن الذي يربحها ماديًّا، ويلغي إنسانية المرأة، ويدوسُ كرامتها.

٣- كاذب مَن قال: إنه يحترم المرأة وهو يحتقر الرجل، ويكرمها وهو يهينه، ويحسن إليها وهو يسيئ إليه، وكذلك مَن قال: إنه يحترم الرجل وهو يحتقر المرأة، يكرم الرجل وهو يهين المرأة، يحسن إلى الرجل وهو يسيئ إلى المرأة.

فليس الرجل إلَّا امرأة، وليس المرأة إلَّا رجلًا من حيث إنسانيتهما، والمهان في هذا أو ذاك واحد وهو الإنسانية.

وشعارات الحرية بالمعنى الغربي المطروحة في بلاد المسلمين على لسان عدد من الحكومات والفئات لا بدَّ أن تكون لها منطلقاتها الخاصة إذ لا معلول بلا علّة، ولا ظاهرة بلا سبب، ونجد أن من أسباب ذلك:

أ- الحاجة إلى إرضاء الغرب، وتمرير مشاريعه، وتنفيذ رغباته؛ ليعين تلك الحكومات على شعوبها فضلًا عن التغاضي عن مظالمها لتلك الشعوب.

ب- بقاء الحكم التّسلُّطي، وإضعافه لإرادة الشعوب الإسلامية، وتبذخه على حسابها أراه محل توافق بين الهيمنة الاستكبارية العالمية وبين ذلك النوع من الحكومات في البلاد العربية والإسلامية، لأنه من مصلحة الطرفين.

ج- يضاف إلى ذلك شرط مواجهة الإسلام على يد حكومات من أبنائه وهو الشرط الذي تحرص حكومات عديدة في بلاد العرب والمسلمين على الوفاء به، وهو الشرط الذي يأخذه الغرب على كثير من تلك الحكومات.

د- الحكومات المنفصلة عن الأمَّة الإسلامية رؤيةً وهمًّا ومصلحةً لا بدَّ أن يدخل في مشروعها السياسي مواجهة الإسلام وإضعافه.

هذه الشعارات الزائفة الكاذبة تحاول أن تحدث فتنة بين طرفيي المركّب لأي مجتمع بشري وهما الذَّكر والأنثى، تفتيتًا للمجتمع إلى جنب محاولات التفتيت الأخرى للشعوب في داخلها، وكذلك فيما بينها والتي تعمد إليها حكوماتٌ تجد في فرقة المجتمع فرصة بقاء أطول لها.

هـ- تحاول هذه الشعارات المخادعة حسب الهدف الغربي وهدف ذلك النوع من الحكومات أن تكسب نصف أي شعب من شعوب الأمّة المستهدفة، والمتمثل في المرأة بلا ثمن وعن طريق المغالطة، وتنال نصرتها أو تحيُّدَها على الأقل في معركة المطالبة

بالحقوق، وذلك على طريقة: (خدعوها بقولهم حسناء).

و- يمثل المسخ الحضاري لهُويَّة الأمَّة الإسلامية، وتراكم التغيرات السلبية في عقليتها وشعورها وانتمائها الحضاري هدفًا مركزيًا للاستكبار العالمي وأتباعه.

وما يؤمّل في المرأة المسلمة أن تكون قد تجاوزت، وأن تعمل بدرجة أكبر على تجاوز أن تكون في موقع (خدعوها بقولهم حسناء)، ومصداقًا لهذه المقولة.

ويؤمل فيها أن لا تظن بشريعة ربِّها سوءًا، ومحاباة لرجل على حساب امرأة بفعل الشعارات والحملات الإعلامية الماكرة، وأن تحتكم هي وأخوها الرجل في كل القضايا، ومنها قضايا العلاقات الأسرية، والعلاقات العامة بينهما إلى شريعة ربِّهما العدل الحكيم الرحمن الرحيم.(١)

كرامة المرأة

كرامة المرأة شعار من شعارات الدنيا اليوم.

وكرامة المرأة من كرامة الرّجل، وكرامة الرَّجل من كرامة المرأة، لأنَّهما معًا إنسان، ولا كرامة للمرأة بعد هذا والرَّجل مهان، ولا كرامة للرَّجل في ظلِّ هذا الوعي والمرأة مهانة.

فمَن كان يراعي كرامة المرأة لا بدَّ أن يراعي كرامة الرجل، ومَن كان يراعي كرامة الرَّجل، فلا بدَّ أن يراعي كرامة المرأة.(٢)

١- خطبة الجمعة (٣٣١) ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ ٢٧ يونيو ٢٠٠٨ م.

٢- خطبة الجمعة (٤٤٩) ٢٥ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ ٢٩ أبريل ٢٠١١ م.

(٥)
العلمانيَّة

العلمانيَّة والإسلام

لكل من الإسلام والعلمانية رأي في التدخّل في الشأن العام، وفي قضايا من مثل حدود الحرية الشخصية، والأحوال الشخصية، والمساحة التي يعمل فيها الدين.

وإذا نفت العلمانية حقّ الإسلام في التدخل في كل هذه الأمور، فهذا يعني إسقاطًا للإسلام، بينما يعني إصرار الإسلام على التدخّل في هذه الأمور إسقاطًا للعلمانية.

وهذا واضح جليٌّ جدًّا، هذا يسقط رأي ذاك، وذاك يسقط رأي هذا.

هذا يقول: بأن الحاكمية لله، وذاك يقول: بأن الحاكمية للشعب، وللرأي الغالب.

وحينما نقول: بأن الحاكمية لله، فهذا لا ينفي أن يُعطى الشعب خيار أن ينسجم مع إسلامه، أو لا ينسجم.

والتسقيط من كل الطرفين قائم واقعًا، والمناداة به بدأت في الصحافة من العلمانية، هناك اختلاف واقعي، وهناك تنافٍ من الطرفين في الواقع، بينما المناداة بالإسقاط بدأت من الجانب العلماني.

فالإلغاء لرأي الإسلام معناه تحيا العلمانية، ويسقط الإسلام!

فالإلغاء لرأي الإسلام معناه تحيا العلمانية عملًا وواقعًا، ويسقط الإسلام كذلك، وإصرار الإسلام على فاعلية رأيه معناه يحيا الإسلام، وتسقط العلمانية رأيًا، تسقط العلمانية واقعًا.

هذا معنى تمسّك الإسلام بطرحه، وتمسك العلمانية بطرحها، والتزاحم على الساحة قائم، كل منهما يزاحم الآخر على الساحة، على إيمان الشعب بهذا أو ذاك على

أن يأخذ هذا أو ذاك مساحة من التطبيق.

والهجمة في الحالة القائمة جاءت من العلمانية، وبعدة أقلام، وبلغة صريحة لا مواربة فيها.[١]

الإسلاميُّون والعلمانيَّة

لسنا تكفيريين، ولا نحكم على ما في قلوب الناس، لأن ليس لنا علم بالضمائر، ولكننا نعلم أن العلمانية ليست الإسلام، وأن الإسلام ليس العلمانية.

قالوا: بأن العلمانية لا تعني الإلحاد، ولا تعني الكفر!

أقول: عنت الإلحاد أو لم تعنه، فإن الإسلام غير العلمانية.

ومَن يقول بالتطابق فعليه التوضيح، وعليه أن يلتزم بالإسلام الذي لا يمكن أن يحكم على نفسه بالإقصاء عن قضايا الحياة العامة كما هو ضروري من فهم الإسلام، وقد حكموا هم بإقصائه.[٢]

التَّوافقات السِّياسيَّة مع العلمانيِّين

كان مطروحي - في أيام الانتفاضة - ولا زال في العلاقة مع العلمانية يتركّز على قضيتين، ولا أرفع يدي عن هذا المطروح:

١- التوافقات العملية مع العلمانية، أو غيرها والتي قد تقتضيها الظروف لا تعني أبدًا التسامح في حرمة الإسلام، أو الخروج على أحكامه.

٢- إن الاختلاف المبدئي لا يمنع من التوافقات العملية الداخلة في مساحة المباح والمحققة لمصلحة المجتمع المسلم، وهذا الوطن الكريم وطن مسلم مجتمعه مجتمع مسلم.

١- خطبة الجمعة (٢٩٢) ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ ١٣ يوليو ٢٠٠٧م.

٢- خطبة الجمعة (٢٩١) ٢١ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ ٦ يوليو ٢٠٠٧م.

هذا وأشير إلى أن الكل يعرف أن هذا الطرف أو ذاك الطرف لم ينطلق في تحالفه مع الطرف الآخر إلا من خلال منظوره ومصلحته، وليس من منظور المقابل ومصلحته، فلا منّ للعلمانية علينا أن دخلوا في توافق معنا في بعض المسائل، ولسنا الطرف الأضعف في المعادلة.

نعم، يأتي في هذا الإطار التنازل المتبادل، أو من طرف واحد عن بعض المصالح ولكن بلحاظ الضرورة في الأكثر، ولو كانت هي ضرورة التحالف حدوثًا، أو بقاءً.[١]

كل التوافقات العملية عندنا لا يمكن أن تكون ممرًّا لقبول المساس بقداسة الإسلام وتشويهه، وإنقاص قيمته، والتقوّل عليه، وغشّ جماهيره في فهمهم له.

لو قدَّمتم لنا دولة؛ لننسى الإسلام، لا ننساه.[٢]

والإسلاميون مبدئيون، والمصلحة والسياسة عندهم لا تنفصل عن نظر المبدأ، ولا تخرج عن مقرّراته.

نحن عبيد الإسلام.[٣]

أمَّة إسلاميَّة ونظام علمانيٌّ!

أصوات نشاز تدعو الأمَّة الإسلامية إلى احتضان النظام العلماني في السياسة.

ما معنى أمَّة إسلامية؟

هل الأمَّة الإسلامية هي أفراد ينتمون إلى الإسلام عقيدة، ويعيشون حالة التعبد الفردي المنفصل عن حركة الحياة، ويبنون حياتهم العامة على قاعدة غير قاعدة الإسلام؟

١- خطبة الجمعة (٢٩٢) ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ ١٣ يوليو ٢٠٠٧م.

٢- هتاف جموع المصلين بـ: (لبيك يا إسلام).

٣- خطبة الجمعة (٢٩١) ٢١ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ ٦ يوليو ٢٠٠٧م.

ومعنـى آخر: إن الأمّـة جماعة إنسانية تعيش أوضاعًا حياتيـة عامة ومشتركة في بعدهـا الفكـري والثقافي والنفسـي والأخلاقـي والاجتماعي وغيرها، وفيمـا تقيمه من حضارة منطلقة من رؤية الإسلام، وأهدافه، وقيمه، وأحكامه، وأخلاقيّته.

ماذا يقول الكتاب والسُّنَّة هنا؟

كتـاب الله مليـئ بالآيات التـي تدل علـى أن الأمّة الإسلامية هـي بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول.

والكتـاب دلالاته واضحـة بيّنة على أن الإسـلام يحتضن نظامًـا سياسيًا من سنخ قاعدته الأصل.

النظـام السياسـي في الإسـلام هو فـرع عقيدته، وفـرع شريعته، فـرع أخلاقيته، ومنطلقه وهدفه، ومكوّن من مكوّنات شريعته.

والحديـث طافح بكل ذلك، والسـيرة شاهد حيّ شاخص علـى الأرض، وأن رسول الله ﷺ قـد أقـام حكومـة الإسـلام، ومثلـه أمـير المؤمنـين علـي عليه السلام، والخلفاء الراشـدون كلّهـم أقاموا الحكومة باسـم الإسلام، وإن كنّا نختلـف في بعض تفصيلات الحكومة الإسلامية، وأساس شرعيتها.

النِّظام السِّياسي العلماني

نسأل: ما هي مساحة عمل النظام السياسي اليوم؟

هل بقيت زاوية من زوايا المجتمع؟

هـل بقيت مساحة ولو صغـيرةٍ ضيّقة من مساحات الفكر، من مساحات العمل، من العلاقات، من الحقوق، من الواجبات غير محكومة للنظام السياسي؟

لو استطاع النظام السياسي القائم اليوم في الكثير من بقاع الأرض أن يحكم أنفاس

الناس لحكمها، لو استطاع أن يتحكم في نسمة الهواء، فيما نحتاجه من أكسجين لفعل!

المساحة الحياتية العامة، وحتى الكثير من الخصوصيات الفردية أصبحت محكومة للنظام السياسي.

فإذا قلت: إسلام ونظام سياسي علماني، أمّة إسلامية بمعنى أنها تعيش الإسلام، ونظام سياسي علماني، أفلا يعني هذا التهافت؟

ألا يعني الضدين اللذين لا يجتمعان؟

ألا يعني النقيضين اللذين يستحيل عليهما الاجتماع؟

كم هي من مغالطات، ومن خدع، ومن ألاعيب قد تمرّر على ذهن بعض الشباب الخيّر؟!

الحقُّ: إنه إمّا أمّة معترفة بعبوديتها لله سبحانه، بوصفها أنها أمّة، وإمّا أمّة مستكبرة على الله، وتمارس حريتها في التشريع والحكم قبال حكمه وتشريعه.

أي علمانية يعنون؟

علمانية لا تتسع لحزب العدالة والتنمية في تركيا، لماذا؟، لا لأنه إسلامي صرف، وإنما لأن له شمّة إسلامية، ولأنه متّهم بأن له تاريخًا إسلاميًا بدرجة من الدرجات الخفيفة.

وأي علمانية؟

هي علمانية تريد أن تعزل رئيس تركيا المنتخب انتخابًا ديمقراطيًا حرًّا، وأن تحاكمه بجريمة أن زوجته تغطي شعر رأسها بقطعة من قماش!

هذه هي العلمانية التي تجتمع مع الإسلام، وتسمح ببقاء الإسلام، وببقاء الهُوية الإسلامية للأمّة!!

نعـم، هكـذا يسعـون لمغالطتنا، وهكـذا يحاولـون أن يخدعونا، وهكـذا يريدون أن يسرِقوا الإسلام منَّا؛ ليرموه به في البحر!

ثم، إنهم قالوا: إن غياب المعصوم عليه السلام يعني الإذن في تخلّي المسلمين عن مسؤولية الإسـلام السياسيـة، ويعني السماح بانقـلاب الأمَّة وتحولها من الهُويـة الإسلامية إلى الهُوية العلمانية!!!

وكتـاب الله عز وجل يقـول: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ انقَلَبْتُمْ عَلَـى أَعْقَابِكُمْ ...﴾ توبيخ ﴿... وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1].[2]

غيرة على العلمانيَّة ولا غيرة على الإسلام؟!

أُعزَّت العلمانيَّة في هذا البلد وذُلَّ الإسلام؟!

حكمتـم علـى الإسـلام بالإقصاء عـن قضايا الحيـاة للمجتمعات، وهـذا المجتمع بالذات، وحرّمتم على الإسلام الكلام في الظلم والعدل المتصلين بالسياسة العامة.

حكمتـم عليـه بالإقصاء والإلغـاء والتعطيل، وهـذا هو الإسقـاط والإماتة العملية للإسلام بالكامل.

مـا أفتيتم به هـو: إن ليس للإسـلام أن يعطي كلمة واحدة في قضيـة من القضايا العامة حتى على مستوى التنبيه والإرشاد!

تريـدون أن تكبّلـوا الإسـلام، أن تحجـروا عليه، أن يبقـى في الزوايـا المظلمة، أن تهمّشوه، أن ترموا به وراء سور الحياة، أَوَ نعطِيكُم ذلك؟![3]

١- آل عمران: ١٤٤.

٢- خطبة الجمعة (٣١٩) ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٩هـ ٤ أبريل ٢٠٠٨م.

٣- خطبة الجمعة (٢٩١) ٢١ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ ٦ يوليو ٢٠٠٧م.

كما للآخرين - كما يرون - أن يرفضوا سلطة الفتوى، والحكم الشرعي والإسلام، وأن يعطوا لأنفسهم الحق في التعبير عن ذلك على مستوى الصحافة العامة، وأن يختاروا العلمانية لا غير، وأن يسقطوا الإسلام، فإن لغيرهم أن يؤمن بحاكمية الله، ويكفر بحاكمية الطاغوت، وأن يلتزم بما يفهمه من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ من وجوب الأخذ بهما في كل مساحة الحياة، وأن يعبّر عن ذلك.

نحن نتعايش مع الأنظمة بأمر الدين، ولكن إيماننا إنما هو بنظام الإسلام، مَن رضي فليرضَ، ومَن لم يرضَ فلا يرضَ[1]. [2]

١- هتاف جموع المصلين بـ(بالروح بالدم نفديك يا إسلام).

٢- خطبة الجمعة (٢٩١) ٢١ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ ٦ يوليو ٢٠٠٧م.

الفصل الثَّامن

مفاهيم ومقولات سياسيَّة

مقدمة

تزوير أخطر من تزوير العُملة!

تزويـر العملـة خطير على الوضـع الاقتصادي لأي بلـد، وخاصـة إذا كان بكميات كبيرة، ولذلك يُحارب محاربة شديدة، ويعاقب عليه عقابًا صارمًا.

وأخطـر منه تزويـر الحقائق، وقلب المفاهيـم، ووضع أسماء الأمـور والأشياء على أضدادها؛ لتشويش فكر حضاري قـويم، وزعزعته وإسقاطه، وسرقة العقول المؤمنة به، والقلوب المحتضنة له.

ويتعرّض الفكر الإسلامي، والمفاهيـم الإسلامية، والسلـوك الإسلامي، وتتعرّض طرق الاستدلال المتعلّقة بالنصوص الإسلامية، والبنـاء الفكري القائم عليه إلى عمليات تشويـه وتزويـر واسعة متعمّـدة في وقتنا الحاضـر، وهي عمليات تشـترك فيها أطراف مـن خـارج الأمّة وداخلهـا، رسمية وغير رسميـة، وحتّى من المحسوبين علـى الدارسين الإسلاميـين ممّـن سقطوا ضحايا للأطمـاع الدنيوية، أو لم يكن لهـم الاستعداد المبكّر الكافي؛ لمواجهة الفكر الآخر.

والـكلام هنا عن لون تزويـر واحد فاضح سافل حيث يُسمّـى المجون فنًّا، والهبوط السلوكـيّ ثقافة، وضـروب من الفحشاء إبداعًـا، والممارسات الحيوانيـة الفظّة صناعة رفيعـة راقية، والضعـف الغريزي تقدّمًا، والترويج للفساد حريّـة، وحيث يكون التحشيد الهائـل للمال والرجال والنسـاء والجهد والإعلام، وكل الوسائـل المتاحة؛ لتركيز عملية التزويـر وتوسيعهـا وإشاعتها، وإسـاءة استعمال الكلمة في غير مـا وُضعت له في صورة تحريف مكشوف ممقوت للاستغفال، والاستغلال، وترويج الباطل.

إخوتي، أخواتي

هنـا خطـورة بالغة جدًّا، مـن خلال الاستعمـال الخاطئ المتعمّـد للألفاظ في غير المفاهيم الموضوعة لها، في غير المعاني الموضوعة لها.

إنه ليمكن أن يُسرق وعي الناس، ويمكن أن يُسرق انتماؤهم لحضارتهم، ويمكن أن

يُهرب بهم عـن عقلهم الحضاري، وعن خطّ انتمائهم الأصيل بهذا اللون الخبيث الماكر من التزوير.

إنّه في مواجهة هذا العمل التخريبي علينا أن نُسمّي الأشياء بأسمائها، وأن نستعمل اللفظ فيما وُضع له، وخاصة إذا كانت التسمية والاستعمال ممَّا ورد في كتاب الله المجيد، والسنة المعصومية المطهرة، حيث الدقة والأمانة والعصمة من الخطأ في هذا الاستعمال والتسميـة، فما هو إيمان يجب أن نُسمّيه إيمانًا، وما هو فسق يجب أن نُسمّيه فسقًا، وما هو علم وثقافة وحقّ، أو ما هو جهل وانحراف وباطل ولهو وعبث وفاحشة علينا أن نُبقيه علـى حقيقته، ونعطيـه عنوانه الصحيح من غـير مغالطة تهزأ بالعقـول، وتتعامل معها باستغفال متعمّد.(١)

الشِّعارات الأمريكيَّة في مواجهة الصَّحوة الإسلاميَّة

وبـورك للذين يصفقـون بالشعارات الأمريكية في الوقت الـذي تبرهن أمريكا على كذبها وزيفها!!

الواقـع يقوم على الحصد، وشعـارات الديمقراطية والتعدديـة الحزبية، والمجتمع المدني شعاراتٌ لمقابلة الصحوة الإسلامية.

الصحـوة الإسلامية فرضت نفسها على الساحة، فكبرت حسابات أمريكا لمستقبل هـذه الصحـوة، واشتـد فزعها منهـا، وكل يوم لها ألعوبةٌ في الأرض الإسلامية، ولكل مرحلـةٍ شعـارات في البلاد الإسلامية تصـدر من الغرب، وتستوردها أيـدٍ وكيلة هنا في الشرق الإسلامي.

مرحلتنا تتطلب اليوم تصدير واستيراد هذه الشعارات؛ لمواجهة الصحوة، ولتضليل الـرأي العام الإسلامي الـذي بدأ يرفـض كل الأطروحات الأخرى، ويؤمـن بالأطروحة الأصيلـة، أطروحة السماء، وقيادة السماء، قيادة رسول الله ﷺ، والخط الامتدادي لهذه القيادة.(٢)

١- خطبة الجمعة (٢٨٠) ١ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ ٢٠ أبريل ٢٠٠٧م.

٢- خطبة الجمعة (٣٠) بتاريخ ٩ شعبان ١٤٢٢هـ ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١م.

(١)
مقولة: الانفتاح على الآخر

تسود بين الأوساط مقولة: «الانفتاح على الآخر»، وهي مقولة تحتاج إلى تحليل، ومحاسبة ليس هذا مكانها، ولكن لا يمنع ذلك من تناولها بدرجة ما:

تساؤلات

١- ماهو الآخر المفترض الذي عليّ أن أنفتح عليه؟

الآخر يختلف:

أ- هناك آخر مؤمن أختلف معه بعض الاختلاف.

ب- وهناك آخر مباين كليًا تقريبًا.

ج- هذا الآخر طرف حضاري مضاد عقيديًا، فكريًا، وثقافيًا، وأنماطًا سلوكيَّة.

د- له تصوراته ورؤاه الكونيَّة على خلاف تصورات ورؤى الأمَّة.

هـ- هو كافر، والأمَّة مؤمنة.

و- هو مادي، والأمَّة تؤمن بالروح.

ز- هو يسقط قيمة الأخلاق ويرى نسبيتها، والأمَّة تؤمن بالخلق والقِيم.

هذه فروق ملحوظة بين الأمَّة وبين الآخر الذي تدور حوله مقولة الانفتاح على الآخر.

٢- نسأل ما هي المساحة المعنيَّة بهذا الانفتاح؟

الآخر عنده تكنولوجيا، الآخر عنده فلك، الآخر عنده رياضيات وهندسة، الآخر عنده طب، الآخر عنده ما نسميه في المصطلح العلوم البحتة أي العلوم الحيادية التي لا تنتمي إلى مبدأ معين، وعقيدة معينة، وأرض معينة.

والآخر عنده أخلاقيَّة معينة، عنده سلوك معين، عنده فكر معين، عنده سياسة معينة، عنده نمط حضاري معين، يختلف بزاوية منفرجة عمَّا عندنا من هذه الأمور، بل هو التباين الكامل في كثير من المساحات.

الانفتاح المطلوب على الآخر في أي مساحة؟

هناك مساحة علمية بحتة كعلوم الفلك والرياضيات، وهي حيادية لا تنتمي لتاريخ، أو عقيدة، أو حضارة معينة.

وهناك مساحة التصورات والرؤى الكونية، والرؤية للإنسان والموت والحياة والأخلاق والقِيم.

والمساحة الأولى ليست محل الاهتمام لهذه المقولة؛ لأن المساحة الأولى لا يجادل أحد في التعاطي معها، مساحة العلوم البحتة لا يجادل أحد في التعاطي معها والاستفادة منها، وهي لا تنتمي إلى أوروبا، وهي لا تنتمي إلى أمريكا.

أمريكا وأوروبا بدأتا من حيث انتهت الأمَّة الإسلامية في هذه المجالات.

الأمَّة الإسلامية هي التي فتحت باب العلم التجريبي، وهي التي تعاملت بشكل مبكّر مع الفلك ومع الهندسة والرياضيات والطب، فكما أخذوا منا نأخذ منهم.

هذه المساحة ليست محل الجدل، وليست المعنية بالانفتاح على الآخر عند مَن يسوق هذه المقولة في صفوف المسلمين وأوساطهم.

ما هو المطلوب منا من الانفتاح على الآخر هو أن ننفتح عليه في توجهاته الحضارية، في توجهاته الفكرية، في ثقافته، في أنماطه السلوكية، في إنكاره لوجود الله تبارك وتعالى، في عدم اعترافه بالرسل والرسالات.

٣- ماهي طبيعة الانفتاح المطلوب، ومداه، وهدفه؟

هذه بعض أسئلة – ويمكن أن تضع عشرات الأسئلة هنا في مسألة الانفتاح على الآخر:

١- انفتاح من الخاصة، أو العامة؟

ما هو الانفتاح المطلوب؟

هل هو الانفتاح من الخاصة، من العلماء المتخصصين، الذين توفروا على رؤية إسلامية واضحة مركزة مبرهنة، واكتسبوا القدرة الفائقة على محاورة الآخر، وعلى الكشف عن زيف ما عند الآخر؟

قد يكون الانفتاح في هذه الحدود، وهذا موجود بلا دعوات إلى الانفتاح.

أو أن الانفتاح المطلوب هو انفتاح العامة، انفتاح جماهير الأمَّة؛ لتسمع كل ما يقول الآخر، ولتشاهد كل ما يقول الآخر، ولتعايش تربية الآخر، لتخضع لعمليات الغسيل المُخي من الآخر، ولتتلقى أفلام الجنس، وتتفتح على قنوات المجون، وعلى قنوات الإلحاد والتشكيك، ومحاولة الهزيمة للأمَّة، والهروب بالأمَّة عن انتمائها؟

مطلوب من الجماهير أن تنفتح على كل ذلك انفتاحًا عامًّا؛ لنكون تقدميين قد انفتحنا على الآخر؟!

مرفوض مائة في مائة.

٢- حوار الدعوة والهداية؟

الحوار أهو حوار للدعوة والهداية، أن ندعو، أن نبين حقانية الإسلام، أن نفتح عقول الآخرين على الإسلام، أن ندعوهم إلى عبادة الله، وإسقاط عبادة الأوثان؟

هذا واجب حتمي قرَّره الكتاب، وقرَّرته السُّنَّة.

وهذا إنما يكون على مستوى المبادرة المدروسة وليس ركضًا وراء خطة الآخر، وعلى مستوى الإجابة المسترسلة للآخر.

الأمَّة مطلوب منها أن تكون داعية لله، أن تكون داعية للحق، وعليها أن تبادر إلى ذلك، وعليها أن تكون مبادرتها مدروسة مدعومة بكل وسائل النجاح.

٣- هذا الحوار لدرء الإشكالات والشبهات عن الساحة؟

لو كان كذلك، فهذا لا يعني إتاحة الفرص للآخر أن يملأ الساحة بإشكالاته التي تجعلك في موقع الدفاع، وتمتلك عليك ساحاتك، وهمَّ أوساطها على حساب امتداد وتركز الثقافة الأصيلة، والتمحور حولها.

٤- الانفتاح المطلوب هل هو انفتاح على مستوى الترحيب بالآخر في كل الساحات والمواقع العامة والخاصة، وقد اكتسح الآخر كل مواقعنا، وإذا بقيت نصف ساعة أو ساعة يقضيها المؤمنون في المسجد في احتفال، أو صلاة أيضا نعطيها للآخر؟، ونجعل المسجد سوقًا؛ لترويج فكر الآخر؟، والحسينية نجعلها سوقًا؛ لترويج فكر الآخر؟!

هذا هو من الانفتاح المطلوب، انفتاح على مستوى الترحيب بالآخر في كل الساحات والمواقع العامة والخاصة؛ لتتحول من كونها منابر للإسلام إلى كونها منابر للحضارة الغازية المعلوم سقوطها ودناءةُ أهدافها عند النخبة الواعية.

٥- الانفتاح على الآخر يعني قبول الحلول الوسط مع الآخر على مستوى العقيدة والتوجهات والسلوك؟!

٦- هل يعني الانفتاح على الآخر التنازل عن الذات الحضارية والذوبان في الآخر؟!

٧- هل يعني انصراف الخاصة كلّهم إلى تتبع تفاصيل الفكر الآخر بعد معرفتهم بفساد مرتكزاته وفقده للأرضية الصالحة حتى يتلهوا بفكر الآخر عن الفكر الإسلامي، وعن التعمق في القرآن والسُّنَّة؟

نحن ننفتح على فكر الآخر على مستوى الخاصة، وعلى مستوى ما تقضي الضرورة - ضرورة رد الإشكالات والشبهات -، وقد يكون من أجل السبق إلى سد الطريق على الإشكالات والشبهات.

وهذا الاشتغال بالفكر الآخر لا يكون على مستوى عام وإنما يكون على مستوى المعهد

والكلية المتخصصة وعلى مستوى الأروقة الخاصة في المسجد في حلقات الدرس المعمّقة.

ويكون على مستوى تحصين النخب المثقفة من فكر الآخر في مثل هذه الأجواء الدراسية الهادئة المخطط لها.

ولا يعني الانفتاح على الآخر أن نفتح أبواب المساجد، وأبواب الحسينيات، وأبواب البيوت، وكل باب لفكر الآخر؛ ليحل بديلًا محل الفكر الإسلامي الأصيل الذي نتحمل مسؤولية إيصاله إلى الأجيال.

د- ماهي طبيعة الموقف العملي للآخر، والذي يراد لنا أن ننفتح عليه؟

ما هو الآخر من جانب عملي - سألنا عنه من الجانب النظري، ونسأل عنه من جانب عملي -؟

هذا الآخر:

استعمار واستغلال، هيمنة حضارية يفتح طريقها بالحديد والنار، تحكّم في الشؤون الداخلية، وإكراه على تغيير المناهج التربوية والدينية، والإعداد المناسب لأئمة الجماعة والجمعة والخطباء عن طريق قرارات سياسية وإدارية صارمة يمليها، ويشرف على تنفيذها تنفيذًا يتم تحت رؤوس الحراب.

وهذا هو الآخر الذي يراد لنا أن نفتح أبوابنا كلها؛ ليغزونا؟!

التّعامل مع الآخر له حدود وضوابط

ماذا تقول النصوص؟

طبعًا الاستقصاء قد يصل بنا إلى عشرات النصوص التي تعطينا رؤية واضحة جدًّا في التعامل مع مقولة الانفتاح على الآخر، ولكن بصورة عاجلة، أَقْرَأُ هذه الجملة من النصوص في الموضوع:

١- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[١]

أنا محدد موقفي.

أنـا أمَّة اختارت طريقهـا، رؤيتها واضحة، لا أشرك بالله أبـدًا، لا أحاور لأني غير مستعد للشرك أبدًا.

وأنا أمَّة عليَّ أن ألتزم بالدعوة إلى الله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ لتَّبَعَنِي ...﴾.

٢- آية أخرى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.[٢]

وأنـت تدعو إلى الله، فليكن جدالك جدالًا بالتي هـي أحسن، وليس معنى ذلك أن تطلب الجدل للجدل.

فمطلوب منك المبادرة بالدعوة، والتبليغ، وبصورة مدروسة وحكيمة، وفيها مراعاة للظروف الموضوعية ومقتضياتها.

الآيـة الكريمة الأخرى تقول في شطـر منها: ﴿فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَـن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٣].

٣- ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.[٤]

فحتـى الدعـوة والتبليغ وحوار الآخر من بـاب المبادرة بالدعـوة والتبليغ له حدود، بحيـث لا تتحول العملية إلى عملية عبثية، حين تكون العملية غير منتجة، فلا بدَّ أن تقف

١- يوسف:١٠٨.

٢- النحل:١٢٥.

٣- فاطر:٨.

٤- النحل:٣٧.

الدعوة، ويقف التبليغ مع الطرف الذي تحوّل إلى وجود مُتكلّس، إلى حجر أصمّ، لا يستجيب لنداء الخير والحق أبدًا.

٤- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.(١)

لهو الحديث، وليس الحديث المخطط له، المصمم تصميمًا دقيقًا بقصد الغزو، وإحلال فكر الآخر محل الفكر الإسلامي.

مادةٌ تلهي الناس عن سماع القرآن، تصرف الناس عن سماع السنة هذه شغل الساحة بها محرم.

ويجب أن ترد وتطرد فضلًا عن الفكر الغازي.

٥- وآية أخرى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾.(٢)

سماع اللغو فضلًا عن سماع الكفر، وما يركز الكفر معروض عنه عند المؤمنين.

فتح الساحة لأن تشغل بالفساد الفكري والأخلاقي، وتخاطب أبناء الخامسة عشرة والسادسة عشرة من العمر في البلاد الإسلامية بالفكر الآخر المعادى جريمة لا ينبغي ارتكابها.

٦- ممَّا أتذكره مضمون هذا الحديث: «مَن أصغى إلى ناطق ينطق عن الله فقد عبد الله، ومَن أصغى إلى ناطق ينطق عن الشَّيطان فقد عبد الشَّيطان».(٣)

١- لقمان:٦.

٢- القصص:٥٥.

٣- عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مَن أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عزّ وجلّ فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان». الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ ص ٤٣٤-تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري - الطبعة الثالثة سنة الطبع: ١٣٦٧ ش - المطبعة: حيدري - الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.

هـؤلاء الناطقون بالفكر الغربي، أصحاب الكتابـات الغربية التي تحارب الإسلام، وتشـكك في الإسـلام، وأصحـاب الندوات الذين يمثلـون رسل الفكر الغربـي، ومسوقي الفكر الغربي في بلاد الإسلام ناطقون عن الله؟!، أو ناطقون عن الشيطان؟!

٧- وفي تذكـري أن قصّاصًـا في المسجـد وجـده أمير المؤمنـين عليه السلام فأغلظ معه القول، أو طرده.(١)

٨- وسـورة الجحد تقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.(٢)

شعارات تتعمّد التّضليل

كثيرًا ما تطرح في ساحتنا الفكرية والثقافية - الساحة الإسلامية عامة - شعارات تكتنفها ضبابية وغموض متعمّدان.

وكثـيرًا ما يفقد العقـل دقّته أمام هذا الغموض، ويتـم التضليل المقصود لأصحاب هذه الشعارات.

واحـد من هـذه الشعـارات المضللة بفعل إجمالهـا وغموضها شعـار «الانفتاح على الآخر».

والانفتـاح كلمة معسولة، ولها جاذبيتها في بـادي النظر إذا قُوبلت بمعنى: التقوقع، والانغلاق، والنُّفور، والتّوحُّش، والانطواء على الذّات.

ولكن علينا أن نطرح أسئلتنا أمام كلمة الانفتاح، وكلمة الآخر؛ لنكون أكثر وعيًا بما وراء الكلمـات، ولئـلا يختلـط علينا ما هو حق وباطل، وما هو ضـار ونافع، وما يمكن أن ننسجم معه في ضوء العقل والدين والمصلحة، وما يكون الاستسلام له سذاجة في العقل، وسفهًا في نظر الدين، وميزان المصلحة.

---

١ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام: «رأى قاصًا في المسجد، فضربه بالدرة وطرده». المصدر نفسه - ج ٧ ص ٢٦٣.

٢- خطبة الجمعة (٩٤) ١٤ ذو القعدة ١٤٢٣هـ ١٧ يناير ٢٠٠٣م.

وعلينـا أن نطـرح دائمـًا أسئلتنا العلميـة والدينيـة والموضوعية الواعيـة أمام كل الصيحات والشعـارات والمشاريع الحضارية المستوردة؛ لئلا نكـون الأمّعة نفعل ما يفعل الناس، ونردد معهم ما يرددون.

ماهو الانفتاح؟

له أكثر من مضمون، وقد يقصد به أكثر من معنى:

١- الانفتــاح بمعنــى التَّعرُّف على ما يقولـه ويريده الآخر، والاستمـاع له إلى الحد المعقول؟

٢- الانفتاح: ذلك مطلقًا حتى لو سمعناه ألف مرة، واستمعنا إليه، وأمعنا في مراده، أم مع احتمال الجديد؟

٣- الانفتاح: الاستماع، والنقد، والمحاكمة أم الانبهار والتسليم، لأنَّ الفكرة جديدة، ولأنها مستوردة من بلد التقدم التكنولوجي؟

٤- الانفتاح: الانبطاح أمام فكر الآخر لحالة الفراغ والخواء الذاتي؟

٥- الانفتاح: التعايش بـل العيش، والاحتضان الفكري، والسكينة النفسية، والرضا الروحي بالباطل على حدّ ما هو الحال بالنسبة للحق؟

٦- يـراد أن نستذوق، ونسعد بطعم الفواحش والموبقات التي يمارسها الآخر كما لو صلى، وصام، وصدَق، وتصدَّق؟

٧- يـراد بالانفتــاح أن نُقدّر للناس حق اختلافهم معنا فيما يمكن أن تختلف بشأنه الأنظار، ويؤثر فيه تفاوت البيئات، وأن ندخل الحوار مع أصحاب الشبهة بصبر كبير؟

٨- الانفتــاح: أن نفتـح كل الأبـواب والنوافـذ والشبابيك لثقافة نعـرف جاهليتها، ونتيقن سقوطها على عقول أبنائنا، وبناتنا، ونفوسهم، وأفئدتهم؟

هناك أنواع ومستويات من الانفتاح بعضها مقبول، وبعضها مرفوض بلا نقاش.

إذا أرادوا الانفتاح بكل هذه المعاني، فعلينا أن نكون واعين، وأن لا نقبل بالانفتاح بكل هذه المعاني نحن نقبل بالانفتاح بالمعنى الذي يخدمنا، ويخدم الإنسانية، ويوصل إلى الحق.

ومن هو الآخر الذي يُطلب الانفتاح عليه؟

١- هناك آخر مهاجم فكري ومثير للشبهات عن عمد لتضليل الساحة، وجرّها إلى الضد الحضاري الذي نعلم انحرافه، وعداوته.

٢- هناك آخر باحث عن الحقيقة ومحاور علمي.

٣- آخر صاحب شبهة يريد أن يتحقق من شبهته.

٤- آخر عميل فكري متآمر على الأمّة وحضارتها.

٥- آخر غاصب للأرض والثروة، أو غازٍ حربي.

٦- آخر مهادن ومصالح ومواطن مقبول المواطنية.

٧- آخر مايع متحلل.

٨- آخر صاحب نظريات علمية نافعة.

٩- آخر صاحب دعاوى كبيرة كاذبة، يدس أنفه في صف أهل الاختصاص، ويحشر نفسه معهم بلا حق.

١٠- آخر يطرح الشبهة، ويجاب عليها ألف مرة، ولا يزال يطرحها إمّا لأنّه لا يعرف الجواب، وإمّا لأنّه يعاند.

١١- آخر يشن الحرب الفكرية بعد الحرب، ويهاجم، ويسب، ويشتم؛ من أجل

باطله، ويطالب الآخرين بالاستماع إليه والمزيد من احترامه.

لا بدَّ أن نفرق في الانفتاح بين آخر وآخر.

أنواع من الآخر في نظر القرآن الكريم

القرآن الكريم طرح لنا أنواعًا من الآخر، وأراد لنا أن ندخل في حوار مع بعض أنواع الآخر، وأن نقاطع أنواعًا من الآخر، وأن ننهي الحوار مع أنواع من الآخر.

الآخر الذي لا انفتاح عليه

- ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا[1] إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾.[2]

الآخر الذي لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم، ما فائدة الحوار معه؟!

أنفتح عليه؟!

أسلم له أمانة ولدي وبنتي؟!

أمكّن لثقافته في أرضي؟!

- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ[3] بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[4]

١- أقول هذا آخر، يتحدث عنه موسى ﷺ، هذا الآخر ننفتح عليه نحتضنه.

٢- يونس: ٨٨.

٣- أنا آخذ تيس أحاوره؟!

أقول: أدخل في حوار مع تيس؟!، مع غنمة؟!

٤- الأعراف: ١٧٩.

كافـر معاند، علمـاني شهريًّا يتسلَّم راتبًا مـن أمريكا - طبعًا ليس كل العلمانيين يتسلمـون راتبًـا من أمريكا، ولكن من استلم راتبًا أو مَـن لم يستلم راتبًا، فمن هذا ومن ذاك مـن هـو على ضلال إلى الحـد الذي لا يُناقش -، لا يدخل معـه في حوار فيه تقدير له، طبعًا تُواجه أفكاره، يُرد على شُبهاته عند المؤمنين، ولكن لا يُعترف به ويعطى موقعًا، ويدخل في نقاشات مباشرة تفيد فكره معنويًّا.

أحيانًا يتطلب الأمر إهمالًا، وأحيانًا قد يتطلب الأمر إلجامه.

- ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾.[١]

- ﴿وَمِـنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيـلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.[٢]

هنـاك أنـواع مـن الآخر لا يصـح الانفتـاح، ولا فتح أبـواب البيـوت، الحسينيات، المساجد، أبواب القلوب بكل ترحيب وتكريم أمامه.

أتُفتـح أبواب الحسينيـات، المساجد، البيـوت، الجمعيات، أبـواب القلوب الفارغة البريئة أمامه؛ ليملأها بالزاد الخبيث؟!

الآخر الذي ننفتح عليه

أمَّا من الآخر، فما تقول عنه الآية الكريمة:

- ﴿... بِـأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِـينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْـبِرُونَ، وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.[٣]

١- النساء:٤٤.

٢- لقمان:٦.

٣- المائدة:٨٣.

الإنسان الباحث عن الحقيقة الذي يطلب الحوار لا من أجل الحوار، وإنما من أجل أن يهتدي.

مـن أجل أن يقارن ما عنده وما عندك وهو مستعد إلى أن يسلّم بكلمة الحق، فهذا يُدخل في الحوار معه، وهذا يكون الانفتاح عليه، ويجب الانفتاح عليه.

حوار يائس

هناك حوار يائس، فينتهي الحوار عند اليأس من النتيجة:

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾.[١]

الخلاصة

نحـن مع الانفتـاح الذي يرضاه الله ورسوله، ويمثل أخلاقيّـة رفيعة، ووعيًا رشيدًا، وتقديرًا للمصلحة الإسلاميّة.

ومع الحوار العلمي والإنساني المثمر.

ولسنا مع الانفتاح بمعنى الذوبان والانبطاح والانبهار والهزيمة.

ولا مع الحوار العقيم الذي يستهدف تغييب فكر الصياغة، وثقافة البناء الإسلامي، وإشهار الفكر الآخر والدعاية له وتركيز النظر عليه.

هنـاك سياسـة شغل الساحة الإسلاميـة بالحوارات العقيمة؛ حتـى تنسف الثقافة الأصيلة، وحتى نكون على انقطاع عن منابعنا الفكرية ومصادرنا الثقافية المغذية، وحتى نلهو عن بناء ثقافة رصينة متكاملة لأجيالنا الصاعدة.

١- النساء:٨٨.

هـذا اللون من السياسة لون خبيـث يتمرر على كثير من العقول، فإذا بك قد بعدت بعـد حين عن منابعـك الأصيلة، وعن الصياغة المتكاملـة للشخصية الإسلامية مشتغلًا بالرد على هذه التفاهة، وعلى تلك التفاهة من غير أن تقدم فكرك للآخرين.

القـرآن بكنوزه، والسُّنَّة بكنوزها يَظلَّان معطلين إلَّا ما جاء جوابًا على هذا، أو جاء جوابًـا على ذاك، ويراد لنا أن نقدم القـرآن والسُّنَّة فكرًا متكاملًا وصرحًا كبيرًا؛ ليبهر العقول، وتهوي إليه الأفئدة.

ولسنا مع التقوقع والانغلاق والخوف من الطرح العلمي والبرهاني الدقيق.[١]

١- خطبة الجمعة (١٣١) ١٩رمضان ١٤٢٤هـ ١٤ يونيو ٢٠٠٣ م.

(٢)

مقولة: «لا وصاية»

قد تُروَّجُ مفاهيم غير واضحة ولا محددة في أوساط المسلمين، فتُحدث ارتباكًا فكريًا، وغَبَشًا في الرّؤية، وخللًا في التّصوّر ممّا يؤثّر بصورة ضارّة على فهم شريحة واسعة من الشباب المسلم الإسلام، ويُحدث حالة من الغربة عندها عن الفكر الإسلامي الصحيح.

تسمع في أوساطنا الشبابية كلمات من نوع لا وصاية، لا صنمية، لا هيمنة فكرية، لا ولاية لأحد على أحد.

وهذه الكلمات تحتاج إلى تحديد ما يُراد منها، وإلى تدقيق في مؤداها؛ ليعرف مدى الحقانية لهذه الكلمات في ما تريد من تركيزه من فهم، والترويج له من فكر.

أسئلة ثلاثة

ولتُطرح هنا بعضّ من الأسئلة في هذا السياق:

١- هل صحيح أنّه لا وصاية، ولا ولاية مطلقًا لأحد من النّاس على أحد؟

٢- وهل الأخذ والاستفادة من فكر الغير واحترامه يُعد هيمنة فكرية دائمًا؟

٣- وهل تعني حرية الرأي تساوي الآراء قيمة من المختصين وغيرهم؟

عن السؤال الأول: [١- هل صحيح أنّه لا وصاية ولا ولاية مطلقًا لأحد من الناس على أحد؟]:

١- دينيًا: الولاية المطلقة هي لله وحده

في الفكر الدّينيّ النّقي لا ولاية لأحد على أحد بالأصل، وحتى للشخص من نفسه على نفسه، فلا يملك أحدنا شرعًا تصفية وجوده، ولا التصرف الضار بعضو من

أعضائـه مثلًا، وإنما الولاية الثابتة هي الولايـة الشاملة لله وحدَه على كلّ مخلوقاته، إذ تتبع ولاية التشريع أصلًا، وسعة ولاية التكوين في أصلها وسعتها.

٢- أرضيًا: الولاية للأقوى

وفي كلّ الطروحـات الأرضية تبرر قوة طرف فرض ولايته على الطرف الآخر الأقل منه قوة - أقول كل الأطروحات - بمنطق القوة، وأنّ القوة تعطي لصاحبها السيادة على الغير، والحاكمية على الغير، والتصرف الولائي في الغير!

والطـرح الديمقراطي الذي يُعد متقدمًا من بين هذه الطروحات، لا يخرج عن هذه القاعدة حيث يعطـي الأغلبية الحق في فرض رأيها على الأقلية، وفرض الولاية لمنتخبها على الكل؛ ممَّن انتخبوه، وممَّن لم ينتخبوه، أو أعطوا رأيًا ضده، ماذا يعني هذا يا إخوة؟

ألا يعني أن منتخب الأغلبية حصل على صوت الأغلبية، ووفرت له قوة ليست لصالح الرأي الأقل عددًا؟

إنـه يتمتـع بموقع قوة لا يتمتع به الآخر، فيكون السيف معه، والمال معه، وكلّ أسباب القـوة والقـدرة معه، فيتحـول من صفر لا ولاية لـه - في نظر الدساتـير الأرضية - إلى رقم هائل فوق كل الأرقام؛ ليفرض سيادته عليها كلها من ناحية التصرف في المال، وفي الأنفس، وفي ثروات الأرض!

فولايـة مرشح الأغلبيـة ولاية بالغير ثابتة بواسطة ناخبيه، وهـي اختيارية بالنسبة إليهـم في الأسـاس، وإكراهية تحكّميـة بالنسبة للأقليّة التي قد لا تزيـد عليها الأكثرية بأكثر من واحد.

وتدخل في دائرة الإكراه كل الأصوات التي لم تدخل العملية الانتخابية.

وتثبت الولاية بين الناس بالغير في الفكر الديني كذلك، وذلك بتولية من الله، أو من غيره ممن يعود أمره إلى أمره، واختياره إلى اختياره، كتولية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لغيره من كل ولاة الأقاليم الذين ينصبهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فالخلاف بين الديمقراطية وبين الدّين في الطرح هو أنّ الولاية في الديمقراطية تكتسب من أصوات الناس، وأنّ الولاية في مطروح الدين تكتسب من أمر الله وتنصيبه.

هذا من ناحية النظر والواقع في مسألة الولاية على المستوى الديني والعقلائي.

الولاية والوصاية أمر واقع في مختلف مناحي الحياة

١- الولاية في الحكم

ولا يخلو مجتمع بدوي ولا مجتمع مدني من ممارسة الولاية وصلاحيات الحكومة؛ فمن رئيس القبيلة إلى الوزير ورئيس الوزراء ورئيس الجمهورية والملك والأمير، فكلّ أولئك يمارسون نوعًا من الولاية على الآخرين، والمقولة الشيوعية التي بشّرت بمجتمع لا حكومة فيه سقطت بعد خطوات قليلة من انطلاقها وقبل أن تصل إلى مثل هذا الخيال الموغل في الخيالية بمسافة طويلة.

٢- الولاية على القاصر

وهناك الولاية اللابديَّة على الطفل والمجنون، والولاية على السفيه ومختلف القاصرين.

٣- ولاية المتصدِّين للشُّؤون الاجتماعيَّة العامَّة

وإذا كان الأفراد في أنفسهم ناضجين راشدين لا يحتاجون إلى ولاية تفرض عليهم، فإن الحالة الاجتماعية والكيان الاجتماعي، والموجود الاجتماعي بما هو كيان اجتماعي وموجود اجتماعي قاصر عن تدبير شؤونه، وتنظيم علاقاته، ورعاية مصالحه إلا من خلال مجموعة من الأفراد يتصدون؛ لإنجاز هذه الوظائف، ولا بدَّ لهذه المجموعة هي كذلك ممن يشرف على تنظيم العلاقة داخلها، وتنفيذ الأوامر في تدبير شؤونها، لأنها بما هي حالة اجتماعية ووجود اجتماعي تكون قاصرة وإن كان أفرادها هم أكثر الناس نضجًا ورشدًا وعلمًا وخبرة.

وهكذا ينتهي الأمر إلى ضرورة الحكومة والولاية، والولاية تنصب صلاحيات التصرف من صاحبها على البعد الاجتماعي للأفراد، وما يتعلق بجانب الشخصية الاجتماعية لهم الذي يؤثر على صالح المجموع بصورة سلبية أو ايجابيَّة.

خلاصة

إذًا، ليس صحيحًا أن نرفع شعار لا وصاية ولا ولاية مطلقًا بحيث يتناول النفي الولاية بالأصل والذات، والولاية بالعرض والغير، والولاية بطرح الأرض، والولاية بطرح السماء.

ردود أخرى

١- وإذا كان من يرفع هذا الشعار يعد نفسه ممن يلتزم بالإسلام، فماذا يفعل بالآية التي تأمر بطاعة أولي الأمر، والآية التي تربط بين الإيمان والتسليم والرضا بحكم الرسول ﷺ ؟!

وماذا يفعل بالنصوص والأدلة التي تُثبت درجة أو أخرى من الولاية للفقهاء، وتعتبر الراد عليهم في الأخير كالراد على الله؟!

٢- وماذا يقول أصحاب هذا الشّعار حين ينادون هم أنفسهم بالتجنيد الحرّ، أو الإجباري، وهل تكون قيادة عسكرية بلا ولاية؟

وهل ينتظم أمر جيش بلا أوامر تجب طاعتها بتكييف وآخر؟!

هل توجد صنميَّة الولاية؟!

وإذا فتَّشنا عن الصنمية في الولاية، فأين نجدها؟

مَن كان الراد عليه كالراد على الأئمة عليهم السلام - وهذا هو الفقيه العدل -، والراد على الأئمة كالراد على النَّبيّ ﷺ ، والراد على النَّبيّ كالراد على الله عزّ وجلّ، فطاعته ليست

صنمية؛ وإنما طاعته عبودية، وعبادة خالصة لله.

ومَن كانت طاعته لطاغوتية فيه، أو في حزبه أو لأنه مرشح الأغلبية فقط من غير أن تلاحظ فيه صفات الإيمان والأهلية التي يرضاها الله ﷻ؛ فولايته تجسّد الصنميَّة والعبودية لغير الله سبحانه.

ومن المفارقة التي ليس لها مردٌّ إلا قصور الرأي، أو الهوى أن يقال عن طاعة الفقهاء والعلماء بأنها صنمية، بينما لا يرى هذا القائل بأن طاعته، أو طاعة مجموعتِه، أو حزبه كذلك، وإن كان إذا نطق لاينطق إلا عن رأيه، أو رأي جماعته وحزبه من غير استناد إلى حجة شرعية تربط قوله بدين الله ﷻ، بينما مَن أصغى إلى ناطق ينطق عن الله فقد عبد الله، ومَن أصغى إلى ناطق ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان.

والفقيه لا ينطق عن الشيطان، ولا ينطق عن هوى نفسه، ولا ينطق عن رغائبه واجتهاده الذي لم يأذن به الله ﷻ.

إنّما ينطق عن الله ﷻ من خلال الاجتهاد العلمي المأذون من خلاله أن ينسب القول إلى الدين، وكل نطق على خلاف الحجة الشرعية هو نطق عن الشطان.

وعن السؤالين الآخرين:

[٢- وهل الأخذ والاستفادة من فكر الغير، واحترامه يُعد هيمنة فكرية دائمًا؟]

[٣- وهل تعني حرية الرأي تساوي الآراء قيمة من المختصين، وغيرهم؟]

فإنه إذا كان المعني من الهيمنة الفكرية هو رجوع الجاهل إلى العالم، والمتعلم إلى المعلم، وغيرِ ذي الاختصاص إلى ذي الاختصاص، فإن ذلك هو مسلك العُقلاء جميعًا وتقوم عليه حركة العلم، ولا غنى لاستمرار الحياة العقلية في نموّها وتقدمها عنه، وهو محل موافقة العقل والدين.

وكون الرأي يمكن أن يطرح من أكثر من فرد، ومن أكثر من جهة، وأن الباب مفتوح لطرح الآراء في المسائل، ولا يكون إبداء الرأي حكرًا على أفراد معيّنين صحيح إلى حدّ،

وذلك أن يكون طرح الرأي في أي مجال من أهل الخبرة والاختصاص في ذلك المجال.

وليس صحيحًا أن تُعطي المجتمعات على نفسها أن تُصغي الرأي من غير أهله، ولا من الحق، ولا الحكمة، ولا النافع أن تأخذ بهذا وتتقيد به.

وهل يقولُ: بأن حرية الرأي تساوي النظر إلى رأي المختصين، وأهل الخبرة والبصيرة والتجربة والأمانة والتقوى، وإلى رأي غيرهم على حد واحد وبمستوى واحد إلا جاهل، أو مغرض سيِّئ القصد يريد أن يُضِل، ويصطاد الغافلين؟!

وإذا كان الرجوع في الرأي إلى أهل الخبرة والاختصاص والأمانة هيمنة فكرية، وصنمية مرفوضة، فبم يَصف القائل بهذ القول محاولته أن يكون المأخوذُ به رأيه وهو على المستوى الأقل شأنًا ممَّن يَرى أن تقديم رأيهم صنمية لا بدَّ أن تلغى، وهيمنة فكرية لا بدَّ أن تحارب؟![1]

إطلاق المقولة!

ما معنى هذه المقولة التي تتردد على ألسن الكثيرين بوضوح وبدون وضوح، وهي مقولة: (لا وصاية)؟

ومعنى وصاية الرأي والكلمة: وجوب الطاعة.

حين تنفى الوصاية، فمعنى ذلك نفي وجوب الطاعة من أحد لأحد.

إلا أن هذا الأمر خطأ، فليس في الإسلام نفي مطلق للوصاية.

تنويه: قبل أن نبين هذا الوجه، هناك احترام خُلُقي يجب أن لا نخلطه بأمر الوصاية ثبتت أو لم تثبت، وهناك التقدير العقلائي للخبرة والاختصاص، وهذا أمر آخر أيضًا يجب أن لا نخلطه بقضية الوصاية، وعدم الوصاية.

أما الوصاية بمعنى وجوب الطاعة بالذات لأحد من خلق الله، فهو أمرٌ منفي بكل وضوح في الإسلام كما سبق.

١- خطبة الجمعة (٥٥) ٦ صفر ١٤٢٣هـ ١٩ أبريل ٢٠٠٢م.

فليس لملك ولا رسول أن يطاع من غير إذن الله، وبالنظر الى ذاته فحسب.

أمـا الوصاية بمعنى صحة الأمر والنهي، ووجوب طاعة هذا الأمر والنهي إذا كانت هـذه الوصاية بالغـير، فالمنكر لها منكر لأبده البديهيات في الإسلام، فإن علينا أن نطيع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

وإنـكار الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله إنكار لأساسية كـبرى من أساسيات الإسلام لا يسلم مع إنكارها الإسلام لأحد على الاطلاق.

وهناك طاعة لعلي عليه السلام، وأبنائه المعصومين عليهم السلام باعتبارهم أئمة من الله، وكلما أمر الله بطاعة أحد وجبت طاعته.

فطاعتك لوالديك في الحدود الشرعية واجبة بلا إشكال.

هذه الطاعة الثابتة لرسول الله صلى الله عليه وآله الثابتة للأئمة المعصومين من بعده إذا ثبت شيئ منها لفقهاء الأمّة كانت الوصاية بمعنى وجوب الطاعة أمرًا دينيًا لا مفر منه.

إنـك تطيع الفقيه تشريعًا في أخذك الفتوى منه، وحين يتحدد في فكرك ونفسك أن عليـك تقايد فلان تكون فتوى فـلان ملزمة لك، ويجب عليك طاعته، وإنكار ذلك فيه ما فيه من تجاوز للإسلام.

فتبين لك أن إنكار الوصاية على الإطلاق ليس من الإسلام في شيئ.

تجب طاعة رسول الله.

تجب طاعة الأئمة المعصومين.

تجـب طـاعـة الـفـقـهـاء في الحـدود الـتـي ثبـت الأمـر الـشّـرعـي من المعصومين عليهم السلام بطاعتهم.[1]

١- خطبة الجمعة (٢٢٤) ١٣ ذو القعدة ١٤٢٦هـ ١٦ ديسمبر ٢٠٠٥م.

(٣)
التَّعدُّديَّة

التَّعدُّديَّة السِّياسية بين المسموح والممنوع

إذا تحدثت السياسة في الغالبية العظمى من البلاد الإسلامية عن التعدّدية بما هي عنوان لقيم الحرية والتسامح والانفتاح، فهي إنما تتحدث عن تعددية أديان تهادن السياسة أو تخدمها، وعن تعددية أنماطٍ سلوكية أخلاقية، وغير أخلاقية تفتح الباب واسعًا لأي سلوك قذر.

وأي ظاهرة اجتماعية قبيحة، ولكلمة الفسق والفجور والرذيلة والمنكر والكفر أن تملأ السَّاحة الإسلامية طولًا وعرضًا.

ولكن لا ترتقب من هذه الدعوات تعددية في إطار السياسة، بل السياسة متروكة لحكم الفرد، لحكم القبيلة، لحكم الحزب الواحد.

ومع الاضطرار وتحت ألوان من الضغط لا تُطاق يمكن أن تطرح التعددية ولو على مستوى الشعار، ولكنها مع ذلك محرَّمة على الإسلام والإسلاميين.

في مصر لا تشمل التعددية إن وُجدت - وبحسب التغيير الجديد للدستور - الإسلاميين، فلا يُتاح لحزب باسم الإسلام أن ينشأ، ويمارس السياسة.

في تركيا هناك حجر على الإسلاميين أن ينشئوا حزبًا.

في الجزائر هناك منع أو هم في طريق المنع لترشّح إمام الجماعة للمواقع المسموح بالترشّح فيها.

أما في البحرين، فالصحافة - وهي تابعة للسياسة - تتمنى أن تُسكت المسجد نهائيًا عن أن ينطق بكلمة فيها ملاحظة على السياسة!!

والعالم الغربي يُشدِّد على التعددية السياسية المفتوحة جدًا في أي بلد من بلدان الإسلام يحكم فيه الإسلام بدرجةٍ وأخرى، أو يقدَّر فيه الإسلام بدرجة من التقدير

بسببٍ وآخر، ويسكت أو يداهن على غياب التعددية السياسية في بلد تواليه فيه السياسة، ويبقى مشددًا في الوقت نفسه على التعددية في مجال الفكر، والسلوك، والحرية، الحيوانية، والانفتاح على ألوان الفساد الخلقي في هذا البلد أو ذاك من بلدان الولاء.

والغرب وأتباعه في بلاد الإسلام يشددون على شرط الاندماج من المسلمين القاطنين في الغرب بحياة الغرب، وأجوائه وعاداته وتقاليده وإسفافه؛ ليُعترف لهم بحق المواطنة أو الإقامة.

والنتيجة: إن الحكم العادل للغربيين وكذلك المستغربين من أبناء الأمَّة الإسلامية قاضٍ بأن يعيشوا في البلاد الإسلامية حريةً فكرية وسلوكية بلا ضوابط من دين، ولا خلق، ولا احترام لهذه الأمَّة، يتعرّى منهم مَن يتعرّى، ويفسد مَن يفسد، ويعربد مَن يعربد، ويجاهر بكلّ سوءاته وقبائحه، وينشر الكفر والفسق والفجور ما اشتهى، ويكون غربيًّا كاملًا كما يريد له الغرب وأوضاعه، وعاداته، وتقاليده، وقوانينه، وشذوذاته بلا تنازل عن شيئ من ذلك على الإطلاق.

أما مَن أراد من المسلمين المواطنة، أو الإقامة في الغرب، فعليه أن ينسى هُويته الإسلامية، ويطلّق انتماءه لأمَّته، وأن يندمج في مجتمعه الغربي الجديد، ويذوب في أوضاعه وتقاليده وعاداته، ويتخلّى عما يطيب للغرب أن يتخلى عنه هذا المسلم من قيمه وأحكام دينه.

هذا هو المنطق العادل للغرب والمستغربين، وللعولمة والمتعولمين.

فهل يعطي المسلمون من أنفسهم كلَّ هذا؟!

لئن كان هذا، فبطن الأرض للمؤمن خيرٌ من ظهرها.[1]

١- خطبة الجمعة (٢٧٨) ١٠ ربيع الأول ١٤٢٨هـ ٣٠ مارس ٢٠٠٧م.

(٤)

الرِّساليَّة والواقعيَّة

بين الواقعيَّة والرِّساليَّة

الرسـالية: أن تنطلق الكلمةُ والموقـف من وحي الفهم والحس والمصلحة الرساليَّة، وأن لا يُنظر إلى مصلحة الذات في غير ضوء مصلحة الرسالة.

الواقعيَّة: قد يُعنى بالواقعية:

١- التخلّي في موقع الكلمة والموقف عن القِيم والرسالية والمبدئية، والتركيزُ الكامل علـى النظـر إلى مصلحة الـذات المفصولـة رؤية وشعـورًا عن مصلحـة الرسالة، والتعاملُ مع الواقع من منطلق مصلحة الذات.

وهذه واقعية لا يقول بها مؤمن، ولا يُحمل قوله عليها.

٢- كمـا قد يُعنى بها الاستجابة لضغط الواقع واملاءاته، والتكيّف معه في أخطائه، وسلبياته، وانحرافاته انهزامًـا أمام جبروته، وتبريرُ الكلمة والموقف بضغط الواقع في تنازلٍ عن مصلحة الرسالة، وطموحات الذات مع القناعة الفكرية بهما.

وهذا قد يحدث لنا من منطلق الضعف الذي لا نشعر به.

٣- ومـن المعـاني التي يمكـن أن تحمل علـى الواقعية، أن لا ينفصـل طلب مصلحة الرسالـة في بنـاء الموقف وإطلاق الكلمة عـن دراسة الواقع وملابساتـه ومضادّاته وملاءماتـه، وكيفية التخلص من ضغوطاته، وما تأذن به الرسالة من الاستجابة له مـن هذا الواقع مع الاضطرار وما لا تأذن، وما يتيسر من الآليات وما لا يتيسر، وما يمكـن أن يؤجَّـل على مستوى المعالجة، وما لا يمكن أن يؤجَّل، وما يمكن فعله، وما لا يمكن أن يفعل.

وهذا معنى لا ينافي الرسالية، وهي تتطلبه حفاظًا على مصالح الدين وأهله.

تحديد المقصود مهم

وإطلاق كلمة الواقعية من غير تحديد المعنى المقصود، قد يخلق حالة من الضبابية في الرؤية، وإجمالًا في المراد، وبلبلة في الفهم، وقد يُبرَّر به ما لا يصحُّ تبريره.

الرَّأي في الموضوع

ومن الواضح جدًا بأنه لا رسالية في الانسياق وراء الواقع المنحرف، والاستجابة بغير حساب لضغوطه واملاءاته، والتكيف المطلق معه، وإعفاء النفس من عناء مواجهته، وطلب الرُّخص للموقف الانهزامي منه، فضلًا عن الانتهازية، وركوب موجة الواقع للأغراض الدنيوية الحقيرة.

على أن مصلحة الرسالة لا يحفظها إهمال النظر إلى الواقع وإيجابياته وسلبياته وفرصه ومنافذه، وما يمكن تجاوزه منه وما لا يمكن تجاوزه مع عرض نتيجة النظر في الواقع على الرسالة والدين في استفتاء صريح موضوعي لها؛ لترسم الموقف، بعيدًا عن حالتي التهور والانهزام اللتين كثيرًا ما تعتريان أنفسنا بمقدارٍ مُفرق ينبغي الاحتراس منه، ولا عاصم إلا الله.

والرسالة لا تُفتي أبدًا بالاستغراق في الواقع المنحرف، والركون إليه، والمساعدة على إشادته وتثبيته، وإنما فتواها دائمًا بالدرء منه، وتصحيحه بهذا اللون من الموقف أو ذاك، وبالصورة العاجلة الحاسمة، أو التدريجية، مع تقدير دقيق للأولويات، والتزام صادق بترتيبها.

آثار الفهم الخاطئ للرِّساليَّة والواقعيَّة

أ- الخطأ في فهم الرِّساليَّة

كم حصد شعار الرسالية والمبدئية، والغيرة على الدين، والمفصولُ عن حسِّ الواقعية من خَلْق، وضيَّع من مصالح، وأفسد من أمور، وأضرَّ بالدين، وسبَّب من كوارث؟!

يقول لك الرسالي المندفع: هذا منكر، ولا بدَّ من اقتلاعه.

فتقــول لــه: هذا صحيــح، ولكنك لا تملك أسبــاب اقتلاعه في يومــين، وأسلوبك في اقتلاعه لا يقتلعه، ويحطِّم كل المصالح.

إلا أن غيرتــه على الدين لا تسمح له بأن ينظر في الواقع، وتدفعه لتجاوز كل دلالات الواقع وحساباته؛ ليرى النتيجة غير رابحة، وأن تحرّكه قد أضرّ بالرسالة الضرر الكبير.

وقد يقول لك: إنَّه التكليف.

ولكــن لا بدَّ أن يُفهــم أن التكليف لا يتحول من إنشائيته كمــا يعبِّرون إلى حال كونه تكليفًا فعليًّا إلا بتحقق موضوعه في الخارج، ومن تحقق الموضوع أن يتحقق الشرط وعدم المانع.

نعــم، قد يكون التكليف في بعض الأحيان مجرد إظهــار كلمة الحقِّ وإن غلا الثمن، ولم تتحقق نتائج غيرُ إظهاره، وذلك لئلا تسقط قيمة الدين بصورة أكبر.

وقــد تكون النتائج المنظورة للتكليف مستقبليــة بعيدة، والتضحيات حاضرة قريبة، فلا يُعترض على التضحيات.

يمكــن أن تضحّي اليوم مرتقبًــا النتيجة بعد عشر سنــوات، فالتضحية هنا مقبولة ومطلوبة.

ب- الخطأ في فهم الواقعيَّة

وأمَّــا شعــار الواقعية فكم قَــبَرَ من مصالح للإســلام، وأزهق من حــق، وأحيا من باطل، وفتح الطريق للظلم والقهر والعبث بالدِّين، وأذلّ المؤمنين وأعان عليهم، وجهَّلهم، وبلَّههم، واستغفلهم، وذيَّلهــم، وكان العذرَ لكل قاعد ومتقاعد، وواهن ومتهاون، ومبهور بالدنيا وطامع؟!

وهــو شعار مسؤول عن خســارة المسلمين هويتهــم، وأصالتهم أمــام الغزو الغربي الكافــر، وعــن روح الانحــلال الخلقي التــي سرت في مجتمعاتنــا، والتبــذُّل المنتشر بين

صفوف أبناء الأمّة وبناتها.

فلا ينبغي للمؤمنين أن يضيّعوا قضاياهم الكبرى، ويذوبوا فيما يخطط لهم على خلاف ما تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين باسم الواقعية المطروحة شعارًا في غير إطار رؤية متكاملة مدروسة، تحكمها رسالية العقل المسلم، وشعور الإيمان، ممَّا يعني تمرير كل المشاريع التي تنطلق من مواجهة الإسلام، وفتح الطريق إليها، وتركيزها.

وكثيرًا ما يخلط شعورنا المأسور للواقع، المذعور أمامه بين الواقعية الصحيحة وبين الاستسلام للواقع والانبطاح له.

وما أكثر ما تُملي علينا روح الاسترخاء، وروح الانتفاع الذي تشتهيه النفس من الواقع بأن نرفع شعار الواقعية، ونتحمَّس له، ونحوِّله ثقافة جماهيرية على مستوى الفكر والشعور والموقف العملي، ممَّا يمثّل حال تخدير عام يهيمن على الساحة الإسلامية، ويفتح الطريق لكل مشاريع الهيمنة الأجنبية الجاهليَّة.

التَّوفيق بين الرِّساليَّة والواقعيَّة

إننا النَّاسُ الذين يضغط عليهم الحماس، فنرفع شعار الرساليَّة بلا حساب للواقع، أو يَضغط عليهم الضعف والمصالح، فنرفع شعار الواقعية ولو بتصور حماية الرسالة بما يسحق الرسالة والرسالية، وينسف قِيم الدِّين ومصالحه.

والتوفيق الدقيق بين المبدئية والواقعية واحدٌ من الأمور التي استوجبت في إمام المسلمين بعد المعصوم عليه السلام شروطًا عالية.

ما الفقاهة[1] الشاملة الواعية المستوعبة لمساحة الحكم الشرعي، والبنية العامة للإسلام، ومفاهيمه ورؤاه، وأهدافه وأولوياته وأساليبه إلا واحدٌ منها.

فمع ذلك المستوى من الفقاهة التقوى، والتاريخ النظيف البعيد عن الشبهات،

١- الفقاهة بهذا المعنى الوسيع واحد من مرتكزات مطلوبة في إمام المسلمين بعد المعصوم عليه السلام.

والشاهد على النضج والإخلاص، والمبدئية وصحة الرؤية، والرصيد الضخم من التجربة والخبرة، والصلابة النفسيَّة، والفهم المتوازن للمبدئية والواقعية.

والإسلام يؤكد على المبدئية، ويأخذ بالواقعية وله نظرُهُ الدقيق الحكيم الواسع الذي يوظِّف الواقعية في خدمة المبدأ، ولا يجعلها تنال منه أو تتخذُ منه مركبًا؛ لتحريفه، وتشويهه، والتلاعب به.

مثال للواقعيَّة المغلوطة

من أيِّ الواقعيات هذا؟

قد يجدُّ واقع منحرف، أو يكون مشروع على خلاف المصلحة الإسلامية في مرحلة التأسيس، ويتوقف تشييده ونجاحه المطلوب له على مباركة علماء الدين واحتضانهم له، وتفاعل المؤمنين عامة، وتجاوبهم مع خططه.

فإن نال المشروع دعم العلماء ومباركتهم ومشاركتهم، ورضي به سائر المؤمنين برضاهم قام وتأكد، وأتاحت هذه المشاركة العلمائية خدمة جزئية للدين يقابلها ضرر بالغ عليه، وتحكّم سياسي في مصيره، وامتلاك السياسة الزمنية؛ لمرافق نشاطه وخدمته، على أن هذه الخدمة الجزئية لدين الله غير متوقّفة على الدخول في هذا المشروع والمشاركة فيه.

وإن أنكره العلماء أو قاطعوه لم تسمح له طبيعته المحتاجة لدور العلماء، واستجابة المؤمنين لمشاريعه بأن يتأسس أو يبلغ أهدافه، وبقيت كلمة الدين مستقلة في مساحته التقليدية التي تنازعه عليها السياسة الوضعية وهي مساحة المسجد وما قاربه.

فما يحصل بالمباركة والمساهمة في مثل هذه المشاريع على أحسن التقادير هو الاحتفاظ في المراحل الأولى لها بشيئ من مصلحة الدين الحاصلة على تقدير عدم المشاركة، مع تعرض هذا القدر من المصلحة الدينية للضياع عند ترسّخ قدم هذه المشاريع.

فـأيُّ واقعية تدعو للمشاركة العلمائية، ولاستجابة المؤمنين، واندفاعهم في مثل هذه المشاريع؟

أهـي الواقعيـة التي تأخذ بها الرساليـة، وتقوم عليها مصلحـة الدين، والتي يعني تجاوزها تجاوزًا للفهم والموضوعية، ويعني التهور والانفلات في المشاعر، وغلبة الحماس والمواقف الارتجالية الانفعالية؟

أم هي الواقعية التي ينكرها الدين، ويقف في وجهها بكل حزم وقوة؟

إنّـك هنا تدشّـن مشروعات مخالفـة للمصلحة الإسلاميـة، وتفرضها بمشاركتك واقعًا على الأرض يُرغِمُ المؤمنين على متابعتها من بعد حين.

إنك هنا تضعف نفسك بنفسك، وتضعف سائر المؤمنين من إخوانك.

إنك تعطي سلطانًا على نفسك وعلى دينك في غير اضطرار ولا إكراه.

فهـذه المشاريـع ذات الطبيعـة الخاصة التي تفرض عليها حاجتهـا لدعم العلماء ولدعم المؤمنين، والقاضية على مصلحة الدين لا يؤسسها ولا يشيدها ويثبتها إلا أن يلين لها البعض من العلماء لوجه وآخر، وإن يكن أحيانًا بحسن نية، ولا تستطيع تلك المشاريع أن تملـك الساحـة، وتفرض نفسها على البقية إلا بجهد هذا النفر الذي يعطيها المباركة والدَّعـم، ولا يمكن أن تقوم وتنتعش بعيدًا عن هـذا الدعم والإسناد والدعاية والترويج، وبذلك تكون مسؤولية العلماء في هذا المجال خطيرة إلى أقصى حدٌ.

وليس من الصحيح أن نسهـم في خلق واقعِ الضيق، والضعف، والتقزيم، والإضرار بالدين والمؤمنين، وننادي بعد ذلك بأن على الآخرين أن يعترفوا بالواقع، وأن يذعنوا له، ويستجيبوا لمقتضياته.

كيف يكون لي أن ألفَّ حبل المشنقة حول عنقي وعنق الآخرين من إخواني المؤمنين، وأدعو عندئذٍ للاستسلام للواقع؟

قُدّم في الآونة الأخيرة عرض على الحوزة العلمية في النجف الأشرف بصرف رواتب شهرية لطلاب العلوم الدينية من الأوقاف الشيعية في العراق، والتي يترأسها أحد المؤمنين الغيورين على الإسلام، وكان الاقتراح من منطلق الحرص على المصلحة الإسلامية، وبلحاظ الظروف المعيشية الخانقة لطلاب العلوم الدينية هناك، فرفضت الحوزة أن تتقدم إلى المشنقة من خلال هذه الخطوة الأوليَّة التي لا يؤمن أن تجرَّ إلى خطوات.

وهذا لا يعني التزمّت، والتفريط في الفرص، وإنما يعني الاحتياط لسلامة الدين ومصلحته.

ففرق واسع بين أن تُسلَّم الأوقاف؛ لِتصرُّف المرجعية هناك، فتنفق منها على المصالح الدينية ما وسع الحكم الشرعي ذلك، وبين أن تكون الأوقاف مؤسسة حكومية يرتبط بها مصير الحوزة عن طريق الإنفاق وشروطه وموانعه التي تحددها السُّلطات.

وفي الوضع العام فرق بين أن يعترف للمؤسسة الدينية والحوزات العلمية بحقها في الميزانية العامة، وتوضع ميزانية خاصة تحت تصرفها مع الخضوع للمحاسبة، وبين أن يرتبط الوجود الديني برواتب حكومية يرتفع سقف شروطها وموانعها مع مرور الزمن، وتكون المدخل للتحكم في الشأن الديني بكامله.

على أنه ليس من مصلحة الدين أن تعتمد المؤسسة الدينية والحوزات نهائيًا على ميزانيات الدول؛ لينتهي ذلك بتجفيف مصادرها الحُرَّة التي وفَّرتها الشريعة المقدَّسة من خمس وزكاة، ووجوه قربية أخرى، وبتوفير الإمكانية الهائلة للطرف الآخر؛ للضغط على إرادتها الشرعية للحاجة الملحة للمصدر الرسمي، والوحيد في التمويل مما يعني أن شرايين حياتها من ناحية معيشية تكون مجتمعة بيد هذا المصدر وتحت رحمته.

وهو مصدر لا يمكن أن يكون مأمونًا وموثوقًا على تقدير كل التقلبات والتحولات، فإن أُمن منه يومًا فقد لا يؤمن منه في اليوم الآخر، وإن أحسن في حال فقد يسيئ في حال.

الحوزة العلمية والمؤسسة الدينية مصدرهما الدائم الذي اختارته الشريعة في زمن الغَيْبَة هو الخمس، والزكاة، والوجوه القربية الأخرى، فذلك آمن للدين، وأحفظ لكلمته واستقلاليته.

فحتى في فرض أن تخصص ميزانية خاصة من ميزانية الدولة العامة للحوزات والمؤسسة الدينية ومن غير تدخل في شؤونها مطلقًا وهو حق لهذه الحوزات، فإنه لا يصح في نظري الاعتماد الكلي على مثل ذلك لما يؤول من مثل هذا الأمر من انفراط أمر الدين[1].[2]

١- فقد يَنخلق عند المؤمنين بهذا نوع من الاتكاليّة، ويحصل التساهل في الالتزام بأداء الحقوق الشرعية، ويخضع الدين في الأخير للمساومات الدنيوية التي تضرُّ به.

٢- خطبة الجمعة (١٧٦) ١٣ شوال ١٤٢٥هـ ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٤م.

(٥)

مقولة: (ما لله لله، وما لقيصر لقيصر)[١]

كلمة كنيسيَّة مشهورة تنسب إلى النبي عيسى عليه السلام.

هل قالها؟

لو قالها وهو الرسول المعصوم من أولي العزم، فلا يقولها إلا بمعنى صادق في العقل والدين.

لـو أمكن أن يقولها في ظرف خاص محفوفة بالقرائن التي لا تسمح بالتأويل، والتي تساعد على التخلص من ظلم ظالم، تخلّصًا لا يضرُّ بدين الله؛ فإنه إنما يقولها بالمعنى الصحيح من هذين المعنيين الآتين:

المعنى الأوَّل لهذه الكلمة:

إنّ قيصـر قسيم لله عز وجل في ملكـه، والكلمة تضع حدًّا؛ لتجاوز الله سبحانه وتعالى على ملك قيصر؛ فما لله لله، وليس له أن يتعدى إلى مال قيصر.

كما تضع حدًّا تصرف قيصر بحيث لا يتجاوز بتصرفه عمَّاله إلى ما هو لله.

فقيصر شريك مع الله في ملكه، أو قل: بأن الملك بحسب هذا الفهم قِسّمة بين الله وقيصر!!

والكلمة تضع حدًّا؛ لتجاوز مساحة ملك كل طرف إلى مساحة ملك الآخرة.

وهو معنى لا يقبله طفل مميز فضلًا عن بالغ رشيد، فهذا المعنى ساقط عقلًا ودينًا بصورة واضحة.

فقيصـر لا ملك له في قبال ملـك الله سبحانه لا في مساحة التكوين، ولا في مساحة

١- إنجيل برناما، ص٧٦، سيف الله أحمد فاضل، دراسة عقائد أهل الكتاب وردودها، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار القلم.

التشريع.

المعنى الثاني: ما لله - وهو الكون، وما فيه -، والعزّ، والأمر والنهي، والحكم والربوبية، ومطلق التصرف، فكل ذلك لله وحده، وما لقيصر إنما هو العبودية والفقر الذاتي، والمحدودية، وما يناسبه من امتثال المولى الحق.

وبهذا يخرج قيصر بلا شيئ: بلا ملك لذات، ولا لشيئ من ذات، وبلا ملك لأي شيئ من الأشياء، وهو عبد قِنٌّ صرف لله تبارك وتعالى، فليبحث قيصر عن كونٍ خلقه؛ ليكون له، عن طعام صنعه؛ ليكون له.

أأنبت قيصر نباتًا؟!، أم خلق حيوانًا؛ ليكون ملكه؟!

فليبحث قيصر عن إنسان أوجده؛ ليكون له!

ليبحث قيصر عن حبة رمل أوجدها؛ لتكون ملكه!

ليبحث قيصر عن نسمة هواء من قدرته؛ لتكون ملكه!

ليبحث قيصر عن شعاع من أشعة الشمس؛ ليكون هذا الشعاع في حوزته!

ما لقيصر؟!

قيصر صفر كأي إنسان بما هو في ذاته في هذا الكون، كأي ملك، كأي نبي، ما لقيصر لقيصر، قسمةٌ بين الله وقيصر؟!

وقيصر ربما رضي في البداية بأن يكون ما لله مما يعيّنه هو لله، وما له في اعتباره له، ولكن قيصر تمدد في رغباته وطموحاته، وتمدّد في عدوانيته، في استكباره على الله عَزَّوَجَلَّ.

كان قيصر يترك لدين الله مسألة ما يجوز، وما لا يجوز في الزواج، ولكنه صار في الغرب اليوم يبيح اللواط والسحاق، وصار قيصر يستخدم الكنيسة ورجالاتها وإمكاناتها لخدمة سلطته، ولا يرضى لها دورًا غير هذا الدور.[1]

١- خطبة الجمعة (٣٣٧) ٦ شعبان ١٤٢٩هـ ٨ أغسطس ٢٠٠٨م.

(٦)
شعاراتٌ محارِبة

يُطلق البعض عددًا من الشعارات الرنّانة المزيّفة المحاربة في مواجهة أي صوت ينادي باحترام الدّين، وتصحيح الوضع الخُلُقي، والتخلص من المنكرات، وتطهير هذه الأرض الإسلامية من مظاهر الرذيلة، والفحشاء، والمجون.

ويتناول هذا الحديث بعض هذه الشعارات؛ لفحصها، وتعريتها، وإيضاح مداليلها الخطيرة المستهدفة لمَن يحرّكها.

١- التنوُّع الثقافي

يُطلق هذا الشعار للرد عل المطالبة بمنع الخمر، والتوقُّف عن حفلات الرقص، وإلغاء الإباحة الجنسية التي تتوسّع يومًا بعد يوم.

ما يريده هذا الشعار أن ليس للإسلام أي امتياز في هذا البلد على غيره من الأديان وحتى الطروحات الأرضية، والأهواء الشيطانية لا في فكر، ولا تشريع، ولا سلوك، ولا سياسة ولا أخلاق، ولا أي حقل من حقول الحياة، وأي بُعدٍ من أبعاد حركة هذا المجتمع.

وهذه الجرأة على الإسلام وهذا البلد، وهذا الشعب، وهذه المجاهرة، والمضادة المكشوفة لدين الله، والطّرح الوقح، والتناسي الغبي أو المتعمد لواقع هذا الشعب المرتبط شديدًا بالإسلام، والمفاخر به إنما هو مقدّمة لما هو أكثر جرأة وبشاعة ووقاحة، وحربًا على الإسلام، وهو المناداة بطرد هذا الدين المنقذ الذي لا غنى للإنسانية عنه من تمام الساحة، وأن يتفرّد بها صوتُ الشيطان، والمنتج المحلي من إعداده، أو المستورد تحت نظره من أيّ بُقعة سافلة في الأرض، ومن أيّ فكر هابط، وسلوك سخيف، وأخلاق متردية.[١]

١- يراد للساحة أن تكون مملوكة لهذا المستورد والمنتج الشيطاني.

المطلوب أخيرًا لمثل هذا الشعار: أن يكون كل شيئ في البحرين محكومًا للفكر الآخر، والسلوك الآخر، والقانون الآخر، وأن يختفي أثر الإسلام.

وقد بدأوا اليوم قبل الغد يرمون الإسلام بالرجعيّة والتّقادم، وعدم القدرة على مواكبة التطور ونحن نعرف أنّ التطوّر الذي لا يواكبه الإسلام ولا يوافق عليه هو التطور الآخذ في الانحدار، وإلا فإنّ الإسلام قد صار يثبت السبق اليوم فضلًا عن الأمس البعيد قدرته على سبق كل الأطروحات في التقدّم الإيجابي بكلّ أبعاد الحياة، وإثراء الحركة الصالحة في أي وطن يكون له فيها موطأ قدم.(١)

ومن المفارقة التي يقع فيها أصحاب هذا الشعار - شعار التعدّدية الثقافية - أنهم يصرون على عَلْمَنَة الأحوال الشخصية، وتحكيم اتفاقية سيداو المناهضة تمامًا للإسلام، وهذا بعد طرد الإسلام وإقصائه من كل المساحة التشريعية الأخرى؛ لتنفرد بها القوانين الوضعيّة.

فأين هذه التعددية الثقافية؟

وأين الانفتاح على كل الأفكار كما تدّعون؟!(٢)

إنّ شعار التنوع الثقافي ومفهومه المطروح عندهم يقول لك: أيها الملتزم بالإسلام، لا تحتجّ منذ اليوم بإسلامك، ولا ترفع شعاره في وجه ما نريد، ونُخطّط له، ولم يعد هذا البلد بلدًا إسلاميًا كما تتوهّم.

وإنّه لكثير عليك إذا اعترِف لك مؤقتًا بوجود هزيل، وشراكة محدودة ضيقة

١- والإسلام هو الذي يقف اليوم شامخًا في كل الساحة الإسلامية والعربية: ليقارع الاستكبار العالمي، وليثبت جدارة هذا الدين على التقدم بوعي الأمّة وحركتها الإيجابية.

٢- ولماذا لا يكون الانفتاح على المطالبة بالحقوق؟!

ولماذا عدم الانفتاح على حرية الدين عند أهل الدين؟!

ولماذا هذه الانغلاقية السياسية؟!

ولماذا هذه المطاردة المذهبية؟!

ولماذا الكثير من التمييز؟!

ولماذا الكثير من خنق الحريات؟!

ضعيفة باهتة لا تكاد تبين.

وعلى هذا الشعب المسلم أن يردَّ على هذا الشعار وأمثاله بإصرار أكبر، وتمسّك أشدّ، وعودة أصدق للإسلام في كل مجالات حياته؛ ليبطل كيد الشيطان وأهله فيما يريدونه بهذا الشعب، وبهذا الوطن.

أنت تحتج عليهم بالإسلام، وهم يحتجون عليك بأوضاع أهل الكفر!

وأنت تلزمهم بالقرآن، وهم يلزمونك باتفاقية سيداو!، وكأنَّهم ليسوا من أهل هذه الأرض، وهذا الدين، ولا صلة لهم بهما، أو كأننا نحن هذا الشعب قد طلّقنا الإسلام طلاقًا بائنًا، وكأنّ بيننا وبينه الفراق الذي ليس بعده تلاقٍ.

مسلمون، مسلمون، مسلمون، وسنبقى دائمًا إن شاء الله مسلمين.

اغلقوا طريق هذه المؤامرة، قفوا في وجهها صامدين، عضوا بالنواجذ على إسلامكم، قفوا في وجه كل منكر يريد أن يسرح ويمرح في طول وعرض هذه الساحة.

٢- شعار الانفتاح والتَّسامح

هذا الشعار يقول لهذا الشعب: بلدك بلد الانفتاح والتسامح؛ الانفتاح المفتوح على كلّ شيئ وربّما على الخسيس من الفكر، والجايف من السلوك بالخصوص، ودينك كذلك، وإذا لم يكن الدين منفتحًا بهذا النوع من الانفتاح، فدعه يعيش في الزاوية المغلقة الحرجة، وانفتح أنت انفتاح بلدك على كل شيئ مُغلِقًا عقلك عن النظر في عاقبة الأمور، مُقسِرًا قلبك على احتضان السيئ.

هذا الشعار دعوة للانبطاح الثقافي، والتخلّي عن الدين والذات والشرف والعفّة والكرامة على حدّ الانبطاح السياسي والتبعية السياسية، والذوبان السياسي، والميوعة السياسية أمام سياسة الغرب وإسرائيل.

إنّـه دعوةٌ للتخلّي عـن الإسلام، وعن الهُويّـة، وأخلاقيّة الإيمـان، واللّحاق بالفكر الآخر، والأخلاقية الأخرى، والضّياع في الآخر.[١]

هـذا الشعـار؛ من أجل التسامـح والانفتاح إلا مـع الإسلام، والالتـزام الإسلامي، والأصالـة الإسلاميـة، وحقِّ الإسلام في بلاده، والأخلاقيّـة الإسلامية في موطنها، وحقِّ الإنسان المسلم في حريته الدينيّة.

هـذا الشعار؛ من أجـل التّسامح مع السياحـة الهابطة، مع الرّقص والراقصات، والزنى والزانيات.

ومـن أجل مصافحة ومعانقة المثليين والمثليات، والترحيب بالخمر استيرادًا وصنعًا وتجارة وتعاطيًا وآثارًا كارثيّة وسلبيات متعاظمة.

من أجل التسامح مع العري، والبشاشة في وجهه، والتمكين له وتعميق ظاهرته.

٣- شعار المصلحة الاقتصاديّة

هذا الشعار شعار إرهابي يطلقه أصحاب البذخ المادي، وناهبو الفقراء، ومصاصو دماء المحرومين في وجه أي مطالبة دينية بمراعاة حرمة هذا البلد وكرامة دينه، ونظافة السياحة، وعدم الاعتماد فيها على سوق الخمرة والفاحشة والمتاجرة بالعنصر البشري، واستيراد سلعة الجنس الحرام من أين انفضح سوقُها، وكانت مغرية لطلابها الساقطين من المتوافدين على سياحتنا الشريفة في طلبها.

إنّـه شعـار يخوّف الناس بالفقر والمجاعة حين يقل الترويـج للسّياحة بالحرام مما توعّد عليه الله ﷻ بالعذاب من خمرةٍ، وفحشاء، ولواط، وسحاق.

والحقيق بهذا الخـوف ليس الفقراء وإنما هم أهل الجيوب المترفة[٢] والتي يغذّيها الدخـل الهائل من هـذه السياحة الهابطة، ومـا فيها من مهنة الفحشـاء، ومن متاجرة بالأعراض، وعرض لمتعة الجسد الحرام، وتحايل واختطاف واصطياد للفاتنات من كل مكان.

١- يريدون لنا أن نضيع ذاتًا في ذات الآخر.

٢- تأثير السياحة الهابطة على مَن اقتصاديًا؟، على الفقراء؟! لا.

ومؤدّى هذا الشعار أنّه إذا ذُكر الاقتصاد - اقتصاد كبار السُرّاق والنفعيين -، فلا تذكروا دينًا ولا قيمًا ولا خلقًا ولا شرفًا ولا كرامة [١]، فكلُّ ذلك رخيص أمام مصلحة المترفين.

وكل شيئ يجب به التضحية لهذه المصلحة، ولا يمكن أن يُضحّى بها؛ من أجل شيئ أي شيئ.

ونحن الكبار السراق لا نجد بابًا أسهل من هذا الباب المخزي، ولا مجالًا أيسر من هذا المجال القذر؛ لضمان الربح السريع الهائل والمفسد لهذا الشعب في الوقت نفسه.

٤- شعار للفتوى مجالها وللقانون مجاله

يقول الشعار: هناك مساحتان منفصلتان عن بعضهما البعض، مساحة الفتوى بما تعتمد عليه من قرآن كريم، وسنة مطهرة، أو غيرهما من مصادر شرعية أخرى عند هذا المذهب أو ذاك، وهي المساحة التي يمكن أن يُتاح للقرآن الكريم نفسه، وللسنة المطهّرة نفسها أن تكون حركتهما في إطارها.

وهي مساحة الحياة الشخصيّة للفرد لو شاء في الأمور التي لا تؤدّي إلى تدخُّلٍ في سوغ الوضع العام وتوجيهه، والتأثير على مصالح الكبار المفسدين.[٢]

أما المساحة الأخرى الواسعة التي تستوعبها الحياة العامة، ويدخل فيها الوضع السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والوضع الحقوقي العام، والتحكُّم في القوى والمؤسسات الاجتماعية، والثروة، فهي مساحة مملوكة بالكامل للسياسة الوضعية، وللقانون الوضعي والخاضع للوصاية السياسية القائمة وليس لرأي الشعب، ولا علاقة للفتوى ومصادرها بشأن هذه المساحة على الإطلاق.

١- هذا مراد الشعار.

٢- هذه المساحة نتركها وقتيا للفتوى، ولقرآن الفتوى، وللسنة التي تمد الفتوى، ولا نكتفي بهذا بل نضايقه. الإسلام صار يُضايق في المسجد، صار يضايق في الحسينية، صار يضايق في الموكب، صار يضايق في الأحوال الشخصية. الإسلام يطارد في كل زاوية من زوايا الحياة حتى الفرديّة.

وهـو طرح علماني واضح فاضح صارخ، وكأن شعـب البحرين صوَّت بالأغلبية على هذا الفصل بصورة نهائية لا رجعة له فيها، أو تُبرِّر هذا الفصل ولو إلى أن يتم استفتاء آخـر يمكن أن يُعدِّل من قضيـة هذا الفصل، وكأن شعب البحريـن قد خاصم إسلامه، أو جـدّ لـه رأي في الإسلام يجعل ديـن الله وشريعته معلَّقين على رفـوف النسيان، وكأن دستور البحرين لا ينصُّ على أن الشريعة الإسلامية مصدر رئيس من مصادر التشريع، وإن كان الدستـور لا ينصـف الإسلام ولا الشعب المسلـم، ولا يقدِّرهما بقدرهما في هذا التعطيـل والإقصـاء للشريعة الحقة عن موقعها الطبيعـي في توجيه وحكم حياة المجتمع المسلم بكاملها.[١]

إنَّهم يقولون: إنَّ للفتوى مساحتها وأهلها، وحركة الفتوى والفقهاء والمجتهدين إنما هـي في مسائل مثل: الوضوء، والصَّلاة، والطَّهـارة عن النَّجاسات لمن تهمَّه هذه الأمور، ويرى أنها تستحقُّ أن يُصغى لها.

وللسياسـة أهلها وأبطالها وهم أصحاب الفكر الوضعـي النّقي من شوب الإسلام، والمنفصـل في تفكيره عن الفهـم الديني، وفي نفسيتـه عن أي تقدير للحكـم الشرعي، ويستوحش من ذِكر هذا الحكم فضلًا عن الرجوع إليه.[٢]

وكلمـة أخـيرة: بأن نجـاح الشعارات الأربعة علـى الأرض، وتحقيقهـا لمبتغاها من تصفيـة الوجـود الإسلامي على هـذه الأرض تصفية كاملـة، والإعداد لأجيـال تتنكّر للإسـلام، وتعاديـه، وتُنازله في هذا البلـد المتدين اليوم إنما يعتمـد على موقف الشعب نظريًّا وعمليًّا من هذه الشعارات.[٣]

١- نحن لا نفخر بنص الدستور على أن الإسلام مصدر من مصادر الدستور، لا نفخر به أصلًا.
إنه ظلم للإسلام.
أيُجعل الإسلام في صف الدستور الفرنسي في المرجعية؟!
في صف الأعراف الجاهلية المتسوردة؟!

٢- السياسة، الساحة العامة، الأمور المهمة متروكة لنفسية تستوحش من الحكم الشرعي، لعقلية لا صلة لها إطلاقًا بالدين، وفهمه، وتقديره.

٣- أنتم اليوم شعاراتكم مع الإسلام، أولادكم غدًا مع الإعمال ستكون شعاراتهم مع الكفر، ستضج حتى المساجد لو بقيت صلاة لشعارات العلمانية.
دقوا: إنه أكيد.

موقف السكوت، وعدم المبالاة، والغفلة والتشاغل لا شك أنه يُحقق لهذه الشعارات والمسوّقين لها ما يريدون.

والموقف الوحيد الذي يُفشل هذه المحاولات الخبيثة إنما يتمثّل في وعيكم للإسلام والتعرف على عظمته، وإعطائه الحضورَ الواسع كلّما أمكن في حياة هذا الشعب على كل المستويات في البُعد الفكري والشعوري والعملي، وفي إطار حياة الفرد، والأسرة، والمجتمع، وعلى الصعيد الشعبي والصعيد الرسمي معًا، وفي كل الأوضاع بكلّ الطرق الدينية والعقلائية المتاحة، واستمرار المجاهدة والمطالبة والمقاومة والإصرار على تنظيف هذا البلد من المنكرات الشائعة.

وأؤكّد: إنّ أيّ مفارقة من شاب أو شابة، ومن أيّ فرد من أفراد هذا المجتمع المسلم المؤمن عن أيّ سلوك إسلامي، وأنّ أخذهما في أي قضية من قضايا اللباس وقصّة الشعر، وعادات الزواج، وأنواع الاحتفالات، وإقامة العلاقات، وغير ذلك مما يُبعِد عن الإسلام، ويُقرّب من حياة المجتمعات والفئات المعادية معناه خطوة مؤثّرة في اتجاه تحقيق أُمنية أصحاب هذه الشُّعارات[1] في امتلاك السَّاحة، وطرد الإسلام منها كليًّا، والتسريع بتحقيق هذه الأمنية.

والكل مسؤول والله هو الغني الحميد.[2]

١- خلعكِ للعباءة انتصار لهذه الشعارات.

أخذكِ بالبالطو الضيق هذا خطوة جريئة ومضادة لدين الله ﷻ وانتصار صارخ لمثل هذه الشعارات، هو قضاء على الدين، قضاء على الشعب، قضاء على الهوية.

أنتِ تستسهلين هذا التصرف، وتعتبرينه أمرًا شخصيًا، تصرفك ليس فرديًا.

ليس من حقّكِ أن تتصرفي هذا التصرف.

أنتِ هنا تعادين الشعب، تعادين الدين.

انتقالك أنت الشاب كذلك من لبس الثوب إلى السروال القصير، بانتقالك من الثوب إلى السروال القصير وفي الطرقات، فيه تقريب لحالة غير إسلامية، تعجيل لحالة غير إسلامية، نستطيع نحن بسلوكنا الشخصي أن نهدم الإسلام، وأن ننتصر للإسلام.

٢- خطبة الجمعة (٤٠٧) ٢٩ جمادى الأولى ١٤٣١هـ ١٤ مايو ٢٠١٠م.

الفصل التَّاسع

السِّياسات العالميَّة

(١)

سياسات الاستكبار والاستضعاف

المنهج الفرعوني

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.[١]

الله رب الجميع وغني عن الجميع، فلا يستضعف طائفة من الناس؛ لينتصر بطائفة، لا يقرب طائفة ينتصر بها، ولا يستضعف طائفة يتخلص من ما يحذره منها، أما غير الله ممن لا يسير على درب الله فمنهجه - دائمًا - فرعوني، والمنهج الفرعوني لا يمكن أن يصلح.

هذه سمة ومعلم رئيس من معالم المنهج الفرعوني، ما هو هذا المعلم؟

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ الرأي له لا لله، ومن رأى أن الرأي له لا لله، فهو ممن علا في الأرض واستكبر، كان في الموقع الكبير، أو كان في الموقع الصغير، وحتى لو كان فاقدًا لأيّ موقع.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾، منهج إفسادي، والقائم عليه مفسد.[٢]

إن مردّ المشكلات المستعصية، والمتاعب الكبرى التي تعاني منها الحياة الإنسانية في بعدها السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، وغيرها مشكلتان:

١- مشكلة الفرعونية أمام الله سبحانه.

٢- ومشكلة الحقارة أمام الإنسان.

١- القصص: ٤.

٢- خطبة الجمعة (٧٢) ٨ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ ١٦أغسطس٢٠٠٢م.

حالـة الكبرياء والجبروت الموهوم عند نفرٍ من النـاسـ، وحالة الانسحاق أمام هذا الشعور عند آخرين.

والمنهج الرباني يستهدف استئصال هذين الشذوذين في النفس البشرية.

أما المنهج الطاغوتي، فيعمل على تغذيتهما، وتركيزهما معًا.

فالمنهجـان في مواجهـة دائمـةٍ لا تتوقف، والطغـاة أبدًا لا يرضـون بمنهج الله، ولا يسمحـون له أن ينطلق في الحياة، يصنع الإنسان موحّدًا لله، وعندئذٍ تنتهي طاغوتيتهم عملًا وفعلًا في الخارج.[1]

المجتمعـات البشريَّة فيها مستكـبر ومستضعَف، ويعمل المستكـبرون في المجتمعات المختلفـة على بقاء هـذا الانقسام دائمًـا حفاظًا علـى أغراضهم الأنانيـة الاستكبارية الاستئثاريـة الظالمة التي لا تتم إلا بامتصاص جهود الآخريـن، وإضعافهم؛ ليتم النهب والسلب ومصادرة الـثروة والحقوق، وفرض الشروط والاستعباد والاستغلال للعامة من أبناء الشعوب والأمم في مأمن من ردّ الفعل المتكافئ مع قسوة الظلم ووطأة العذاب، وفي راحـة تامة للفئة المستكبرة بحيث لا يكدّرها مكدِّر مـن سبب من أسباب القوّة يكون بيد المستضعفين.

ومـن دور الرسـالات السماوية التوحيديـة القضاء على هذا الانقسـام الذي يفسد المجتمعـات، ويحطّـم حياتهـا، ويحرف الإنسانية عـن خطّها الطبيعي القـويم، وغايتها الكبرى التي بها تحقيق كمالها وسعادتها.

إن مـن دور الرسالات الإلهية في الأرض إنهاء ظاهرة الاستكبار التي تعني مضادة التوحيـد، وعبودية الإنسـان للإنسان، وسيادة الظلـم والسوء والفحشـاء، والانهيارات الخلقية، وسقوط القِيم المعنوية الرفيعة، وعبثيّة الحياة.

ولا يخفـى على الاستكبـار والطاغوتية في الأرض ما تمثّله قضيـة التوحيد، والدين

١- خطبة الجمعة (٤٧) ٩ ذو الحجة ١٤٢٢هـ ٢٢ فبراير ٢٠٠٢م.

الحقّ من خطر هائل ماحق للاستكبار والمستكبرين، والطاغوتية والطغاة، ومن هنا ما إن تأتي رسالة سماوية ورسول من الله، أو تحيا دعوة إلى الدين الحقّ في أي ساحة من الساحات التي تشهد ظاهرة الاستكبار إلا واستنفرت الجبهة الاستكبارية كل طاقاتها في وجه الرسالة والرسول والرساليين.[١]

لا استكبار ولا استضعاف

١- ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.[٢]

٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا، إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾.[٣]

تنتشر في المجتمع العالمي حالة الاستكبار، والاستضعاف، وهي ليست ظاهرةً وليدةً في وقت قريب.

إنها ظاهرةٌ مرضية صاحبت تاريخ الإنسان في كلّ عصوره، وبقيت ملازمةً له.[٤]

وما يدفع لها أساسًا هو حبُّ الظهور والسّيطرة، وما يغري بها اختلاف ميزان القوى في الناس، وما تعمل عليه روح السّيطرة؛ من أجل التمكين لحالة التفوّق الخارجي، والاستعباد، والإذلال للآخر هو المزيد من الاستضعاف للمستهدَف، وتجفيف منابع قوّته، وممانعته حتى يتم إحكام السيطرة، وضمانُ استمرارها.

١- خطبة الجمعة (٣٧٠) ٢٦ جمادي الأولى ١٤٣٠هـ ٢٢ مايو ٢٠٠٩م.

٢- الأحقاف: ٢٠.

٣- النساء: ٩٧.

٤- وهذه ظاهرة ذات شقين متلازمين ما كان استكبار إلا وكان معه استضعاف.

يعمـل طالـب السّيطرة على الغير واستعبـاده على أن يزيد من مستـوى قوّة نفسه، وتجميـع كلّ ما استطاع مـن أسبابها بيده، وأن يسدّ كلّ منابع القوّة التي تصبّ في صالح مستهدفِه، ومنع مناشئها.

وتتجـه عمليـة استضعافه له في كلّ الأبعاد مـن سياسيٍّ، واقتصـاديٍّ، واجتماعيٍّ، وثقـافيٍّ، وأمنيّ، ونفسـيّ، ودينيّ، وصحـيّ وأيّ بُعْدٍ آخر يمكن أن يكـون سببًا؛ للنهوض والقوّة، والقدرة على الممانعة.

وفي هـذا عمل تخريبيّ لأكبر مشروع لتقـدُّم الحياة والإصلاح، وأعظم موجودٍ على ظهر الأرض وهو الإنسان.

وهـو عمـل سيئ خبيـث بالـغ الخطـورة، ومضـادّ لإرادة الله ﷻ، ودورِ الخلافة والإصلاح والإعمار الذي كُلّف به هذا المخلوق المعدّ لذلك.

ولا تنشأ ظاهرة الاستكبار والاستضعاف في ظلّ عقيدة التوحيد وحضورها في نفس الإنسان، لأنَّ في استكبار العبد تنكّرًا واضحًا لعبوديته، وتمرُّدًا على حقّ الله في الخضوع له، وإرادته في المساواة بين عبيده في واقع العبوديّة، وإذعانهم لها.

والاستسـلام؛ للاستضعاف مُنافٍ هو كذلك لقضيّة التوحيد، لأنَّ فيه تشجيعًا على دعـوى الربوبيّة الكاذبة من المستكبِر، واستجابةً لرغبة الإشراك بالله سبحانه، ومنافاةً لإخلاص العبوديّة له، وعدم الذُّلّ إلا بين يديه.

فالإسـلام وهو عقيدة التوحيـد الشّامل الخالص يُحـرّم الاستكبار، والاستضعاف مـن أجله، والقبـول بحالة الاستضعاف والبقاءَ في موقع الـذُّل عن اختيار، ويفرض على المسلـم أن يعمـل جاهدًا علـى التخلُّص مـن موقع الضعف الـذي يسبب له الـذّلّ وفقدَ الإرادة، وتعطيلهـا، وسلبَ الخيـار الحرّ في الحياة، والوقوعَ في قهر الغير، وتحت إرادته، والاضطرارَ إلى التنازل عن شيئ من دينه.

كما يدفع الإسلام أبناءَه إلى طلب القوّة للإصلاح، وخير النّاس والحياة والمجتمعات، وصلاح الدنيا والآخرة، ودفع الشرّ، ودرء العدوان.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ...﴾.[١]

فالقـوّة المأمـور به في الآيـة الكريمة ليسـت استكبارية ولا عدوانيـة، وإنما هي قوّة رادعة لعدوّ الله، وبطشه الظّالم[٢]، وعدوانيّته الغاشمة.

وعدو الله لا يعرف معروفًا، ولا يتوقّف عن منكر، ولا دينَ له، ولا ضمير، ولا حدود، ولا قيـم، ولا أخـلاق ولا رحمة، فإرهابه إرهابٌ للشرّ، وقطـعٌ للطريق على الظلم والبغي والعدوان.

قـوّةٌ للخـير لا للشر، والإصـلاح لا الإفسـاد، والأمـن لا الخوف، والعـدل لا الظلم، وللفضيلة لا الرذيلة.

إنها لصالح كلّ الشعوب والأمم، ولقطع دابر الطّغاة والمستكبرين في الأرض.

إنهـا ليست بديلًا عن العـدل والرأفة والرحمة والإحسان والحـقّ، وإنما هي لدعم ذلك كلّه.

والإرهـاب الذي تتحـدّث عنه الآية الكريمة ليـس إرهابًا على الأرض[٣]، ولا تبنّيًا لسياسـة العنف أصلًا مـكان الحوار، وإنما هو بناءٌ للذات، وتملكٌ لأسباب القوّة، وإقامة واقـع متين علـى الأرض يهابه المعتـدون، والطامعون في النيل من الدِّيـن، والحقّ، وعزّة الأمّة وكرامتها، ويمنع مغامراتهم في مواجهتها، ويُعطِّل عندهم لغة الحرب.[٤]

١- الأنفال: ٦٠.

٢- وإذا كان هناك عدوّ لله، فهو ظالم بطّاش مفسد.

هذه القوة ليست في مواجهة الإصلاح، ليست في مواجهة الخير.

إنها قوة؛ من أجل الخير، وضد الشر.

٣- ليس إرهابًا بالمفهوم المطروح الآن، وهو أن تكون هناك قوة فتّاكة تفتك بغير حساب، وتقتل الأبرياء، وتفجّر في الأسواق، وفي دور العبادة.

الإرهاب الذي تتحدث عنه الآية الكريمة هو من نوع آخر.

٤- خطبة الجمعة (٤٥١) ٩ جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ ١٣ مايو ٢٠١١م.

الاستكبار وسلاح الإعلام الكاذب

يقول سبحانه في كتابه العزيز: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ، فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ، وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[1]

والإعلام الكاذب، والدعاية الظالمة المضادّة من أول وسائل مواجهة الاستكبار للحقّ والتي تتبعها وتزامنها عند هذه الجبهة استمرارًا كل الوسائل القذرة والمدمّرة الأخرى.

وقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[2]، يتحدث عن موقف استكباريّ ثابت مناهض لحركة الرسالات الإلهية الحقّة في كل تاريخها الممتد البعيد بالدعاية المضادّة والإعلام السخيف، وإلا فكيف يكون كلّ أصحاب الرسالات السماوية بمطروحاتها الحقّة الرفيعة العلميّة العادلة الكريمة الهادية المربّية التي تَلَقّى رصيدها الكبير في العقل السليم، والقلب الطاهر، مع ما عليه أولئك الرسل الكرام من منزلة عالية لا تُجارى في العلم والوعي، والخلق والشرف، وحسن التدبير، والقدرة المتميّزة في القيادة كيف يكون أولئك من السحرة والمجانين وبصورة مستمرة دائمة؟!

وقد تعجب لهذا الاتحاد في الموقف الاستكباري المناهض للرسالات في الأزمان المختلفة، والأماكن المتغيرة، والظروف المتبدلة، والأمم المتكثّرة، والثقافات المتباينة، وتتساءل عن الخلفية وراءه، فهل هي وصية كل جماعة سابقة إلى الجماعة اللاحقة من جماعة المستكبرين بالمواجهة لكلمة التوحيد والعدل والإصلاح؟!

الآية الكريمة - ﴿... أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[3] - تعطي خلفية أخرى لهذه الظاهرة المستمرة، ظاهرة مواجهة الاستكبار للرسالات الإلهية، وإحياء الرسالات، وهي الطاغوتية المشتركة المتغلغلة في عقلية ونفسية هؤلاء المنحرفين عن الخط الكوني الواحد

١- الذاريات: ٥٢-٥٥.

٢- الذاريات: ٥٢-٥٥.

٣- الذاريات: ٥٢-٥٥.

العابد لله وحده، وتوهُّمُ الربوبية وحقّها لأنفسهم التي لا يملكون من أمرها شيئًا.

فهذه هي الخلفية الأصل العميقة المشتركة بين كل فئات المستكبرين في كل مكان وزمان، ومن أي قومية كانوا، وأي شعار رفعوا.

والتصادم بين الطاغوتية والتوحيد قائم لا محالة في كل الساحات للتضاد الذاتي الذي لا يغيّره مكان ولا زمان، ولا يتأثر بتنوع الظروف.

التوحيد يعني أن لا طاعة في الأصل، ولا عبودية على الإنسان لغير الله سبحانه، والطاغوتية تعني تفرُّد الطاغوت بحق الطاعة له على الناس، والتصرف فيهم كما يشاء.

ومن هنا يعادي الفكر الطاغوتي فكر التوحيد، ويباين شعور الطاغوتية الشعور الديني الحق، ويتعارض المنهجان، وتقوم الحرب أي لون من الحرب بينهما على مستوى الخارج، وصياغة أوضاع الحياة.

فما يقوم عليه واقع المواجهة الاستكبارية المشتركة بين كل الطغاة لخطّ التوحيد والرسالات الإلهية والرسل والدعاة الحقيقيين للدين أعمق من مجرد تواصي هؤلاء الطغاة وأجيالهم بهذه المواجهة والإيحاء بها، والتشجيع عليها، وإثارتها إعلاميًّا، والأخذ بها متابعة وتقليدًا، وإن كان كل ذلك هو حاصل ثابت.

وإذا كان هذا هو واقع المستكبرين في عقليتهم المريضة، ونفسيتهم المنحرفة، فالاستمرار في دعوتهم للحق وإذعانِهم له وقد تبين منهم الاستكبار والطاغوتية والإصرار والعناد والمكابرة بالباطل لا معنى له، لأنه من تضييع الوقت والجهد بعد اليأس من النتيجة.

وأمّا واجب التبليغ والدعوة إلى الحق، ومحاولة إنقاذ الجاهل، فيقف عند هذا الحد، وبالنسبة لهؤلاء ولا لوم على حملة الهدى عندما لاتقابل الدعوة الحقة إلا بزيادة من العناد.

نعم لا بدَّ من الإعراض عن دعوة ليس فيها إلا تضييعُ الوقت والجهد، والنصبُ،

ولا تمثل إلا نوعًا من العبث الذي تتنزّه عنه الرسل والرسالات: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾.[1]

وهذا لا يعني التوقف النهائي عن الدعوة والتبليغ في الأرض، لأنّ فريقًا آخر في الناس ممّن لهم قلوب فاقهة باحثة عن الحق، وأرواح منفتحة مقبلة عليه، وعقول فاكرة تنفعل بالبرهان، وتستوعب الدليل، ونفوس مستعدة لتحمل مسؤولية الدين وقضاياه وتكاليفه من حقهم أن يصلهم صوت الدعوة، وكلمة التبليغ، وهدايات الوحي، وأنوار السماء؛ ليسعدوا بها، ويبلغوا غاياتهم في الكمال.

هذا الفريق من المؤمنين، ومن لهم قابلية الإيمان لا بدّ أن تنصبّ عليه عناية الدعوة والتبليغ والتذكير والموعظة والتربية، وأن يُخاطَب منه عقله وقلبه وضميره وإرادته، ومشاعره؛ لاستخراج طيّب مكنونه، ونافع مخزونه الإنساني، وما يمكن أن تتفجر عنه ذاته من عطاءات كريمة، وإثراءات جليلة لمسيرة الحياة، وقضية الإيمان لسعادة هذه الذات، والذوات المماثلة: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[2]

سياسة إضعاف الشُّعوب

«جوّع كلبك يتبعك» كلمة قالوها، واتخذوا منها سياسة للشعوب والأمم من منطلق أن التجويع يسبب الضعف، الذل، الاستخذاء، الاستسلام، لكن رقي الشعوب وعيًا وعزة وكرامة يسقط صدق هذه الكلمة والسياسة المترتبة عليها.

فكلما وعت الشعوب، واكتسبت شعورًا بالعزة والكرامة والأصالة امتنع عليها أن يكسر التجويع إرادتها، وليس كدين الله يمكن أن يمد النفس بكل هذا، فمن تديّن دينًا بالدين الحقّ عن فهم ووعي كان عزيز النفس، عالي الكرامة، والشعوب التي يصنعها الدين الحق هي شعوب متمسّكة بكرامتها وعزتها في كل الظروف.

١- الذاريات: ٥٢-٥٥.

٢- خطبة الجمعة (٣٧٠) ٢٦ جمادي الأولى ١٤٣٠هـ ٢٢ مايو ٢٠٠٩ م.

«جـوّع كلبك يتبعك» مكانها في ظل الشعور، بالعزة والكرامة، والأصالة جوّع شعبك ينتفض عليك.

الساحـة العالمية اليوم كلها تقدمت وعيًـا، ودخلها شعور من الشعور بالعزة، وشعور مـن الشعور بالكرامة، وإن تجـارب الإسلاميين الجديدة لا تغذي العالم الإسلامي وحده بهذا، وإنما يمتد عطاؤها إلى كل العالم.

الساحة العالمية اليوم بدأت تسقط عن كلمة «جوّع كلبك يتبعك» مصداقيتها.

جوّعـوا الصومال، وأرادوا له الذل، وحاولوا أن يسحقـوه سحقًا، إلا أنه أعطى ردّة فعـل معاند استمرّ عشـرات السنين، وبدأ الصومالي يقاوم بأسلـوب صحيح أو بأسلوب غـير صحيح، عـن ذاته، ويقاوم عن كرامته، ويواجه أساطيـل العالم؛ ليتوفر على لقمته وعزته.

كوريـا الشمالية حوصرت، وأريد لها أن تتحول كلبًـا تابعًا إلا أنها تمرّدت، واضطر العالم الاستكباري أن يتابع جلساته بحثًا عن طريق؛ لتهدئة الوضع.

وليـس خـوف المستكبرين من حرب كوريا الشمالية على جـوع الشعب بدرجة أكبر، فالشعـوب لا تهـم المستكبرين، وإنما الخوف من أن جوعًا بدرجـة أكبر لكوريا الشمالية قـد يدمّـر العالم، وقد يقوّض أمن المستكبرين كلهـم، لأن الشعوب اليـوم إذا جاعت لا تستسلم وإنما تستأسد، فلتتعلم الحكومات هذا الدرس، وأن تجويع الشعوب لا يخدّرها، ولا يذلّها، لا يترتب عليه استسلام بقدر وإنما هو الاستئساد[١]. [٢]

تبعيّة أنظمة الأمّة للمستكبرين

إنّ تبعية الغالبية العظمـى من أنظمة الحكم في الأمّة الإسلامية للاستكبار العالميّ مزقت هذه الأمّة شرّ ممزّق، وبلغت هذه التبعية أقبح صورة، وأمرٌ واقع، فصار اشتراكُ خنـدق وموقـف، وأسلوب وهـدف بين الكثير مـن البلـدان الإسلاميـة، وعمالقة الكفر والاستكبار العالمي ضد البلد المسلم الواحد، وفي أكثر من تجربة وحالة.

١- هتاف جموع المصلين بـ(هيهات منا الذلة).

٢- خطبة الجمعة (٣٧١) ٤ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ ٢٩ مايو ٢٠٠٩م.

وصـار ما يُفرح الكفر مـن مصيبة بلد مسلـم يفرح حكومات وأحزابًـا ومؤسسات وكيانـات وجماعـات كثيرة من أهل الشهادتين، ويؤلمهم من خـيره ما يؤلم رموز الشر في الأرض، والمريدين بالأمَّة كل سوء.

يجمـع الخندق الواحـد اليوم، والموقف الشامت والمعـادي والمتآمر ضد إيران بلادًا من البلاد العربيـة، وأحزابًا عربية، ومؤسسات عربيـة، وصحافة عربية، وإسلامية مع أمريكا وإسرائيل ضد بلد مسلم جار.

وأمـس الخميس كان مسـؤول خليجي كبير يبث شكواه في مقابلة أجرتها معه القناة الأخباريـة للجزيرة، ويعلـن عن تألّمه لسعاية بعض الأشقاء العرب ببلـده عند أمريكا؛ لتخريب العلاقة بها.

بلـد عربي لـه سعاية ببلد عربـي آخر؛ لتدمـير وتخريب العلاقة بـين البلد الثاني وأمريـكا من منطلق التملّق، وطلب الموقع، والإضرار بالآخر الشقيق، فهو سباق، وتهافت علـى العلاقة بأمريـكا والله العالم بالثمـن، وسعي من الشقيق بشقيقـه؛ لتفويت الخير والشـرف المتوهّـم عليـه، ومحاولة تسجيـل موقف من مـن الساعي بأخيـه؛ ليدلل على إخلاصه ووفائه عند السيد الأمريكي الكريم، ويعطيه تقدّمًا في مستوى العلاقة به.

هذا واقع الأمَّة المصيبةُ والكارثة.[١]

التَّحالف مع الاستكبار!

صار شرفًا، وضمانة أمـن، وشهادة براءة، وسببًا تامًّا؛ للاطمئنان أن تعلن أمريكا أن بلدًا من البلدان العربية والإسلامية حليف استراتيجي لها.

كأنّـه يكفي لأن تطمئن بلد، لأن تفتخر، لأن ينطلـق لسانها شجاعًا أن تعلن أمريكا بأن هذا البلد حليف استراتيجي لها .

نسأل: أهو تحالف، أو دخول في الخدمة؟

١- خطبة الجمعة (٣٧٤) ٣ رجب ١٤٣٠هـ ٢٦ يونيو ٢٠٠٩م.

وتسليم للثروات والأرض، وتنفيذ للمخطط الأمريكي؟

حين يعلن أن باكستان - مثلًا - حليف استراتيجي لأمريكا، ماذا يعني هذا؟

أيعني التحالف الحقيقي، وأن هناك حليفين ندّين يقفان على صعيد واحد؟

أو أن هناك دخولًا من البلد الإسلامي، أو العربي تحت الخدمة الأمريكية؟

نسأل: هذا الأمن الذي يحصل بالتحالف الاستراتيجي، للشعوب، للاستقلالية، للثروة، للهُوية والانتماء، لأصالة الثقافة، لحاضر الأمّة ومستقبلها، أو هو أمن للكرسي ولا غير؟

عجيب أمر البلاد الإسلامية والعربية ما تخشاه على نفسها من أخواتها من الدول الإسلامية والعربية ولو في المستقبل البعيد ولو على مستوى الاحتمال تعطيه لأمريكا في صفقات استسلامية براحة ضمير، ونفس رضية.

نسأل هذه التحالفات ضد من؟

أهي ضد إسرائيل أم ضد القضايا الوطنية والقومية والإسلامية، وضد بلدان الجوار العربي والإسلامي؟

ألا ترون أننا نحقق الرضا الذي يعنيه قوله تعالى: ﴿لَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1] من خلال الاستجابات المتتابعة للرغبة الأمريكية؟

ثم ألا ترون أننا نحقق إيمانًا غير ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2]، وذلك بتحكيم أمريكا في قضايانا بلا أن نجد حرجًا مما قضت به مع تسليمنا تسليمًا؟

ما كانت أمريكا لتستطيع أن تستعبد المسلمين بشرط؛ ذلك أن لو كانوا مسلمين حقًا.

١- البقرة: ١٢٠.

٢- النساء: ٦٥.

ويوم أن يكون المسلمون مسلمين حقًا، فلن تستطيع أمريكا، ولن تستطيع الدنيا كلّها أن تستبعد المسلمين لحظة.(١)

غيظ المستكبرين علامة قوّة

إنّـه كلما كان واقـع دولة إسلامية، أو جهة من جهات الإسلام، أو قيادة من قيادات المسلمـين أصدق إسلامًا وأقوى وأنفع لحيـاة الإسلام والمسلمين كلما ازداد غيظ الطغاة والمستكبرين والظلمة العالميـين وأذيالهم منها، وحقدهم عليها، وشراستهم في عدائها، والأخذ بالموقف المتشدّد والمناهض لها، والاجتماع على محاربتها.

وكلمـا جاء الموقف لهذه القوى الطاغوتيـة الاستكبارية من أيّ وجود إسلاميّ لجهة إسلامية أشدّ عنفًا وضراوة دلّ على أهميته البالغة وصدقه، وإخلاصه، وكفاءته.

ويُستـدلّ على عظمة الشخصية وخطرها على الكفـر، ويستدل على عظمة الحزب وخطـره علـى الكفر، ويستدل علـى عظمة الدولة وخطرهـا على الكفـر أن تتوجّه إليها سهام الكفار والمنافقـين، والانتهازيين والنفعيين والساقطين بعنف وقوة واستمرار عداء لإسلامها.

في العادة لنا أن نكتشف عظمة الجهة في حرب العدوّ مع الأمّة من استهداف الكفر وأتباعه لها لإسقاطها.

فالحملـة التي واجه بها الاستكبار أعمدة النظام الإسلامي في إيران، وفي مقدمتها مركـز القيـادة، وولاية الفقيـه هي شهـادة زكاة وصلاح وشموخ وعظمـة يتمتع بها هذا النظام، وشهادة خطر منه على الباطل في الأرض.(٢)

إملاءات وترحيب

مـع الضعف والاستسـلام والتبعية من جهة، والقوة والبطش من جهة أخرى تكون الإملاءات من طرف القوي، والترحيب من الطرف الآخر.

١- خطبة الجمعة (١٤٩) ١٩ صفر ١٤٢٥هـ ٩ أبريل ٢٠٠٤م.

٢- خطبة الجمعة (٣٧٤) ٣ رجب ١٤٣٠هـ ٢٦ يونيو ٢٠٠٩م.

أكثر دولنا العربية والإسلامية هي في موقع الوهن والضعف والتبعية للاستكبار العالمي، وهنا تأتي مصيبة الأمَّة، مصيبة إملاءات الاستكبار العالمي بما هو عليه من ظلم، وبما فيه من كفر، وبما عنده من تحلل، ومن أطماع ومن مسخ الهُوية الإنسانية؛ لتتدخل في شؤون أمتنا الإسلامية؛ كل شؤونها.

وضعف الأمَّة العربية والإسلامية في كثير من أبعاد المسألة ليس راجعًا لفقد السلاح النووي، وترسانة السلاح المتقدم، صحيح أن هذا يضعف الأمَّة في مجموعها، لكن الاستكبار العالمي ليس مستعدًا أن يستعمل السلاح النووي في وجه أقطار عربية صغيرة، وفي كل موقفٍ موقف سياسي، استعمال السلاح النووي له ضروراته البالغة.

السبب الرئيس الذي تخاف منه الأنظمة على نفسها من الاستكبار العالمي، ليس أنها تفقد السلاح النووي والاقتصاد القوي الذي يوازي اقتصاد امريكا وأوربا.

السبب الرئيس هو انفصالها عن شعوبها، الحكومة الأمريكية ليست مستعدة.

أن تسقط كل حكومة حكومة تخالف إرادتها بالقوة، ولا يتسير ذلك بشكل بسيط.

هناك أحد طريقين لإسقاط الحكومة: غزو خارجي، والغزو الخارجي من أمريكا وأوربا للحكومات العربية والإسلامية بشكل مستمر ليس طريقة عملية.

يبقى إسقاط الحكومات من داخل شعوبها، وهي طريقة أخرى تسلكها قوى الاستكبار العالمي؛ لإسقاط بعض الحكومات التي لا تتمشى مع هواها، وإذا كانت هذه الحكومات منفصلة عن شعوبها، فهي تجد المنفذ؛ لإسقاطها من هذا البعد.

فانفصال الحكومات عن الشعوب، وقدرة القوى الأخرى على تحريك قوى داخلية موالية لها من جهة، وعلى تحريك الشعوب بشكل عام من خلال الإعلام والتحريض على حكوماتها، هو ما يقلق حكومات عربية كثيرة، ويوقعها في التبعية بصورة دائمة.

السر الكبير لهذه التبعية وللخوف الذي تقوم عليه هو انفصال هذه الحكومات عن الشعوب.

لو كانت الحكومات مرتبطة بشعوبها، آمنة من سخط شعوبها، مطمئنة بأنها لا

يمكن أن تضحي بها، لبقيت هذه الحكومات عزيزة ومطمئة وآمنة، وقوة أمريكا وحدها لا يمكن أن تهدد هذه الأنظمة.

إملاءات غربيَّة

تجدون سيلًا من الإملاءات الامريكية والغربية على بلدانا الإسلامية والعربية، وليس - ما سأذكره - هو جميع هذه الإملاءات، وإنما هو البعض القليل المكشوف، تجدون من هذه الإملاءات:

- التطبيع مع إسرائيل: لا لدعم لحكومة حماس.
- العمل على إسقاطها.
- المشاركة في الحرب الإعلامية الأمريكية ضد أي بلد مسلم أو عربي.
- تغيير القوانين، وتغيير المناهج بما يتناسب مع إرادة أمريكا والغرب، ويناقض مصلحة الأمَّة ودينها.
- الترويج للأخلاق الهابطة على الطريقة الأمريكية والأوربية.
- فتح الأسواق التجارية.
- استيراد السلاح المحدد من قبل الإرادة الغربية، وليس ما تحتاجه الدول الإسلامية.
- تسليم الكفاءات العقلية الشبابية والناشئة؛ لتصنع حسب الرغبة الأمريكية.
- لا بدَّ من بعثات طلابية لأمريكا، من بعثات طلابية لأوربا، وهذه البعثات تتم تحت النظر الأمريكي والأوربي وليس اعتباطًا.
- تسليم الجو والبحر واليابسة للقوات الأجنبية.
- تسليم العناصر المرغوبة للأمن في أمريكا وأوربا، فيُلاحق المسلم في بلاد الإسلام، ويكبّل ويهرّب إلى أمريكا؛ لتفعل به ما تشاء.

• صناعة المرأة والشباب حسب الذوق الغربي، وعبر الخطط الإعلامية، والاجتماعية، والسياسية، وغيرها.

• حرية الصحافة على حساب الدين والقِيم، في حين أن الحرية السياسية للصحافة تقابل بالحديد والنار.

• التحكم في العلاقات الخارجية، للكثير من الدول الإسلامية والعربية، وليس متروكًا لهذه الدولة أو تلك أن تبني علاقاتها الخارجية كما تقدر أن فيه مصلحتها.

ما هو الثمن؟

أن تبقى هذه الأنظمة على كرسي الحكم، وأن يتاح لها الاستغلال، والاستعباد، والكبت للشعوب وتقزيمها!!!![1]

الاستكبار وسياسة الفساد والإفساد

ما تدعو إليه حضارة الضلال المادية، وما وراءها من قوى الاستكبار العالمي، والشركات العملاقة الفاسدة المفسدة التي تتاجر بشرف الإنسان وأمنه واستقراره وقيمه، وتروّج بمختلف الوسائل المتطورة؛ للاستهتار، والفجور، وفوضى الجنس، وبهيمية الشهوات المنحلة.

وهي تنطلق في ذلك من منطلق:

١- إشباع فئة

جمع المال الحرام، وسرقة أتعاب الشعوب، والسيطرة على ثرواتها الطائلة؛ لتبني من جهود المحرومين، ومخزون الثروة الطبيعية في البلاد المستضعفة قوة، واستنزاف خيراته؛ من أجل عربدة ليالي الفحش والتبدل والسقوط التي تعيشها فئة قد اهتزت إنسانيتها وسقطت تمامًا، وخلصت لحيوانيتها الجشعة، وشهوانيتها الغارقة، وبهيميتها المنحدرة إلى الحضيض.

١- خطبة الجمعة (٢٤٠) ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٧هـ ٢٨ أبريل ٢٠٠٦م.

٢- أغراض سياسيَّة وعدوانيَّة

كما تنطلق من أغراض سياسية وعدوانية دنيئة موغلة في السقوط مما يتمثل في استفراغ الطاقة الشبابية عند الفتى والفتاة في مهاوي الرذيلة، ومستنقعات الفحش والفجور قطعًا للطريق على نهضة الشعوب والأمم، وانبعاثها، وتفكيرها بحاضرها ومستقبلها؛ خوفًا من أن تقوم حضارة إنسانية قوية قويمة يكون على يدها السقوط النهائي لقوى الضلال، والاستغلال، والتلاعب بمقدرات الأمم.[١]

أساليب السَّيطرة

ومن أكبر شباك هؤلاء الشياطين وأخفاها على بصر الرائين، وأخبرها بالعقول والأفئدة، وأكثرها جاذبية للإغرار والسطحيين وسيلة الجنس المبتذل، والإباحية الجنسية المفتوحة، وما لها من مقدمات وأجواء ممهدة مشحونة بأنواع الاستثارة الرخيصة، والمجون العابث من عري واختلاط غير مهذب وغناء وكلمات بذاءة وصور خليعة، وأزياء متهتكة، وعروض مخزية وإعلام حيواني، وتخطيط شيطاني.

وهذه أساليب كما تسرق من الشعوب والأمم عرق جبينها، وحصيلة جهدها وضناها، تمزق وحدتها، وتنهك عرى المحبة والوئام في داخلها، وتنشر الفوضى والرعب في أوساطها، وتفتك بروحيتها وقيمها ودينها، وتقتل منها الإرادة، وتحبط الهمة، وتميت الشعور بالاباء والكرامة، وتذهب بالعفة والشرف، وتفتل إنسانية الإنسان، وتنحط به عن موقعه الكريم ومنزلته التي شرفه الله بها، ومكانته التي بوَّأه إياها.[٢]

القوى الاستكبارية ليست شيئًا أمام قدرة الله

القوى الكبرى الاستكبارية الطاغوتية صنم ضخم، صنم من القوة، صنم من العلم، صنم من الأبَّهة العسكرية، صنم من المال، صنم من جمال الدنيا من جمال

١- خطبة الجمعة (٨) بتاريخ ٢ ربيع الأول١٤٢٢ هـ ٢٥مايو ٢٠٠١م.

٢- خطبة الجمعة (٨) بتاريخ ٢ ربيع الأول ١٤٢٢ هـ ٢٥مايو ٢٠٠١م.

البيئة والمرأة، من جمال الأثاث والرياش، القـوة الطاغوتية في الأرض صنم يقوم مقام الرب العظيم اللامتناهي في ملايين النفوس من الناس غرورًا.

مخدوعون مغـرورون واهنون وقعوا فريسة الغرور للعـدو الكافر حتى اهتزت الثقة في النفس والمبدأ، وهان على الذات الرخيصة أن تبيع قومها، وأن تبيع أرضها، وأن تبيع كرامتها، وأن تبيع كل القِيم والمقدسات متمرغة على قدمي الصنم الهزيل الهش، صنم الكفر العالمي والقوة الطاغوتية الاستكبارية في الأرض.

رب العبـاد الـذي يعلم أن القـوى الكفرية هم جند مـا هنالك، كل القـوى العالمية الاستكبارية - ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾[1] - ليسوا شيئًا.

أمر تافه أمام قدرة الله ﷻ وقدره.

الله الـذي يعلـم هذا، ويعلم ما أنـت، وما يداعب خواطرك، ومسـارب النفس التي يأتـي منها الشر إليك، يخاطبك: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.[2]

سحابة عابرة ما وجدت هذه السحابة قهرًا على الله، إنما هي فتنة من فتن الإنسان كفتنة الشيطان.

الدار دار امتحان وبلاء.

والـدرب إلى الجنـة مفروشـ ليس بالرياحـين، إنمـا مفروش بالأشـواك، وعليك أن تقطـع الرحلـة مجاهـدًا مكافحًـا، وأن تمتلك النفـس الواعية، والعقـل الواعي، وأن تمتلـك القـدرة والصلابة التي تواجه بها تغرير الشيطان الأكـبر أمريكا وأوربا والشرق الكافريـن: ﴿... مَتَـاعٌ قَلِيلٌ ثُـمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَـادُ﴾، أحجار في جهنم مع الذل والهوان، والاستكانة، والاستغاثة التي لا تجهد.

١- سورة ص: ١١.

٢- آل عمران: ١٩٦-١٩٧.

قوّة المؤمن وضعف الجاحدين

﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾[1] هؤلاء الساقطون، هؤلاء السفلة الجاحدون، هؤلاء الذين يستهوون ملايين من الناس، ويدخلون الغرور إلى أنفسهم والغفلة، ويصطادونهم بسهولة ومرونة، هؤلاء هم أنفسهم مغرورون، هم أنفسهم واقعون فريسة للشيطان.

لو ملكوا النفس الكبيرة، ولو ملكوا العقل المفكر، لما صاروا إلى ما صاروا إليه من نسيان الله جبار السماوات والأرض، وهم في قبضته ليل نهار، هم في قبضته ليلًا نهارًا، وإنما هي الغفلة منهم والغرور والسذاجة أن يروا من أنفسهم أربابًا، وأن يقدموا أنفسهم للعالم أربابًا؛ ليصطادوا شبابًا بعد لم يعِ، أو يصطادوا فتاة بعد لم تكتمل.

أما الشاب الذي وعى، والفتاة التي كملت، شباب الإيمان، فتاة الإيمان، لا يمكن أن يهتز وجودهما الكبير العملاق أمام عاصفة الكفر، وإغراء الكفر، وحيلة الكفر.

ويتراءى لهم أنهم يملكون ما يملكون، وأنهم يستطيعون أن يملكوا مصير الأرض!!

قامت ثورة في الأرض عملاقة، كل العالم مجتمع على عداوتها - ثورة الإمام الخميني (أعلى الله مقامه) -، فسحق إرادة الكفر العالمية، سحقتها قبل ذلك إرادة الله، وقدر الله، وفاعلية الله التي لا تقاومها فاعلية، ولا توجد من دونها وبدون إذنها فاعلية: ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.[2]

أيضًا هم يقعون فريسة الغرور من بعضهم لبعض، وكلما أراد أحدهم أن يفيق ويرجع إلى الخط اجتمعت قوى الكفر العالمية؛ لترده إلى خط الانحراف، وتحجب أن يرى الحقيقة على ما هي عليه، وأن يرفع جبينه إلى الله، وأن ينفتح قلبه على الله، فعاد مرتكسًا منكوسًا: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.[3]

١- الملك: ٢٠.

٢- فاطر: ٤٠.

٣- الإنفطار: ٦-٨.

عقلـك وزنه، عواطفك حجمهـا، نوعها، كل ما فيك من تركيـب الله، وتقدير الله، وتدبـير الله، وأنـت كل لحظاتك في قبضة الله، في قبضـة الله بمعنى أن ليس من لحظة تعيشها إلا بفيض من الله، وإلا بعطاء من الله سبحانه وتعالى.

ما الذي يصغر الله في قلبك؟

في نفسك؟

ما الذي غرك في الله، فصغره في نفسك؟

أن وجدت إلهًا آخر؟!

أن وجدت خالقًا آخر؟!

مدبرًا آخر؟!

رازقًا آخر؟!

حيًّا قيومًا غير الله؟!

أن وجدت هذا الكون يوجد ويقوم ويدوم من غير مدد ولا رفد؟!

أن وجدت أنك تقدر على شيئ خارج قوانين الله؟!

أن وجدت مصنوعًا في الأرض صُنع بغير قدرة الله؟!

هـذا العالم كله لـو اجتمع على أن يوجد ذرة واحدة من غـير أن يستعمل قانونًا من قوانين الله، ومن غير أن يستفيد مما خلق الله ما استطاع.

أجمعوا كل علماء العالم، كل أصنافهم؛ ليزيدوا الأرض حبة رملٍ واحدة من غير أن يستعملوا قانونًا من قوانين الله، ومن غير أن يعولوا على شيئ مما خلق الله.

أمن قدرة؟

لا والله لا قدرة.[1]

١- خطبة الجمعة (٩) بتاريخ ٨ ربيع الأول ١٤٢٢ هـ ١ يونيو ٢٠٠١م.

(٢)
سياسات الأمن والسَّلام العالمي

الحرب والطَّريق إلى السَّلام العالميّ!

إنّ النظـام العالمي اليوم وهـو يطرح قضية الأمن العالمي والسـلام العالمي؛ ليسلك عـن علم وعمد الدرب الذي ينتهـي بالعالم إلى الفوضى الشاملـة، والتمزق والرعب في كلّ الأرض.

فـإنّ طالب الأمـن والسلم لا يسلك إلا طريق الحقّ والعـدل والإخاء والمساواة، وإذا جـازت الحـرب طريقـًا إلى السلم والاستقـرار، فإنما هي الحرب التـي تعترف بالخلُق القويم، والقِيم الرفيعة، وحقّ الشعوب في العزّة والكرامة والحرية الراقية، وفي الاستفادة مـن ثرواتها وإمكاناتهـا مما يصلحها، ويراعي مصلحتهـا ومصلحة العالم، وفي تسيير شؤونها على يد الأكفاء المخلصين من أبنائها لا على يد العملاء للغازي المستغل المستعبد المعادي لمصلحة الأمّة، وكرامتها، وتقدمها.

أمـا الحروب التدميرية التـي تستهدف حرق الأخضر واليابس، وتصفية الشعوب تصفيـة جسديـة ومعنوية، ووضـع اليد الباغية علـى مقدُرات الأمّـة، ومقدّراتها وبدون حسـاب للقيـم، فلا يمكن أن تقود هـذا العـالم إلا إلى الهاوية، ولا أن تنتهـي به إلا إلى الرعب الشامل.

نموذجان صارخان

وهــذه إسرائيـل العدوانية لم تستطـع، ولن تستطيع آلة القمـع العملاقة التي تفتك فاعليتها الهائلة بالشعب المسلم في فلسطين أن توفر لها الأمن في يوم من الأيام.

وهــذه هي أمريـكا وجبهتها المتغطرسـة في أفغانستان تعلمها الأيـام أنّ الشعوب لا يركعها الحديد والنار ما دامت صحوة وشعور بالعزة والكرامة.

وعلى الشعوب أن تتمسك بالشعور بالعزة والكرامة، فإنه مادام لها هذا الشعور، فإنّ باب النصر مفتوح، وإذا ذهب منها هذا الشعور انسدّت كلّ أبواب النصر وانفتحت كلّ أبواب الهزيمة.

ونصيب كلّ بلد، وكل دولة في هذا العالم هو الفوضى، وعدم الاستقرار والاقتتال والرعب المشترك إذا اختار سياسة البطش والسحق، وألغى قيم الحق والعدل والإخاء والمساواة في تعامله مع الآخرين في الداخل أو الخارج.

إنه ينبغي التأكيد والتذكير والتذكُّر بأن السلام والأمن والتقدم في العدل لا الحرب، وفي سياسة الإخاء لا سياسة العداوة.

هناك أمران ينتهيان بالبلدان إلى الفوضى: أن تحاربني علنًا، أن تمكر بي سرًّا.(١)

أمننا في خطر

يخاف على الوضع الأمني في العالم الإسلامي كله، وفي منطقتنا بازدياد التدخل السافر لأمريكا في السياسة الداخلية والخارجية للدول الإسلامية، وإلى حد المواجهة.

أمريكا ستزعزع العلاقة بين الأنظمة والشعوب، ولن تبقي أي ثقة للشعوب في حكوماتها بما ستفرضه على الحكومات من سياسات معادية للأمّة، قد تضطر الحكومات إلى متابعتها بدرجة وأخرى إن يكُن بعضُها راغبًا في ذلك أساسًا.

أمريكا سترحل في يوم من الأيام، ولكن الوضع الأمني سيستمر في تدهوره حتى لو رحلت أمريكا.

يطلب للحكومات الإسلامية كلها والحكومات العربية، وحكومات منطقتنا أن تضغط على أمريكا، ولا تعطيها حق تخريب العلاقة بالكامل بين الحكومات والشعوب.

وإن مَسّ الدين في هذه المجتمعات أكبر من مس الدنيا، والأمريكي لا يقدِّر ذلك؛ الذي عاش مع الخمر ومع الرقص ... إلخ ،لا يعرف كم هي وحشة الإنسان المسلم من الخمرة، ولا يعرف أن المسلم إذا ارتكب محرمًا في يوم من الأيام وجد نفسه أنه قد

١- خطبة الجمعة (٦٤) بتاريخ ١٠ ربيع الأول ١٤٢٣ هـ ٢٤ يونيو ٢٠٠٢م.

سقط من السماء إلى الأرض، وأن تاريخ الإسلام يشهد بأن المسلمين جاءوا، وخافوا، واستشهدوا مسترخصين كل ذلك في سبيل إسلامهم، والتزامهم بخط مبدئهم.

لا تقدر أمريكا ما في داخل نفسية الإنسان المسلم من تمزق يحصل عند ارتكاب جريمة أمام ناظره، لكن حكام العرب، حكام المسلمين بما هم يعايشون هذه البيئة، وبما لهم من خبرة بهذه البيئة، وبما في داخلهم من إسلام يجب عليهم أن يعيشوا هذا الشعور، وأن يقدروا له وزنه، وأن مَسَّ الدين في حياة الإنسان المسلم لا يمكن أن يصبر عليه.(١)

مجلس الأمن ودعم الحروب العدوانيَّة!

ويسأل: الاختلاف بين مستكبري العالم في مجلس الأمن أهو اختلاف على العدل والظلم، أم هو اختلاف على المصالح وقسمتها، وعلى ثمن المواقف المختلفة الداعمة للحرب العدوانية على العراق؟

معروف تمامًا أن لا قيم عند هؤلاء جميعًا، وإنما المنظور هو الأنا والسيطرة وموارد الثروة عند الشعوب.

وإذا كان للعرب كلمة معارضة صادقة ضد الموقف الأمريكي من العراق، فهذا لن يكون لو حصلت الرغبة الأمريكية دعمًا ملحوظًا في مجلس الأمن، والكل سيحاول أن ينجو بنفسه عند الشدة لو أمكن له.(٢)

قضيَّة السِّلاح النَّووي

من ناحية: ما هو الصحيح، وما ينبغي أن يكون في الأرض.

لا سلاح من السلاح النووي لأحد على الإطلاق؛ فهو صناعة للرعب والدّمار، وفيه استنزاف للثروة، وحرق لقوت الملايين - والملايين محتاجة إلى طعام وشراب، وصحة،

١- خطبة الجمعة (١١٣) ٢٨ ربيع الأول ١٤٢٤هـ ٣٠ مايو ٢٠٠٣م.

٢- خطبة الجمعة رقم (٧٦) ٦ رجب ١٤٢٣هـ ١٣ سبتمبر ٢٠٠٢م.

وعلم ومواصلات، وحياة لائقة -، ويأكل قوتها وعلمها، وصحتها، وما تحتاجه السلاح النووي بميزانيته الضخمة الهائلة، وهو سلاح؛ من أجل حرق اليابس والأخضر.

أما من ناحية الواقع، وما هو فعلي: السلاح النووي للدول الأكثر ظلمًا وتهورًا وبطشًا وغرورًا، واسترخاصًا للإنسان كرامة ودمًا ومالا.

والمطلوب:

١- إمَّا تجريد كامل من السلاح النووي يجعل العالم آمنًا.

٢- وإمَّا تعادل رعب قد يقي الكارثة فعلًا - وإن أبقى الخوف قائمًا -.

وعلى سوء الفرض الثاني - وهو أن يتعادل الرعب -، فهو أخف المحذورين؛ لأن الرعب إما رعب وكارثة ماحقة تعصف بحياة الملايين، وتنسف ما بنته القرون، وهو الرعب الانفرادي، ومعه استعلاء واستكبار جنوني، ونهب، واستعباد للآخرين، وفرض سيطرة مطلقة من القوي الغاشم يعطيها إيّاه تفرُّده بالسلاح النووي الفتاك.

وإمَّا رعبٌ مقلق مشترك قد يردع من وقوع الكارثة، ويقطع يد العدوان والاستلاب.

والفرض الثاني مقدّم عقلًا وعقلائيًا ودينًا على الأول.

وهذه أمريكا وإسرائيل تتخذ أن العالم الإسلامي فريسة، ومنطقة استثمار واستنزاف، ومحال على العدوّ أن يتيح مختارًا فرصةً من فرص القوّة لفريسته ناقضًا بذلك هدفه، ولذلك ما هو المحارَب ليس أن تمتلك الأمَّة الإسلامية سلاحًا نوويًا فحسب، بل هي محاربة على مستوى أسباب القوّة من علم متقدم، سياسة موحّدة، عقيدة جامعة، اقتصاد مزدهر، استقلالية رأي وهكذا.

والموقف إمَّا الاستسلام لإرادة العدوّ بأن تظل الأمَّة تُستغل وتستنزف ويُمرّغ أنفها بالتراب فاقدة للقدرة على المقاومة، وإمَّا أن تتمرّد؛ لتنهض على قدم، وتدافع عن الذات والحاضر والمصير، وأولُ ما تفعله في هذا السبيل أن توحّد موقفها؛ لتجد نفسها محترمة الإرادة.

وأيـن الأمّـة من هـذا التوحّد، وهـي تنتهج مناهج بعيـدة عن منهـج الله سبحانه وتعالى؟![1]

خوف كاذب؛ لتبرير سياسة الهيمنة

إسرائيل خائفة، وأمريكا خائفة من تواجد سلاح نووي في المنطقة!

والسـلاح النـووي لا يرغب صاحب ضمير بانتشاره ولا وجـوده أصلًا في يد أي دولة كانت، لأن هذا السلاح لا يعرف البريئ من المجرم، ولا يفرّق بين عادل وظالم.

وأهل الإسلام والإيمان في مقدمة مَن يرفض هذا السلاح، ويكفر به.

لكن هل وجوده بما يكفي؛ لحرق الأرض وأهلها مرّات بيد أمريكا وإسرائيل حق؟!

ووجوده بيد دولة عربية أو إسلامية من الباطل؟!

وهـل هذا الفـرق لعدالة أمريـكا وإسرائيل وقيمهـا الإنسانية العاليـة، وتقواهما الشديدة من الله؟!

هل أمريكا عادلة وغيرها ظالم؟!

تقية وغيرها فاسق؟!

حريصة على الإنسان كل الحرص حتى يسوّغ العقل والعقلاء أن تكون أمريكا مالكة لهذه القوة البطّاشة، ويحرم ذلك على غيرها؟!

هل برهن تاريخ أمريكا على عدالة؟!

على شفقة على الإنسان؟!

على إنسانية في مواقفها من الأمم؟!

١- خطبة الجمعة (١٧٠) ٣٠ شعبان ١٤٢٥هـ ١٥ أكتوبر ٢٠٠٤م.

وهل احتمال الوجود أخطر وأبعث للهلع من تحقق الوجود؟!

هم يتحدّثون عن سلاح فعليٍّ في أمريكا وإسرائيل، وعن احتمال وجود سلاح مستقبلًا بيد هذه الدّولة أو تلك الدولة العربية أو الإسلامية.

وهل ينبغي أن يفزع المسلمون من السلاح النووي الباكستاني - مثلًا - أكثر من فزعهم من السلاح النووي في يد إسرائيل؟

ثم مَن يصدّق بأن خوف إسرائيل وأمريكا من إمكان حصول السلاح النووي في يد دولة عربية أو إسلامية هو خوف من عدوان هذه الدولة عليهما مع ما يملكانه من سلاح نووي يُدمر العالم مرات ومرات؟

أي دولة إسلامية أو عربية تجرؤ أن تكون هي المهاجمة اتّكاءً على سلاح نووي محدود لو قُدّر أن حصل بيدها في وجه الترسانة الهائلة من هذا السلاح في يد إسرائيل وأمريكا؟

فأي دولة ستكون هي المهاجمة لهما على هذا الحال؟

قدّر أن دولة إسلاميَّة أو عربيَّة يحصل لها سلاح نووي بكمِّية محدودة، فهل تخاف أمريكا وإسرائيل في هذا الحال من مهاجمة هذه الدولة لهما؟!

الاحتمال صفر!

واضح جدًّا أن المستهدف للدولتين العادلتين إسرائيل وأمريكا أن يبقى العالم العربي والإسلامي غير قادر على الردع، ولا الرد على العدوان؛ ليستجيب لكل الإملاءات الغاشمة، ويظل فريسة المطامع القذرة، ولتكون الأرض الإسلامية مستباحة وكما يشاء لها الأعداء، مأمونة الجانب عند استلابها، وتمريغ عزة أهلها في التراب.

وتتعدى رغبة الدولتين والدول الأوروبية الأخرى هذه الدرجة من الضعف لبلاد الإسلام، ويكون المطلوب الحقيقي حرمانها من الطاقة السلمية التي تتمتع بها في

الأغراض المدنية استغناءً عن الغرب.(١)

الأمن العالمي وهو مفقود، فكيف يتمُّ التَّوفُّر عليه؟

خياران:

١- قوَّة بلا تربية!

هناك قوة رادعة بلا تربية قد يطلبها قسم من العالم؛ ليفرض الأمن في كل الساحة العالمية الواسعة.

قوة بلا تربية، بلا ضمير، بلا تقوى، بلا معرفة لله سبحانه وتعالى، بلا مثل أعلى، لا كلام نظري في هذا الموضوع؛ فقد برهنت هذه القوة المنفردة عن الله بأنها تعني التكريس للظلم، تعني القلق في الأرض، تعني زعزعة الأمن، تعني الخوف والرعب الذي يزداد على الأيام.

٢- تربية بلا قوَّة!

ليس هناك من أطروحة تتمسك بالمُثُل أكثر مما يتمسك بذلك دين الله، ودين الله لم يعتمد التربية من دون قوة، وإنما اعتمد التربية أسلوبًا أوّل لصناعة الإنسان؛ لتحقيق الأمن، لتحقيق السعادة، ولكن أضاف إلى ذلك القوة، لأن الإنسان في ظل أي تربية راقية لن يتحول إلى ملاك على الأرض.

كثيرون من النَّاس يمكن أن ترتقي بهم التربية إلى مستويات تقرب من العصمة، لكن عددًا آخر من الناس سيبقى مكبًّا على الأرض، لا يجد نفسه إلا فيها وفي لذائذها وفي شهواتها، وهذا لا يعرف قيمة الخلق، ولا يقدّر لها وزنًا، ولا تمتلك في نفسه رادعًا ولا وازعًا، فلا بدَّ من قوة تؤدِّب مثل هؤلاء.

١- خطبة الجمعة (٢٢٥) ٢٠ ذي القعدة ١٤٢٦هـ ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥م.

وإذا أُخذ بخيار الرعب، فهناك تصوران:

١- تصور توازن الرعب، وتوازن القوة

أن تكون روسيا القويةُ الرادعة بسلاحها النووي القادر على تدمير أمريكا وأوروبا الغربية، وأن تكون أمريكا بسلاحها النووي المدمّر القادر على سحق روسيا، فوحشان كاسران لا يصرع أحدهما الآخر، يعيش كل منهما العذاب والقلق والخوف والفزع طوال الليل والنهار، والعالم كله منهما مُرعب، لا يُدرى متى يضغط هذا على الزّر؛ ليدمّر العالم، أو يضغط ذاك على الزر؛ ليدمّر العالم.

فالعالم يعيش كل أيامه ولياليه وساعاته خوفًا ورعبًا وعذابًا كما يعيش الوحشان الكاسران العذاب بنفس الدرجة.

٢- تصور القوّة المنفردة

والقوة المنفردة تعني القوة بلا قوة موازية، وبلا أخلاقية، بلا وازع من دين، بلا قيم، بلا خوف من الله، بلا تقوى، وهي تعني الطاغوتية الاستكبارية والغطرسة الظالمة في الأرض.

تعني أن يتحول الآخرون كل الآخرين إلى عبيد، وإلى أقزام، وإلى مسحوقين همهم أن يسترضوا العملاق القوي الظالم الطاغي، وأن عليهم أن يذلوا بين يديه عسى أن يأمنوا، وأن يركعوا ويسجدوا إليه من دون الله عسى أن تصلهم لقمة العيش الممرّغة بالهوان.

وهذا ما تريده أمريكا، وتحاول فرضه بلغة القوة في الأرض، وهي أول ما تستهدف بهذه الطاغوتية، والسحق والتدمير والإذلال الأمّة الإسلامية الصاعدة لما تهابه منها، وهيبتها منها لا من سلاح، وإنما من أطروحة ودين قادِرَين على أن يُحدثا في الإرادة انتفاضة، وفي العقل انطلاقة، وفي الروح سموًّا، وفي الذات جبروتًا غير ظالمة تُدمّر الاستكبار الأمريكي، وتسحق الإرادة الأمريكية الظالمة؛ لنشر العدل والسلام.

موقف الإسلام

أمـا موقـف الإسلام من القوة، فالإسلام يطلب القوة، ويشـدِّد عليها، ولكن للقيم، ولينتهـي بالقوة إلى العدل والسلام، وتربيـة النفس على الهدى، وقيادة العالم على خطّ الأمن والسلام.

القوة في يد الإسلام لا للبطش، إنما للبناء.

نعم، هي؛ لتأديب الظالم، لردّ العدوان، لإسكات الصوت الشيطاني في الأرض الذي لا يرحم الإنسان لا دنيًا ولا آخرة.[1]

١- خطبة الجمعة (١٦٠) ٦ جمادى ١٤٢٥هـ ٢٥ يونيو ٢٠٠٤م.

(٣)

سياسة نشر القِيم الغربيَّة

من كلمات المسؤولين الأمريكيِّين وأفكارهم

١- كلمة - مضمونها على الأقل هو هذا -: إنَّ الولايات المتحدة تريد أن تكون قوة محررة، تكرِّس نفسها؛ لإحلال الديمقراطية، ومسيرة الحرية في العالم الإسلامي».

تعليق: تمشيًا مع فكرة أن الديمقراطية هي المنقذ؛ أمريكا المكرّسة نفسها؛ لإحلال الديمقراطية كيف تبارك الديمقراطيات وإن كانت مزوّرة في كل الدول الصديقة؟!

وكيف تقدم دولًا لا ديمقراطية فيها مطلقًا على دول تأخذ بقدر كبير من الديمقراطية؟!

والجواب: إنّ المهم هو المصلحة، والديمقراطية المطلوبة في العالم الإسلامي نوع ديمقراطية تحدده المصالح الأمريكية، وتقوده شخصيات يراد لها في مثل العراق أن تكون مفصّلة على مقاس كرزاي.

والحرية المخطط لها للعالم الإسلامي، والتي تسعى أمريكا؛ لتركيزها ليست هي الحرية السياسية - كما تعلمون جيِّدًا -، وإنما هي حرية الاستهتار الجنسي الساقط، وتطاول الوسائل الإعلامية، وكل الألسنة الساقطة على الدين ورموزه وقيمه ومقدَّساته، وطرح الأفكار الإلحادية والتحلليَّة كما تشاهدون تمامًا في أكثر من مكان.

الحرية التي يراد أن تُثبت في عالمنا الإسلامي على اليد الأمريكية هي حرية فوضى الجنس، هي حرية شتم الدين، هي حرية التعدي على الله، ورسوله ﷺ، وأنتم تقرأون في بلاد سرت فيها هذه الحرية كلمات تنال من قدسية الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وتنال من شأن الله العزيز الحكيم.

هناك حسب المسموع في بلد إسلامي عريق، ويتجه للإسلام على طريق الكفاح المرّ،

ويواجه الدنيا؛ من أجل إسلامه، ومن خلال بعض العناصر الفاسدة تأتي هذه الكلمة: لنا حق أن نخرج في مظاهرات ضد الله، ويريد أن يحاكم بديمقراطيته الغربية اللهَ، يريد أن يحاكم بحريته الخالق العظيم!

هذه هي الحرية التي تبشّر بها أمريكا، وتعطيكم إياها!!

٢- «إن هناك عناصر إصلاحية في العالم الإسلامي نريد دعمَها».

تعليق: هل يظن أحدٌ أن العناصر المعنية عناصر دينيَّة خيِّرة تريد للأمَّة أن تعيش أصالتها، والاعتزاز بهُويتها، والحفاظ على قيمها وثرواتها، وولاء أبنائها لها؟!

أو هل تظنون أن هذه العناصر التي تدعمها أمريكا عناصر وطنية، أو قومية تراعي المصلحة القومية والوطنية قبل مصالح أمريكا؟!

طبعًا، لا هذا، ولا ذاك.

العناصر المدعومة هي العناصر التي تعمل على التغريب والأمركة لهذه الأمَّة، وتعمل ليلًا ونهارًا على تركيز الفكر الأمريكي والأخلاقية الأمريكية المبتذلة على الأرض في بلاد المسلمين، وتسوق بما تنتج من إثم وضلال، وزور القول، وفحش الكلمة، وبما تروج له من أرذل السلوك الشباب والشابات في ديار الإسلام إلى هاوية السقوط الخلقي، ورذيلة الزنا، واللواط والعربدة المنفلتة.

هذه هي العناصر الإصلاحية التي تتوجه أمريكا بدعمها في عالمنا الإسلامي.

وعلى ذاك اعرفوا أصحاب الشعارات.

٣- «التفوق الأمريكي في الجانب العسكري يفرض مسؤوليات؛ لتأمين محيط آمن تزدهر فيه بعض القِيم».

تعليق: لا بدَّ أن تكون هذه القِيم هي التبعية الذليلة لأمريكا، وقبول استنزاف ثروات البلاد الإسلامية، والسقوط في أحضان السياسة الأمريكية النفعية، وأنواع الانحلال الخلقي الذي بدأ يقتحم على المسلمين مواطنهم موطنًا موطنًا، ومدينة مدينة، وقرية قرية، وبيتًا بيتًا، وهو انحلال واسع يقف الأمريكان أمامه في بلادهم عاجزين عن

التخلص من آثاره الفتاكة، ويتوقعون له أن يُلقي بهم رخيصين في مزيلة التاريخ.

السلاح النووي ممنوع عن البلاد الإسلامية، التقدم التكنولوجي ممنوع عن البلاد الإسلامية، التقدم العلمي ممنوع عن البلاد الإسلامية، المسموح به التبذل الخلقي، الإيدز، الفحشاء، الحفلات الماجنة في الجامعات وفي كل المحافل، المخامر.

هذا هو المُصدَّر لنا!![1]

القِيم في ميزان المنفعة المادِّيَّة

لا الديمقراطية، ولا أي شيئ آخر مقدّم على المنفعة المادية لأمريكا في عقلية، وسياسات، وتخطيط، واستهداف الأمريكي الذي تحكمه الرؤية النفعية المادية.

الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والحرية السياسية، وكل الشعارات البراقة معلّقة على الرف، أو يلقى بها جانبًا رخيصة زهيدة إذا تصادمت مع المنفعة المادية الأمريكية، وهيمنة الوجود الأمريكي على العالم.

والشعوب الإسلامية التي يزداد تعلّقها، وانشدادها للإسلام بما فيه من البعد السياسي لا يمكن أن تلتقي المصلحة السياسية الأمريكية مع آمالها وطموحاتها، ومع تفعيل ديمقراطية حقيقية في ساحاتها.[2]

قيمة الإنسان

١- إنسان لا قيمة له هو إنسان هذا العصر، وذلك في نظر سياسة المادة القائمة في أكثر أقطار العالم، وكذلك دين لا قيمة له، هو الدين الصادق الذي لا يخدم السياسة الظالمة في هذا العصر المادي، والذي تحكم فيه قيم الأرض.

٢- هذه هي قيمة الإنسان في سياسة اليوم، أن يقتل بمئات الألوف وبالملايين، ويشرد؛ من أجل المادة.

١- خطبة الجمعة (٨٣) ٢٥ شعبان ١٤٢٣هـ ١ نوفمبر ٢٠٠٢م.

٢- خطبة الجمعة (٣٧٣) ٢٥ جمادي الثاني ١٤٣٠هـ ١٩ يونيو ٢٠٠٩م.

أدوية هذا الانسان وطبّه، والمنتجات المستهلكة من قبله دخلها الغش؛ من أجل المادة.

الهواء الذي يتنفسه هذا الإنسان على مستوى العالم يسمم؛ لأجل المادة.

أطفال ونساء يُتاجر بهم للجنس والمادة، تجهيل، وتضليل، وتخويف، وإرعاب للإنسان؛ من أجل المادة.

وفي بلد عربي عريق فنانات حسب التسمية الجاهلية المخادعة يوظَّفن للرقص المائع السخيف، أيام عيد الفطر المبارك في الشارع أمام مراكز السينما المفسدة ترويجًا لبعض الأفلام الهدَّامة؛ ايحدث هذا الرقص والأزياء المبتذلة في الشارع جنونًا للشباب المجوَّع جنسيًّا من حيث الحلال بحيث يدفعه هذا الجنون في هياج حيواني شرس؛ للتحرش الجنسي المكشوف بالنساء العفيفات، ويصل الأمر لحدِّ الظاهرة الواسعة الفاضحة المقيتة التي تشغل بال حتى الصحافة السافلة إلى حين.

وفي البلد نفسه عطاءات سخيّة وتكريم؛ للهو والمجون والرقص يجتذب إلى حدّ الظاهرة المتفشية عددًا كبيرًا من الفتيات في الدراسات العلمية الجامعية؛ للرَّقص، وللمسرح الهابط.

من هي على طريقها؛ للتخرج طبيبة، أو مهندسة، أو تمتلك اختصاصًا علميًّا عاليًا آخر، ومن صاحبات الدرجات الرفيعة في دراستهنَّ يغادرن قاعات الدراسة إلى الملهى والمرقص لاختلاف الفرص، لأن هناك تكريمًا، وهنا إهمالًا إن لم يكن إهانة، لأنَّ هناك عطاءات ماليّة وهنا يشحّ العطاء، ويضيّق على الكفاءات العلمية.

وأنت تجد أن الفنانة في كل البلاد الإسلامية – إلا ما رحم الله – تعلو قدرًا على كل فقهائها، وعلمائها، وفلاسفتها، وكتّابها الصادقين، وعلى كل الفئات المعطاءة!!

والفنانة إنما يكرّم فيها فسقُها، وإنما يكرّم في الراقصة إشباعها الجنسي لغرائز السافلين، وإنما يكرّم فيها دورها المفسد لفكر الناس وضميرهم.

والدين الحق تطارده السياسات المادية الظالمة، وأنصارها من شبكات الفحشاء والمخدرات، وفنادق الجنس فكرًا وأخلاقيّة، وممارسة تعليمية ومسجدًا، ومؤسسات

ثقافيـة في كل بـلاد الأرض، وتخوض معه حرب تصفيـة نهائية من خلال تجفيف منابع التوعيـة، والمحاربـة في الأرزاق الشريفـة الحـلال، ومن خـلال نشر العهـر والفحشاء، والمتاجرة بالأعراض.[١]

واقع القِيم الغربيَّة

وهل أمريكا تعرف العدل والإحسان؟!

تبحث عن أذكيائنا؛ لتصنعهم صنعًا لنا؟

تبحـث عن العقول هنا؛ لتربيهـا هنـاك، فتأتي رجالاتٍ تحمـل رسالة الأمَّة وهمها، وتعمل على طرد عدوها الغازي المستكبر الأجنبي من أرضها؟

هذا تفعله أمريكا؟

هذا يتجاوز الإحسان، هـذا يمثل حالة انتحار للذات، أتنتحر أمريكا هذا الانتحار؟

أمريكا يمكن أن يدخل في قاموسها عدل أو إحسان؟!

الفلسفة التي تقوم عليها الحياة الأمريكية من ألفها إلى يائها – رسميًا – هي مبدأ المنفعة واللذة المادية.

وكل شيئ وسيلة، والمنفعة واللذة غاية.

والديـن واحد من مراكب أمريكا إلى تحسين الوضع الاقتصادي الأمريكي، والرفاه الأمريكي، والغطرسة الأمريكية.

هذه الفلسفة يدخل في حسابها إحسان، أو عدل؟!

وماذا يقول الواقع؟

العقل الذي ربّته أمريكا؛ ليحكم أفغانستان ربّته لمصلحتها، أو لمصلحة أفغانستان؟

١- خطبة الجمعة (٢٦٧) ٢٢ ذي الحجة ١٤٢٧هـ ١٢ يناير ٢٠٠٧م.

الآن لو تأتّى لها الأمر في العراق، فمن ستأتي به للحكومة؟ - هناك الآن في الحكومة الانتقالية عناصر إسلامية، ولكن هذه العناصر الإسلامية فرضها الواقع، وليس هو شيئ من تبرع أمريكا -.(١)

قِيم الدِّيمقراطيَّة الشَّكليَّة

توالت هزائمُ الأمَّة وانتكاساتها، وتعمّق تخلّفها على يد أنظمة الحكم السائدة فيها المُتخلِّية عن الإسلام، وفي ظل الأحزاب والمنظمات المتغرّبة.

وبدأت صحوة إسلامية قوية، وانبعث شعار العودة إلى الإسلام، وأخذ مفعوله الكبير في صفوف أبناء الأمَّة.

ومن ردود الفعل على الصحوة الإسلامية الكاسحة، الطرح الأمريكي للديمقراطية الشكلية - وأقول الشكلية - في البلاد الإسلامية؛ لاختطاف الأنظار، وللتلهية والتخذير، ولإنقاذ الأنظمة التقليدية من أن تتعرّض للإسقاط والتغيير الجذري.

وقد ذهبت أمريكا وأوروبا إلى أن تُسقط بنفسها النظام المتصلّب الذي يقف في وجه خطّتها، ويصرّ على التحرّك خارج المسار الذي تختاره، بعد صبرٍ طويل على تمرّده، وبعد دعمه في وجه الإسلام، وانتفاضات الإسلاميين كما في نظام صدّام؛ خشية تحقق مكاسب إسلامية على الأرض تقطع على أمريكا طريقها.

ولا يُستبعد أن يوجد تنسيق وتوافق بين أمريكا والأنظمة التقليدية على فتح الساحة في البلاد الإسلامية اقتصاديًا وثقافيًا ودينيًا وتربويًا أمام الإرادة الأمريكية وخططها، وتنفيذاتها المباشرة وغير المباشرة في المنطقة.

وأما الساحة السياسية، فالحكم فيها متقاسم بين الأنظمة المحلية وما يُسمّونه بالقطب الواحد صاحب الإرادة السيادية.

والثمن الذي تتمسّك به أنظمة الحكم التقليديّة هو أصل البقاء والمكاسب القبلية والفئوية والحزبية التي تتمتع بها على حساب الشعوب المظلومة.

١- خطبة الجمعة (١٢٦) ٣٠ جمادى الأخرة ١٤٢٤هـ ٢٩ أغسطس ٢٠٠٣م.

وتترتب على هذه اللعبة المشتركة أمور:

١- امتصاص نقمة الشعوب، وخلق حالة أمل كاذب عن طريق التبشير بشعار الدِّيمقراطيَّة، ونصرة الشعوب وإنقاذها.

٢- اختطاف نظر الأمَّة عن الطرح الإسلامي المنقذ حقًّا، والذي صار يُحقِّق واقعًا على الأرض، وشغل الساحة الإسلامية بثقافة سياسية بديلة، تُبقي على جهل الأمَّة وغربتها في مجال الثقافة السياسية والإسلامية المنقذة.

٣- الاقتراب من المعارضة في البلاد الإسلامية إلى حدِّ الالتصاق والتغلغل؛ للسيطرة المعلوماتية الشاملة.

٤- احتواء النخب القيادية الجاهزة في البلاد الإسلامية، وإعداد نخب ناشئة؛ لتكون البديل الجاهز؛ لتنفيذ الخطط الأمريكية في حال اقتضت المصلحة الأمريكية استبدال الحكومات القائمة.

٥- خلق حالة أنس شعبي عام، بل ثقة واطمئنان للصديق الغازي، والعدو المنافق، ترتفع إلى درجة الموادَّة والشعور بالامتنان، وواجب تقديم الشكر.

٦- التربية والتثقيف، الأجنبيان المباشران وغير المباشرين للشعوب الإسلامية في ظل أجواء الثقة، بحيث تنتهي إلى حالة ولاء كامل، وارتماء في أحضان الأجنبي يصاحبه انفصال واسع عن الأنظمة الحاكمة التي آلمت تجربتُها الشعوب، ويُهيئ إلى الترحيب بالخيار الأمريكي الغربي المعادي للإسلام في كل مناحي الحياة عن رضًا واطمئنانٍ وشوق صادق.

مشفقون، ولكن!

إن أمريكا وفرنسا والغرب كله مشفقون علينا من الإسلام وشريعته، وقد جاءوا يعلموننا كيف نتعامل، وكيف نعيش، وكيف نبني أسرة سعيدة في ظل عطاءات حضارة الغرب الراقية، ولكنهم لا يُشفقون علينا من إسرائيل، ولا من جيوشهم أنفسهم

وصواريخهـا وقنابلهـا، ولا من تعذيبهـم للمسلمين في السجون التـي لم يعثر عليها أحد حتى الآن!

هـؤلاء المشفقـون علـى الأمّة هم الذيـن كانوا يدعمـون صدامًا ضـد شعبه، وضد محيطه الإسلامي، وهم الذين يدعمون الأنظمة الجائرة التي تحكم الأمّة، ويرفعون من جهة أخرى شعار الديمقراطية؛ للتضليل، والأغراض السياسية الخبيثة.

أليس هؤلاء المشفقون هـم الذين سهّلوا لطاغية العراق أن يسحق انتفاضة الحرية الشعبانية بالحديد، والنّار، والدّمار؟!

هـؤلاء المشفقـون علينا من إسلامنـا وتشريعاته هم الذين بنـوا لإسرائيل ترسانة سلاحهـا النـووي، وهم الذين يتهـددون أي بلد إسلامي يسعى؛ لتطويـر قدراته النووية السلمية، أو يحاول التحرّر والاستقلال عن محور التبعية الأمريكية الذليلة.

إن كل الأنظمـة السياسية المرتبطة بالمصلحة الأمريكية المتحرّكة في فلكها مدعومة من أمريكا بقوة، ومع ذلك تمارس أمريكا الكذب على الشعوب برفع شعار الديمقراطية المخادع.

وإذا نـال العـراق شيئًا مـن الديمقراطيـة، فذلك بإصـراره وتمرّده علـى الإرادة الأمريكيـة، وأمريـكا تعمل في العراق بكلّ جدّ؛ لتركيز شخصيـات لا يرغب فيها الشعب العراقي، ولايؤمن بها، وتحاول جاهدة لأن تترك لها بصمات واضحة في دستور العراق.

علينـا أن نقـول لأمريكا والغرب كله: إنّنـا أمّة غنية بقرآنهـا، ورسولها، وتاريخها، ورجالها، والـثروة الحضارية التي تمتلكها، ولا نحتاج إلى دروسهم في الأخلاق والمعاملة والتشريع والعلاقات الإنسانية، أو في الحق، والعدل، والإحسان.

وأن مـا أخّر هذه الأمّـة هو ظلم أنظمتها السياسية، وتقزيمها لها وهي أنظمة طالما أسندها الغرب وتآمر معها على الأمّة.

وحريـة الأمّة الحريـة الإنسانية والحقيقية، واستقلالها عـن تبعية الدول الأجنبية وممارستهـا لإرادتها الحرة الكريمة، وتقرير مصيرها، واختيار حياتها بحكمة ورشد لا

يأتي منحة من أمريكا ولاغيرها، ولن تُقدّمه الحكومات عن شفقة ورحمة، وإنما يعتمد على وعي أبناء شعوبها، وجهدهم، ونضالهم، وعودتهم لإسلامهم، واستكمالهم لشروط النهضة الصالحة الناجحة.

وممّا يضع الشعوب على طريق الحرية والاستقلال الحقيقيين، ويساعد جدًّا على تعديل الأوضاع المادية والإنسانية لأبنائها وشرائحها انتشار الوعي الديني الصحيح الذي يُثري الشعور بالكرامة، والتّوق إلى الحرية، والانشداد للحق والعدل، وتعميمُ ثقافة الحقوق بين مختلف فئات المجتمع ومكوّناته، وهي ثقافة يُركّز عليها الوعي الديني بشدّة.(١)

الغرب ثقلٌ ماديٌّ و خفّةُ إيمان

وكما يوجد للأفراد وزن، يوجد للشعوب وزن ومن كل الحيثيات، قد يكون الشعب عملاقًا من حيثية، له وزن من حيثية، إلا أنه خفيفٌ جدًّا من حيثية، الشعوب الغربية ثقيلة وذات وزن عالٍ جدًّا من حيث الواقع المادي، وعلى مستوى بعض الجنبات، وليس كل الجنبات، وعلى مستوى جزئي من حيث العنصر البشري وليس على مستوًى شمولي، لكن المجتمعات الغربية تعاني من خفة الوزن إلى حد كبير من حيث الإيمان، من حيث الاستقرار النفسي، من حيث سلامة الهدف في الحياة، وأن الكثير منهم لا يضعون أنفسهم على طريق ما خلقوا له.(٢)

لا تخلو أمريكا والغرب عمومًا من أصوات تحترم قيمة العدل وإنسانية الإنسان، وتتنافى وسياسة الظلم والوحش الكاسر التي تهيج به ماديته وبهيميته؛ ليبحث عن فريسة، والتي يؤمن بها ساسة كثيرون هناك، بل يتجاوزون في ذلك الكواسر التي لا تطلب الفريسة إلا عند جوعتها حيث يتحوّل البغي والعدوان في حياتهم إلى قاعدة عامة وسلوك شائع ومن غير ضرورة.

١- خطبة الجمعة (٢٢١) ٢٢ شوال ١٤٢٦هـ ٢٥نوفمبره٢٠٠٥م.

٢- خطبة الجمعة (٣٢) بتاريخ ٢٣ شعبان ١٤٢٢هـ ٩نوفمبر٢٠٠١م.

نعم، في الغرب أصوات لا تستسيغ أن يتبذّخ شعب؛ لتحكم المسغبة حياة كل الشعوب، وأن يحيا شعب؛ لتموت شعوب.

لكن في الغرب ساسة لا تحرّكهم إلا المصالح المادية، والروح الطاغوتية، وجنون الزعامة، ولا يكادون يقفون موقفًا أو يقولون كلمة مما ظاهره حقّ إلا وهم يريدون به الباطل، ويتّخذونه وسيلة للأغراض الخبيثة للدنيئة.

والانقسامات السياسية عند هؤلاء على اختلاف واجهاتها، وتباينات مواقفها منطلقها واحد، وهدفها الغلبة في صراع السياسة المادية في الداخل والخارج، والسبق إلى مواقعها وامتيازاتها، والتّمسّك بها.

بوش وهو يصرّ على عدم تحديد جدول زمني للانسحاب من العراق، وعلى الاستمرار في محاربة الإرهاب كما يدّعي، ودعم الديمقراطية في العراق، وتخليصه من حرب طائفية مدمّرة واضح جدًّا أنه لا يستهدف إلا تركيز الحالة الاستعمارية في العراق، وأن يخرج بطلًا من حربه هناك، وينتصر حزبه في انتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة، أو يخرج غير ملعون بهزيمته المخزية من كل شعبه على الأقل.

والديمقراطيون في مجلس الشيوخ والنواب في أمريكا لا تؤذيهم قذارة الحرب الظالمة على العراق، ولا الاقتتال الطائفي فيه، وحرق ثرواته، وتحطيم بنيته التحتية، وانتشار الرعب والهلع والرعب في كل ربوعه، ولا كل الخسائر البشرية الهائلة، والكوارث الإنسانية فيه، ولا حتّى تساقط القتلى في صفوف الأمريكيين الغزاة له، وإنما همّه الكبير أن يفشل الحزب الجمهوري، وتسقط شعبيته بدرجة أكبر؛ ليحتلّوا مكانه فيما يُسمّى بالبيت الأبيض، وتكون لهم الجولة في الصراع على السُّلطة، وكل ذلك مكشوف معروف في شرق الدنيا وغربها، وليس محل بحث وتحقيق.

والمهم بدرجة أكبر من هذا أن الرأي العام الغربي في غالبيته إنما تحكمه القِيم المادية، وبطولة الانتصار العسكري الغاشم، وتحقيق أكبر عملية نهب ممكنة لثروات الشعوب وإن عاش على آلام الملايين من أبناء الأمم والبلاد الأخرى وعذاباتهم.

وإن نتائج من هذا النوع تفتح له أبواب حياة مادية أكبر رغدًا؛ ليبرّر عنده عمليات العدوان الشرسة التي تمارسها حكوماته في حق الشعوب الأخرى، وإن نجاح الحزب والحكومة والرئيس وفشلهم في نظر الغالبية من الرأي العام الغربي مقياسه إحراز النصر على الآخرين ولو كان بأقذر الوسائل وأشدها فتكًا بمصائر الشعوب بعيدًا عن أي حساب للقيم المعنوية من حقّ وعدل ورحمة وأخوّة الإنسان للإنسان.

إنه خطر كبير يتهدد البشرية أن غالبية الرأي العام في أمّة ملايينية كبيرة كالأمّة العربيَّة هي مع منطق القوّة، مع منطق الغاب، مع منطق الغلبة بلا حساب لأي قيم، وبلا حساب لإنسانية الإنسان، وإن كان النصر والغلبة فيه سحق شعوب وأمم.

حين يسود هذا الرأي العام، ويتركّز تخسر كل الدنيا أمنها، واستقرارها، وتقدمها.

وهذا هو العطاء الحتمي، والنتيجة اللابديّة للحضارة المادية والمذهب الواقعي بمفهومه الأمريكي وهو مذهب اللذة المادية وما تتطلبه، وما ينبني عليها، وهو المذهب الذي قد حصل على تغلغل كبير في عقلية ونفسية وواقع كثير من المسلمين مما ينذر بانقلاب حضاري خطير داخل الأمّة، وتحوّل جذري هائل عن خط انتمائها.

لقد دخلت روح المادية، والحسابات المادية، وطلب النصر ولو بالظّلم حتى في نفوس كثير ممَّن يصلّون، ويصومون، ويحجّون، ويزكّون، ويخمّسون، وفي نجاح الجهود المقاومة، ومبادرة الفعل التوعوي على يد الإسلاميين المخلصين أمل كبير بعد توفيق الله، وتسديده، وتأييده.[1]

١- خطبة الجمعة (٢٨٣) ٢٣ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ ١١ مايو ٢٠٠٧م.

(٤)
سياسة الإصلاح الأمريكي

إصلاح أو أمركة؟!

المطـروح أمركة باسم الإصلاح، وهذا لا يشك فيه مسلم من المسلمين، وهي أمركة عقـول، ومشاعـر، وإرادة، وأوضاع حضاريـة، وأوضـاع اقتصادية، وأوضـاع سياسية، وأمركة لكل الساحة الإسلامية.

ولكن لماذا فزع العديد من الأنظمة؟

غيرةً على الإسلام؟

انتصارًا لخط الحضارة؟

إشفاقًا على الشعوب؟

هذا فزع غير معتاد من الأنظمة أن تقفه أمام الأمركة.

اعتدنـا احتضان تغيـير المناهج، احتضـان القواعد العسكريـة، اعتدنا الاشتراك في الحـروب مع أمريكا في خندق واحد، اعتدنا تواجـد الجيوش الأمريكية على الأرض، اعتدنا المشاريع التحللية المستوردة.

اعتدنا أن أسواقنا أسواق؛ لترويج البضائع الأمريكية.

اعتدنا أن نفط الأمَّة تحت الخدمة الأمريكية.

الأنظمـة التـي تقف هذا الموقف كله يُعجـب منها حين تقف موقفًـا فزعًا من شعار الإصلاح الجديد، إصلاح الشرق الأوسط، ومشروع الشرق الأوسط الكبير الذي تطرحه أمريكا.

الأمركة هذه المرة كأنها تطال مصالح الأنظمة، ومن هنا جاء الفزع.

تطال بنياتها بعض الشيئ، تطال ساطانها العريض المطلق بعض الشيئ.

وهنـاك شعاران عنـد الأنظمة لدرء الخطر الأمريكي، شعـار الإصلاح من الداخل حفاظًا على الهُوية وخصائص الذات، والذات هنا هي الذات الوطنية، والذات القومية، والذات الحضارية.

هذا الشعار يُطرح من الأنظمة قبال الإصلاح الأمريكي على مستوى الشعوب؛ ومن أجل استنهاض الشعوب، وأن تكون نصرتها للأنظمة في هذه المعركة.

لكـن هنـاك شعار آخـر لا يُطرح علـى الشعوب، يُطـرح في أروقـة المفاوضات، وفي الخلـوات؛ للاعتـذار للأمريكـي عـن مشروعه الجديـد، هـذا الشعار هو خطـر تسلق الإسلاميين والإرهابيين إلى مواقع القرار والسلطة.

ماذا كانت قيمة الخصائص الثلاث حسب المعتاد؟

خصائص الذات الوطنية، والقومية، والحضارية عند الأنظمة؟

تقـدم أن الثروات للأجنبي، القرار للأجنبي، التبعية الحضارية للأجنبي، مواجهة النهضة الحضارية الإسلامية.

اعتدنـا أن أوطان الأمّة الإسلامية تباع ثرواتهـا، وتباع أرضها بثمن بخس، وتوهب بلا ثمن للأجنبي.

اعتدنـا مواجهة الحضارة الإسلامية - التي يُدافـع عنها الآن - في مواجهة الطرح الأمريكي.

اعتدنـا استرخاص الدم المسلـم، واسترخاص الروح المسلمة مـن أنظمة كثيرة في البلدان العربية والإسلامية.

اعتدنا تهميش وإهدار كرامة هذا الإنسان الذي يُراد الحفاظ عليه اليوم في صورة شعار يطرح أمام الإرادة الأمريكية؛ للإصلاح الجديد.

والإصـلاح من الداخل لا بدّ أن يَنتظر طويلًا أيُّهـا الإخوة كما عطّل طويلًا، وعُذب وشرِّد وسجن وقتل من دعا إليه.

الإصـلاح الخارجـي مقابَـل بالإصـلاح الداخلـي، ومطـروحٌ الآن شعـار الإصلاح

الداخلي الذي انتظرته الشعوب كثيرًا، ونادت به كثيرًا، وعُذبت وشردت، وقتلت من أجله كثيرًا كثيرًا.

وهذا الإصلاح لا بدَّ أن يُنتظر كثيرًا؛ لأن إنسان هذه الأمَّة لازال غير ناضج، لا يجيد استعمال الديمقراطية، ولا النقد، ولا المشاركة في الحكم، ولازال قاصرًا يحتاج إلى تربية طويلة في نظر كثير من أنظمة الأمَّة.

يا أمريكا، يا أنظمة، نحن مع الإصلاح النابع من خصائصنا، ومن منطلق الحفاظ على هُويتنا، ومصالحنا، وثرواتنا، واستقلالنا.

وخصائص هذه الأمَّة المعطّلة هي أنها أمَّة العدل والمساواة، واحترام إنسانية الإنسان، وكرامته وحريته الحقيقية لا بمعنى التسيب البهيمي، واحترام دوره الخلافي، وقدرته على المشاركة الإيجابية الفاعلة في صناعة تاريخٍ إنسانيٍّ مجيد، وعلى السبق العلمي والتنافس على طريق الصالحات.

هذه أمَّة الإنتاج الكريم، والقِيم والخلق العظيم، والانفتاح على خير الإنسانية جمعاء بلا تمييز.[١]

الإصلاح الأمريكي!

الإصلاح الأمريكي ليس حلًّا وإنما من شأنه أن يؤزِّم الأمور، ويأسر الأمَّة، ويخلق مواجهات خطيرة.

وهو إصلاحٌ يخدم الأغراض الأمريكية النزيهة جدًّا، أو قل باللغة المكشوفة الخالية من المجاز الظالمة والقبيحة جدًّا.[٢]

غاية البؤس والإفلاس

غاية البؤس والإفلاس، والخيبة والفشل، والسذاجة والبلاهة، والغفلة والسبات أن تنتظر الأمَّة إصلاحها ورسم صورة مستقبلها من أمريكا.

١- خطبة الجمعة (١٤٥) ٢٠ محرم ١٤٢٥هـ ١٢مارس ٢٠٠٤م.

٢- خطبة الجمعة (١٥٠) ٢٦ صفر ١٤٢٥هـ ١٦ أبريل ٢٠٠٤م.

لكن لماذا لا، وأمريكا الحانية الحكيمة المؤمنة المأمونة على مصائر الشعوب والأمم والمقـدرات والمقدّرات كما يشهـد موقفها الكريم في فلسطـين، وأفغانستان، والعراق ... إلخ؟!

لا أهـلًا ولا سهـلًا بإصلاح تفرضه أمريـكا، ولا رجاء ولا أمـل في إصلاح يتبرع به النظام الرسمي العربي، وسيبقى الأمر مرهونًا بإرادة الشعوب.

فهل تقترب من وعي ذاتها، أو لا تقترب؟

هل ترجع إلى أسباب عزتها، أو لا ترجع؟

ولا يعنـي هذا التغني بأمجاد الماضي، وإعفاء النفـس من إضافة الجديد المفيد في ضوء هدى الله، وثوابت دين السماء.

وهـل نقرر فورًا عدم الاستجابة لمزيد من التدهور الخلقي الذي يراد لنا، أو نستمر في إرخاء الزمام؟

هل، وهل ... .

هـل نصمـم على عـودة جادة للإسـلام، أو لا نصمم، هـل نتحمـل مسؤولية رسم مستقبلنا، أو لا نتحمل؟

إذا أعطينا أجوبة حاسمة جادة واعية ترضي الله سبحانه والتزمناها موقفًا عمليًا كله إصرار ومواصلة واستمرار، فهذا هو طريق المستقبل الجديد المجيد.

أما أن ننتظر شفقة أمريكا، وجودَ النظام العربي الرسمي، فهو ضرب من الخيال، وهو تخلٍّ عن المسؤولية، ورضًا بالحياة التي هي دون.[1]

١- خطبة الجمعة (١٧٩) ٤ ذو القعدة ١٤٢٥هـ، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٤م.

(٥)
سياسات حقوق الانسان

الغرب وشعارات حقوق الإنسان

كم هي المؤسسات الغربية الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية والدّيمقراطيّة التـي تحمل شعـارات الإنسانية وهي تحتقر الإنسان، وتمكر بـه، وتتآمر عليه، وتختطفه جسدًا أو عقلًا، وروحًا وإنسانية وكرامة؟!

وهي مؤسسات يُبهر بها عدد من المسلمين من غير تحقيق في أدوارها الخلقية.

إنـه لا بـدَّ من الاحتراس من الغـرب، وسياساتـه وشعاراتـه، وإن جـاءت برّاقة، ومؤسساته، وعلاقاته وإن بدت مغرية.[1]

مناهضة التَّعذيب

مناهضة التعذيب، ومناصـرة المعذبين قضية مرة ترفع لافتة إعلامية، ومرة تتخذ قضية جدية.

والغرب في نظري.

الغـرب الرسمـي في نظـري، وفي نظر كل صاحب عـين إنما يرفع قضيـة مناهضة التعذيب لافتة إعلامية، فمن هو الغرب؟

الغرب هو الذي يصنع ويصدر أدوات التعذيب وأحدث آلياته، الغرب هو الذي يدرب المعذبين على أحدث آلات التعذيب والإيذاء للبشر، والغرب هو الذي يصدر المعذّبين، وقد صدر لنا من المعذبين ما صدر، الغرب هو الذي يدرب على كيفية التعذيب الفردي، وعلى كيفيـة التعذيب الجماعي والشعب العـام، هذا هو الغرب التي تنطلـق بعض مؤسساته؛ لترفـع راية مناهضة التعذيـب، وراية حقوق الإنسان؛ لتستعمل ذلـك في مواجهة أنظمة

١- خطبة الجمعة (٣٠٢) ٢١ شوال ١٤٢٨هـ ٢ نوفمبر ٢٠٠٧م.

إسلامية، وبلاد إسلامية مهما أوغلت في السوء إلا أنها قد لا تبلغ سوء الغرب.

الغرب لو تعرضت مصلحته السياسية لأدنى زوبعة لقتل الملايين، وبروح باردة والحروب الصليبية شاهد.

كيف يناهض التَّعذيب شعبيًا؟

ليس بكلمة تقال في يوم، الكلمة والمؤتمر والندوة وكل الفعاليات في هذا المجال محمودٌ ومطلوب، ويجب أن يكثف ويركز، ولكنه مع ذلك يجب أن يستمر والإسلام وحده الذي يجعل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة يومية لابديَّة، ومن أبشع المنكر أن يعذب إنسان إنسان بريئ، والتعذيبات التي تحصل إنما تحصل؛ لانتزاع اعترافات لا يصح أن تعتبر في شرع، ولا في قانون ما دامت تستل تحت مطرقة التعذيب.

واجب إسلامي

أقول: مناهضة التعذيب واجبٌ إسلامي واجب كل مسلم، فلنحول حديث مناهضة التعذيب إلى حديث يومي مستمر طوال العام، وفي كل مجالسنا، وفي كل مجامعنا، وفي كل نداواتنا، وعند أول حادثة تعذيب يطالها النظر يجب أن يكون الإنكار سريعًا ومكافئًا أيضًا.

كيف يناهض التَّعذيب على المستوى الرَّسميّ؟

الدولة إذا أرادت أن تناهض التعذيب ماذا تفعل؟

عليها أولًا التصحيح، والتطهير للأجهزة المخابراتية.

تصحيح الجهاز المخابراتي من كل المعذبين، ومن كل أصحاب السوابق في هذا المجال.

أما ما بقت رموز التعذيب في مواقعها، فلا أستطيع أن أفهم أن هناك نيَّة كافية وعزمًا كافيًا؛ لاقتلاع هذه الجريمة - جريمة التعذيب -، ينضاف إلى هذا التطهير التعقب وتوقيع الجزاء لكل المعذبين، وهل المعذب فوق القانون؟

أسأل: هذا التعذيب بإذن القانون، أو أن هذا التعذيب خارج القانون؟

إن كان هـذه التعذيب في ظل القانون وبإذن القانون فهو جريمة دولة، وإن كان هذا التعذيب خارج القانون، فلا بدَّ للجزاء على الخارج على القانون.

رعاية المعذَّبين والمشوَّمين!

الدولة تتولى رعاية المعذبـين والمشوهين وتعويضهم، على أن هذا التعويض لا يغسل الجريمة، ولا يُسقِط العقوبة.

علـى المستحق إشاعةُ ثقافة عـدم التعذيب على مستوى وسائل الإعلام، ومن خلال كل المواقع.[١]

اليوم العالمي لمناهضة التَّعذيب

يُعتبر اليوم العالمي؛ لمناهضة التعذيب فكرة محمودة عقلًا ودينًا وعُقلائيًا، ويلاحظ أنّ العالم وهو يحتفل بهذا اليوم تستمر أكبر الحكومات وأكثر الحكومات فيه في ممارسة التعذيـب بمختلف صوره البشعة، وسيستمر هذا الوضع ما دام الضمير الإنساني مغيّبًا، والضمـير غائـب دائمًا مـا غاب الدّين، وطمسـت الفطرة، وكيف يُعطـي العالم الذي لا يعترف بالقِيم الثابتة أبدًا قيمةً ثابتةً لعدم التعذيب؟!

فلسفـة العـالم المادي تقوم علـى إنكار وجود أي قيمـة خلقية ثابتـة، وأن كل القِيم نسبية وهي تنسب إلى المصلحة المادية والمنفعة المادية، فما وافق المنفعة المادية للكبار هو القِيمة، وما خالف منفعة الكبار لا قيمة له.

قـل لي بربك في هذا العـالم: كيف يخدعوننـا، ويقولون: إنهم يحاربـون الإرهاب، وكيف يخادعوننا، ويقولون: إنهم يشنون حربًا ضد التعذيب؟!

إنَّه ضحك على الذّقون لا غير، أن يقول مَن يتنكر لكل القِيم أنه ضدّ التعذيب، ومع عدم التعذيب.

١- خطبة الجمعة (١٣) بتاريخ ٧ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ، ٢٩ يونيو ٢٠٠١م.

إنّ التعذيب يمارس علنًا في حق شعوب بكاملها من الدول التي تُعلن عن نفسها بأنها حامية حقوق الإنسان، وإن أسرى حركة القاعدة قد قضت المصلحة الأمريكية أن يعاملوا معاملة خارج القانون، فكان هذا هو الحق، لأن الحق كل الحق مع المنفعة المادية لأمريكا كما تقول فلسفتها.

أما الذين يعيشون أقسى ألوان العذاب في سجون إسرائيل، وفي الزنزانات الإنفرادية في هذا العالم تشفيًا من المطالبين بالعدالة، فالدول التقدمية التي شرّعت مناهضة التعذيب ترى هذه المعاملة الوحشية القاسية لهم من الحلال الطيب الهنيئ المبارك ما دامت تطلق يدها في النهب والسلب والاستئثار، وتُكمّم أفواه الشعوب المظلومة المحرومة المعذّبة.

وإن على الشعوب أن تحوّل الشعارات الإعلامية التي يريد بها المستكبرون تخدير مشاعر المستضعفين كشعار مناهضة التعذيب من الإنسان لأخيه الإنسان إلى شعارات جماهيرية واعية على طريق تفعيلها وفرضها في الواقع العملي الحي.

وإن الشعوب إذا انطلقت في حياتها من غير منطلق الإيمان والقيم، فإن نداءاتها المتواصلة بالعدالة واحترام الإنسان، ورعاية حقوقه وكرامته، ستكون نداءات فارغة يتنكر لها كل من تسلّق إلى موقع من مواقع السلطة من بين صفوف الجماهير نفسها، أو وجد إلى ذلك الموقع سبيلًا سهلًا.(١)

ونؤكد نحن المسلمين الذين نعرف من عظمة الإسلام شيئًا ما، بأن حقوق الإنسان في الإسلام لا توازيها حقوقه في أي وثيقة من وضع الناس، وكل حقٍّ ممّا سمّته وثيقة حقوق الإنسان مما يلتقي ومصلحة الإنسان وقيمته الإنسانية العالية، وهدفه اللائق بمستواه وموقعه، فالإسلام أسبق إليه، والإسلام بوصفه متنزِّلًا من عند الله سبحانه العليم الخبير اللطيف الحكيم، له التعقيب على كل ناتجٍ بشري، وليس له من معقّب.(٢)

١- خطبة الجمعة (٦٥) بتاريخ ١٧ربيع الآخر ١٤٢٣هـ ٢٨ يونيو ٢٠٠٢م.

٢- خطبة الجمعة (٣٧) بتاريخ ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ ١٤ديسمبر ٢٠٠١م.

حقوق الإنسان الرُّوحيَّة

يُخطئ الذين يعاملون الإنسان معاملة الحيوان، وينظرون إليه كمًّا من الدم واللحم والعظم، ومجموعة من شهوات الجسد، مُلغين في هذا النظر قيمته الروحية، وشعوره بالعزَّة والكرامة، والذاتَ الإنسانية المتميزة.

ولك أن تعرف خطأ هذا النظر من خلال العمليات الاستشهاديَّة التي يُقدِم عليها المجاهدون الفلسطينيون المضطهدون.

فمن أصعب شيئ على الإنسان وهو يعيش حالة نفسيَّة متّزنة أن يقدم على إنهاء حياته وتمزيق جسده، وبعثرة أشلائه بيده، ويثكل والديه، أو ييتّم ولده، وهو لا يفعل ذلك لأنّ أبواب اللذة الجسدية قد انسدّت أمامه، وأنّ عدوه الذي يفجر نفسه فيه يمنعه اللقمة، إذ أن طريق اللقمة المغموسة بالذّل والهوان، وبيع الضمير يفتحه هذا العدو، ويرغّب فيه.

فإذًا، سرُّ هذا التقدم الشجاع للاستشهاد هو شيئ آخر غير الضائقة المادية، فقرار تصفية الجسد الذي يتخذه المجاهدون وسيلة لقهر العدو المتغطرس حيث يتحولون إلى عبوات ناسفة تتفجر في صفوفه؛ ليذيقوها طعم الموت، وإن تكن أنفسهم الثمن، ليس وراءه إلا الشعورُ بالكرامة المسلوبة والقِيم المُهانة، والانتماءِ الحضاري الذي يُهزأ به، والإيمان القوي بالمبدأ الذي يُنتصر له.[١]

أهمية العمل الحقوقي

ثم إنه لا تصلح الأوضاع السياسية من غير فكر وصوت حقوقي واضح، ونقد علمي موثّق، ومطالبة واعية بأساليب مدروسة ومقبولة، وملاحقة دقيقة لأخطاء السياسة، وقصورها، وتقصيرها.

١- خطبة الجمعة (٦٥) بتاريخ ١٧ربيع الآخر ١٤٢٣هـ ٢٨ يونيو ٢٠٠٢م.

والمؤسسـات الأهلية السياسيـة العلنية، والمراكز ولجان حقـوق الإنسان هي الأكثر قدرة على التعامل مع هذا الملف، بما لا يربك ويخلق حالة من فوضى المعلومات والأخبار والاتهامات المثيرة.(١)

المعالجة الحقوقيَّة والحل السِّياسي

المعالجـة لأيّ مشـكل من مشاكل الشعـوب التي أوقعتها فيهـا السياسات الخاطئة، ورفع أي ظلم عنها مما يَلحق بوجودها من هذه السياسات أمرٌ مطلوب، وحقٌّ لا بدَّ منه، وهو الصَّحيح الذي يجب ألا يتأخّر.

ومن أوضح ما يُطلب في باب الحقوق ألَّا يبقى أبناء الشعب الذين طالبوا بحقوقهم وحريتهم وراء القُضبان، وفي غياهب السجون.

وكلُّ توجيـه حقوقي قائم، وأي خطوة في الاتجاه الصحيح على مستوى التوجيه إنما تأخذ قيمتها من تحققها العملي، وتجسيدها في أرض الواقع.

وهذا أمرٌ عارٍ من الغموض.

أمـا العلاج الحقيقي لسوء الأوضـاع، ودرء الخطر عن البلاد، ففي الحلّ السّياسي الجدّي الجذري العادل الذي ينال موافقة الشارع، ويضمن حالة الاستقرار.

وإنّمـا تتركّـز دعوتنا عليه، ويتكثّف نداؤنا به، لأنـه لا ما دونه، الحلّ وليس في غيره حلّ على الإطلاق، ويأتي تركيزنا عليه إخلاصًا للبلاد والعباد.(٢)

١- خطبة الجمعة (١٦٩) ٢٣ شعبان ١٤٢٥هـ ٨ أكتوبر ٢٠٠٤م.

٢- خطبة الجمعة (٤٦٧) ٣ شوال ١٤٣٢هـ ٢ سبتمبر ٢٠١١م.

(٦)

سياسات الاقتصاد العالميّ

مشكلة الفقر

فـإنَّ حديثـي لا ينصبُّ على الأحـداث السياسية الجزئية، وإنمـا هو حديثٌ يذهب إلى العمـق مـن المأساة، وإلى ما هو العلاج الحق لو وعينـا وانكشفت عنّا غمم الجاهلية العمياء.

الـكلُّ يعـرف معانـاة البشرية، وكـثرة مآزقها ولكن مـا أقل من يطلـب خلاصها، وحـل أزماتها مـن الطريق القصير الصحيـح الواصل الذي لا طريـق واصلًا غيره، ولا مخلّصًا سواه، وهو طريق الله سبحانه، ومنهجه الكريم الذي تنزلت به كـتبه وجاءت به رسلـه، ﴿إِنَّ الدِّيـنَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ...﴾[1]، و﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2] إذ غيره واهم فاسد مؤزم ساقط.

مـن مشـاكل هذا العالم المعرض بوجهه عن منهج الله الذي لا غنـى له عنه: فقر، ومرض، يسحقان ملايين من النَّاس، وجوع مـذل، وسقم مفترس، وفزع أمنيٌّ دائم من الفرد إلى الدولة إلى العالم، واقتتال طاحن طرفاه الحرمان والاكتراش، فهو من جانب؛ مـن أجل اللقمة المسلوبة التي تتوقـف عليها الحياة، ومن جانب؛ من أجل العبث في كنوز الدنيا، وجهود أبنائها، ومزيد من التطاول على الآخرين.

عالم ملؤه مشاكل بلا تعداد، يغرق في مآسيه، ويسعى إلى مزيد.

منشأ المشكلة

من أين هذا الفقر، الجوع، العِري، التشرد، المرض، العجز عن اللقمة، عن الكسوة، المسكن، الدواء؟

---

١ - آل عمران:١٩.

٢ - آل عمران:٨٥.

من أين هذا الفزع عند الإنسان من الإنسان، من نتائج العلم، من مكتسبات الحضارة المادية، هذه المعارك العدوانية المتصلة التي تحصد الناس، وتحرق الأخضر واليابس؟!

كذبة المنشأ

يغالط المستكبرون المستضعفين، فيقولون: إنَّ المشكلة في شح الموارد الطبيعية، وإنَّهم لكاذبون، ولو تضاعفت الموارد الطبيعية أضعافًا، وضاعف التقدم العلمي الإنتاج المادي مرات ومرات فالمشكلة ستبقى، وإذا كان شيئ، فستزيد لا أنها تنقص.

المنشأ الحقيقي للفقر

المشكلة في الإنسان المستكبر، في تفرعنه، في طاغوتيته، في سحقه لقيمة الثروة، لقيمة الإنسان، في روح الجشع التي تتحكم في تصرفاته، في بحثه عن ذاته، عن معناه، عن قيمته في المال التالف، في الجاه الزائف، في السلطان العابر، في الخلود الدنيوي الموهوم.

يسكت هؤلاء المستكبرون عن سلبهم لأرزاق الملايين من البشر، واللعب بالثروة من عطاء الأرض وجهود الكادحين، وإبداع المكتشفين والمخترعين لعب الطفل الأبله، ويكدّسون الأموال كالرمال، وينسون احتكارهم للطبيعة، وحرمان المستضعفين من الإفادة منها ومن عطاءاتها، بل وتجاوزَهم على الطبيعة بإفسادها، وتخريبها، والإخلال بمعادلاتها التي تنتظم بتوازنها أمور المعاش والحياة لحساب مشاريعهم الجشعة والعدوانية الفتّاكة.

ولو صدق الإنسان لقال: بأن الثروة الأولية، وناتج الكدحِ العالمي، والفكرِ المخترع المبدع، والآلة الضخمة يحترقان في وزارات الداخلية والدفاع والإعلام الموجَّه؛ للتضليل والخداع والتجهيل، وفي ليالي الفحشاء وسوق الهوى، ونوادي القمار والخمر، والسرقات والرشوات، وإنتاج أسلحة الدمار الشامل، والبحوث العلمية الموظفة، لتقدم وسائل الفتك العالمي، وتكديسها، وتخزينها، وفي الإنتاج الفضولي الترفي الذي يمثّل مع تسويقه،

وامتصاص المال عن طريقه لوناً من ألوان بعثرة الثروة وسرقتها من جيوب المغفّلين.

وتجد النسبة العليا من مال أهل الأرض، وأرزاق ملايينها الغفيرة، وثمن لقمتها وكسائها ودوائها وسكنها المناسب، وما به صلاح حياتها في أرصدة حفنة قليلة من متموّلي العالم ومهرة سرّاقه.

هذه هي الحقيقة بالضبط، وإذا بقي منها باقٍ فهو من نفس السياق.

عامل الفساد

قالت كلمة البعض في قمة الأرض الأخيرة: بأن من أكبر عوامل الفقر في العالم إن لم يكن أكبر عامل له هو الفساد، ويعني به اختلاس المال العام من المتنفذين في مراكز القرار والإدارة، والرشوة، ومختلف التحايلات القانونية وغير القانونية على ناتج عرق الكادحين، وعطاء إبداع المفكرين.

ويشترك في الاختلاس والخيانة للمال العام موظفون ومدراء، ووكلاء، ووزراء ورؤساء وزارات، ورؤساء جمهوريات من مصاصي الدماء، وفاقدي الضمير، والمبتلين بداء العطاش للمال والدنيا، ومقتضيات الهوى، وهم - الخونة الناهبون الغاصبون المتحايلون - حرّاس الثروة والأمن والقِيم والدين، وكل مقدّر ومقدرة.

والسؤال: كيف يسقط الإنسان، وتحترق الثروة على يديه في كل هذه المحارق، ويهدر تعب الأجيال، وكدح المعذّبين، وعرق المكدوحين، وتسرق لقمة الكفاية، ولقمة الجياع من طريقها إلى أفواه الملايين، وإذا وصل ما يقيم الصلب، أو يحفظ الرمق لا يصل إلا وهو مغموس بالذل والهوان، وبيع الشرف والدّين في كثير من الأحيان؟!

كيف صار يمتهن الإنسان على يد أخيه الإنسان الذي يسرق لقمته وجهده ونصبه، ويتفنن في إذاقته ألوان العذاب مع راحة ضمير، واستمراء للحياة، بل هناءة فائقة، وتلذذ كبير؟!

من أين صار أمن الحكومات لا يتم إلا بإخافة الشعوب؟، وأمن كل دولة لا يتم إلا بإخافة بقية الدول المجاورة حيناً وحتى غير المجاورة حيناً آخر؟، وأمن الرؤوس في كل

حكومة لا يتم إلا بالحراسة من بعضهم البعض؟!

لماذا لا ضعيف، يأمن، ولا قوي يأمن، والعالم كله في توتر من الأعصاب إلى حد العنف والإرهاب والاغتيال والقتل للتشفي وللبطش والملهاة؟!

معرفة الدَّاء نصف الدَّواء

وراء ذلك كله أمر؟

نعم، ولا شك ولا ريب.

حاجة الإنسان إلى ربه في المرجعية والحاكمية التشريعية حاجته إليه في المرجعية والحاكمية التكوينية.

حاجته إليه في مساحة الاختيار على حدّ حاجته إليه في مساحة الجبر والإضطرار.

وتنكُّر الإنسان استكبارًا وجاهلية وغرورًا لهذه الحاجة في حاكمية التشريع، وهو المذعن اضطرارًا لحاكمية التكوين.

هذان الأمران، إنسان محتاج إلى الله، ويستكبر على الله.

الإنسانية تبقى محتاجة إلى الله في عالم التشريع كما هي محتاجة إليه في أصل وجودها وعموم حياتها، هذه الحاجة اللابديَّة حين يكون لها تنكّر لا بدَّ أن تكون آثار مدمِّرة.

أنا محتاج للشمس، فحين أرفض أن أتعامل مع الشمس أي تعامل إلا بالهروب منها، لا بدَّ أن تكون صحتي في كارثة.

أنا محتاج للأكسجين، فحين أكفر بقيمة الأكسجين لا بدَّ أن أنتهي.

هذه هي المشكلة تمامًا.

الإنسانية يصلحها الضمير اليقظ، والمنهج الدقيق العليم الحكيم العادل، والاثنان مغيبان في مجتمعات الجاهلية والإدبار عن الله.

إن المستضعِف والمستضعَف، المستكبِر والمستكبَر عليه – وهما طرفا المعادلة الفاسدة في المجتمـع البشري اليوم – يشقيان معًا بالهروب عن الله، بالتخلي عن منهجه، برفض حاكميته – بتغييب تربية السماء.

ولا يعيـد الأمور إلى نصابها الصحيـح، ولا تعافى الأرض من مشكلاتها، ولا هدى، ولا ضمير، ولا أخوَّة، ولا صدق، ولا أمانة، ولا عدل، ولا كرامة، ولا أمان، ولا سلام إلا بأن تعـود التربية والمنهج المغيبان المحاربان والمهملان: منهج الله، وتربية السماء، إذ لا مثيل ولا نظير، وليس بعد الهدى إلا الضلال.

فليسـعَ الإنسـان مـا يسعـى، ولتقـاوم الشعـوب والأمم، ولتُبتـدع الأطروحات بعد الأطروحـات، وليكثر الإنتاج ولكنّ شيئًا من ذلك لن يجـدي البشرية نفعًا، ولن تذوق في ظله عدلًا وإحسانًا، وراحة ورفاهية، وأمنًا وسلامًا وكفاية، وعزَّة وكرامة إلا أن تعود إلى حاكمية الله، وتنقاد إلى منهجه، وتتأدب بتربية دينه وأحكام شريعته.

كلما قرأتم شيئًا في السياسة، فارجعوه إلى هذا الأصل.[1]

النِّفط هو القِيمة العليا!

حضارة المادة لا خلق ولا إنسان ولا قيم فيها إلا قيمة المنفعة، والمنفعة تتركز بدرجة كبيرة اليوم في النفط.

والاختـلاف والتوجس من بقاء النظـام العراقـي وذهابه؛ لتحل محلـه السيطرة الأمريكيـة منشؤه نـوع القسمة والحظوظ التـي قد تتفاوت كثيرًا في ظل هـذا الطرح أو ذاك، هذه النتيجة أو تلك.

ولا فرق بين أمريكا وبريطانيا وروسيا وفرنسا وحتى حكومات عربية في هذا الأمر.

هنـاك حكومات عربية تصرّح بأنها ستخسر نفـط العراق المتدفق عليها حين تقوم حرب، وتطلـب تعويضًا عن ذلك، وإذا حصل التعويض فلا بأس بضرب العراق، وحسن ضرب العراق.

١- خطبة الجمعة (٧٧) ١٣ رجب ١٤٢٣هـ ٢٠ سبتمبر٢٠٠٢م.

إذًا، والعالم هذه قيمه، وهذا انحطاطه لا بدَّ أن يواجه درسًا تكوينيًا عامًّا، وفجيعة شاملة، ولا بدَّ أن يقوم على أنقاض هذا الكيان العالمي المنهار نظامٌ إلهي عادل يملأ الأرض قسطًا وعدلًا ونورًا، بعدما ملئت ظلمًا وجورًا وشرًا، والقيادة لإمام العصر عليه السلام.

ومن ناحية عملية فعلية لا يعمل على نقل الأخلاقية «الغربية المهترئة، والتحلل الغربي، ونظام العلاقات الأسرية في الغرب، وخصائص الحضارة المادية هناك إلى أرض الإسلام إلا خائن لبلده، وقومه، وأمّته.[(١)]

الإفساد وطغيان رأس المال

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.[(٢)]

كان واحدًا من قوم موسى، وقوم موسى مستضعفون، وقوم موسى منهم الصالحون، أو كان من قوم موسى من جملة قوم موسى سواء من أبناء إسرائيل أم غير إسرائيل، أي ممَّن أُرسل إليهم موسى عليه السلام.

فرح الاستكبارِ والطغيان البطر والاعتماد على المال دون الله، وهذا الرجل كان يستعمل المال للإستكبار، والبطش، والحاكمية الظالمة، وكان يسند حكم فرعون، ويسير معه في درب واحد: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[(٣)]، طغيان رأس المال، وحاكمية رأس المال، وكون القرار بيد رأس المال، وتلاعب الطبقة

١- خطبة الجمعة (٨٣) ٢٥ شعبان ١٤٢٣هـ ١ نوفمبر ٢٠٠٢م.

٢- القصص: ٧٦ - ٧٧.

٣- القصص: ٧٧.

الرأسمالية في مصائر الناس من الإفساد، هذا والمنهج الفرعوني، وهما متقارنان منهجان إفساديان.(١)

الاقتصاد والرَّذيلة

إنَّ اقتصاد البلد لا تنعشه الرذيلة، ولا تضرُّ به الفضيلة.

وما بنت الرذيلة يومًا خيرًا، وما هدمت الفضيلة يومًا بناء سليمًا، وما تجره الفحشاء والخمرة من مكاسب مالية لفئة قليلة مترفة يقابله حالة فراغ قِيَمي تنتشر في الشعب، وتقوّض الأمن، وتثير الرعب بالقتل والسطو والاغتصاب والسرقة، وتسقط إرادة الخير، وعزم العمل المثمر، وتميّع الإرادة، وتهدم الأسر، وتشعل الفتن، وتلوث البيئة الصحية، وتوسع من الأمراض السارية التي يجر إليها الجنس الحرام.

وكل ذلك يتطلب مضاعفة في الميزانية على حساب المستضعفين والمحرومين.

وليس كالرذيلة هادمًا للاقتصاد، وباعثًا على الرشاوى والسرقات، والتحايل على المال العام والاستغلال البشع.

وليس كالفضيلة داعمًا للاقتصاد، ومحافظًا على الثروة، وصائنًا للحقوق، ومانعًا من هدر المال فيما يضرّ الفرد، وينشر الفوضى في المجتمع.(٢)

الاستثمار القذر

الاستثمار القذر إذا رأى أن الطريق مفتوحٌ أمامه في بلد، فمعنى ذلك أن ذلك البلد ساقط خلقيًا، وأن غيرة أهله قد انتهت، وأن انقلابًا حضاريًا على الخط الإسلامي قد حصل.

كلما وجدنا أرضًا تستقبل مشاريع استثمارية قذرة بصورة مفتوحة.

١- خطبة الجمعة (٧٢) ٨ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ، ١٦ أغسطس ٢٠٠٢م.

٢- خطبة الجمعة رقم (٨٩) ٨ شوّال ١٤٢٣ هـ ١٣ ديسمبر ٢٠٠٢م.

وكلما وجدنا هذه المشاريع تتوافد على هذا البلد، كلما ثبت أن البلد قد خسر إسلامه.

أما إذا وجدنا أن المشاريع الساقطة، المشاريع السافلة، مشاريع الفساد، المشاريع الاستثمارية القذرة تهرب من بلدنا، فهذا يجعلنا نحمد الله، ونقول عن بلدنا: بأنها على خط الخير، خط الحضارة الإسلامية والخلق القويم.

هناك شعاران: شعارنا نحن الإنسان والاستثمار، الإنسان الروح والبدن، والاستثمار؛ من أجل الإنسان، لا الاستثمار الذي يحوّل الإنسان إلى حيوان.

حين تصرخ دائمًا استثمار استثمار وتُغيّب الإنسان وكرامة الإنسان، وكذلك مصلحة الإنسان المستضعف، فهذا من النظر إلى الأشياء بنظرة عوراء.

افتح عينيك معًا، وقل لنا استثمارٌ وإنسان، استثمار من أجل الإنسان.

ولا تقل لي: استثمار ولو كان على حساب روح الإنسان، قيمه، كرامته، أمنه، سعادته، هذا الشعار قاصر وماديٌّ صِرف.(١)

تحرير الثَّروة

الحرية والاستقلالية والكرامة الإنسانية والدين العظيم لا يعادله ثمن.

والإنسان بإنسانيته، وحرِّيَّته، وكرامته، ومبدئيَّته، ورساليَّته، ودينه قبل أن يكون بما يأكل، ويشرب، ويلبس، ويسكن.

ونحن أمَّة تبيع دنياها بأُخراها، ولا تبيع أخراها بدنياها.

أمَّة تضحي بضرورة الجسد لضرورة الدين والروح، ولا ترتكب العكس إلا بمقدار ما انسلخت عن هُويتها.

١- خطبة الجمعة (١٤٥) ٢٠ محرم ١٤٢٥هـ ١٢ مارس ٢٠٠٤م.

ولا طريق لتحرير الثروة، ورد العدوان عنها، وقطع يد سرّاقها والمستولين ظلمًا عليها وهم أكبر سرّاق العالم وناهبيه إلا بالبذل الكبير الذي يحفظ تدفّق عائدها المستقبلي على مدى الأجيال المتعاقبة لصالح أصحابها أصحاب الأرض وتاريخها الحقيقيين.

إنه جيل واحد يضحي بشيئ من ثروة البلد؛ من أجل حفظ هذه الثروة لكل الأجيال القادمة، ومن أجل أن تتنامى على يده ويدها المخلصتين الحرتين الفاعلتين.

وإذا عانت البلاد التي استطاعت تحرير اقتصادها من الهيمنة والسطو الأجنبي من مشكلات اقتصادية للحروب المفروضة من العدو، وألوان الحصار والتآمر، والحاجة إلى الإنفاق على التسلح مما يحمي أمن البلاد؛ فإن ذلك مرهون بوقت معيّن، وحتى التغلب على هذه المشكلات المثارة - ولنتذكر حصار شِعب أبي طالب الذي نال من النبي صلى الله عليه وآله والهاشميين ما نال من سطوة الجوع والضعف -، ولكن من نتائج ذلك الحصار أن قامت دولة عملاقة، وكبرت الثروة في يد المسلمين حتى أصابت بعضهم بالجنون، جنون التلهّي بالدنيا، ونسيان الآخرة.

ولا يقاس ذلك بحالة الاستسلام للعدو الجاثم على صدر أي بلد وشعب والمستنزف لخيراته، والمتصرف فيها تصرف المالك المطلق، والذي لا يبقي للشعب المستعبد إلا الفتات الذي يسمح كعدوّه باستمرار استثماره له.

وأنت إذا نظرت إلى شعوب البلاد الغنيّة بثرواتها الطبيعية وما يستخرج منها، وما هي عليه من وضع معيشي وجدتها في جمهورها العريض فقيرة جدًّا بالقياس إلى طبيعيّ تلك الثروة ومصنّعها.

وأمّا البلاد الفقيرة بطبيعتها، فلا ينقذها استعباد الطغاة العالميين من فقرها إذا لم تزدد بذلك فقرا على الفقر، وفاقة على الفاقة، هذا إلى جانب الذل المقيم، والهوان الساحق.

والطغاة لا يبحثون عن بلدان يعالجون فقرها، وإنما همهم بلدان يستثمرونها، ويستغنون بها، ويستثمرون شعوبها لمطامعهم.[1]

١- خطبة الجمعة (٣٢٨) ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ ٦ يونيو ٢٠٠٨م.

(٧)
سياسات الإعلام العالميِّ

إعلام هدى وإعلام ضلال

فرنسا وأمريكا قسّمتا الإعلام إلى: إعلام هدى، وإعلام ضلال.

إعلام تحضُّر، وإعلام إرهاب.

إعلام لصالح الإنسانيَّة فيما تراه.

وإعلام لغير صالح الإنسانيَّة فيما تراه.

تحتضن الأول، وتحارب الثاني، تُدين وتحرق وتلاحق من يأخذ به، وتحرّض عليه، وتستبيح دمه.

والقضية يتبناها الرأي الفقهي، فتكون تحجُّرًا ورجعية وظلاميَّة، وأما إذا تبنتها فرنسا وأمريكا كانت ذكاء وحماية مصالح ونقاء حضارة ووعيًا وتقدّما!

معيب على الفقهاء ورجعية من الفقهاء، وتحجّر من الفقهاء أن يقولوا: بأن هناك كتاب ضلال، وأن يفتوا بعدم قراءة كتب الضلال إلا استثناء لمن كان قادرًا على الرد، وآمنا من التأثُّر السلبي.

ذلك رجعية، وذلك تحجّر، ولكن يوم أن تقول أمريكا وفرنسا: بأنَّ إعلام قناة المنار إعلام معاد للثَّقافة الفرنسيَّة، ومضر بالسَّامية، أو تقول أمريكا: إنه إعلام إرهابي، فهذا حق، وهذا صحيح، وهذا تقدم!!!

فالحق يدور في نظر كثير من العلمانيين مدار الرأي الغربي والتصرف الغربي، الحق يدور مادارت أمريكا وما دارت فرنسا، وما دارت أوروبا.

وتسأل المنكرين على الفقهاء قولهم: هل هناك إعلام هدى وإعلام ضلال؟

وكتاب هدى، وكتاب ضلال؟

يقولون لك: نعم.

وما هو تحديدهما؟

إعلام الضلال هو إعلام يدافع عن الإسلام، ويكشف الحقائق المرة عن الغرب، يحاول أن يقود البشرية إلى الله.

أما إعلام الهدى، فهو ما قدّس الحضارة الغربية ومجّدها وذاب فيها، وتمرّغ على أقدامها!

هكذا هو الجواب، وهو جواب تستوعبه كثير من النفوس، لأنه يأتي بلغة ساحرة، وبفنٍّ بالغ الجودة.[١]

إن اللغة الإعلامية، وفنها الساحر يقومان في المؤسسات الإعلامية غير الملتزمة على الاستهواء النفسي، والمغالطات الفكرية، وطريقة المصادرة باتخاذ ما هو مطلوب ومحل البحث، قضية مفروغًا عنها، ومقدمة من مقدمات الدليل، وبذلك يجر الإدمان على القراءة والإصغاء للمادة الإعلامية من هذا النوع من غير فكر ناقد إلى التسطح الفكري، والوقوع في قناعات خاطئة تفتقد الأساس العلمي الكافي لنشوئها.

ولا طريق لحماية الفكر من هذه النتائج المتردية إلا بالتزود بطريقة التفكير العلمي المنطقي، وممارسة القراءات ذات الطابع الموضوعي، والدراسات التي تعتمد التمحيص والتدقيق لما تتعرض له من أفكار وآراء.

فما أحوجنا إلى تربية العقلية العلمية التي تعتمد المنهج العلمي الصارم في التفكير.

وأنت إذا دقّقت صفحة واحدة من كثير مما تكتبه الصحافة، وتبثه الإذاعات خاصة فيما يتعلق بالشأن السياسي، وما يتصل به، وما يراد تكوينه من قناعات للرأي العام وجدت تلاعبًا بأفكار الناس ومشاعرهم وبعدًا فاحشًا عن الحقيقة، واعتمادًا على رمي الآخرين بنعوت تبرعيّة ظالمة تقزّم هذا، وتسقط ذاك، وتثير النقمة ضد ثالث، وتعزل رابعًا، وهكذا.

١- خطبة الجمعة (١٨٠) ١٨ ذو القعدة ١٤٢٥هـ ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤م.

ويقع الظلم الفاحش على الفئة الاجتماعية التي تحرم من الدفاع عن نفسها، ورد أقاويل الزور والتهم الرخيصة التي توجه ضدها، وهذا اللون من المحاصرة والحرمان هو واحد من ألوان الظلم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي التي قد تمارس ضد هذه الفئة أو تلك حتى تتم عمليّة التصفية المعنوية لها في غلس الليل مع خنق لا يسمح بانطلاق صوت للمستغيث.

من مفارقات الإعلام العالمي

ومن المفارقات الغريبة أن الذين يمتلكون مصادر البث وقنوات النشر المختلفة، ويحتكرونها، ويشدّدون القبضة الحديدية عليها، ويطاردون الكلمة الإسلامية في المسجد، وفي كل زاوية من زوايا المجتمع يرمون الإسلاميين بمصادرة الفكر، والإرهاب الفكري، والحجر على الكلمة، وخنق حرية الرأي.

ومن المفارقات الأخرى الفاضحة أنك تجد عند هؤلاء قائمة طويلة من الشتائم للإسلاميين التي تقذفهم بالرجعية، والتخلف، والتحجر، والتقوقع، وضيق الأفق، ومعاداة الحداثة، والانغلاق الفكري، والهروب من الواقع!

وهم أنفسهم الذين يثيرون زوبعة من الاستنكار والاستبشاع عندما يتحدث الإسلاميون عن التقوى والفجور، وعن الإيمان والكفر والفسوق، وعن طاعة الله سبحانه ومعصيته وعن الجنة والنار، وعن العفة والتسيب، وعن الحجاب وتبرج الجاهلية الأولى!

فأمام الطرح لهذه التقسيمات المستقاة من الكتاب والسنة، يرتفع الصراخ منهم بأنكم توزعون صكوك الغفران، وبطاقات المرور إلى الجنة، وتعلنون قائمة أهل النار.

على أنَّ لهذه التقسيمات القرآنية، تحديداتها الدقيقة، ووسائلها الإثباتية المنضبطة التي لا يبيح مسلم بحق لنفسه أن يتعداها، وقائمة الآخرين منها ما يشتم به وهو مفخرة في نفسه، والشتم به؛ لإسقاط قيمته وتشويهه.

ومن ذلك الرجعية، وهي تعني عندهم الرجوع إلى الأصالة، ومرجعية كتاب الله

وسنة رسوله صلى الله عليه وآله لحركة الفكر والشعور والحياة.

ومثل الرجعية في ذلك معاداة الحداثة التي يريدون بها معادة الأفكار المناهضة للإسلام ومجانبة التحلل، ومقاومة الغزو الثقافي.

أما الحديث بما ينفع الناس، وما يلتقي مع سلامة الفكر والدين، ولا يثلم من المروءة والخلق الفاضل، فهم يعرفون جيدًا أن الإسلاميين يطلبونه ولا يعادونه.

ويُشهّر بك بأنك تعادي الحداثة؛ من أجل إغرائك بالوقوع في الحداثة الساقطة والتبعية الذليلة، والمستنقع القذر الذي يخطط للمجتمع الإسلامي أن يقع فيه.[1]

مقاومة الاستهداف الإعلامي

والخطط التخريبية من الإعلام العالمي الفاسد، وما يستهدف الإنسان المسلم في ضميره، ودينه، وتفكيره، وسلوكه، لا يعد ولا يحصى.

لكن كل هذا الجند يكون ضعيفًا، وكل هذا الجند يمكن أن يرتد خائبًا حين يستحضر أحدنا عقله وضميره وفطرته وهداه، وحين يستحضر حكم الله ويستحضر مراقبه الله حين يتذكر جلال الله، ويتذكر جمال الله، ويتذكر عظمة الله حين يستحضر الحصيلة الكبيرة من الصبر والعظات التي تراكمت عنده طوال حياته الخمسين أو طوال حياته الستين، أو حتى طوال حياته العشرين، أما أن أحدنا حين يستحضر كل ذلك يستطيع أن يملك زمام نفسه، ويستطيع أن يضع نفسه على الطريق الصحيح، ويستطيع أن يصعد بهذه النفس؛ للتخلق بأخلاق الله، والتربي بتربية الله، ولأن تعيش من جمال الله ما يغنيها وما يشغلها، ويرتفع بها عن كل التفاهات، ويشغلها عن كل جمال ادعائي مزخرف.[2]

١- خطبة الجمعة (٦٠)١٢ ربيع الاول ١٤٢٣هـ ٢٥مايو٢٠٠٢م.

٢- خطبة الجمعة (٧) بتاريخ ٢٤ صفر ١٤٢٢ هـ ١٨مايو١ ٢٠٠م.

وسيلة الصَّحافة

الصحفيون المستأجرون للجهات المعاديـة للدّين، والصحافة الفاجرة والفاسقة[١] المعربـدة في أجـواء الأمّـة، والتي تمـلأ مساحاتها الطاهرة تحـرّف الديـن، وتهزأ به، وتتعرّض لتجريحات ظالمة له، وتنـال من قدسية مقدّسات الأمّـة، ومن كرامة علمائها الكبار وفقهائها العظام، وحتّى مَن تذعن لهم الأمّة بالعصمة.

وكل هـذا التجرؤ والبذاءة والغثيـان، والطفولة والجنون والعـداء والإجرام يتوسع يوميًـا بحماية مـن القوانين السفهية الجائـرة، وفتح باب الحرية أمـام صحافة الهراء والهذيـان بدفع من قوى الاستكبار العالمي، ورغبة واحتضان حارٍّ من أنظمة كثيرة تحكم هـذه الأمّـة بالحديد والنـار، وتلاحق كلمة الحريـة السياسية ومَن يقولهـا في كلّ زاوية بالموت والدمار.[٢]

الإسلاميُّون والصَّحافة

فـلا بدَّ من إسلاميين غيورين صلبين، واعين قادريـن على إبراز الكلمة الإسلامية بكل ما تتطلبه الكلمة الإسلامية من مسؤولية.

لا بـدَّ أن يكونوا هم المشرفين على هـذه الصحف، وليتحملـوا المسؤولية الصحفية فيها.

غياب الفكر الإسلامي في الساحة سيقتل الإسلام.

أنتـم يوميًّا تقرأوون العديد من المقالات التي تشـوّه الخط الإسلامي، وتقدم الفكر الآخر، وتحارب الرموز الإسلامية وتشوّهها، وهل تقرؤون شيئًا في قبال ذلك؟

إذا بقـى الشعـب سنينًا لا يقـرأ إلا الفكر الآخر، وإلا الرؤيـة الأخرى، وإلا للأقلام الأخرى، فإن هذا الشعب سيتغرّب، وسينفصل عن إسلامه ورؤاه الأصيلة.[٣]

١- أتحدث عن نوع من الصحافة، وليس كل الصحافة. (الشيخ)

٢- خطبة الجمعة (٣٧٥) ١٠ رجب ١٤٣٠هـ ٣ يوليو ٢٠٠٩م.

٣- خطبة الجمعة (١٥) بتاريخ ٢١ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ ١٣ يوليه ٢٠٠١م.

(٨)
سياسة الغزو الثَّقافي

الإسلام المصنوع في معامل السِّياسة

هناك إسلامٌ والصياغة سماوية، وهناك إسلامٌ والصياغة بشريةٌ أرضية.

هناك تحضير واسع في أمريكا وأوروبا ودولٍ عربيةٍ وإسلاميةٍ لإسلام بديل، إسلامٍ على الكيف العلماني والمسيحي المحرّف؛ ليحل محل الإسلام الأصيل، إسلام القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة.

فأمريكا قبلُ اشتغلت على إعداد أئمة جماعة وجمعة؛ لتحل محل أئمة جمعةٍ وجماعةٍ سابقين فيها؛ لأداء هذه الوظيفة.

وانجلترا اليوم قررت - جدًّا - هذا الإعداد والاستبدال، وفرنسا تفرض على المسلمين إسلامًا يتنكر للحجاب، ويعدّه تخلفًا مقيتًا.

ودولٌ عربية وإسلامية تسابق أمريكا وأوروبا في استحداث إسلام من تصميم وصناعة غربية، وتعد مناهج دينيةً جديدةً خاليةً من غير المسموح به غربيًا، وتعدّ مبلغين وعلماء من طراز يتماشى، وطموحات الخطة الأمريكية؛ لتثبيت الإسلام الأمريكي التقدّمي في أرض المسلمين، بل في عقولهم وأفئدتهم، ويأتي ذلك ركنًا مهمًّا في مخطط الهيمنة الشاملة.

ويدعم هذا الإعداد مشاريع فساد بالجملة، في كل يوم تطالعك في الأرض الكبيرة، وفي الأرض الصغيرة، في الدولة الواسعة، وفي الدولة غير الواسعة مشاريع لهوٍ، ومشاريع فسادٍ، ومشاريع تحللٍ لا تكاد تعدها، وهي تستهدف الشباب والشابات بل كل رجلٍ وامرأة؛ لتضعهما على طريق الخطة الأمريكية، والمصالح الغربية.

وعلى جماهير الأمّة المسلمة أن تحمي إسلامها فكريًا وثقافيًا من عملية تزويرية كاذبة تستهدف الإسلام، وتمكّن للعلمانية الفاجرة، وتحوّل الأمّة إلى أمّة ذيلية خاسئة.

الصّين ومقاومة الغزو الثّقافي

وفي الوقت الذي تلقى فيه الخطة الأمريكية والأوروبية ترحيبًا على المستوى الرسمي في ديار الإسلام، واحتضانًا مخلصًا على المستوى نفسه، يعلن في الصين رسميًّا عن الإعداد لإعلام متميز خاصٍّ بجيل الطفولة؛ لحمايته وإنقاذه من الوقوع في مخطط الغزو الثقافي الأمريكي والغربي عامّة، حفاظًا على القِيم الصينيّة!

قارن، واضحك!

بل قارن، وابكِ!

لا، بل عاند وقاوم، وكن شرسًا في عنادك ومقاومتك.

فتمرد كل التمرد على مشاريع الفساد، والتّحلُّل، والانحراف.

أمسك ابنك.

أمسك ابنتك.

انجُ بهما عن النار،

أنقذهما من جهنم، ومن غضب الجبّار.(١)

فرنسا ومقاومة الغزو الثّقافي

لفرنسا رأي آخر: كثيرون من أبناء المجتمعات الإسلامية يؤمنون بفتح جميع الأبواب والمنافذ، والطرق لكل أنواع البضاعة الغربية والشرقية على مستوى الفكر والشعور والسلوك وإن كانت مصممة بصورة خاصة؛ لتهدم السقف الذي تستظل به هذه الأمّة؛ من أجل وحدتها وعزتها وهداها ومصلحتها، ويحوّل أبناءها إلى دمًى وأدوات؛ لتنفيذ

١- خطبة الجمعة (١٥٧) ١٥ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ ٤ يونيو ٢٠٠٤م.

أغراض المصدِّرين للحضارات الساقطة، وإن كانت البضاعة في صورة الأخ الأكبر، وفي صورة تجميع الكفاءات الشبابية العالية؛ لتتلقى دروسًا في التمرد على الإسلام بأسلوب مخملي ناعم ساحر سارق تحت إشراف مباشر للغزاة الحضاريين.

أما فرنسا، فلها رأي آخر في المسألة، وتصر على ذلك الرأي، فهي توقف بث محطة المنار حماية للثقافة الفرنسية، وقارن بين محطة المنار وبين ما لا يحصى من فضائيات، وصحف، وكتب، وشبكات اتصال متقدمة بحجم يغطي مساحة المعمورة كلها، ويغرقها بصديد ورجس ووسخ وقذارات حضارة الجنس والسطو والنهب والحرق والدمار والتعذيب والترويع للشعوب والأمم، مع ذلك فرنسا تخاف من فضائية المنار، وتحتاط لنفسها كل هذا الاحتياط!![1]

الغزو لا يقف عند الاجتياح العسكري

أمريكا الأقدرُ نوويًا، والأقوى فتكًا، والأطولُ يدًا في نهب ثروات الشعوب، لذلك لا بدَّ أن تكون سيدة العالم أخذًا بنظرية هي الأكثر تخلفًا في فلسفة الحكم، وهي الفلسفة التي تعطي حق الحكم للأطول نابًا، والأحدِّ ظفرًا، والأشدّ تهورًا وفتكًا على طريقة حيوان الغاب.

ومن هذا المنطلق تُعطي لنفسها حقّ التنصيب لحكومات العالم، وعزلها وإجبار الشعوب بأن تكون (نَعَم) عندها هي (نَعَم) عند أمريكا بالضبط.

وتُعطي لنفسها أن تَسأل ولا تُسأل، فليس لأيّ محكمة دولية وإن خضع لقضائها كلّ العالم البشري أن تطال سلطتها ولو جُنديًا أمريكيًا يخرج على كل القوانين الدولية، ويرتكب جرائم حرب في أي بقعة من العالم إلى حدّ السرف واللعب بقيمة الإنسان.

ومن المنطلق نفسه تحصد عشرات النفوس البريئة في الحادث الأخير في أفغانستان، وتجرح مائةً أو أكثر، وتحول عرس الآمنين مأتمًا وفجيعة، ويكبر عليها أن تعتذر بكلمة، وكيف يعتذر السيّد للعبد؟!

١- خطبة الجمعة (١٧٩) ٤ ذو القعدة ١٤٢٥هـ ١٧ ديسمبر ٢٠٠٤م.

فأمريكا تهدف إلى استعباد العالم في الكُرة الأرضية كلها، وأمريكا تنشر الرعب!

وأمريكا تمارس الإرهاب!

وأمريكا تنسف القِيم!

وأمريكا تتعامل باستهتار بالغ مع إنسانية الإنسان!

وأمريكا تعادي الشعوب والأمم!

وأمريكا تعادي نفسها، وتسعى إلى الانتحار!

وإلا فما معنى أن تفزع وترعب وهي الأقوى من بين دول العالم في كل مناسبة من مناسباتها الوطنية، وفي مواطن كثيرة، وتعيش حالة الاستنفار.

أليس هذا من معاداتها للعالم؟

أوَ ليس هذا - أيضًا - من عداوتها لنفسها؟

إنَّ الله ﷻ يقول في كتابه المجيد: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾.(١)

والفزع العام، والرعب العام بعض الفساد الذي ظهر بما كسبت أيدي الطغاة في الأرض من ظلم وتدمير للقيم.

ولتعلم أمّتنا الإسلامية أنّ هدف الأمريكيين لا ينتهي بتسجيل الإنتصارات العسكرية، وسحق الشعوب، وحرق الأرض واستعباد الأجسام، وإنّما هذا كلّه مقدمة للسيطرة الفكرية والشعورية والثقافية الشاملة والاستلاب الحضاري، والاستيلاء الحضاري، لأنّه الضمانة الأكبر؛ لاستمرار تدفّق خيرات وناتج عرق هذه الأمّة في جيوب أعدائها، والرضا بالتبعية الذليلة للغازي من غير مقاومة ولو على المدى البعيد، أو مشاكلَ قد تسبب شيئًا من الصداع للسيد الأمريكي، وتزعج راحته المطلوبة.

وإذا عرفنا الهدف، فعلى الأمّة أن تقاوم الغزو بكلّ قوة وإصرار على كل المستويات، ومن مختلف مواقع أفرادها وجماعاتها كالمستوى الفكري والثقافي بما يدخل في ذلك من

١- الروم: ٤١.

عادات وتقاليد وأنماط سلوكية مصدَّرة لنا في كل المجالات.

وعلينا أن نصرّ على خط الاستقلالية الحضارية، ولا نتنازل عن هُويّتنا.

وإن مقاطعتنا للبضائع التجارية الأمريكية على أهميتها لا تعدُّ شيئًا أمام مقاطعة المستورد من الأفكار المعادية والسلوك الغازي، والأقلام العميلة، والتحركات التخريبية على المستوى الفكري والإنساني في مجتمعاتنا.[١]

علاقة الأمّة المسلمة مع بقيّة الأمم

إنَّ لله سُننًا في التشريع، ولرسوله ﷺ سننًا من سننه، ولا معدل لمؤمن ولا مؤمنة عن سُنن لله ولرسوله ﷺ إلى طرائق من السلوك مخالفة من أين جاءت، وعلى يد من ابتُدِعت، لا فرق بين مستورد منها، ومصنّع في الداخل.

والإسلام لا يريد القطيعة بين الناس أفرادًا وأُممًا، وقد قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.[٢]

ولا العقل ولا التعقّل يمنعان من الاستفادة من الآخرين، وأخذ ما يزين عنهم وينفع، والناقص يرجع إلى الكامل، والمحتاج يمدّ يده إلى الغني.

والأمم تتكامل فيما بينها، وتتعاطى؛ لتسدّ حاجاتها المختلفة.

ولكن الأمّة العاقلة تدرس ذاتها، ومخزونها، وعطاءات حضارتها، ومنابع ثرائها، وتحاول أن تقف على مراكز اضطرارها، ومواقع احتياجها، فتُعطي في تفاعلها مع الآخر ما هي أكثر تقدّمًا فيه، وأكثرُ هدًى وصوابية ورُشدًا، وتسعى لسدّ نواقصها مما تجده صالحًا لا تملكه، ويتوفر عليه الآخرون.

١- خطبة الجمعة (٦٦) بتاريخ ٢٤ربيع الآخر ١٤٢٣هـ ٥يوليه٢٠٠٢م.

٢- الحجرات:١٣.

وأمّتنا في واقعها شيئ، وفي مخزونها الديني والحضاري الإنساني المنطلق من منبع الدين شيئ آخر.

فلئن كانت من حيث الواقع تعاني الكثير من النقص والتخلف فيما هي عليه من وعي الدّين وأدبه، إلا أنها ومن حيث مخزونها الديني الكبير والحضاري الإنساني المتمشّي مع خط الدّين يعلن واقع كل الأديان والأطروحات المعاشة في الأرض، وواقع ديننا الحنيف، أنها أغنى أمّة وأهداها على الإطلاق.

فلا أخذ لهذه الأمّة من أمّة أخرى فيما يتصل بسنن الدين والخلق والسلوك والعادات الإنسانية الكريمة في نظر الدّين، والعقل، والتّعقّل.

نعم، قد يلتقي سلوك أمّة من الأمم في جنبة أو أكثر مع ما عليه سُنن الدين الإسلامي الحنيف، ومقرراته السلوكية الصالحة أكثر مما تلتقي أمّتنا معه، فيكون ذلك مؤشّرًا على تقصير هذه الأمّة، ويستوجب منها الرجوع إلى دينها وخُلقها الأصيل؛ لتكون كما أراد الله تبارك وتعالى لها أهدى الأمم، وفي مقدّمة الركب الحضاري العام الصالح، وكما هو مقتضى دينها.

ومن جهة السبق العلمي المادي، والأخذ بخط الدراسات الميدانية المعمّقة والمتخصّصة، والاستفادة من حقل التجارب والاستقراء إلى أقصى حد ممكن مما تتميز به أمم في الأرض بالقياس إلى هذه الأمّة لم يأتِ من جهة أن الإسلام مهمل لشؤون هذه الحياة وهو الذي دفع في اتجاه المنهجة العلمية الدقيقة التي تغطي حاجة البحوث الحسّية والعقلية، ويكفي أساسًا متينًا لهذه المنهجة والدفع في اتجاهها قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.(١)

والإسلام هو الذي جعل الكون كله أرضه وسماءه والحركة التاريخية على الأرض مسرحًا؛ لتفاعل حسّ الإنسان، وعقله، ووجدانه.

---

١ - النحل: ٧٨.

والآيات القرآنية الكريمة في هذا البعد غفيرة بيّنة ساطعة منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[1]

وإنّه وإن كان لهذه الظواهر الكونية بحسب النظرة الأولية دلالة على عظمة الله، وحسن تدبيره وعلمه وحكمته، ولكنها بالنظرة العلمية الدقيقة المتتبعة أعظم دلالة، وأوصل إلى الهدى والنور، والاطمئنان واليقين.

وإذا كانت الآيات في نفسها تملك الدلالة، فإن الاستفادة من عطائها وهداياتها لا بدّ لها من تعقل وتفكر بدرجة وأخرى، وبقدر ما يكون التعقل قويًا كافيًا وافيًا، ويكون البحث علميًا ومعمّقًا تكون الدلالة أوضح وأوسع وأركز وأعمق.

ومثل الآية السابقة الآيتان الكريمتان الآتيتان: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[2]

وإذا كانت النظرة السطحية لهذه الآيات ذات عطاء معيّن، فإن عطاءها العلمي الكبير والمركّز قائم على النظر العلمي الدقيق، والدراسات التجريبية المتطورة المصحوبة بعقل باحث عن الحقائق الكبرى والعلة الحقيقية الأصل.

والآيات في هذا الحقل وفيرة غفيرة - كما تعرفون -.

وأنتم ترون بوضوح مدى التقدم العلمي المادي الذي تحققه العودة إلى المنهج

١- البقرة: ١٦٤.

٢- الرعد: ٣.

الإسلامي في بعض بلداننا الإسلامية، والانفصالُ عن الهيمنة الغربية، والتحكم الذي تمارسه على كثير من أقطار أمَّتنا في حركتها العلمية طلبًا؛ للتقدم التكنولوجي الذي يسد حاجة الأمَّة، ويوفر لها الاكتفاء الذَّاتي ومن داخلها.

وفي الوقت الذي يمنع فيه الغرب تسرب الأسرار العلمية لحركته العلمية المادية التي تواكب حاجات العصر وتغذّيها إلى الدول الإسلامية، ويحجر عليها أن تكون على طريق الوصول إلى هذه الأسرار بجهود أبنائها يفرض عليها كل ساقط من أخلاقياته، وما ابتلت به حضارته من انحرافات إنسانية خطيرة، وما صار إليه من منحدر سحيق في مسألة الدّين، وبُعدٍ عن الإنسانيات الرفيعة.

وفي ظل هذا الواقع يتحتَّم على أمَّتنا أن تُميز بين ما يصح أخذه من الآخر وما لا يصح، وأن تكف عن الاستيراد في مسألة الدين والسلوك المرتبط به، والقوانين القائمة عليه، والرؤى المتولّدة منه، وأن ترجع في كل ذلك إلى كتاب الله، وسنة المعصومين عليهم السلام .

أوقفوا الهرولة

لكل أمَّة طابعها العملي الخاص المُستَلهم من حضارتها ودرجة وعيها، وهادفيتها، ورشدها، ومستوى جديتها ورساليتها.

وحضارة هذه الأمَّة إلهيَّة، ووعيها كبير، ورؤيتها متجذرة، وهادفيتها عالية، ورشدها بالغ.

وهي أمَّة رسالية جادّة على طريق صنع الإنسان الكبير والأوضاع الحياتية المتقدّمة، وتثبيت المسار القِيمي الكريم القويم العادل الوضيئ في هذه الحياة، والاتجاه الصاعد بعقل الإنسان، وقلبه، وإرادته، وسلوكه على صراط ربّه العظيم.

إنها أغنى الأمم في مستوى انتمائها، وإرثها الحضاري، ودورها الرسالي الضخم، ورموزها الشامخة، وقيمها الخلقية الرفيعة، ودينها القويم.

وأمَّة هي الأغنى في كل ذلك لا تستورد الخبيث، ولا تهبط إلى مستوى الإسفاف، ولا تكون إمَّعة، ولا تركض برجلها وراء كل ساقط، ولا ترفع صوتها مع كل ناعق، ولا تقبل أن تكون سوقًا مفتوحًا لكل العادات والتقاليد من مبتكرات الجاهلية، ولا تسرع في استقبال كل جديد وإن سفّ، ولا تُخترق لكل المحاولات الخبيثة.

أمَّة بهذا المستوى تجدد وجودها وحياتها بوعي على خطّها الحضاري الكريم، وتعيد إنتاج ذاتها على نفس الخطّ صاعدة صامدة، وتحقق كل يوم قفزة على هذا الطريق، وتنجز نجاحات مستجدة متوالية، وتنتقي الجيّد مما تعرضه سوق الفكر، وسوق الثقافة والسياسة، والاجتماع، وغيرها، وتختار لنفسها بوعي لا أن تعطي بيدها لخيارات الآخر ومخططاته ومؤامراته، وصياغاته في سذاجة واستسلام.

وقد نهت الأحاديث المعصومية الشريفة من ظاهرة فقد الوزن، وعدم الإحساس بالذات، والثقة المفرطة في الآخر، أو التبعية البلهاء لكل ما يكون عليه، ولكل ما يدخل فيه، ويبتلي به، ويقع في مهاويه، وذلك بمثل هذا الحديث: «لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم»[1] دخلتم جحر الضب على ضيقه ومنافاته لسلامتكم ومصلحتكم المعنوية والمادية وحجمكم الكبير كما دخلوا، وليس عن وعي ولكن لأنهم دخلوا، وذلك لأنكم تعيشون نظرة مخدوعة لهم تريكم إياهم كبارًا عظماء، وأن كل ما يأتي عنهم صحيح وتقدّميٌّ وموثوق، وتعيشون واهمين نظرة احتقار لأنفسكم، وحضارتكم، ودينكم، وكل تراثكم العظيم، ورموزكم الفذّة.

من المؤلم جدًّا أن صرنا أمَّة مهزوزة الثقة بنفسها، فاقدة للوزن، محتقرة لذاتها، تعيش الشعور بالحاجة في كل شيئ عند الآخر، وتتبعه في رديئه قبل جيّده - على أنّه ليس له من الجيّد ما لا يقدّمه لها دينها وشريعتها -، وتدخل معه كل مدخل.

ولو شرّق لشرّقت بتشريقه، ولو غرّب لغرّبت بتغريبه، وإذا لبس لبست ما يلبس، وإذا أكل أكلت ما يأكل، وإذا شرب شربت ما يشرب، وإن اكتسى اكتست، وإن تعرى تعرّت

١- معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ج١ ص ٣٣٤، والحديث منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

من غير أن تطرح سؤالًا واحدًا على نفسها في هذه التبعية المجنونة، وآثارها المدمِّرة.

أمَّا الآخر، فيهبّ فزعًا محاربًا بشدّة لأي جديد من فكر، أو سلوك، أو لباس، أو غيره يفِد دياره من بلاد الإسلام وحضارة الإيمان والقرآن الكريم.[١]

التَّقليد الأعمى للأعداء في النُّصوص الدِّينيَّة

رواية إسماعيل بن مسلم عن الصادق عليه السلام: «إنه أوحى الله إلى نبيٍ من أنبيائه أن قل للمؤمنين: لا تلبسوا لباس أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تسلكوا مسالك أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي».[٢]

يحتمل في الرواية فهمان:

١- إن اللباس الذي يلبسه الأعداء يلبسونه بما هم أعداء لله، فهو لباسٌ ينافي العفة، ينافي للحشمة، ينافي للفضيلة.

الطعام الذي يطعمونه - أيضًا - هو طعامٌ لهم بما هو أعداء الله فهو طعامٌ حرامٌ كلحم الخنزير، والميتة، والخمر - مثلًا - من الشراب.

المسالك التي يسلكونها قد يُعنى بها أنها مسالك لهم بما هم أعداء الله، ومسلك عدو الله بما هو عدو الله هو مسلكٌ منافٍ لإرادة الله غير داخل في دائرة المباح.

وهنا تكون المتابعة واضحة كل الوضوح، وهي لا شك مؤديةٌ لأن يتحول هذا المباح الإنسان إلى عدوٍّ من أعداء الله، وينتقل من صفوف المسلمين إلى صفوف الكافرين بقلبه، ومشاعره، وسلوكه.

٢- لكن هناك فهمًا آخر - وليس بعيدًا -: اللِّباس، والطَّعام، والسلوك القومي للكافرين، لأعداء الله وإن كان داخلًا في دائرة المباح، لكنه يتميز به أولئك القوم، ويتخذونه شعارًا، ويعرفون به، هو شعار هُويتهم وقوميتهم.

١- قطعة قماش على الرأس في الغرب تثيره، وتجعله يشنُّ حربًا عليها!

٢- وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٤ - الصفحة ٣٨٥.

لنفرض الصليب، حتى لو عاد الصليب فاقدًا لمعناه الأول، تعليق الصليب على الصدر، قد تكون حرمته منشؤها رمز عبادةٍ فاسدة، أو تدين فاسد، ويمكن أن يكون شعار النصارى.

لنفرض أن الكفرة كان من لباسهم السروال القصير جدًّا، فصار شعارًا لهم، هذا داخلٌ في دائرة المباح بصورةٍ ما، وعلى مستوياتٍ معينة، لكن حيث إنَّ أعداء الله يتخذونه شعارًا وإن لم يكن من المحرم نفسه، إلا أن التلبس به في الأمَّة الإسلامية يلغي الفواصل شيئًا فشيئًا، ومما يظهر من النصوص أن الشريعة حريصة كل الحرص على أن تبقى فواصل واضحة في السلوك الإنساني، وفي الأدب الاجتماعي، وفيما تتميز به القوميات الأخرى من أهل الكفر، أو أهل الأديان الأخرى، وفيما يتميز به المسلمون من شعارات وتقاليد وعادات، هذا اللباس، لأنه لباسٌ لأعداء الله وإن حل، إلا أنَّه تكون به غضاضة لا يليق بالمسلم أن يرتكبها، بما فيه من إلغاء الفواصل، كذلك هي المطاعم والمسالك.

رواية السكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام: قال: «أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لقومك: لا تلبسوا لباس أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تشاكلوا بما شاكل أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي».[1]

المشاكلة، المماثلة، المجاراة، اللهث وراء الوارد المستورد من الغرب، المستورد السلوكي، المستورد الفكري.

هذا اللهاث، هذا الربط، هذا الارتماء هذا الذوبان يرفضه الإسلام، لما فيه من خطورة وذوبان الفواصل الفكرية والنفسية، وحدوث الألفة الكاملة في المشاعر.

مرسلة الصدوق: قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما علّم أصحابه: «لا تلبسوا السواد، فإنه لباس فرعون».[2]

١- ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - الصفحة ١٤٠٨.

٢- من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ١ - الصفحة ٢٥١.

كأنَّه الرِّواية في الظُّهور في أن السواد ليس عليه شيئ، ليس فيه شيئ، إلا أنه لباس فرعون، وفيما يتراءى لي أو أظنه أن فرعون المعني ليس فرعون التاريخي، وإذا كان هو الظاهر، فإن المقصود الباطني به هو فرعون القادم بعد عهد أمير المؤمنين عليه السلام من مثل بني العباس، خلفاء بني العباس الذين جاءت فيهم الرواية أن لباسهم الأسود، وأن هذا اللباس مرفوض على مستوى الحرمة، أو على مستوى الكراهة، وذلك لأنه لباس بني العباس: «لا تلبسوا السَّواد، فإنَّه لباس فرعون»[1]، ومثلها رواية أبي بصير عن أبى عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام نفس المضمون، قد جاء في رواية ليست مرسلة.

رواية حذيفة بن منصور: «كنت عند أبى عبد الله عليه السلام بالحيرة، فأتاه رسول أبي العباس الخليفة يدعوه، فدعا بممطر أحد وجهيه أسود والآخر أبيض، فلبسه، وقال عليه السلام: أمَّا إنِّي ألبسه، وأنا اعلم أنَّه لباس أهل النَّار»[2]»[3]

لا يلزم أن الذين في النار يلبسون لباسًا أسود، إنما هي فئةٌ في الخارج، قومٌ في الخارج، يعيشون زمن الإمام عليه السلام هم أهل النار، واتخذوا من السواد شعارًا، فهذا اللباس لباس أهل النار، ولأن أهل النار الذين في الدنيا اتخذوه شعارًا، لذلك يرفضه الإمام عليه السلام لولا التقية.

أرأيتم كيف المفاصلة؟

هذا في حدود مسلم ومسلم، ونحن لا نتكلم على هذا المستوى، نتكلم على مستوى الأمَّة الإسلامية، وأمم الكُفر.[4]

دمج المسلمين

ينادي الغرب بسياسة الدمج للمسلمين في دياره، فما معنى هذا الدمج؟

---

١ - وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٤ ص ١١٧.

٢- توضيح كلام سماحة الشيخ: إنَّ الحديث عن لبس السواد هذا مرتبط بحقبة تاريخية معينة، وهي أيام حكم بني العباس، والنهي عن لبس السواد مرتبط بتلك الحقبة الزمنية التي كان يعتبر السواد فيها شعار الأعداء، ولكن ربما لبسه الإمام تقيَّةً كما أشار سماحة الشيخ. (معد الكتاب)

٣- المصدر نفسه - الصفحة ٢٥٢.

٤- خطبة الجمعة (١٨) بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ ٣ أغسطس٢٠٠١م.

لا ينـادي بالتعايش السلمي الـودي والتعاون على الخير بين المسلمين وغير المسلمين في تلك الديار.

إنما الشعار الذي يرفعه، ويصرُّ عليه، ويعمل من أجله، ويضايق المسلمين بفاعلياته هـو دمـج المسلمين في المجتمـع الغربي دمجًا يلغـي الهُوية، ويقضي علـى الدين، ويحوّل الإنسـان المسلـم في سلوكياتـه ومعايشاته إلى إنسـان غربيّ بكل أبعـاده النفسية، وبكل أخطائه العملية.

الدمـج يعنـي أن تتعرّى المرأة المسلمة هناك كما تتعرّى المـرأة الغربية، وأن ترقص المرأة المسلمة والرجل المسلم كما يرقص الرجل الغربي والمرأة الغربية، أن يشرب المسلم والمسلمـة الخمـر، ويستبيحانه كما يستبيحه الآخرون، أن يمتلـئ المسلم ضحكًا، وتمتلئ المسلمـة ضحـكًا، وتُسرّ لمشهد العري ومشهـد الفسق ومشهد الفحشـاء، هذا هو الدمج المطلـوب، وهذا الدمج لا يفرضه الغرب على المسلمين في دياره فقط وإنمـا يسعى جادًّا - وبمعونة حكومات تحكم البـلاد الإسلامية - على تطبيقه في البلاد الإسلامية.

نحـن في مجتمعاتنا يُراد لنا أن نندمج في الحضارة الغربية، أن نتنازل عن هُويتنا، هـم هناك يدمجون المسلمـين في مجتمعاتهم بحيث يؤدّي ذلك إلى إلغـاء الإسلام، أما نحـن هنا فليس لنا أن نطلب منهم التعايش السلمـي، وليس لنا أن نطلب منهم التعايش الـودي، بـل علينا أن نندمج - أيضًا - في حضارتهم، وأن نمسخ؛ لنكون غربيين تمامًا في السقوط الغربي، والتسافل الغربي.[١]

الغزو السُّلوكي أسرع نفوذًا من الغزو الفكري

إن أسوارنا مفتوحة، وقلاعنا مفتوحة، وأسواقنا مفتوحة، ويدخل الغريب والمعوج والضار المهلك، والساقط الرديئ من العادات والتقاليد من دون رخصة، وبلا حواجز.

والمجتمـع وحتى في أوساطه الملتزمة قد يتلقّى كل ذلك بسذاجة بينما قد يكون وراء هذا الأمر بصورة مستقربة جدًّا اختراقات خطيرة وخطيرة لا يشعر بها الكثيرون.

١- خطبة الجمعة رقم (٢٥٣) ١٢ شهر رمضان ١٤٢٧هـ ٦ أكتوبر ٢٠٠٦م.

إنَّ هناك مَن يخطِّط وبمهارة ومكر خبيث؛ لتذويب أخلاق المجتمع، وتمييعه، وانفصاله عن قواعد السلوك الإسلامي، وأخلاقه، وآدابه.

وهذا الغزو السلوكي هو الأقل كلفة، والأكثر شيوعًا، والأسرع نفوذًا من الغزو الفكري، وهو الباب المفتوح، والطريق المؤدي إليه.

فإذا سقط المجتمع الإسلامي أخلاقيًّا لم يعد قابلًا لهضم الفكر الإسلامي، وتقبله، والصبر عليه، مع ارتفاع قامته.

وهنا يبدأ الانفصال عن هذا الفكر؛ لاستثقال النفس لمقتضياته وتكاليفه، ويبدأ تبرير النفس حتى لا تعيش العذاب الداخلي والمفارقة المؤلمة لهذا الانفصال بمناقشة الفكر نفسه، والتَّشكيك فيه، ثمَّ مواجهته.

الفكر الإسلامي له مقتضيات تتحملها النفوس السويّة، أما النفوس التي فقدت وزنها، فإنها ليس لها كاهل يحمل التكاليف الإسلامية.

والكلمة الأخيرة: أنْ - يا أيُّها المؤمنون - أوقفوا الهرولة وراء كل مستورد خارجي، ومنتج محلي من الفكر والسُّلوك قبل التَّمحيص والدراسة المعنة.(١)

التَّغريب السُّلوكي هو الأوسع خطورة

أريد أن أؤكد أن المجتمع طبقات، وشرائح مختلفة؛ شريحة تُغزى من خلال الفكر، وشريحة تغزى من خلال السلوك، وشريحة تنهزم أمام التهديد، وشريحة تنهزم أمام الترغيب، وأن انقلابًا هائلًا يمكن أن يحدث في الأمَّة، وغربة شاسعة عن خط دينها يمكن أن يبدأ حدوثها من خلال مفارقة جزئية في هذا السلوك، أو ذلك السلوك لما عليه خط الإسلام ومقرراته.

وإنَّ كثيرًا من النَّاس الذين يبدأ انحرافهم عن الإسلام من الناحية السلوكية ليجدون أنفسهم على مسافات شاسعة من بعد حين؛ ليبدأ تنكّرهم للإسلام في فكره

١- خطبة الجمعة (٣٩٩) ٢ ربيع الآخر ١٤٣١هـ ١٩ مارس ٢٠١٠م.

وعقيدته وأصوله، فما إن يفارق السلوك خطّ الإسلام، ويتغرّب عن خط الإسلام إلا ويبدأ الفكر في التنكر بما يقوم عليه هذا السلوك من أصل فكري وعقائدي.

وإنّي لأرى بأن الغرب يطمح في غزو العالم الإسلامي، وتغريبه من خلال السلوك أكثر ما يطمح في ذلك من خلال الفكر، فإذا كانت مصيدة الانحراف الفكري يقع فيها عدد من الناس، فإن مصيدة الانحراف السلوكي أوسع في عملية الاصطياد.[١]

التّغريب اللُّغوي

الأمّة التي تتغرب لغويًا، تتغرب ثقافيًا، لأن التغرب اللغوي يباعد عن ثقافة الأمّة المحفوظة في وعاء لغتها، ويقارب من ثقافة الأمم الأخرى من خلال الأُنس والاستخدام للغاتها.

واللغة العربية - وكلّما وهن أمر الأمّة - تتعرض ومنذ أمدٍ لعملية تغريب مقصود وتلقائي.

ويصبُّ في جسم هذه اللغة يوميًا الكثير من المفردات من لغات شتى على المستوى الرسمي والشعبي معًا.

والسَبْق في هذه العملية كمّيًا وكيفيًا للغة الإنجليزية كما تعلمون.

وتتعدى المسألة حدود المفردة الأجنبية إلى نمط التركيب اللغوي الغازي الذي قد يحل محل التراكيب العربية الأصيلة.

وباستمرار العملية سيجد الكثير من أبناء لغة القرآن صعوبةً في فهم النص القرآني، ونصوص السنة، والأدب العربي، والميراث الثقافي الذي تسجله كتابات هذه الأمّة العريقة.

ومسؤولية الشريحة المثقفة بإزاء هذا الواقع أن تحاول جادّة أن يكون إنتاجها المكتوب والمنطوق مستغنيًا باللغة العربية، ملتصقًا بها وبأساليبها التعبيرية ومفرداتها

١- خطبة الجمعة (٢٣٧) ٨ ربيع الأول ١٤٢٧هـ ٧ أبريل ٢٠٠٦م.

ما استطيع، وأن لا تستهوي هذه الفئة رغبة التبعية للأقوى ماديًا وتقليده في اللغة، وفي كل شيئ.

ويجب أن نعرف جميعًا بأن الأمَّة التي تُستهدف حضارتها، تستهدف لغتها؛ ومسخ اللغة وسيلة فاعلة لمسخ الحضارة.

والمسلمون جميعًا يتحمَّلون مسؤولية كبيرة في الحفاظ على لغة القرآن والسنة، لغة الوحي والقِيم والأصالة، وفي إنقاذ اللغة العربية من كونها لغة في معرض الضَّياع.[١]

التَّغريب الفكري

١- ثقافة التَّشكيك

ومصدرها عقول فلسفية قلقة خسر أصحابها بسبب أوساط خارجية معينة، وصدمات نفسية خاصة، ولون من المطالعات فوق المستوى مبكرة طُمأنينة الفطرة، ووثوق الوجدان، ووضوح ركائز العقل البديهي النظري والعملي معًا؛ مما جعل قاعدة التلقي العلمي المطمئن، وأرضية الإيمان مهتزة دائمًا في داخل هذه النفوس.

وينضم إلى هذه الفئة من الفلاسفة مغرضون تستخدمهم سياسة محلية في أي مكان، أو عالمية في وقت الحاجة؛ لمواجهة الحقيقة بالتشكيك، ولإسقاط الفكر العقيدي الذي يهدد المصالح السياسية في أي ساحة من الساحات.

ويقع أصحاب القراءات المكثفة المبكرة لهؤلاء المشككين في دائرة التشكيك نفسها، ويكونُ صلب ثقافتهم أفكارًا تشكيكية خالية من الرؤية الكونية الأساس، والتأصيل الفكري لما يطرحون.

٢- ثقافة التَّخدير

ومصدرها الرئيس الساسة الانتهازيون، والماديون النفعيون، وإذا كانت الثقافة

١- خطبة الجمعة رقم (٨٩) ٨ شوال ١٤٢٣هـ ١٣ديسمبر٢٠٠٢م.

مـن النوع الأول تثـير أمّهات المسائل في الوجـود والحياة؛ لتواجهها دائمًـا بالتشكيك لا غـير، وتتعمـد تخريب المنهـج العلمي الذي قد ينطلـق في الكثير من المسائـل من الشك إلى اليقـين، لكنه لا يفقد يقينيات ثابتة بمقتضى الوجـدان الفطري تعينه على الوصول إلى معارفـه الفوقية، والتي لولاها لأصيب فكر الإنسان بالدُّوار من غير أن يخطو خطوة واحدة على درب المعرفة، ومن دون أن يفرق بين خطأ وصواب، وحق وباطل، وضار ونافع.

إذا كانت تلك الثقافة – وهي ثقافة التشكيك – تثير المسائل الكبرى، وقضايا المبدأ والمصـير والحيـاة والموت والإنسان؛ لتركّـز قلق الشك، وتنسف أسـس اليقين، فالثقافة التخديريـة تهرب بالإنسان عن ذاته ومبدئه ومصيره ومسؤوليته وهدفه وقيمه؛ ليتحول آلة إنتاج واستهلاك بيد المستكبرين، وأداة تنفيذ طيّعة لأغراض السياسة الغاشمة.

والسياسـة العالميـة الاستكباريـة، والسياسـة المحليـة في كل بلـدان العـالم تقريبًا تنشـط على يدهـا الثقافتان من النوع الأول والثاني، في كل العالم، وفي البلاد الإسلامية بالخصوص في زمننا الراهن لأهمية هذه البلاد وتأهلها الحضاري لدحر حضارة المادة، وتخليص العالم من شرورها.

والثقافـة التشكيكية؛ من أجل استـدراج أصحاب القابليـات العقلية للانحياز إلى جبهـة الكفر ومعـاداة الأمّة، والثقافـة التخديرية؛ مـن أجل السيطرة علـى كل الفئات وبخاصة الفئات الجماهيرية العامة.

ثقافتنا ثقافة الإيقاظ

وهـي الثقافـة الإسلاميَّة؛ ثقافـة القرآن والسُّنـة، والتي جاءت؛ لتحريـر الإنسان، وإطلاق عقله وقلبه وروحه في اتجاه الحق والحقيقة؛ ومن أجل أن يكتشف ذاته والآخرين، ويتعرف على قيمته وقيمـة الآخرين، والأشياء من حوله، ويرى الكامل كاملًا، والناقص ناقصًـا، ولا يختلط عنده ما هـو بالذات وما هو بالغير، ولا يشتبـه عنده خالق بمخلوق، ورازق بمرزوق، فلا يُخدع عن نفسه، ولا يغرَّر به، ويُتّخذ مطية لذوي الأغراض الدنيئة.

هذه الثقافة؛ كلُّ شيئ فيها؛ لإثارة التفكير، التَّدبر، التَّعقل؛ لتنبيه الفطرة، وحيوية

الضمير، ولأن تتفتح الروح، وينشط العقل، ويفقه القلب.

كل شيئ فيها؛ من أجل العلم، والمعرفة، والبصيرة.

والآيات التي نجد فيها مشتقات لمادة من نوع (فَكَرَ، وعَقِل، وبَصَر)، قد تصل إلى المئات وهي تحفز على هذه المعاني، وتستثير في النفس أسبابها، وتدفع على طريقها، ومع ذلك سيل كبير من الأحاديث يضع الإنسان على هذا الخط.

ولنقرأ من قوله تعالى في هذا المجال ما يأتي: ﴿... فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(١)

القصة التي تتخذ عند الثقافة الدنيوية مصيدة للشيطان، ولتستهوي نفوسًا للباطل، وتخدر أعصاب الناس، وتهرب بهم من ساحة الحياة الجدية إلى ساحة اللهو والعبث، هذه القصة في القرآن؛ من أجل التفكر، من أجل التدبر، من أجل أن تعي ذاتك، من أجل أن تكتشف ذاتك؛ من أجل أن تسجد لله وحدَه، ولأن ترفع أنفك، وترفع جبينك معتزًا بالله عزّ وجلّ أمام كل طاغوت.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.(٢)

إذا كان القرآن يطرح بعض القضايا التكوينية، ويطرح بعض العلاقات التكوينية بين شيئ من الأسباب، وشيئ من النتائج، فإنه يتيح للفكر أن يحاول الوصول إلى دقة هذه العلاقة وإلى واقع هذه العلاقة.

القرآن الكريم يتحدث لك عن نفسك، ويتحدث لك عن الكون، ويتحدث لك عن آيات القرآن، ويتحدث لك عن التاريخ، ويتحدث لك عن الواقع، ويتحدث لك عن الأنبياء، ويتحدث لك عن الطغاة، لا ليجمد فيك فكرك، إنما لينطلق بك على مسار

١- الأعراف:١٧٦.

٢- البقرة:٢١٩.

الفكـر الصاعد المنفتح؛ لتتعرف على الحقيقة، ليأخـذ بك إلى واقع الأمور؛ من أجل أن تبني حياتك دائمًا على بصيرة.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.[١]

تحرك الآية الكريمة السماوات والأرض، وكل شيئ فيهما.

تحرك الجماد على مسار الفكر الإنساني، على مسار التدبر.

تعطي تدبرًا.

تعطي تفكرًا.

وتعطيك أن تغوص بفكرك في أغوار الكون.

أن تتوقـف عند كل صغيرة وكبـيرة من هذا الكون العريضـ؛ لتتحدث مع الأشياء، ولتتحدث لك الأشياء، فإن كل شيئ في هذا الكون لله ﷻ فيه آيات وآيات.

وإنـك تستطيع أن تتعرف علـى الحقيقة، وأن تنجو من خداع الإعلام، ومن تضليل الطغـاة في الأرض حينمـا تقف بفكرك متأملًا متدبـرًا متفكرًا أمام هـذه الأشياء التي تراهـا في الظاهر جمادات وهي في تمور بالحركة، وهـي تسبح من خلال الإبداع الإلهي لله ﷻ، وتحمده.

إنها فيوضات إلهية.

إنهـا تقـوم بالحكمة بالقـدرة بالعلم باللطف، ومـن ذلك تستطيـع أن تتعرف على عمق، على صدق، على شمولية لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له.

والإنسـان لا يستطيـع أن يبنـي معرفة ولا علمًا مـن فراغ، ولا يمكـن أن يحصل له يقـين أبدًا إذا لم تكن له معرفـة نوعية أساس، وقضايا يقينية نابعة من فطرته ووجدانه

١- آل عمران: ١٩١.

كما هو حال هذا الإيمان الراسخ في كل نفس متنبهة من عدم إمكان اجتماع النقيضين وارتفاعهما، وحاجة الممكن إلى الواجب.

وكما تحمل النفس البشرية بفطرتها يقينيات تمثل منطلق المعرفة، كذلك تحمل روح الإنسان أشواقًا كمالية تضعه على طريق الله، وتدعوه إلى الانشداد إليه.

في روحك انجذاب للجمال، في روحك انعطاف على الجمال، في كيانك طلب فطري للكمال، وهذا الانجذاب للجمال لا يغذيه إلا السير على طريق الله.

ولما كانت النفس البشرية محمَّلة بأسس الثقافة الإسلامية المتجهة إلى الحق والحقيقة كان من صالح هذه الثقافة لا أن تستغفل الإنسان، لا أن تقتل قابلياته، لا أن تهرب به من حالة التفكير، وحالة التدبر بما يطيقه من تفكير، ومن تدبر في كل المساحات التي يملك فيها أن يتفكر، ويتدبر؛ لينتج الجديد النافع، بل أن توقظ النفس دائمًا، وتطلق منها قوى الإدراك الصحيح، ومشاعرَ الكمال، والرِّفعة، والسُّمو.

وكل البشرية محتاجة إلى الثقافة الإسلامية؛ لتكتشف ذاتها وجمالها وقدرها وهدفها ودورها، وتصبر على درب النمو والكمال، وإلا فستبقى جاهلة عاجزة.

وتغييب الثقافة الإسلامية تغييب لإنسانية الإنسان، ولقيم الخير والعدل والجمال، ومصادرةٌ لرحلة هذا الكائن الكمال.[1]

العلاقات وضوابط الانفتاح الحضاري

علاقة حضارة بأخرى، وأمَّة بثانية، ومجتمع إنساني بمجتمع إنساني مقابل لا تتمثل في صورة واحدة.

فهناك غزو حضاري يستهدف أن يفرض كل شيئ على الآخر بلا تمييز، ويسلبه أسباب أصالته واستقلاليته؛ من أجل الاستغلال، ولا بدَّ لهذا النوع من العلاقة أن يقاوَم بكل قوة وصمود وإصرار من جانب الفريسة، ومن كل الأحرار.

١- خطبة الجمعة (٨٥) ١٠ شهر رمضان المبارك ١٤٢٣هـ ١٥ نوفمبر ٢٠٠٢م.

وهنـــاك هيمنـــة حضارية فرضت علـــى الآخر، وتعمـــل على إلغائه حضـــارة وثقافة ومصلحة، وهذه لا بدَّ أن يُثار عليها إلى أن تتحطّم، ويتم الانعتاق.

وهنـــاك انبهار حضاري بالآخر تعيشـــه شريحة سطحية من أمَّة، أو مجتمع لا تفرق بـين ضار ونافع، ولا بـين خطأ وصحيح، ولا بين حق وباطل، وهي حالة تحتاج إلى ترشيد وتوعيـة وتصويب، وقبض على اليد التي تريد إغـراق السفينة، وهدم سقف المنزل على رؤوس ساكنيه.

وهنـــاك تغرير حضـــاري يزين حضارة هي في طريقهـــا إلى السقوط؛ وقاية لها من اكتســـاح حضارة الآخـــر الناهضـــة الصالحة، ولا بدَّ لهـــذا التغرير أن يُعـــرّى، وتكتشف خلفيته الأنانية المتخلفة.

وهناك تآمر حضاري لا بدَّ أن يفضح ويضرب.

وهناك انسحاق وذوبان حضاري لا يختاره إلا مَن فقد أصول الحضارة الصحيحة، ومقومات الوجود الإنساني القوي.

وهناك تفاعل حضاري، كل طرف فيه يدرس ما عند الآخر، ويقيّمه، ويختار مريدًا بـإرادة حـرَّة مستقلة واعية ما توافق عليـه مباني حضارته، ومبادئهـا، ومقرراتها التي ثبتت صحتها عنده سلفًا بعد الدراسة، والتَّمحيص، والمقارنة.

هـــذا النوع من العلاقـــة الحضارية هو ما يصـــح أن يكون مـــوردًا للانفتاح، ولو من جانـــب واحـــد في نظرنا[١]، وهو ما يمكن أن يوافق شـــرف الحضارة الإسلامية العملاقة ومنزلتها الرفيعة وريادیتها.

وهـــذا الانفتـــاح؛ إنما هو لاستقبـــال الجيد من الفكـــر، والنَّاتج العلمـــي، والتَّجارب الإنسانية الغنيَّة، والخبرة الميدانية ممَّا عند الآخر، ممَّا يتوافق ومبادئ الدِّين ومقرَّرات الشريعة، وتحتاجه مسيرة الحياة، وينفع في تعزيز مصالحها.

١- حتى لو لم ينفتح الآخر على حضارتنا بهذا المعنى من الانفتاح، فإننا مستعدون أن ننفتح على حضارته من هذا المنطلق.

وإذا كان الأمر كذلك احتاجت عملية الانفتاح إلى دراسة وتشخيص دقيق من أكثر من فريق من المختصين، وفي مقدمتهم فقهاء الأمّة، وعلماء الشريعة الأكفاء المؤمونون.

إشكاليّة

لكن أليس هذا الكلام عن التحكم في عملية التفاعل، ومدى الانفتاح على الآخر كلامًا خارج العصر؟

وبعيدًا عن رؤيته، وفهمه، ومعاناته؟

فهل بقي لأحد أمام الفاعلية الكبيرة لوسائل التوصيل، واقتحام القنوات الفضائية كل بيت أن يختار ما يستقبل من الآخر، وما لا يُستقبل، وأن يتأثر أو لا يتأثر؟

هذه إشكالية تُطرح في هذا المجال.

الجواب

١- لا زال بيد الأفراد بعض مفاتيح عملية الاستقبال لما يريد أن يوصِّله الآخر، ويعتمد استعمال هذه المفاتيح على إرادة المستقبِل.

فليست هناك يد سحرية لحد الآن تمد يدك إلى القناة الفضائية المعينة التي تحمل الغث، وتحمل الضار من الفكر والثقافة والسلوك؛ لتجبرك على فتح هذه القناة.

هذا مثال، وهناك أمثلة، والمكان ليس محل التفصيل.

٢- فرق بين سياسة رسمية تروّج للآخر باسم الانفتاح[1]، وسياسة أخرى تتعقب فكر الآخر وإعلامه بالنقد والمحاسبة، وتقدم البديل عن سيئه.

٣- إذا بنينا على الانفتاح المطلق على الآخر، والانفعال الاستسلامي بحضارته

١- مرة تبني على الانفتاح المطلق، فإذا بنينا على الانفتاح المطلق كانت لنا سياستنا كأمّة وكدولة وكشعوب، ومرة نبني على الانفتاح المدروس وعلى الانفتاح الذي يميز بين ما هو حق وبين ما هو باطل، وخير وشر، على الانفتاح الذي يختار لهذه الأمّة ما يناسب خطها الحضاري الذي لا يوازيه خط حضاري رقيًا، وأصالةً، وإثمارًا.

بلا قيد استتبع ذلك أن نربي الأجيال على إكبار الآخر[1]، والاستجابة الطوعية لفكره، وإعلانه، ومواقفه بلا تحفُّظ، ولا حدود.

وإذا قدَّرنا أن الصحيح التمييزُ بين انفتاح وانفتاح، ومادة فكرية وأخرى، وهذا النوع من البرامج وذاك، كان علينا أن نُعبِّئ مجتمعاتنا بروح المقاومة لما يقتحم عليهم معاقلهم من فكر وبرامج مرفوضة.

والله ﷻ أعطى للشيطان أن يُسمع صوته للإنسان[2]، لكن فرض عليه - أي على الإنسان - أن يقاوم وسوسته وتزيينه بعد أن أعطاه القدرة على المقاومة.

صحيح أعطيت الحضارة الغربية السيئة أن تُسمعنا صوتها، ولكن أعطينا أيضا القدرة على مقاومة سيئ هذه الحضارة، والمقاومةُ لما يهجم به الشيطان على قلب الإنسان تمثل لونًا من غلق الباب، وعدم الانفتاح عليه.

والحملة القوية التي يشنها إعلام الكتاب الكريم، والسنة المطهرة ضد الشيطان تمثل مقاومة من الإسلام للآخر القذِر وإن أسمع صوته للإنسان، الآخر القذر وهو الشيطان قاومه الإسلام في كتابه وسنته؛ وهي مقاومة على خلاف سياسة الانفتاح على الشر وإن تعملَق، وعلى خلاف سياسة الاستسلام للشر إذا استطار، فلا انفتاح على الشر مطلقًا، ولا استسلام له، وعلينا أن نوسع دائمًا تحريضنا ضد الشر، وندعو لمعاندته رغم ما يمتلك من آليات متطورة.

وإذا صحّ الفكر، وترسّخ الوعي، وتركّزت الرؤية، ورُبِّيت إرادة الخير في النفس استطاع الإنسان أن ينتصر في معاركه مع الهوى والشيطان وجنده من الصغار والكبار،

١- إذا رأينا في الآخر الوجود الكبير، إذا رأينا في حضارته الحضارة الإنسانية اللائقة، إذا رأينا الخير عنده، فعلينا أن نسلك سياسة في تربية أجيالنا، وإذا رأينا في حضارته خيرًا وشرًا، ورأينا فيها حقًا وباطلًا كانت لنا سياسة أخرى تحاسب الآخر، وتتعقب فكره، تنتقده، توافق على شيئ، ترفض شيئًا آخر.

٢- الحضارات المادية السيئة أُعطيت أن تُسمع صوتها قبل ذلك، الشيطان رغم هذه الحضارات السيئة قد أعطاه الله ﷻ أن يسمع صوته لنا، لكن هل إعطاء الشيطان القدرة على أن يسمعنا صوته يلغي دورنا؟
ويلغي مسؤوليتنا، ويجعلنا مجبورين أمام الشيطان؟
الأمر ليس كذلك يا إخوان.

والأمّة التي توجد فيها التربية الخيّرة المقاوِمة يمكن أن توفر في الكثير من أبنائها كل تلك المقومات.

أريد أن أقول: بأن تقدم وسائل التوصيل بصورته الواسعة لم يُسقط قدرة المقاومة للشر، ولم يترتب على ذلك براءة الذمة من التكليف بالمواجهة والتدخل في تربية أبناء الأمّة وبناتها، ولم يقضِ بالتسليم بالهزيمة، والانهزام الفعلي أمام مخططات الأعداء. (١)

هنا مفارقة!

تُطالب المجتمعات الغربية وحكوماتها ملايين المسلمين من مواطنيها بالاندماج والذوبان في حضارة الغرب، وقيمها، وثقافتها، وأنماط سلوكها، والتنازل عن الهُوية الإسلامية حتى في المأكل والملبس.

أمّا في البلدان الإسلامية، فالمسلمون يُطالَبون من حكوماتهم، والجماعات الموالية حضاريًا للغرب بالذوبان في ثقافة الأجنبيّ، وتشريعاته!

أي مفارقة هذه؟!

كل ما نريد أن يُطالَب الآخرون باحترام حضارتنا، ولا نقول بالذوبان فيها.

نحن لانطالب أن تُكره الحكومات الآخرين، ولا يستبيح المسلمون المؤمنون لأنفسهم أن يرتكبوا طريقة الإكراه لهم في البلاد الإسلامية على الذوبان في حضارتها، ولكن كل ما نطلبه هو احترام هذه الحضارة، أما أصحاب الحضارة الغربية، فيطلبون من مواطنيهم المسلمين أن يتنازلوا عن الهُوية الإسلامية!(٢)

موقفنا تجاه الغزو الحضاري

صحيح علينا أن نتعامل مع العالم.

أن نتعاطى مع العالم.

١- خطبة الجمعة (١٣٢) ١٠ شوال ١٤٢٤هـ ٥ ديسمبر ٢٠٠٣م.

٢- خطبة الجمعة (٢١٩) ٨ شوال ١٤٢٦هـ ١١ نوفمبر ٢٠٠٥م.

أن نتفاعل مع العالم.

أن نأخذ، ونعطي.

أن لا نتقوقع.

ألَّا نمنع خيرنا عن العالم نطلب من العالم خيره، لكن في نفس الوقت ليس علينا أن نستنيم أمام خطط العالم العدو، العالم الكافر، الذي يتربص الدوائر بهذه الأمَّة ليل نهار أنا لا أكلم الحكومات هنا، ولا أتحدث معها للسياسة، أتحدث مع جمهور المؤمنين والمسلمين: كيف ينفتح جمهور المسلمين والمؤمنين على أعلام الغرب المفتوح على مصراعيه على ثقافته للدنيئة الفاجرة الماجنة على قنواته التي تبث خلقًا وضيعًا سفيهًا؟

كيف تسلم تربية صبيك، وتربية صبيتك، وتربية زوجك في الثامن عشر من العمر؟

كيف تسلّم تربية شابك، وشابتك إلى قنوات الفساد والاهتراء والسقوط؟[1]

نحن محتاجون إلى أن نكون على درجة كافية من الحساسية العقلائية من كل المشاريع والدعوات والشعارات التي تدخل في تشكيل خطاب القوى الأجنبية المجاهرة بعدائها للإسلام والماكرة به والذي لا يفتأ عن استهداف نخب الأمَّة وشبابها وناشئتها؛ لإحداث الانفصال بينهم وبين الإسلام في كل الأبعاد والساحات.

ومن أجل هذه الحساسية الضرورية لا بدَّ من تثقيف، وتبصير وإنذار وتحذير وتسليط للضوء، ومحاولات السبر والكشف والاستنطاق، ولفات النظر إلى الحراسة واليقظة والانتباه.

ويجري هذا كله بعيدًا كل البعد عن الفتاوى الإرهابية، والتحريض على إحداث الإرباكات الأمنية، وإشاعة لغة العنف في المجتمعات المحلية والمجتمع العالمي.

فمدرستنا مدرسة لا تستبيح التأسيس لهذه اللغة، ولا تأخذ بها مختارة مطلقًا ما لم تشن حرب جهنمية ظالمة على بلداننا ومدننا تحتم علينا الدفاع عن العرض، والنفس، والأهل، والولد.

١- خطبة الجمعة ١٢ بتاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٢هـ ٢٢يونيو٢٠٠١م.

ومدرستنا داعية للسلام والأمن والاستقرار والحوار، وتواجه الفكر بالفكر، والكلمة بالكلمة، والخطاب بالخطاب، والهجمة الثقافية بهجمة من نوعها، ولا تستسيغ العدوان، وليست انفعالية، ولاتظلم حتى في الرد، ولا تزيَّد عنها بما يخرجها عن الحق إلى الباطل، وعن روح السلام إلى العدوان.

وبرغم أن العداء الحضاري لأمَّتنا أمر لا يخفيه عدد من ساسة أمريكا وغيرها، فإن الشعار المختار لنا ليس الصدام الحضاري وإنما الحوار الحضاري، فنحن نعرف أن هذه أصوات نشاز لا تمثل ذوق الشعوب وهمها ومصلحتها، ولا يهمها أن تحرق الأرض كلها وتبقى هي قوية متنفذة مسيطرة.

إلا أن روح الحوار لا تمنع من الدفاع الثقافي وتجلية الحقيقة، ومن تحذير الأمَّة وإنذارها، واستيقاظ حساسيتها الرسالية إلى الحد المعقول.[1]

وحياتنا اليوم تشهد تسللًا خفيًا، وهجومًا صارخًا من أعراف حضارية شتى في حالة غزو هائل للساحة الإسلامية الشاملة المهدَّدة بالذوبان.

وفي ذوبانها أمام الأعراف الجاهلية التي تكتسح بلاد المسلمين كلّها انفصالُها عن الإسلام، ونهايتها الحضارية المخزية.

وهذا لا يستوجب المقاطعة الحضارية الشاملة، على أنها غير ممكنة عملًا، وإنما يتطلب عناية تربوية فائقة، وإعلامًا رشيدًا هادفًا، وتركيزًا للقيم الحضارية السليمة، وانتقاءً للنظيف ما أمكن مما نستورد من أعراف.

وحرية الانتقاء هامشها ضيق جدًّا بحكم الظروف العالمية القائمة، وتحول الأرض من الناحية الإعلامية إلى قرية صغيرة بل إلى غرفة ضيقة يُرى فيها المشهد الخفي، وتسمع الكلمة الخافتة.[2]

١- خطبة الجمعة (٢٠٥) ١٧ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ ٢٤ يونيو ٢٠٠٥م.

٢- خطبة الجمعة (٩٢) ٢٩ شوال ١٤٢٣هـ ٣ يناير ٢٠٠٣م.

مسؤوليَّة الأمَّة

مسؤوليـة عظمـى تفرض علينـا العـودة الجـادّة الشّاملـة القويـة لهـدي رسول الله ﷺ، والإسلام الذي أوحاه الله إليه بلا تسويف، ولا تراجع، ولا تردُّد، ولا فتور.

وأن نُصـرَّ علـى رفض أيِّ بديل حضاري عن الإسلام، وأيَّ تغرُّب، أو هجرة كليَّة، أو جزئية عن دين الله، ورسالته الخاتمة.

مسؤوليَّة الحكَّام

وأنتم يـا حكّام الشّعوب الإسلاميّـة ممَّن تنطقون بالشّهادتـين، وتُعلنها إذاعاتكم وقنواتكـم التلفازية، ووسائل إعلامكـم، وتبنون المساجد، وتبثّون برامج دينية، ألا قستم سياستكم وممارساتكم إلى ما يراه رسول الله ﷺ، وما لا يراه، إلى ما يرضاه وما لا يرضاه، إلى ما تُوافق عليه شريعته وما تأباه، إلى ما يسره وما يؤذيه؟!

ألا استفتيتموه عن الاستبدال عن أحكام دينه بأحكام ملتقطة تستوردونها من وضع الإنسان، وعن أخلاقه بأخلاق جاهلية؟

عـن الكيد بالشعوب الإسلامية ووحدة الأمَّة، وتماسكهـا، وأُخوَّتها تعاونًا مع أعدى أعدائها من مثل الصهاينة؟!

وعن بيع أرض الأمَّة وثروتها على أعدائها تثبيتًا لكراسي الحكم، والاطمئنان عليها؟

عن حفـلات الرَّقص، والخمـر، والفحشاء ممَّا تضـجُّ به الفنادق التـي تشيدونها لفساد الأمَّة وسرقة ثرواتها، وإرضاء مَن يريد لهذه الأمَّة أن تُخدع عن دينها؟

وعن الطَّاغوتية التي تُمارسونها على الأمَّة؛ حتى لا تبقوا لها صوتًا ولا رأيًا، ولا إرادة في شأن من شؤونها؟

وعـن سفك الدَّم الحرام، والإسراف في القتل، والتعذيـب، وملء السجون والأقبية المظلمة من أحرار وحرائر هذه الأمَّة؟

وعن التعدّي على أعراض المسلمين بألوان من التعديات القذرة المحرَّمة في السجون وخارجها، ومما يتم تحت علمكم وأنتم تشهدون؟[١]

قوا أنفسكم وأهليكم

فهذا نداء للذين آمنوا من رب العباد الغني عمَّن خلق وما خلق في كتابه المجيد، يحذّرهم، وينذرهم رحمة بهم ولطفًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[٢]

وقايتان

نعرف أن من الوقاية التربية والمراقبة للنفس، للولد، للزوج، للأهل للأقارب، ولكن من الوقاية أيضًا الوقاية الاجتماعية العامة، وإهمالها يغرق المجتمع كله في المأساة، ويضع المجتمع كله على طريق النهاية المأساوية المخزية.

الوقاية الكبرى الاجتماعية، إحباط محاولات الاستغفال والاستغلال، وحماية الأجواء الاجتماعية من التسمم، والوقوف أمام مؤامرات التغريب، ومحاولات إفساد المجتمع الإسلامي بكامله.

فتسميم الأجواء عملية اغتيال هادئة للعقيدة، والقِيم، وكلّ المقدسات.

ومسالك التسميم كثيرة، وحين تضع عينك على ظاهرة من ظواهر التسميم خاصة في بدايتها لا تكترث بها، ولا تلفت من الإنسان النظر إلّا أنْ يكون صاحب نظر دقيق، لكن هذه الظواهر تتجمع وتتراكم؛ ليجد المجتمع نفسه قد خسر هُويته، وقد خسر انتماءه، ووجد نفسه أنه قد ارتمى في أحضان حضارة أخرى معادية.

١- خطبة الجمعة (٤٩٠) ١٧ ربيع الأول ١٤٣٣هـ ١٠ فبراير ٢٠١٢م.

٢- التحريم:٦.

الحرب المستمرّة

أيُّها الإخوة، إنّ أمريكا وكل الكفر العالمي لا يحارب على جبهة واحدة فقط وإذا كانت حروبه القتالية ومن خلال الطائرات والصواريخ والمدافع والقذائف حربًا مؤقتة قد تأتي بعدها بزمن طويل أو قصير حرب أخرى؛ لتدمّر، وتبعثر وجود الأمّة إلى وقت، فإن هناك حربًا مستمرة لا تفتر لحظة واحدة من ليل أو نهار.

هذه الحرب أخطر في نتائجها، وهي أقل إلفاتًا لنظر الأمّة، وتنبيهًا لحساسيتها، فتفعل في الأمّة ما لا تفعله الحروب القتالية، وأن أبناء الأمّة ليفرحون، ويصفقون وهم يتساقطون صرعى على الطريق في هذه المعركة، معركة الإعلام، معركة التغريب الثقافي، معركة التضليل، معركة استبدال الثقافة الإسلامية إلى ثقافة الإنسان القرد الذي رضي لنفسه أنه ابن القرود!!

الحرب مشتعلة على كل الجبهات بالأصالة، وعن طريق العملاء والوكلاء الرسميين والشعبيين في كل مكان، في كل شبر من بلاد الإسلام، ولا أعني كل الرسميين، ولا أعني كل الشعبيين لكن العدد هائل من هؤلاء وهؤلاء الذين تشتريهم أمريكا بثمن بخس.

بدأ تدفق أبطال التشكيك في أساسيات الدين، وثوابت العقيدة من صنايع الفكر الغربي الذي يعد جيوشًا لهذه المهمة الأساس عنده، أكثر مما يعد جيوش المعارك القتالية الغازية، وعنده اهتمام بالإنفاق على هذه الجيوش، وبرعايتها منذ نعومة الأظفار والتقاطها من كل البلاد الإسلامية رعاية تفوق ربما فاقت اهتمامه بجيوشه القتالية، لأن جيوش الفكر والروح أفتك من جيوش الأجساد، حين تصفي في الأمّة فكرها وروحها وشعورها بعزتها وكرامتها، بلغت من مأربك الاستعماري الاستغلالي الاستنزافيما لا تستطيع أن تبلغه حروبك القتالية المكثفة بما تنفقه عليها من ملايين وبلايين.[1]

١- خطبة الجمعة (٦٢) ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٣هـ ٧ يونيو ٢٠٠٢م.

الفصل العاشر

الإسلام والغرب

الباب الأوَّل

العلاقة بين الغرب والإسلام

الغرب بين العدوانيَّة والحوار

الغـرب على مستـوى حكوماته، والمشتغلـين بالسياسـة أو الدين مـن أبنائه، وكذا منظِّريـه - إلا القليـل منهم لا يستهدف، ولا يؤمن بالحـوار الحضاري مع العالم العربي والإسلامـي - إنمـا يستهدف التغيير الحضـاري لأمَّتنا، وأن يصنعهـا جديدًا من حيث الحضارة على نمط ما يعيشه من أوضاع تحكمها النظرة المادية أو المسيحية.

ينضم إلى هذا أن أكثر الحكومات في العالم العربي والإسلامي لا تملك علاقة طيّبة مع شعوبها من جهتين:

الأولى: كونها كيانات مفروضة على الشعوب بالقوة في الأكثر.

والثانيـة: جورها على الشعوب في الحكم مـن أبعاد مختلفة، وضغطها المتزايد على هذه الشعوب أمنيًا مدفوعةً إلى ذلك بسوء ظنّها الناتج من سياستها العدائية للشعوب.

ولهـذا الواقـع بشقّيـه، ولسيطرة الغـرب وقوّتـه الباطشة، وتمكـين الأنظمة له في مصائرهـا ومصائـر الشعوب تجـد نفسها مضطـرة دائمًـا؛ لاسترضاء الغـرب إبقاء للكرسي، واستمرار السيطرة، والاستئثار بالثروة.

ويأتـي هـذا الاسترضاء علـى حسـاب لقمـة الشعـوب وضروراتها، وديـن الأمَّة، وحضارتها، وهُويتها، وعزّتها، وكرامتها.

ويمارس الغرب عملية الابتزاز للأمَّة على مستوى المـادة والمعنى بصورة مباشرة، وكذلك بوكالة من الحكومات المحليّة المؤتمرة بأمره، المنتهية بنهيه، المنفّذة لأهدافه ولو تحت الإكراه لأخذ ذلك شرطًا لبقائها، والسكوت والتمرير لجميع انتهاكاتها.

الاستهداف الغربي للأمَّة الإسلاميَّة

١- استهداف العقيدة

وكلٌّ من عقيدة المسلمين وشريعتهم داخل في الاستهداف الغربي لهذه الأمَّة.

فعلى مستوى العقيدة:

أ- يمارس الغرب بصورة مباشرة حملات التشويه والاستهجان والتسفيه لوحدات من مركّب العقيدة الإسلاميَّة، ورموز من رموز الإسلام كالحملات الشَّرسة ضدَّ القرآن والسُّنَّة، والرَّسول الخاتم ﷺ.

ب- يمارس ضغطًا هائلًا على الحكومات في العالم العربي والإسلامي لفتح الأجواء، وأبواب الحرية والواسعة قانونيًّا وعرفيًّا للكلمة الإلحادية، والمهاجِمة لعقيدة الإسلام عمومًا، مع تقديم الحماية الإعلامية والسياسية وغيرها لأصحاب الأقلام المعادية للإسلام داخل البلاد الإسلامية، والدفاع عنها باسم حريَّة الكلمة.

٢- استهداف الشَّريعة

وعلى مستوى الشَّريعة يأتي مع مضمون ألف وباء مما سبق:

ج- فرض مناهج دراسية مشبَّعة بمخالفات شرعية وأحكام ومفاهيم ومصطلحات معادية.

د- فرض سنِّ قوانين متنكرة للشريعة خارجة عليها حتى وصل الأمر إلى دائرة أحكام الأسرة والميراث والوصايا، مما تسعى الحكومات المحليّة جاهدة لفصله عن الإسلام، والتسريع مهما أمكن بتغريبه.

هـ- ربط بعض المكاسب السياسيّة، أو الاقتصادية الحقيقية، أو الوهمية للأنظمة ولو كانت على حساب الشعوب بالتوقيع على اتفاقات دولية تكرس تبعية هذه الأنظمة ومن ورائها شعوب الأمَّة لإملاءات الفكر العلماني الغربي والمصالح الغربية، وتُحلُّ التشريعات العلمانية الأرضية محلَّ التشريعات الإلهية المقدّسة.

نموذج واقعي من الاستهداف

ويأتي في هذا السياق توقيع البحرين على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة؛ من أجل اكتساب العضوية في مجلس حقوق الإنسان الذي يُعطي الحكومة سمعة حقوقية متقدِّمة، وشهادة بأننا من أروع النماذج في رعاية حقوق الإنسان في الأرض!

واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة - كما يسمونها؛ ليعطوها صبغة إنسانية عادلة من باب الإعلام الكاذب - هي من وَضْعِ مَن يعتبرون نظام الإرث في الإسلام، وحقّ الطلاق، والقوامة، وإذن الولي في الزواج، وحجاب المرأة وحتّى ستر مثل ساقيها وفخذيها وصدرها، وتعدد الزوجات عند الرجل، ومنع بعض صور الاختلاط، والسن الشرعي للزواج كلّه من التمييز ضد المرأة.

واستجابة للشرط المذكور من ناحية عملية تكثر تحركات حكومة البحرين، والمؤسسات التابعة لها والمحسوبة عليها، ومعها كل الذين لا يحملون هَمَّ الدين ولا يمثّل عندهم وزنًا، ومَن يقيمون حياتهم العملية على خلاف أحكامه؛ من أجل استصدار قانون الأحوال الشخصية؛ ليضع الأحكام الشرعية في هذا المجال على طريق العلمنة الكاملة ضاربًا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله عرض الحائط.

ومن أجل هذا الغرض نفسه بدأت خطوات عملية تطبيقية كما في مثال التغييرات المستمرة في ورقة عقد الزواج، ومثال مشروع قانون الوصية توصُّلًا للمطلوب من قانون الأحوال الشخصية ولو بصورة تدريجية بعيدًا عن الضجة الشعبية.

وهذا الشعب المسلم الغيور على إسلامه هو المؤتمن والمسؤول الأول عن الإسلام في هذا البلد، وحفظه، ومقاومة التآمر عليه.

وكل التزامات الحكومة المخالفة للإسلام لا تلزمه، ولا بدَّ من مواجهة حملة تغريب القوانين حتى في الزاوية الصغيرة المتبقية من مساحة التشريع الواسعة وهي

مساحة أحكام الأسرة وما يتصل بها بحزم وقوة وإصرار، وإلا لكان الجميع مشتركًا في الجريمة.(١)

وأخيرًا: نجدنا أمام واقع صارخ من تعامل الغرب مع أمّتنا يجعلنا على يقين بأن التيار الأعظم من ساسة الغرب، وزعمائه الدينيين ومنظّريه العلمانيين إنما يقفون من هذه الأمّة موقفًا عدائيًا شرسًا يقوم على روح الهيمنة المادية والحضارية معًا مغلقين أبواب الحوار الحضاري المقرون باحترام الآخر.(٢)

المتغرّبون

لا يخلو مجتمع إسلامي اليوم من قلّة محسوبة على المسلمين ترى بعين الغرب، وتُفكّر بتفكيره، وتشتهي مشتهاه، وتُريد للمسلمين ما يُريده، وتُحاول الأخذ بأوضاعهم الفكريّة والنفسيّة والخلقية إلى ما يتمنّاه.

ولهذه الفئة منطلقاتها المختلفة في اتّخاذ هذا الموقف والتحمُّس له.

وصوتُها في المجتمعات الإسلامية صوتٌ نشاز، ولكن قد أخذ على نفسه أن يرتفع في مُختلف الساحات الإسلامية برغم كلّ الظروف، وأن يعمل جاهدًا على توسيع دائرته، وطلب دعمه ومناصرته.

ويمتلك أصحابُ هذا الصوت النّشاز المواقع الرسمية العالية، والثروات الطائلة، والأساليب الكثيرة الملتوية.

ومنهم من يُجاهر بهُويته.

ومنهم مَن يتستّر في حربه للإسلام باسم الإسلام، ويستخدم التّلاعب بالنّصوص الإسلاميّة، وتطويعها قهرًا في خدمة الفهم الذي يُنهي الإسلام، وينقض بُنيته.

وهذه الشرذمة مدعومة وبكلّ قوّة في مواجهة الإسلام من الكثرة الكاثرة، والغالبيّة العُظمى من الأنظمة الرسمية التي تحكم المسلمين.

١- هتاف جموع المصلين بـ(لبيك يا إسلام).

٢- خطبة الجمعة (٣٢٧) ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ ٣٠ مايو ٢٠٠٨م.

وهنـاك دعمٌ مفتوح وعلى مختلـف المستويات تتلقاه هذه الفئة عـن السيد الغربي، والتنسيقُ بين الطرفين قائم على قدمٍ وساق، وارتباط المصالح بصورة مركّزة يدفع لهذا التنسيق والتّوافق بين الطرفين.

وهنـاك توافـق أكبر بينهمـا كما أُشير إليه مـن قبل من التوافـق في المصالح، وهو توافق رؤى ومشاعر وقناعات وأهداف على حساب الإسلام، والأمّة الإسلاميّة.

وذلك لأن العلاقة بينهما هي علاقة قويٍّ دوره الفعل، وضعيف، ومايعٍ دوره الانفعال.

وهـذا الصّفُّ حاضر بمكوّناته المتعددة بـكل قوة في المعارك التي تشنُّ في الساحات الإسلامية على مستوى العقيدة، والشريعة والخلق والسلوك ضدّ الإسلام.[1]

الهجوم الغربي على المقدّسات بذريعة حرية التّعبير

الهجمة، حرية تعبير، أو حرية تهريج، وهراء، وهذيان؟

هي من الثاني، وليست من الأول.

وإذا كانـت التصفيـة الجسديـة لشخـص لا تدخـل في الحرية، فكيـف بالتصفية المعنويـة لأمّة بكاملها، ولشخصيـات ربانية على مستوى شخصيـات الأنبياء، وخاتمهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)؟!

وإذا كان باب التهريج مفتوحًا على مصراعيه، ويُمثّل قيمة عالية عند الغرب باسم حريـة التعبير، فليعرفوا أنّ المقدسات الحقيقية لأمّتنـا لا تعادل قيمتها عندنا قيمة، ولا يمكن التنازل عنها.

مقدّسك الوهمي السخيف قائم، ومقدّسي الحقيقي الأصيل يسقط؟، لا يكون.

وأين حرية التعبير من أمور كثيرة؟

ومـا مسألة حكاية محرقة اليهود إلا واحد منها، وقد تنازلت عنده حرية التعبير في الغرب، وغلبت قدسيته قدسية حرية التعبير عندهم.

١- خطبة الجمعة (٤٠١) ١٦ ربيع الآخر ٢ أبريل ٢٠١٠م.

وإذا كانت الصهيونية العالمية يُسعدها اشتعال حرب حضارية طاحنة بين الغرب والمسلمين، فإن على الغرب أن يحترس من ذلك، لأن الخسارة ستكون شاملة وفادحة وكاسحة لو اشتعلت هذه الحرب، ولن تخص المسلمين وحدهم.

وإن ما ذهب إليه الكثيرون من لا بديَّة حماية قانونية دولية تعمل عليها الدول الإسلامية لحماية الأديان السماوية من تطاول السَّفَلَة، والمفسدين، وأصحاب الأقلام الرخيصة لهو أمرٌ حقٌّ، ويجب التركيز عليه، والدفع في اتجاهه.

وأُنبِّه أنه كما هوت المادية السقيمة بإنسان الغرب وأفقدته أخلاقيته واتّزانه، فهان عليه أن ينال من أقدس المقدسات، فقد بدأ هذا السقوط في الساحة الإسلامية بالنسبة لبعض مَن يُسمّون أنفسهم مسلمين، ويسعون دائمًا؛ للنيل من المقدّسات، ويتطاولون على الأمّة.

وعلى الأمّة أن تحمي نفسها من مثل هذه العناصر السيئة البغيضة.

وما الذي يساعد ويجرّئ غير المسلمين كثيرًا على الإسلام؟

متطرّف لا يحترم الآخرين، ويسل السيف في غير موضعه، ويطلق لسانه بالسب والشتم، ومتهاون لا يقيم للإسلام وزنًا أمام الآخرين.

ويكثر هذا الصنف في مسؤولي الأمّة وحكّامها.(١)

أمريكان يحرقون القرآن!

أقدمت القوّة الأمريكية في أفغانستان على حرق نُسَخٍ من المصحف الشريف تعبيرًا عن الاستخفاف به، والحقد عليه، ومعاداته، ومحاربته.

وحرقُ نُسَخ المصحف المبارك إجراء رمزيّ؛ لإرادة القضاء النهائي على فكر القرآن الكريم في الأرض، ومشاعره، وحضارته، وأمّته، وقيادته لحركة الحياة، ولأي كيان يتأسّس على أساسه، ويقوم في ضوئه، وينال مباركته.(٢)

١- خطبة الجمعة (٢٣١) ١٨ محرم ١٤٢٧ هـ ١٧ فبراير ٢٠٠٦م.

٢- حرق الحرف رمز لحرق المعنى، لحرق الحكم والهيمنة القرآنية في الأرض.

إنهـا الحـرب العدائية للإسلام، ولكل أثر مـن آثاره، ولكل مقدّس من مقدّساته، ولكل نور من هداه.

وأثـار العدوان حميّة المسلمين في أفغانستان وغيرتهم الإيمانية لما يعرفونه من قيمة القـرآن وقدسيته التي تُفـدَّى بالنفوس، وسقطت أنفس؛ من أجل ذلك في سبيل الله على يد المعتدين.

هذا عدوان حضاري لأمَّتنـا وحضارتنا ومقدساتنا يواكبه عدوان إسرائيلي مماثل ممنهـج لا يكفّ عن مهاجمـة المسجـد الأقصى، وسلبـه، وتخريبه، ومحاربـة الصَّلاة والمصلّين فيه.[1]

وأين الحكومات في أغلب البلاد الإسلامية؟

إنهـا في غياب؛ من أجل تشتيت الأمّة، إنهاكها، إذلال شعوبها وقهرها والتآمر على ثوراتها والدخول في تحالفات رئيسة طويلة المدى على حساب وحدتها وهُويتها.[2]

من حقّنا أن ندافع عن مقدّساتنا

من منطلق غرور الغرب واستهتاره واستخفافه بالقِيم، وبالآخر، ومن منطلق تبعثر أمّـة الإسـلام، ووهن الكثرة الكاثـرة من حكومـات شعوبها صارت تتكـرر الإساءة إلى شخصيـة الرسول الأعظم ﷺ من بلهاء الغرب وسقطتـه وسفلته، وفي كل أمّة بلهاء وسقطة وسفلة.

الإسلام لا يكره أحدًا على الإيمان به، أو على إكبار شخصية الرسول ﷺ والذي هو الأول ممَّن يستحق الإكبار.

ولا يؤمـن بالعنـف قاعدة في تعامـل المسلمين مع الآخر، ولكن من حـق الإسلام أن يدفـع بالمسلمين في اتجاه الدفـاع عنه وعنهم، وعمّا له من قيـم ومقدّسات بغض النظر

١- هتاف جموع المصلين بـ: (الموت لإسرائيل، الموت لأمريكا).

٢- خطبة الجمعة (٤٩٢) ١ ربيع الآخر ١٤٣٣هـ ٢٤ فبراير ٢٠١٢م.

عمّا يذهب إليه الآخر، قدّر مقدّراتنا أو لم يقدّر، قدّس مقدساتنا أو لم يقدّس.

أنا عندي مقدّسات.

أنا عندي قيم.

أنا مسؤول عن الدفاع، عن قيمي ومقدّساتي، وافقت قوانين الغرب أو لم توافق قوانينه، سمحت قوانينه بالتهتّك والاستهتار بقيمي أو لم تسمح، وبرغم ما تقوله قوانينه ومواضعاته.

وإذا كان الغرب يضع حدًّا للحرية؛ لحماية المال والبدن لأفراده وجماعاته، ولا يفتحها في هذا المجال بالصورة المطلقة، لأنه يقدّر حياة البدن، ثم يطلق الحرية للتعدي على المقدّسات، فإن هذا المنطق لا يصح للأمَّة الإسلامية أن تسمح بتطبيقه على مقدّساتها وهي تقدّم حياة الروح على حياة البدن، فإذا أصرّ الغرب على استهتاره بمقدّسات الآخرين مسلمين وغير مسلمين من باب حريته التي لا تقيدها عندهم القِيم، فإنه بهذا يختار الدخول مع كل العالم الآخر مسلمين وغير مسلمين في مواجهة.

إنه من البلاهة والغباء ممَّن أراد أن لا يُمسَّ بأذى على الإطلاق أن يُدمي قلوب مليار ونصف المليار أو أزيد من المسلمين بالإساءة إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأن يتكرر منه ذلك، والقانون الذي يُطالب أهلَه المسلمين ببرودة الأعصاب بإزاء مثل هذه الإساءات هو قانون غير قابل التطبيق على كلّ النّاس، وأهله إنما يمارسون غباء سيئًا جدًّا بهذه المطالبة.

أيُّها الإخوة والأخوات، أيُّها المسلمون في هذا الوطن العزيز كلّ قادر مدعوّ للمشاركة في المسيرة الاحتجاجية على عدوان الصحافة الدنماركية بالإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وآله ودعمها من جانب النظام الرسمي هناك والتي تستهدف - أي المسيرة - مع ذلك تحميل الأنظمة الرسمية في أمَّتنا بالموقف الذي يناسب حجم هذه الأمَّة، وحجم الإساءة الموجهة إليها وإلى رسولها العظيم صلى الله عليه وآله في قبال هذه الهجمات الشرسة الباغية المتكررة والذي يختلف في حجمه وأسلوبه عمَّا تسمح به الأدوات التي تملكها الشعوب في

هذا المجال، ولا ويؤدّي إلى مواجهات حضارية تخطط لها الصهيونية العالمية وقوى الشر المعادية لإنسانية الإنسان ومصلحته.[١]

الشُّعوب الغربيَّة تبحث عن الخلاص

ليس عجيبًا أن مستيقظين في أمريكا والغرب عمومًا يبحثون عن الخلاص من حضارة الغاب التي عاشوها، واكتووا بنارها فوجدوها محرقة قيم وإنسانية وأمن واستقرار نفسي وروحي وسعادة، وأن عملاء فكريين وسلوكيين ممَّن ينتحلون اسم الإسلام في أرض المسلمين يعملون بغير كلل؛ للتبشير بتلك الحضارة، وفصل الأمَّة عن حضارة النور والهدى والفلاح!

وهؤلاء المتسمون باسم الإسلام حينما يتحدثون عن حضارة الغرب لا يريدون لهذه الأمَّة أن تسابق الغرب علمًا ماديًا واكتشافًا واختراعًا؛ لتضيف القوة المادية إلى الهدى والإيمان، وتضعها بيد الدين والعقل والحكمة والعدل والإحسان؛ لتنتفع بهما الأرض كل الأرض، ويتقدم بهما الناس كل الناس.

وإنما يتحدثون لك عن إنسانية تلك الحضارة ورقي معناها، ونموذجيتها، وانفتاحها على قضايا الإنسان وكرامته وحريته، وهم يعلمون أنهم كاذبون.

ونحن إذ نلعن الحضارة الغربية، فإنما نلعن حضارة المادة العمياء الجافية القاسية الأنانية البهيمية، وجدت في غرب أو شرق، ولا نتحدث عن شعوب في الغرب، وأنها مفضولة لشعوب في الشرق.

فالأمم هي الأمم، والشعوب هي الشعوب، والكل من آدم وحواء، والكل من خلق الله سبحانه وتعالى، والأمم والشعوب تأتي في غالبها من صناعة حضارتها وقيم ومواصفات تلك الحضارة.

١- خطبة الجمعة (٣١٣) ١٤ صفر ١٤٢٩هـ ٢٢ فبراير ٢٠٠٨م.

وفي الغـرب ضمائر حيَّة تمردت على حضارتها، وفي الشرق الإسلامي ضمائر ميتة انسلخت عن حضارتها.[١]

أمريكا وشراء العقول المسلمة

أمريـكا تبحـث دائمًا في بـلاد المسلمين عن الأكـثر فاعلية والأقدر علـى خدمتها؛ ليكون الحاكم، وليكون الكاتب والعالم والمفكر العربي والمفكر الإسلامي، والمثقف القدير والمنظر الشهير، والخيار العربي والخيار الإسلامي في أكثر البلدان تابع للخيار الأمريكي مع الأسف الشديد.

وأمريكا وغيرها لا يشترون من العملاء إلا الأوفر حظًّا من نعم الله ﷻ، والمستعدّ لأن يخون نفسه ويجحد تلك النعم كلها.

وهناك سفهاء جاهلون يبيعون نعم الله الكبيرة عندهم بثمن بخس يُعقبهم السقوط في الدنيا والعذاب في الآخرة.

وأمريـكا الآن مشغولة جـدًّا بالتفتيش عن الحكام الأكثر قـدرة على العمال، وعلى الوفـاء بشـروط العمالـة، وكلما تقـادم عميل، وكلما كـبر به السن، وعجـز عن العطاء المطلوب بالدرجة الفائقة كلما أُلقي به في مزبلة الدنيا وهو ملقًى عند الله قبل في مزبلة التاريخ والمزبلة التي تبعد الإنسانية كل البعد.[٢]

الجمعيَّات الشَّبابيَّة والمال الأمريكي

للمال الأمريكي والخبرات الأمريكية والصناعة الأمريكية للإنسان حضور فاعل في أوساط جمعيات شبابية ونسائية في الوطن العزيز.

هل هذا لدعم الولاء الحضاري الإسلامي؟

لدعم الولاء الوطني أو القومي؟

١- خطبة الجمعة (١٥٤) ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٥هـ ١٤ مايو ٢٠٠٤ م.

٢- خطبة الجمعة (٦٧) بتاريخ ١جمادي الأولى ١٤٢٣ هـ، ١٢ يوليو٢٠٠٢م.

أو التَّوجه الديمقراطي الحقيقي الذي يخدم شعوب الأمَّة؟

هـذا المـال، هذه الخـبرات أليست علـى حد المال والخـبرات التي دخلـت العراق؛ لتُنصِّر، وتُعَلْمَن، وتُعَوْلم؟

أليست هذه الأموال والخبرات لصناعة ولاء أمريكي أجنبي، وللتَّهويد، والتَّنصير؟

ولمسخ الهُوية؟

واستبدال الإنسان إلى إنسان آخر؟

سؤال لو سمحت السياسة: أمريكا دولة أجنبية أم لا؟

فكيـف يُسمـح لأموالهـا أن تصـوغ الأوضـاع العقلية والنفسيـة والإراديـة لشبابنا وشاباتنا؟

وأن توجد التوجهات التي ترغبها في الأوساط الشبابية لهذا الوطن؟

كيف يُسمح بصناعة هذا الولاء الأجنبي بكل المقاييس؟[1]

بيع الذِّمَم

نحن في عالم أخذت منه القِيم المادية، وتقديس الشهوة مأخذًا كبيرًا، وبعُد مسافات ومسافات كبيرة جدًّا عن قيم الدين والتقوى، وهذا له آثار، ومن آثاره بيع الذِّمم.

حـين يكـون الزاد قيمًـا مادية بدل القِيم المعنويـة، وينبتر حس الإنسـان عن صلته بالله، وعن صلته بالآخرة يسقط في نفسه، وتهون عليه.

إن الإنسان ليرخص في نفسه حين لا ينفتح قلبه على الله، وحين يطغى عليه نسيان ربّه، وهنا يبدأ بيع الذِّمم.

والذِّمم تُباع ببيع الموقف والكلمة للباطل والكذب والظلم بالمال والجاه وأمثالهما.

١- خطبة الجمعة (١٩١) ٧ صفر ١٤٢٦هـ ١٨ مارس ٢٠٠٥م.

أطبّـاء، مهندسـون، ممرّضـون، صيادلـة، علماء ديـن، فلاسفة، خـبراء من كل الاختصاصات، ومن كل الشرائح يكثر بيعهم للذّمم حين لا يكون دين.

الإنسـان في غياب الدين وقيمـه وأحكامه مستعدٌّ أن يبيـع كلّ شيئ؛ من أجل المادّة ومتعلقاتها.

أمـا الساسة من رؤساء ووزراء ومشتغلين بالسياسة على غير خطّ الدين، فهم أكثر الناس استعدادًا للدخول في هذا البيع.

أول مـا يبـدأ بيع الذمم يكـون الثمن غاليًا، ولكـن إذا كثر العرض وتجاوز حاجة الطلب، فإن القِيمة ستقلّ، وإياتفت إلى ذلك باعة الذمم.

فـإذا كثر علماء السوء الذين تشتريهم السياسة تقلّ أثمانهم بالضرورة، وكثير من الناس قد يكونون على درجة من التماسك في الدين واحترام الذات قبل أن يدخلوا هذا البيـع، أو أي مهنة أخـرى قذرة باسم الفـن، أو التّطوير، أو الحرّيّـة، أو الدّين، وتعتمد عليها حياتهم المادية، أو تتوسع بها دنياهم.

أمّـا بعد أن يدخلوا، فإنك تجدهم أعداء ألدّاء للديـن من الناحية العملية؛ لينتهوا إلى أعداء له حتّى من الناحية النظرية، فيصيروا من المنظّرين المتقدّمين ضدّ الدين.

وصـرت اليوم تجد الكثير مـن كل الفئات والتخصصات مـن باعة الذمم والموقف والكلمة، والعرضُ في هذا المجال آخذ في التزايد.[١]

أسواق بيع الذّمم

هنـاك جهات خاصّـةٌ في هذا اليـوم؛ لشراء الشُّعـوب، لشراء الحكومـات، لشراء الشّخصيات.

أنـت في سـوق تستطيع أن تبيع علمـك تستطيع أن تبيع إيمانـك، تستطيع أن تبيع حجمـك الإيماني كله بوظيفـة من الوظائف بحفنة من المال، بذكـر في الصحافة، بكف

١- خطبة الجمعة (٣٦٨) ١٢ جمادي الأولى ١٤٣٠هـ ٨ مايو ٢٠٠٩م.

أذى عنك، بمليون سلعة، لكن هذا البيع في نظر الإمام الهادي عليه السلام[١]، بيعٌ خاسر وتجارة خاسرة، ويلٌ لمن باع دينه من أجل دنياه، سيعض على أنملته، على إصبع الندم يوم أن يفوت وقت الندم.

فيها تنافس من الباعة، الكفاءات كما تطلب شراءها أمريكا، تطلب شراءها الصين، تطلب شراءها حكومات وحكومات، وهنا تنافس والتنافس شديد بين هؤلاء المشترين، والباعة أصحاب الكفاءات؛ من أجل أن توظف كفاءاتهم؛ لتركيز الظلم، ولاستغلال المستضعفين.

وهناك أيضًا تنافس بين الباعة وبين المشترين، الذين يبيعون دينهم حين يشح الطلب، حين يشح الطلب يتنافس باعة الدين، ويتهافتون على صفقات بيع الدين بالدنيا، وتبخس هنالك الأثمان أكثر فأكثر، والمشترون يتنافسون وهو ما قلته بالنسبة لأمريكا، وروسيا، والصين، وغير هذه الصور.

في السوق فنٌّ للعرض، وترويج للبضائع، والتلفاز والإنترنت والمذياع والصحف، كل القنوات الفضائية كلها تروّج، وكلها تعرض في فن عالٍ من الدقة جدًا على باعة الدين، وعلى باعة الشعوب، وعلى باعة الكرامة أن يتقدموا في صفقات البيع المطروحة.

الداخلون في هذه السوق التجارية المادية لهم رصيد مالي، لا يدخلها إلا صاحب رصيد مالي صالح للتجارة، والأكفأ في الميدان الآخر في سوق بيع الأديان، وفي سوق بيع الكرامات، وفي سوق بيع الشعوب والأمم.

الرصيد هنا كفاءة، ومركز اجتماعي، وثقة مجتمع في الشخص، أو في الجماعة، وما إلى ذلك.

وكلما كبر رصيد الشخص في علم، أو في دين، أو مركزٍ اجتماعي كلما كان الثمن أكبر، فاحذروا كل الحذر أن تقدموا مَن لا رادع له من دين، ولا تقوى له من الله.[٢]

١- سماحة الشيخ يشير هنا إلى حديث متقدم على هذه الفقرة، حيث ذكر هناك رواية عن الإمام الهادي عليه السلام، وهي: (الدنيا سوق، ربح فيها قومٌ، وخسر آخرون). بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٥ ص ٣٦٦.

٢- خطبة الجمعة (٢٥) بتاريخ ٣ رجب ١٤٢٢هـ ٢١سبتمبر ٢٠٠١م.

الباب الثّاني

الإسلام والغرب في واقعهما السّياسي المعاصر

قراءة في خارطة الواقع السّياسي المعاصر

أمريكا وحليفتها أوروبا وإسرائيل تفرض هيمنة ظالمة على العالم، وتخاف أن تخسر قوّتها الباطشة المتميّزة، لذلك تخوض هذه الدول صراعًا مريرًا مع كل قوة ناهضة في الأرض - إسلامية كانت، أم غير إسلاميّة -، وتخطط؛ لإجهاض كل وليد يهدد مستقبل هيمنتها، كان وراء هذا الوجود إسلام، أو قومية، أو خلفيّة أخرى.

الصين عدوّ يحذرها الغرب، ويخطط ضده، روسيا كذلك، ولكن تبقى العداوة الغربية والتخطيط المضاد الغربي، والفزع الغربي من أي قوة إسلامية ناهضة أشد تحسّبًا لقوة الإسلام، وذلك من منشأ قوة الإسلام نفسه، وقدرته على الاستقطاب، وامتلاكه رصيدًا فطريًا عقليًا وروحيًا ووجدانيًا في كيان الإنسان، بحيث لا يمتلك أي طرح آخر مثيلًا له، أو ما يقاربه.

بلاد الإسلام، وأي جماعة أو حزب فيها لا ينصاع للإرادة الأمريكية - ولا يعترف ذليلًا خاضعًا بحقّانية هيمنتها، وقبول العبودية - يعمل الغرب، وبكلّ قوة على تجريده من كل سبب من أسباب النهضة، ومن كل آلية من آليات القوة، وإمكان الاستقلال والتحرر من التبعية.

أما الحكومات والأحزاب والجماعات الموالية للأمريكيين الداخلة في طاعتهم، فإنما يسمح لهم بمستوى من القوّة يمكن له أن يلحق الهزيمة، أو الأذى بالقوى المتحرّرة، ويعطّل نموّها وتقدّمها، ويبقي الأمّة في معاناة ضعفها وتفكّكها وتخلّفها، ولكن بحيث لا يخرج مستوى القوّة عند هذه الوجودات التابعة عن السيطرة الأمريكية، ولا يمثّل خطرًا غير محتوًى من القوى الأجنبية المهيمنة على تقدير أي مفاجأة غير محسوبة.

ويختلط السياسي والديني عند كبار السياسيين، وكبارٍ من الدينيين في أمريكا والغرب- رغم فصلهم بين الدّين والسياسة - في موقفهم المعادي من الإسلام إلى حدّ الخروج عن الأدب واللياقة، وأسلوب التعامل الإنساني والحضاري العامّ، وإلى حدّ التشنّج والانفعال الذي يفقدهم التوازن بصورة مكشوفة مزرية، وإلا فما معنى تكريم سلمان رشدي؛ لتطاوله على مقام خاتم النبيين والمرسلين ﷺ، والذي أحيا الحضارة الإنسانية بعد موت[1]، وصحح مسار البشرية كلّها كلّ بمقدار استجابته؛ لندائه العلوي الإلهي الكريم؟!

وما معنى أن تستعدي ملكة بريطانيا مليارًا ونصف المليار من المسلمين جارحة مشاعرهم الدينية، وضاربة بهم عرض الحائط؟!

أقل ما يقال في هذا التكريم لرجل شيطاني ساقط لم يُبقِ لنفسه اعتبارًا في عقل، أو خلق، أو دين: إنّه طفوليّة وعجرفة، واستهتار بالقِيم، وغرور شخصيّ، وسذاجة سياسية، ومعاداة للسلم والحوار الحضاري، والتقارب الإنساني، وخروج عن اللياقة الأدبية.

يتحدث الغرب عن الإرهاب، ويقيم حروبًا طاحنة تحت شعار محاربته، ولا مؤجّج للإرهاب، ولا موقظ لروح الحقد، ولا مشعل لنار الفتنة كمثل كلمات التعدّي الديني التي يطلقها كبار من ساسة الغرب ورجاله الدينيين، والمواقفِ الحاقدة الخبيثة كموقف التكريم لسلمان رشدي ربيب الشيطان وقرينه.

أمريكا وإسرائيل وأوروبا يترصّدون للإسلام في كل مكان، ويشنّون عليه حربًا في كل شبر من الأرض يكون له فيه تواجد، ومعركتهم معهم رئيسة ومخططة ومقيمة، يخوضون حربًا ضارية مكشوفة مع الإسلام: في إيران، في الجزائر، في المغرب العربي كله، في لبنان، في باكستان، في أفغانستان، في الصومال، في تركيا، في العراق، في فلسطين، في كل بلد من بلاد المسلمين بصورة وأخرى، وبمستويات متعددة حسب مقتضى الظروف والخطط المعدّة لمواجهة الإسلام.

١- وهذا ما يؤكده تاريخ الغرب واعترافه.

وإنه من العداء السافر للإسلام أن تقف هذه الكيانات وقفة حاسمة ومستعجلة بالدعم المالي والسياسي والإعلامي، وأن تفتح كل قنوات التواصل الإيجابي مع طرف فلسطيني - في واقع الانقسام الخطير الذي يعيشه طرفا صراع سياسي ودموي من الفلسطينيين - ضد طرف آخر تُسجِّل عليه هذه الكيانات المتطرفة أنّه يرفع شعار الإسلام، ولا يستجيب لإملاءاتها.

ولا يفوتنا أن نتذكر جيّدًا أن أمريكا تمتلك في عالمنا الإسلامي شخصيات من أصناف واختصاصات وانتماءات مختلفة، ومؤسسات وجماعات وأحزاب وحكومات متعددة؛ لتنفيذ مخططاتها الخبيثة ضدّ الإسلام والأمّة الإسلامية المستهدفة، والشواهد في هذا المجال تتحدث عن نفسها بلغة صارخة تملأ الساحة، وتتواجد في كل مكان من أرض الإسلام.

أمريكا تمارس الحرب ضد الإسلام بحكومات إسلامية، بحكومات في البلاد الإسلامية، وتنتمي إلى الإسلام، بأحزاب في البلاد الإسلامية، بجماعات، بصحفيين، بعلماء يلبسون عمائم!!

كل ذلك أدوات تمتلكها أمريكا في حربها مع الإسلام، والإسلام هو المنتصر.[١]

منقذ العالم

يقدم الغرب - وفي مقدمته أمريكا، وفرنسا، وانجلترا - نفسه منقذًا للعالم من كل تخلفاته، وأزماته، ومصائبه، ومظالمه، ويتزعم محاربة الإرهاب، ويحرك أساطيله الحربية العملاقة باسم مطاردته وتعقّبه!

ويقدم الغرب نفسه أستاذًا في الحضارة والثقافة والأخلاق، ومربّيًا وقائدًا وهاديًا لكل العالم!

ومن أبناء المسلمين - وفيهم عمائم - ممّن هو مبهور بحضارة الغرب المادية الخاوية في أصولها من القِيم السماوية العالية، وكذلك ممّن يقتاتون على فتات موائدهم

١- خطبة الجمعة (٢٨٩) ٧ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ ٢٢ يونيو ٢٠٠٧م.

المسروقة من عرق الشعوب ودمائهم مَنْ يقدّم الغرب للعالم كذلك - أي على أنه قائد، وهادٍ، ومربٌّ، حكيم أمين -.

هذا المنقذ له مؤسساته المتعددة التي تتبرقع بعناوين إنسانية وخيرية، والكثير منها تشترك مع السياسة المادية القذرة التي تمارسها حكومات الغرب في حق شعوبها وشعوب العالم، وتستبيح؛ من أجل ترف القلة وسرفها ولهوها لقمة الإنسان، ودمه، وكرامته، ودينه.

الكثير من تلك المؤسسات هي شريك أصيل لمؤسسات الغرب الحاكمة الظالمة في أهداف تلك السياسة، وخططها الدنيئة.[1]

الغرب وعلاقته مع الحكومات والمعارضة في البلاد الإسلاميَّة

يرى الغرب أن علاقته بالبلاد الإسلامية علاقة القوي والضعيف، الذي لا يتوقّع منه مقاومة، فإذا وجد مقاومة كانت محلّ التعجّب والإنكار.

البلاد الإسلامية لا تملك أي سلطة في القرار الأوروبي والأمريكي - كما هو واضح -، وذلك لموضع الضعف، بينما أمريكا وأوروبا لهما التدخّل المباشر في قرار الكثير من الحكومات في بلاد المسلمين، والتي تعتمد في وجودها على الدعم الأمريكي والأوروبي، أو الموافقة على البقاء على الأقل.

تهبُّ أمريكا وأوروبا؛ لإنقاذ أي حكومة تستجيب؛ لتقديم مصالحهما على مصالح الأمّة والشعوب، وتحضر بمالها، ورجالها، وسلاحها، وخبرائها، وخططها؛ لنصرة الحكومة الموالية التي يتهددها وضعها العملي القلق.

ولتكن هذه الحكومة بعيدة كل البعد عما يتشدق به الغرب من الديمقراطية ويطرحه شعارًا للإنقاذ، فإن ذلك لا يؤثر سلبًا على الدعم الهائل؛ لاستمرار الوجود وإسكات المعارضة.

١- خطبة الجمعة (٣٠٢) ٢١ شوال ١٤٢٨هـ ٢ نوفمبر ٢٠٠٧م.

وتسعى أوروبا وأمريكا؛ لنصرة أي معارضة ضدّ أي حكومة تتمسّك بالحرية والاستقلالية ورعاية مصالح الأمّة والشعب، وإن كانت تمارس الديمقراطية، وكان وصولها إلى السلطة عن طريقها.

وإذا كانت كلّ من الحكومة والمعارضة يلتقي مع هوى الغرب كانت الصداقة موزعة بين الاثنين، لكن التقديم للأقوى.

أما الأضعف، فيُستعمل ورقة تهديد وابتزاز.

هذه السياسة الغربية واضحة لكل ذي عينين، ولا غبار عليها، والغرب مشترٍ، ويستقبل باعة الدِّين والضمير والقومية والفكر والوطن، ويفاضل بين الباعة على أساس المصلحة.

قبل ذلك كلمة كان لا بدَّ أن تقدّم لشرفها، ولكن حدث سهو عن ذلك.[١]

الأمّة والغرب

أفهل نحن أمم يُستعدى بعضها على بعض، ويستظهر بالبعض منها على الآخر؟

أم هل نحن وجود واحد، وأمّة واحدة هانت على نفسها حتى غدت تستجيب لإرادة الآخر بإهلاك ذاتها؟

أم بلغ الضعف بهذه الأمّة ما بلغ، وصارت من خوفها من العدو تنتحر بلا روية؟!

لك أن تقول بالأول لاختلاف المصالح بتعدد الكيانات، وبرودة الانتماء إلى مكونات الوجود الكبير العملاق، ولك أن تقول بالثاني، لأن هذه الأمّة ما اعتزت بشيئ مثل ما اعتزت بالإسلام، فعندما يهون عليها لا بدَّ أن تهون على نفسها، وتعيش حالة الشعور بالحقارة.

وإن تقل بالثالث، فأنت صادق، لأن درجة الضعف والرهب من الغرب بعد نسيان الله سبحانه، وقيمة الانتماء المجيد صارت بحيث لا يستبعد معها هذا الانتحار.

١- خطبة الجمعة (٣٩٣) ٢٠ صفر ١٤٣١هـ ٥ فبراير ٢٠١٠م.

ومن هوان المسلمين عند حكومات منهم أن تباع قضاياهم، وأراضيهم، ومواقفهم، ومقدساتهم في المزاد العلني بالدولار، ولا يكون اختلاف بين البائع والمشتري إلا على الكم منه، ومما يشبهه مما يدخل في حساب المقايضات.

وهل رأيت يومًا في تاريخ الإسلام الحديث أصعب على الإسلام وأهله من هذا اليوم الذي تصطاد فيه الأجهزة الأمنية في الحكومات المسلمة من تصطاد من المسلمين كالأرانب؛ لتسلمهم إلى يد الجلاد والجزار الأمريكي الذي يأخذ بهم بعيدًا عن قوانين بلده التي تُعطي احترامًا للإنسان في جنبة من الجنبات فرارًا من أي محاسبة هناك لعمليات التفنن في التعذيب والذبح والسلخ التي يمارسها مع ضحاياه من المسلمين؟!

هذا هو الواقع.

والخطأ الفادح أن تكون محاولات التصحيح من شرائحَ من أبناء الأمّة بهروب أكبر من الإسلام، وركض أشد وراء الغرب!

تعلّموا أن لا تركضوا وراء الغرب، وأن لا تهربوا من الإسلام، تعلموا أن يكون ركضكم في اتجاه الإسلام، وللالتحام به التحامًا شديدًا أكيدًا.

وما معنى أن تعلن أمريكا أنّها ستغيّر خريطة المنطقة، وتعيد رسمها من جديد من جهة، وأنها تعطي التطمينات الكافية للبعض من جهة أخرى بأن التغيير لن يطال حدوده ولا تركيبته؟

لا أحد في الأرض يمكن أن تأخذ التطمينات الأمريكية موقعًا في نفسه من منطلق تقديرها للأخلاق، ووفائها بالعهود، ولكن ما يمكن أن يُحصّل الاطمئنان في النفس هو العزم الثابت من الطرف الآخر على الاستجابة للرغبة الأمريكية على الإطلاق، والمحافظة الأمينة الكاملة على مصالحها.

ولقد انعقدت قمتان عربية وإسلامية بشأن قضية الحرب الظالمة، وعدد ممن يراد له أن يشارك في قرار الإنقاذ له مشاركة في صنع الحرب.

والنتيجة: هي التوصياتُ غير الملزمة، والفاقدة لآلية التفعيل المؤثرة.

وقد سمعت الأمّة من عدد من القادة الرسميين قبل انعقاد القمتين ما يركّز على الشعور باليأس والتيئيس من أي أثر إيجابي لمحاولات إيقاف الحرب، لكنك تسمع من أجهزة الإعلام الرسمي في عقب كلّ قمّة أنها أنتجت الكثير، وإن لم تجد من هذا الكثير على الأرض شيئًا.

أحسن الاحتمالات سواء صدّقه الواقع أم لم يصدقه هو أن مجموع الأنظمة الرسمية في الأمّة عاجز عن أن ينفعها في قضية فلسطين والعراق وأفغانستان، وفي أي قضية من قضاياها وهو احتمال مشكل ومؤلم، ولا يمثّل عذرًا كافيًا أبدًا، لأنه يأتي السؤال على هذا الفرض: لماذا هذا العجز والتقصير في الإعداد على المدى الطويل؟!

ولماذا كُبتت طاقات الأمّة، وعُطلت كفاءاتها، وعزلت عن المشاركة في اتخاذ القرار، وصناعة المصير؟!

ولماذا الاستمرار في الطريق الذي سبّب هذا العجز كله، وعدمُ التفكير الجدي في بداية التغيير، وإنهاء حالة التبعية للغير، وإقصاءُ جماهير الأمّة، ونخبها، وتهميشها؟!

ولماذا مواصلة الإيمان بالغرب ووعوده وعهوده، والتنكرُ للإسلام من الكثير من الأنظمة ومحاربتُه؟!

ومن حديث هذا اليوم ما تنقله الصحف المحلية من تصاعد وتيرة الجريمة في هذا البلد الإيماني الأصيل، وكثرة حوادث القتل والسرقة والسطو والاغتصاب، مع بروز ظاهرة الجنس الثالث المنكوس للعيان، من صبية تستورد من الخارج، أو تنتجها جاليات الخارج مما يؤثر سلبًا على الصبي في الداخل.

فلا بدّ أن يسأل ما منبع هذا كله، وأسبابُه الموضوعية؟

وما مسؤولية السياسة القائمة في تولده وانتشاره؟

وما هي العلاجات المطروحة؛ لاستئصاله؟

إنه ليطلب اعتماد كل الوزارات المسؤولة خططًا عملية واضحة، تتصدى لحل هذه المشاكل، ودرء خطرها الداهم عن المجتمع.

ودور الكلمة إذا لم يسنده المشروع العملي دور فاقد للتأثير الكبير المطلوب، أما مع معاكسته له اتجاها، فإنه محبط لنتائجه بصورة تكاد تكون ساحقة.

وشأن القوانين التي تسن لحماية الأخلاق، ولا تجد لها تطبيقًا على الأرض شان الأمنيات الباردة الكاذبة، وهو شيئ من اللعب على الذقون، قد تمارسه بعض الدوائر.

وما يسمى بالإرهاب هو المسألة الثالثة في هذا الحديث.

والعدوانية الدموية في الإطلاق الصحيح - لا ما يسمونه بالإرهاب بقصد سياسي ماكر؛ ليشمل الدفاع عن النفس - إمَّا أن تكون ابتدائية وإمَّا جزائية، وعلى مستوى رد الفعل.

والمنظور لهذا الحديث هو أسباب الظاهرة التي قد تكون ابتدائية بحيث لا يكون الشخص أو الجهة قد تعرض لظلم الغير، ومع ذلك ينطلق في أعمال إرهابية عدوانية دموية تفزع حياة الآخرين.

ويدخل في هذا الحروب الاستكبارية الطاحنة، والممارسات الطاغوتية لبعض الحكومات المتعطشة للدماء والدمار، وممارسات بعض الأحزاب السرية والعلنية في التنكيل بالآخرين، والولوغ في الدماء إلى حد الاستهتار كما كانت عليه أساليب الشيوعية.

وتنطلق هذه العدوانية من أسباب:

١- منها الروح المادية الجشعة المتنكرة للقيم المعنوية الكريمة الدينية، والإنسانية. [١]

٢- روح الطاغوتية والاستكبار التي قد تتفاقم في بعض النفوس، بما يبرر لها أن ترتكب كل شيئ في سبيل السيطرة الظالمة على الآخرين.

٣- التربية المتعصبة عن عمى وجهل قومية كانت هذه التربية، أو وطنية، أو دينية إذا كان الدين مختلقًا، أو أسيئ فهمه من معتنقيه.

٤- كلما غابت القِيم السماوية الطاهرة من حياة المجتمعات، كلما لنفتحت الأبواب على مصراعيها على الحالة الهمجية العدوانية الإرهابية بصورة أكبر وأخطر.

١- والتي تعشعش في داخل البعض، وتحكم كل حياته.

وهناك الإرهاب العدواني من موقع رد الفعل على ظلم الآخرين وتعديهم، بحيث لا يقف عند حد الجزاء العادل، وإنما يتحول إلى عملية استهتارية عابثة، لا تقيم وزنًا لأي حرمة من الحرمات، ولا تلتفت إلى أي قيد من القيود ما أمكن لها أن تفسد، وتخرب، وتنهب، وتقتل، وترعب.

والدِّين الحق، وفهمه السليم بريئ من هذه العدوانية، والبهيمية الشَّرسة، والتَّعطُّش للدِّماء والدمار كان ذلك على مستوى الفعل القبيح ابتداء، أو رد الفعل من النوع السيئ المتجاوز.(١)

أمريكا تدعو الشَّباب للانفصال عن فكر الأمَّة!

وهل يتصور الشباب أن حوارهم تحت رعاية (NDI) يتم بلا توجيه وإن كان غير مباشر؟!

ومن غير أهداف محددة من فوق، يراد الوصول بهم إليها بعيدًا عن مرتكزاتهم الفكرية وأصولهم المبدئية وبلا قصد أن يحدث عندهم تمرد فكري على كل الأسس والمرتكزات والمؤسسات المخلصة؟!

من بين الكلمات التي دارت هناك أن مطروحات عدد من الشباب مطروحات مأسورة لمؤسساتهم، أن مطروحاتهم تدور في فلك أفكار مسبقة من مؤسسات ينتمون إليها، وهذه دعوة: أنْ انفصِلوا عن فكر مؤسَّساتكم، انفصلوا عن فكر بلدكم، انفصلوا عن فكر دينكم.(٢)

أمريكا لم تبعد العقول المجربة التي امتحنها الزمن عن مواقع القرار فيها، ولم تطرد اصحاب الخبرة عن مواقع السياسة في أجوائها.

والشباب لا بدَّ أن يُفَعَّلَ دوره، ويعطي الفرص الكافية؛ لإبداء رأيه ونقده واقتراحاته، ولكن لا بدَّ أن تترشَّد خطواته في ظلِّ الإشراف من جيل يفوقه خبرة، وحكمةً وحنكة، وقد أمدته التجارب بما لم يتهيأ لجيل الشباب.

١- خطبة الجمعة (١٠١) ٤ محرم ١٤٢٤هـ ٧ مارس٢٠٠٣م.

٢- خطبة الجمعة (١٦٤) ٥ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ ٢٣ يوليو ٢٠٠٤م.

وما من أمَّة، وما من بلد تقوم أمور السياسة المتشابكة والصعبة فيها على خبرات الشباب فحسب.

دعوات، شعارات كاذبة، منها أن الشباب يجب أن يعطوا الحرية في النقاش والحوار، وهذه كلمة حق إلا أنها بهدف باطل.

المطلوب هو أن تنفصل القواعد الشبابية عن مرتكزاتها، وعن أجوائها الإيمانية، وعن قدواتها؛ من أجل أن تصاغ صياغة أجنبية في ظل نقاشات يتراءى للشباب والشابات أنها مطلقة، وأنها حرة بينما هي موجة توجيهًا غير مباشر.

أقول: والشباب اليوم يتعلم، وغدًا يتعلم منه، وعلى يديه وهكذا سنة الحياة، وما تربَّى الشيب من حكماء الأمَّة، وقادتها، وسياسيها، وفقهائها إلا على يد جيل سابق، ولو اكتفى جيل الشيب الآن بنفسه يوم شبابه ما كان له أن يصل إلى الحكمة التي وصلها، وإلى الدرجات الفقهية والعلمية التي تحققت له.[1]

معارك للاستنزاف

الأمَّة مواجهة بمعركة استكباريَّة ضارية بمظهرها المسلح وعنفها الشرس في فلسطين، والعراق.

وهي تتهدد السودان، وسوريا، وإيران، وأي بلد يتريث، أو يتردد في موقف الاستسلام للإرادة الأمريكية، والصهيونية.

والساحة الإسلامية والعربية تشهدان معارك محلية في كل قِطر من أقطارهما، وهي في الأكثر بين الحكومات والشعوب؛ لتشغل عن المعركة الأم الطاحنة، وتستنزف جهود الأمَّة وطاقاتها، وتخلخل صفوفها، وتشعل نار الفتنة بين أبنائها.

وهي معارك يتسبب فيها في أكثر البلاد العربية والإسلامية الموقف السيئ الذي تقفه الأنظمة من الحقوق العامة، ومسألة العدل والإنصاف والمساواة، والمشاركة الشعبية في تقرير المصير.

١- خطبة الجمعة (١٦٤) ٥ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ ٢٣ يوليو ٢٠٠٤م.

أفيتم هذا بإرادة داخلية محضة لعدد من الأنظمة في الأمَّة؟

أم بإيعاز؟

أم مكر غير منظور من العدو الكبير الاستكبار العالمي، الذي يرفع شعار الدفاع عن حقوق أبناء أمَّتنا، وغيرها؟

يذهب النظر إلى اشتراك الأمرين معًا في عذابات الشعوب، وتمزيق شمل الأمَّة واستهلاكها في معارك محلية لا تنتهي، تفرضها على أبناء الشعوب معاناتهم المرة، وتهميشهم المتعمد، وحرمانهم المقيم.[١]

الاستكبار وخيارات استبدال الأنظمة

ما هو المفضل عند أهل الحرب، تصفية النظام أم ترحيله؟، ولماذا؟

في تقديري أن الأفضل عند أهل الحرب هو ترحيل النظام، وليس تصفيته، عدد من الشاهات، وعدد من الملوك تفصل عن دورها آنيًا وفعلًا، ولكن تبقى ورقة مدخرة بيد الاستكبار العالمي، يستعملها، ويخرجها ثانية ملمّعة مؤهلة إعلاميًا؛ لتتولى شأنها الأول من جديد.

ورقة نظام البعث ليست رخيصة على الاستبكار في العالم، فلن يقصد إلى حرقها نهائيًا إلا عند الاضطرار.

والمفضل أن تبقى هذه الورقة غير فاعلة إلى وقت ما.

ماذا تتصورون لو خيّر أهل الحرب بين بقاء النظام ونظام يميل للإسلام، بعدل الإسلام، وسلميته، وإنسانيته؟

لو وجد الاستبكار العالمي نفسه بفعل انقساماته، واختلافه على المصالح أنه لا يستطيع أن يرحل النظام ولا أن ينهيه، فإما أن يبقى هذا النظام وإمَّا يأتي الإسلام بديلًا له.

١- خطبة الجمعة (١٦٩) ٢٣ شعبان ١٤٢٥هـ ٨ أكتوبر ٢٠٠٤م.

ما هو المطلوب؟

ليس الاستكبار العالمي وحده، وإنما معه الكثير من الدول الإسلامية الذي يفضل بقاء نظام البعث في العراق على أن يأتي نظام يميل إلى الإسلام بديلًا له.

أعدى عدو في نظر الدنيا اليوم - وهي معذورة، لأنها جاهلة، لأنها ساقطة - أعدى عدو في رؤيتها الساقطة، وفي ظل رؤيتها الجاهلية هو الإسلام.

فنظام يميل للإسلام في العراق مرفوض نهائيًا، وبقاء نظام البعث هناك هو الأفضل عند هذا الخيار.

غيارى الأمَّة سيكونون أمام حرب طويلة مع الاستعمار الجديد.

الأمَّة لن تفقد الغيارى، والتربية الإسلامية الشعبية المستمرة خلقت جيلًا صامدًا.

الشيئ الوحيد الذي يفقده هو القدرة في ميادين الحرب، وهو القدرة الاقتصادية، وهو القدرة من خلال مواقع القرار، لكن هؤلاء الغيارى، وكما نجد إصرارهم في فلسطين، وفي جنوب لبنان، وفي مناطق أخرى، وفي كل التأريخ، وفي كل الأزمات لن ينهزموا أمام الواقع الأمريكي، ولن يستسلموا مع استسلام الأنظمة، سيقاومون إلى أقصى حد، وبكل الوسائل المتاحة، وكما تقدم في حديث سابق سيتعبون ويُتعبون.[1]

أمريكا تعادي حكومات تُحافظ على مصالح شعوبها، وتعتزُّ بأصالة حضارتها، وتذود عن كرامة وحِمى بلادها، وتحرص على الحفاظ على مصالح شعبها وثرواته.

الحكومتان (الأمريكية، والإنجليزية) ضدّ هذه الحكومة، وهي مستعدة لأن تستثير شعوب هذا النوع من الحكومات إلى أقصى حدٍّ، وأن تخصص الموازنات الضخمة؛ من أجل إحداث أعمال شغب في بلدان حكومات لا تحافظ على المصالح الأمريكية.

أما إذا وجدت الحكومتان (الأمريكية، والبريطانية) من أيّ حكومة تعاونًا واستجابةً ومحافظةً على المصالح الأمريكية، فهما مع هذه الحكومة، وضدّ شعبها.[2]

١- خطبة الجمعة رقم (١٠٢) ١١ محرم الحرام ١٤٢٤هـ ١٤ مارس ٢٠٠٣م.

٢- خطبة الجمعة (٢١١) ٤ شعبان ١٤٢٦هـ ٩ سبتمبر ٢٠٠٥م.

هل يتحقّق الحلم الأمريكي بالانتصار على الإسلام؟

وهل يتوقع أن يتحقق الحلم الأمريكي في التصفية النهائية للحضارة الإسلامية والوعي الديني الزاحف؟

من المستحيل لهذا الطموح المجنون الساقط أن يتحقق على الأرض إذ يعارضه وعد الله لهذه الأمّة، بأن يكون إنقاذ العالم على يد مهديّها عليه السلام، وأن به وبها تملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد ما ملئت ظلمًا وجورًا.

قبول الإملاءات الأمريكية هدم للثّقة بين الشّعوب والأنظمة

مع ذلك فإن الإصرار الأمريكي على حكومات البلاد الإسلامية أن تكون أدوات تنفيذ الخطة، وأن تدخل في مواجهات صرخة حادة مع شعوب الأمّة وعقيدتها سيُدخل هذه الأمّة في دوامة من الفتن، ويهدم جسور الثقة بين الأنظمة والشعوب، ويحطّم الطرفين.

وهو أمر ملحوظٌ للأنظمة بلا شك، فلذلك يصعب جدًّا عليها أن تساير الرغبة الأمريكية وإملاءها إلى الأخير.

على أنه من سوء الظن جدًّا كذلك أن نقول: بأن ليس في هذه الأنظمة أكثر من واحد له درجة وأخرى من الاهتمام بأمور المسلمين، ومصير الإسلام، بحيث تمنعه من الاشتراك في ذبح الأمّة ودينها بالكامل، وإن كان البعض يهون عليه ذلك.(١)

أمريكا وواقع الأنظمة التّابعة

من المؤسف أن علاقات الكثير من الأنظمة العربية مع شعوبها ليست علاقات مرضية، وتحكمها في الكثير لغة القوة من جانب الحكومات وهي معرّضة للتوترات، وتسودها حالة من فقد الثقة بالدرجة الكافية.

١- خطبة الجمعة (٤٣) ١١ ذو القعدة ١٤٢٢هـ ٢٥ يناير ٢٠٠٢م.

هذه الحالة تُمثّل منفذًا للقوة العالمية الباطشة؛ لفرض هيمنتها، وشروطها المطلوبة على الأنظمة، وتجعلها تحت التهديد دائمًا باستثارة الشعوب عن طريق التلويح بالديمقراطية.

وفي ذلك - التلويح - مكسب آخر تجنيه أمريكا، فهي تخادع الشعوب، وتربح ثقة وودّ البعض، وتحصل على ما تريده من ولاء أصحاب الطموح غير المبدئيين وتضمن خدمتهم لها، وتعتمدهم قوة موالية تكون رديفًا للحكومات في الحاضر، وبديلًا في المستقبل للسيطرة على شعوب الأمَّة وأراضيها لصالح أمريكا.

شعار الديمقراطية تستعمله أمريكا في البلاد العربية والإسلامية؛ لخلق بديل من أصحاب الاختصاصات والثقافات الطموحين للمناصب، والذين تغريهم الدنيا.

إن أمريكا تصنع حكوماتٍ بديلة، وتُحضّر للمستقبل، وتُهدّد بهذه الحكومات التحضيرية كل الحكومات القائمة بالفعل؛ لتستمر في إعطاء التنازلات، وتقدم كل عزيز على الأمَّة في سبيل البقاء.

وكلما عزلت أمريكا زعيمًا عربيًّا أو مسلمًا عزلته الأنظمة.

وكلما أمرت بالاشتراك في حرب بلد تمّت المشاركة مكشوفة، أو مستورة بحسب اختلاف المواقع، وحسبما ما يتم من اتفاق مع السيد الآمر.

ودور النصرة للزعيم المنكوب والقطر المستهدف هو النصحية بالاستسلام، والتزام الأدب الجمّ مع أمريكا، والاستجابة الكاملة للرغبة الأمريكية بالطريقة التي تنال موافقة السيد الكبير، والتي قد تعفي الضحية من أخذ الذي فيه عيناه.

أترى أنَّ قضية (رفيق الحريري) تأخذ كل هذا الامتداد، وتُحدث كل هذا الزلزال، ويشترك الجميع في طلب الثأر من الفاعل، ويُضحّى بسوريا الشقيقة كل هذه التضحية لولا أن المحرك للقضية هي أمريكا التي نصّبت نفسها وليًّا على القتيل، ووليًّا على لبنان، ووليًّا على الأمَّة، وليًّا أصليًّا في طلب الثّأر؟[1]

١- خطبة الجمعة (٢٢٠) ١٥ شوال ١٤٢٦هـ ١٨ نوفمبر ٢٠٠٥ م.

العلاقة بين الإسلاميِّين والغرب

الحوار مع الإسلاميِّين

ربما فكرت أوروبا وحتى أمريكا أن تحاور القوى الكبرى من الإسلاميين في البلاد الإسلامية كالإخوان المسلمين، بعد أن اقتنعت أنهم رقمٌ لا يمكن إهماله، وترتيب الأوضاع بما يحفظ مصالحها في حال إلغائه، بينما قد يصر عددٌ من الأنظمة من داخل الأمَّة على عدم العدول عن لغة القوة والبطش والإنذار والتهميش، وهذا أمرٌ سيئٌ ومدهشٌ جدًّا، وغير عملي، ولا بدَّ أن يسقطه الواقع.

وإذا كان حوار الأوروبيين وغيرهم يطلب من الإسلاميين بيع الدين والأهل والأوطان، والتنازل عن الهُوية والانتماء ولو في مقابلة الشراكة في الحكم، أو حتى الاستقلال به تمامًا في أي بلدٍ من البلدان، فإن هذا إنما يعني سدّ باب الحوار تمامًا، واستعمال لغةٍ استعلائيةٍ قبيحةٍ ووقحة، وهي إرهاب[١]، وأقبح وآلم من الإرهاب، والإسلاميون ما داموا إسلاميين يرفضونها تمام الرفض، ويواجهونها بشموخٍ واستعلاءٍ أشد.

والإسلاميون الواعون المتخلقون بأخلاق الإسلام، لا يرفضون الحوار أسلوبًا؛ لإحقاق الحق، والمصير إلى العدل في العلاقات الإنسانية، وتبادل المصالح المادية بين مختلف بلدان العالم، ولا يعادون شعوبًا أخرى بكاملها، ولا يريدون سوءًا بالآخر، ولكنهم يرفضون العدوان الأجنبي ويقاومونه، ولا يمكن لهم أن ينسوا القِيمة العالية لحضارتهم الإسلامية، أو يتخلوا عن الإخلاص لها والوفاء بشروط الانتماء في ظل أي ظرفٍ من الظروف، وتحت لغة الوعد والوعيد، والإغراء والتهديد.

والغرب الباحث عن مصالحه قد لا يُستغرب منه أن ينسى علاقته بمقدارٍ بمَن كان يقدّم له الكثير - وهي الأنظمة - من غير شروطٍ تحافظ على مصالح الأمَّة، وأن

١- فمحاولتك أن تسلب صاحب الدين دينه؛ لتقدم له فتاتًا من دنياك، يعدّ إرهابًا ومن الإرهاب العنيف.

يبحث عن بديلٍ له شروطه المتصلة بهذه المصالح، فإن ذلك ممكنٌ جدًا في لغة الغرب الواقعية بعد أن تصبح علاقته بالأول مكلفةً له جدًا، أو لا تحمل ضماناتٍ مستقبليةً كافيةً؛ للحفاظ على مكاسبه الهائلة، وإن كان لا يتوقع من العلاقة الثانية بقدر ما كانت تقدمه له علاقته السابقة مع ما تفرض عليه العلاقة الجديدة من شروطٍ كان متحررًا منها، على أن الغرب لا يسهل عليه أن يخسر كل أوراقه مع أي طرفٍ من الأطراف فيما يحاول.[١]

وعلاقته مع أي طرفٍ لا تدوم فيما هو المعروف إلا بدوام مصالحه، ولا تحتفظ بمستوًى واحد، وإنما تتبع في مستواها ما تفرضه تلك المصالح.

وهذا الكلام يجب ألا يقلل أبدًا من قيمة أخذ الحيطة من القوى الإسلامية الكبرى في الحوار مع الأوروبيين والأمريكيين ابتداءً واستمرارًا، ومن التحسب لمختلف الاحتمالات وراء الرغبة التي قد يبديها أولئك في الانفتاح على الطرف الإسلامي، وتدشين الحوار معه، والاحتراس من الالتفافات في طريق الحوار وفخاخه المنصوبة.[٢]

كسب الودِّ الغربي

إن صرف جهود كبيرة؛ لكسب موقف وديٍّ من الحكومتين (الإمريكيَّة، والإنجليزيَّة) في غير محله وهو ضياع، لأن الحكومتين صديقتا مصالح وحكومات، وليستا صديقتي حقوق وشعوب.

نعم، قد يأتي من الموقف الأمريكي أنه يواجه حكومة من الحكومات، ولكن الخلفية وراء هذه المواجهة دائمًا إحساسٌ أمريكي بأن مصالح أمريكا ليست في استمرار هذه الحكومات.

١- فأوراق الغرب مع حزب البعث - مثلًا - لا يضحي بها كلها، وكذلك مع أي نظامٍ عميل وإن ساءت العلاقات معه.

٢- خطبة الجمعة (١٩٦) ١٣ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ٢٢ أبريل ٢٠٠٥م.

أمريـكا تعـادي حكومات تُحافظ على مصالـح شعوبها، وتعتـزّ بأصالة حضارتها، وتذود عن كرامة وحِمى بلادها، وتحرص على الحفاظ على مصالح شعبها وثرواته.

الحكومتان (الأمريكية، والإنجليزية) ضدّ هذه الحكومة، وهي مستعدة، لأن تستثير شعـوب هذا النوع مـن الحكومات إلى أقصى حدٍّ، وأن تخصص الموازنات الضخمة؛ من أجل إحداث أعمال شغب في بلدان حكومات لا تحافظ على المصالح الأمريكية.

أما إذا وجدت الحكومتان (الأمريكية، والبريطانية) من أيّ حكومة تعاونًا واستجابةً ومحافظةً على المصالح الأمريكية، فهما مع هذه الحكومة، وضدّ شعبها.

نعـم توصيل المعارضة صوتهـا إلى شعوب العالم وأحراره؛ من أجل أن تتفهم الحق، وتقف معه، وتناصره، وتُنكِرَ على السالبين له أمر معقول ومقبول ومطلوب.

علـى أن التعويـل بعد الله إنما يكون في الأكثر على يقظـة الشعوب، وتلاحم الشعب الواحـد والشعـوب المجتمعة، واستمـرار المطالبة بالحقوق بعقلانيـة وحكمة، وعلى نشر ثقافة الحقوق والمطالبة بها.

والمُستهدف فيما ينبغي دائمًا إنما هو حل المشكلات لا تأزيمها.[١]

١- خطبة الجمعة (٢١١) ٤ شعبان ١٤٢٦هـ ٩سبتمبر ٢٠٠٥م.

الباب الثَّالث

الحرب الغربيَّة على الإسلام

أمريكا ومعاداة الإسلام والأمَّة الإسلاميَّة

يُصرّح الرئيس الأمريكي في أوندنوسيا بأن أمريكا لا تعادي الإسلام ولا الأمَّة الإسلامية، وهو كلام جميل لو صدَّقه الواقع.

ولكن لو كان ذلك واقعًا، فلماذا تصرُّ أمريكا على أن تكون إسرائيل - وهي تناصب أمَّتنا العداء، وتهدّدها بالسحق والمحق - سبّاقة غير مسبوقة ولا ملحوقة من ناحية عسكريّة بالنسبة لكل الدول الإسلامية، وبفارق كبير يضمن تفوقها الواضح[1]، وتعمل على قمع أي بادرة قوّة سلميّة أو دفاعية لأي بلد من بلدان الإسلام؟[2]

ولماذا تشدّد أمريكا العداوة لأي بلد أو حزب إسلامي يريد أن يتمتع بالاستقلال، وبنهضة حضارية على خط الإسلام؟

ولماذا وَئِد الخيار الإسلامي لأي شعب مسلم، والجدّ في القضاء عليه؟

ولماذا محاربة الثّقافة الإسلامية، والتشريع الإسلامي، والأعراف الإسلامية في بلاد المسلمين نفسها؟

لا يريد الإسلام ولا الأمَّة الإسلامية إحسانًا من أمريكا ولا شفقة، ويكفيهما جدًّا أن لا تتمادى في عدائهما، وأن تفرض على نفسها احترام الآخر كما تطالب باحترامها، وأن لا تفرض نفسها سيدًا، وأنَّ على الآخرين الامتثال، وأن لا تحكم على إرادة التحرر من الهيمنة الأمريكية بأنها جريمة لا تُغتفر، وذنب لا بدَّ أن يُعاقَب مرتكبُه عليه.

١- وقدرتها على سحق العالم الإسلامي في وقت قصير.

٢- هذا وأمريكا لا تعادي الإسلام والأمّة الإسلامية!!

علـى أن مصير الإسلام والأمَّة الإسلامية لا تحكمه الإرادة الأمريكية، ولا أي إرادة مـن إرادات الأرض، وقـد ثبت الوعـد الصادق بأن إنقـاذ العالم على يـد هـذا الدِّين والأمَّة.[١]

من حرب إلى حرب

لا زالت أمريكا منذ حرب الخليج الأولى تشعل المنطقة بالحروب الملتهبة الطاحنة، وتأخـذ بها مـن حرب إلى حرب، ومن فتنة إلى فتنة، وهي حـروب أمريكية ضد المنطقة وأهلهـا وخيراتها وأمنهـا، وضد الأُخوَّة العربية والإسلامية فيهـا سواء كان خوضها لها بصورة مباشرة، أم غير مباشرة.

هـذه الحروب ومنها الحرب التـي تتوعد بها هذه الأيام هدفهـا أمريكي، وتوقيتها أمريكـي، وتصميمهـا أمريكـي، وأخلاقيتهـا الساقطـة أمريكيـة، ومن أجـل المصالح والمطامع الأمريكية والتوسع الغاشم الأمريكي، ولخدمة القِيم المادية الأمريكية، ولحماية إسرائيل، وتسييدها في المنطقة العربية والإسلامية، وتتمشى مع أهداف مشروع التقسيم والتشظيـة للبـلاد الإسلامية والعربية وهو مشروع من المشاريـع بالغة الأهمية في النظر الأمريكي.

وهـي حروب مسرحها الأرض العربية والإسلاميـة، وبأموال المنطقة، وعلى حساب مصالحهـا، ومن آلاتهـا ووقودها وضحاياها إنسان هذه الأرض في الأكثر وهو المتضرر الأول بآثارهـا السلبيـة علـى المستـوى البيئـي والصحّي علـى المدى القريـب والمتوسط والبعيـد، وهو الـذي يحصد نتائجها المـرّة على المستوى النفسـي والاجتماعي والديني، ويخسر ترابطه وأخوّته وثقته بأخيه.[٢]

وتعمـل الآلة الإعلامية الأمريكية الضخمة مسندة مـن إعلام عربي؛ للترويج لهذا النـوع العدواني الظـالم من الحروب والمعـادي لمصالح الأمَّة، ودينهـا، وقيمها، وتعاليم شريعتهـا، وواجب الأخـوَّة الإسلامية المخاطبة به، وتبريره، وسوق الـرأي العام العربي

١- خطبة الجمعة (٤٢٨) ٥ ذو الحجة ١٤٣١ هـ ١٢ نوفمبر ٢٠١٠م.

٢- هتاف جموع المصلين بـ: (الموت لأمريكا).

سوقًا في اتجاه مباركة هذه الحروب الباغية الآثمة، ومناصرة أمريكا، والفرح بجرائمها التي تستهدف الجميع، وتفتك بمصلحة الأمّة، وتعطل حركتها، وتحرق منجزاتها، وتبعثر نسيج وحدتها.

وهذا الواقع يضع الشعوب العربية والإسلامية أمام امتحان للوعي والإيمان والتمسك بقيم الدين الإلهي، والقدرة على تشخيص العدو الحقيقي والدائم، ومصدر الخطر المحقق.

وحين يذهب وهم الرأي العام العربي والإسلامي إلى أن المصلحة في الصداقة والوثوق والركون إلى العدو الإسرائيلي، والجبّار الغاشم الأمريكي، وأن الاحتراس الأكثر يجب أن يكون من بعضنا البعض، وأن يكون موقفنا الداعم لإسرائيل وأمريكا، وفرحنا بنصرهما، فهذا آخر ما يمكن أن ينحط إليه مستوى الفهم عندنا، وأشد ما يمكن أن يصل إليه ضياع الدين على أيدينا.[1]

ماذا تريد أمريكا وأوروبا للمسلمين؟

وما الذي تستهدفه تحركاتهما الدبلوماسية، وخططهما السياسيّة، وحروبهما العسكرية؟

بصورة عامة:

١- إنهاكَ هذه الأمّة، وإضعافها على كلّ المستويات إلى الحدّ الذي تقبل به الذلّ، والهوان، والتبعيّة الكاملة، واستنزاف خيراتِها لصالح العدو.

٢- تريدان للمسلمين أن يخربوا بيوتهم بأيديهم، فينتقلوا من تخريب بلد مسلم إلى تخريب بلد مسلم آخر، وفتح أبوابه؛ لسيطرة المستعمِر بالمال المسلم والدّم المسلم وكلّ الإمكانات المسلمة.

تريد للمسلمين، وللحكومات المسلمة أن تقوم بحرب عنها في المنطقة بالوكالة، تعطي فيها أموال المسلمين، ودماءهم، وإمكاناتهم.

١- خطبة الجمعة (٣٣٣) ٧ رجب ١٤٢٩هـ ١١ يوليو ٢٠٠٨م.

٣- أن لا تفرغ المنطقة من حرب إلا ودخلت في حرب أخرى حتى يتم الاستنزاف للثروة الجاهزة، والإنسان القادر بما يمنع من أيِّ مقاومة للإرادة الاستعمارية مستقبلاً.

٤- السيطرة على كنوز الثروة النفطية في المنطقة، والتحكُّم في إمداداتها، وسعرها.

٥- وأد انبعاثة البديل الحضاري القادر على سحق الحضارة الغربية المهترئة، وحرف إنسان أمَّتنا عن مسار الإسلام، ورؤيته، وأخلاقيته، وأهدافه الكريمة.

٦- أنَّ تُخلِّف الحروب البينيَّة داخل الأمَّة والمنطقة أحقادًا لا تُنسى؛ ليبقى عالمنا الإسلامي على بركان ملتهب يُهدِّد بالانفجار في كل لحظة؛ لينسف كلّ جديد إيجابي، ويهدم كلّ خير تبنيه سواعد الرّجال.

والحكومات التي تُسمّيها أمريكا بالصديقة تريد أن تفرض عليها موقفين:

أ- موقفًا من إسرائيل يتّصف بالمرونة والملاينة إلى حدّ الاستسلام، وتغليب المصالح الإسرائيلية على مصالح الفلسطينيين والعرب والمسلمين عامة، والعمل على للتفوُّق الإسرائيلي على كلّ دول المنطقة العربية والإسلامية.

ب- موقفًا مُتشدّدًا ومُعاديًا بقوّة لبعض البلاد الإسلامية كإيران، ومشاركًا في الحرب عليها، وتضييق الخناق على وجودها.

ولا توجد حتى شُبهة جوازٍ في هذا المورد؛ للاستجابة للإرادة الأمريكية، ولا مجال لوقوع الحكومات في حالة غررٍ أو خطأ في النظر في المسألة.

فالمطلوب الأمريكي واضح في أن ينتصر المسلم لغير المسلم المعتدي على نفسه، وعلى أخيه المسلم المعتدى عليه.

وتسعى أمريكا بكل ما تملك لفرض حصار واسع، وحتى شنّ حرب عسكرية طاحنة بحجّة احتمال أن تملك إيران غدًا إمكانية إنتاج سلاح نووي، فإن ذلك في إعلامها والإعلام الواسع الجائر يمثل تهديدًا لأمن العالم كله.

أما الترسانة النووية العملاقة في أمريكا وربيبتها إسرائيل، ففيها استقرار العالم

وأمنه وخيره ورفاهه وعدله والمساواة بين أبنائه، وكأن البلدين الصديقين لا يُمثّلان أكبر رقمين في الإرهاب اليوم في العالم، وشواهد الإرهاب الحيّ الطازج لإسرائيل قائمة في مثل حادثة دبي وغيرها.(١)

إن أمريكا لترحب بالسلاح النووي الذي تضمن صداقته وهيمنتها على اليد الذي تملكه، وما ترهبه وتفزع منه وتقاومه أن تمتلك الروح الاستقلالية للأمّة، وأن يمتلك الإسلام أيّ سبب من أسباب القوة والقدرة على المقاومة.

فالمصيبة ليست مصيبة سلاح نووي، وإنما مصيبة أي سبب من أسباب القوة التي تمكّن الأمّة من الدفاع عن حماها وعن استقلالها وشرفها، وأصالتها، ومصالحها.

وأما جيش التحرير الأمريكي للبلاد الإسلامية والمُخرِج لها من الظلمات إلى النور، فتشكو مجنداته والضابطات في صفوفه من عمليات الاغتصاب الواسعة من مجنّديه وضبّاطه والتي تصل أحيانًا إلى حدّ القتل!!

وفي وصف إحدى الضابطات في هذا الجيش - كما جاء في إذاعة الـ (B.B.C) العربية من قريب جدًّا - أن فزعهن من فتك الزملاء الغيارى الشرفاء من جنود الجيش الأمريكي وهم الجنود المعدّون؛ لتحرير بلادنا الإسلاميّة أشد من خوف القتل على يد العدوّ، فانقضاض الجنود الأحرار من زملائهن عليهن بالاغتصاب والقتل ميسور لدرجة أكبر.

وتؤكّد أن تخليها عن سلاحها؛ لتناول سيجارة جعلها ضعيفة أمام فرسان التحرير الأباة في الجيش الذي تنتمي إليه وافتراسهم لها!!(٢)

الغزو في وجهه الجديد (الاستجابة لاستغاثة الشعوب!)

كان الغزو العدواني الطامع من الدول الاستكبارية للدول الضعيفة مكشوفًا، ولأن صبغة النفاق قد تركزت بدرجة أكبر في سيرة أهل الدنيا وطلابها صار الغزو اليوم

١- هتاف جموع المصلين بـ: (الموت لأمريكا، والموت لإسرائيل).

٢- خطبة الجمعة (٣٩٥) ٤ ربيع الأول ١٤٣١هـ ١٩ فبراير ٢٠١٠م.

في ظاهره استجابة؛ لاستغاثة الشعوب، ومعالجة مشكلاتها، وضبط الاضطرابات فيها؛ فللطّغاة أيدٍ عابثة في كل البلاد التي تخلو من حكومة موالية مؤتمرة لهذا الطرف أو ذاك، أو تكون موالية لطرف استكباريٍ على حساب الطرف الآخر، وعملاء ومنتفعون يثيرون الفتنة متى شاء المستأجرون؛ لتكون حربٌ بعنوان وآخر، وتحت أي شعار براق، وفي إطار أي عصبية من العصبيات.

لا يبعد أن تكون قرقيزيا مثالًا من أمثلة التدخل العابث للدول الكبرى الظالمة؛ للاستئثار بمواقع النفوذ، والتحكم في مصير الشعوب الأخرى، واستخدامها آلة رخيصة في سبيل أطماعها.

إن الاستكبار العالمي لا يتورع أن يثير حروبًا أهلية طاحنة في البلاد التي يطمع فيها؛ ليدخل مستعبدًا لها باسم الإغاثة، وإطفاء الحرب، وإحلال الأمن، وإقرار السلام، وإعادة الإعمار، فيكون المحسَن الذي لا بدَّ أن يشكر، وتقدّر له إنسانيته، وخدماته، وبذله ووفاؤه.

وإن الظلم الفاحش الذي يمارسه كثير من بعض الأنظمة العميلة لهذا الطرف أو ذاك في حق الشعوب؛ ليفتح بابًا واسعًا لتدخُّل الخارج.

أمّا أيّ نظام حاكم مخلص لأرضه وشعبه، يحرص على استقلالية الشعب، ويحافظ على الثروة عن سيطرة الخارج، فهو نظام عدوٌ للمستكبرين لا بدَّ أن يعملوا على زعزعته، وجرّ الوضع في البلد المسؤول عنه إلى فتنة مشتعلة، وحتى حرب أهلية طاحنة.

والفتنة بطبيعتها لا ترحم، والحرب الأهلية لا تبقي.

ولا تكاد توجد عصمة أخلاقية في مجتمعات الدنيا اليوم تكفي لرعاية حقوق الإنسان وحرماته في حالات السلم، فضلًا عن حالات الحرب، وذلك بفعل التخريب الاستكباري الآثم للدّين، والأخلاق، القِيم.

اليـوم لا تـكاد ترعى حرمة لمـال، ولا عرض، ولا نفس من الكثيريـن في حال السلم ناهيك عن الحرب.

في الحـروب الجاهليـة لا تبقى حرمـات، وكل شيئ مستباح، ولا حـدود ولا حواجز أمام المطامع والأحقاد والشهوات والنزوات، وحروبُ اليوم كلها - إلا ما ندر - جاهلية لا حرمة فيها لإنسان، ولا دين، ولا قيم.

لا تـكاد تقوم حـرب أو فتنة داخليـة ساخنـة إلا وتسمع عن قتل للشيـوخ والأطفال والأبرياء من نساء ورجال.

وأي حـرب من هــذه الحروب الجاهلية، وأي فتنة من فتن العصبية العمياء اليوم لا ترافقها حوادث الاغتصاب، والنَّهب، والسَّلب، والحرق، والتَّشريد بلا حساب؟!(1)

أمريكا وإدارة الأزمات

تعـرف أمريكا وتمتهن إدارة الأزمات في البلد الواحد، وبين البلدين والأكثر، وفيما بـين الطوائـف، وكذلك القوميـات والأحزاب والفئـات، وهي تُعقِّد هـذه الأزمة، وتحول جاهدةً دون حل تلك الأزمة، وتخفف أزمة أخرى.

تقـف مع هذا الطرف أو ذاك، تقدم أقليـة على أكثرية، وتستثير أكثرية ضد أقلية، تمـدّ هذا الطرف بالسلاح، وتقـف مع الآخر بالكلام، تقدم السـلاح للطرفين زيادة في استعار الحرب، واستثمار حالة الاقتتال.

تفتعـل أزمة هنـا، وأزمة هنـاك، وتحاول التحكـم والتصرف في مفاتيح كل الأزمات ومغالقهـا؛ لتحوج الأطراف كلها إلى اللجـأ إليها، والتوسل للخلاص بها، حتى يمكن لها الابتزاز، وفرض الشروط، والاستعباد المذل، والاستغلال البشع.

١- خطبة الجمعة (٤١٢) ٥ رجب١٤٣١هـ ١٨ يونيو ٢٠١٠م.

تفعل كل ذلك ضمن حسابات خاصة، وتخطيط شيطاني مرسوم، ومن منطلق الأغراض المادية والاستكبارية الدنيئة.

وتحذيرها رعاياها في بلد، والإشارة إليهم بالترحيل من آخر، أسلوبٌ من أساليب الضغط الذي تمارسه على البلدان المختلفة، وعلى طريق تهديدها بإدراجها في قائمة البلاد التي ترعى الإرهاب، أو تتهاون معه؛ لإعطاء مزيد من التنازل، ومزيد من الاستسلام.

وأمريكا لا تريد لأي بلدٍ أن يحل مشاكله الداخلية من دون تدخلها الشيطاني؛ لإحكام القبضة بدرجة أشد على الآخر، ومن أجل ارتماء الأطراف في أحضانها، توصلًا لتنفيذ مخططاتها الخبيثة، وتكريسًا للقيمومة والوصاية الشاملة، وإقناعًا بالحاجة الدائمة؛ لتواجدها العسكري المكثف في مياه وأجواء البلاد المختلفة، وعلى أراضيها.

ومن مسؤولية كل الأقطار في الدنيا ومصلحتها اللازمة، أن تعمل على التفلُّت من حبائل هذه السياسية الطاغوتية الأنانية للخبيثة المدمرة.[1]

المطالبة بحاكميَّة الإسلام، هل هي جرم؟!

وانظروا إلى الإسلاميين في العراق، وفي غير العراق أن صار بهم الأمر لا يستطيعون المجاهرة بحاكمية الإسلام، وأن المطالبة بحاكمية الإسلام صارت جريمة عالمية تُدان، وتُعدّ من الإرهاب.

وإن المسلم صار يتوارى عن هذا الطرح!

فلا بدَّ من تدارك الأمر قبل أن تتغيب الحقيقة بالكامل، ويُطمس الحق.

أما أبناء التربية الغربية في العراق، وفي كل مكان فيُجاهرون برأيهم، وبمعارضتهم

١- خطبة الجمعة (١٦٤) ٥ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ ٢٣ يوليو ٢٠٠٤م.

لحاكمية الإسلام، ويُدينون مَن يقولون بهذه الحاكمية أو يتمنّاها!

ولقد كان الغرب يضع شرطًا على عدد من الدول الإسلامية بأن تبعث من أبنائها ومن فلذات أكبادها أكفاء وقدرات متميّزة إلى جامعات الغرب، ومطابخ فكره حتّى تأتي أفواج من تلك البعثات بفكر الغرب، وشعور الغرب، وطرح الغرب، وتكون (الكوادر) المعدّة؛ لتثقيف البلاد الإسلامية، وللحكم البديل كلّما اقتضت الحاجة!

أما اليوم، فالتربية الغربية حاضرة فاعلة قائمة مشهودة لأبناء المسلمين في جامعات المسلمين، وفي مدارسهم، وفي نواديهم، وفي جمعياتهم وبصورة علنية مكشوفة.

اليوم يأتي الأمريكي؛ ليقيم الندوات، ويقيم المهرجانات الثقافية، وينفّذ برامجه التي يريدها في أكثر بلدان الإسلام.

وقد جاء رامسفيلد إلى العراق؛ ليتدخل في تشكيل الحكومة، ليفرض داخلية ودفاعًا من النوع الذي يريد، ويُعلن أنهما لا بدَّ أن يكونا تحت النظر، وبالكيفية المرغوب فيها، ويفرض أن ويحافظ على العناصر التي اختارتها أمريكا للأمن، للداخلية، للدفاع، للمواقع الحسّاسة.

وأن تبقى قوّة للبعث، وأن يبقى رجال من البعث أقوياء، وأصحاب نفوذ ومواقع متقدّمة؛ من أجل أن يكونوا أدوات تُنفّذ رغبات أمريكا.

ويريد من مرشّحي الشعب أن يكونوا أدوات طيّعة للسياسة الأمريكية.

ولا انسحاب للقوات الأمريكية حتى يؤمّن على الأغراض الإنسانية العادلة لأمريكا في العراق من بناء قواعد ثابتة، وتدفّق للنفط بسخاء وبصورة شبه مجّانية إلى مخازن الأراضي الأمريكية، وتثبيت عملاء مخلصين في المواقع المهمّة، والتأكد من بقاء العراق تحت السيطرة عند ضرب أي بلد إسلامي من أراضيه، وبناء مراكز ثقافية وأجنبية، ومراكز تحلل واهتراء خلقي وميوعة إلى الحد الكافي؛ لمسخ هُوية الشعب العراقي، وزرع

العملاء في الحوزات، والجامعات، والمساجد، ومراكز التأثير الإسلامي، وتحويل العراق إلى مستعمرة على الطراز الحديث.

ولكن العراق لا يُرتقب له أن يكون فريسة الإرادة المتفرّدة.

العراق سيصبح ساحة لصراع الإرادات، إرادة إسلامية، وإرادة غير إسلامية.

والحرب ستكون بين الإرادة الأمريكية بالأصالة، أو بالوكالة، والإرادة الإسلامية.

العراق سيكون أرض مواجهة حضارية حادَّة وإلى مدى بعيد.

والمواجهة بين الإسلام والغزاة الغربيين ستستمر على أكثر من مستوى، وفي أكثر من بُعد.

والعراق بلد المرجعية، بلد التاريخ المجيد، بلد القباب النورانية الشامخة، بلاد الأئمَّة الهادين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، بلاد الأبطال الأشاوس، ففي الأخير لن يُهزم العراق.

ولكن هذه هي الديمقراطية الأمريكية المتصدق بها على البلاد الإسلامية، وهي ديكتاتورية أمريكية، وتحلل، وتمييع، وكفريات تملأ الساحة الإسلامية.[١]

١- خطبة الجمعة (١٩٥) ٦ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ١٥ أبريل ٢٠٠٥م.

خاتمة

لماذا استهداف الإسلام ومعاداته؟

لماذا الاستهداف للإسلام ومعاداته - والإسلام هو هذا الدين الكريم بهذه المبادئ المشعة الجانحة للسلم، المؤكّدة للركائز والأسس الإيجابية التي يمكن أن تقوم عليها علاقات دولية محترمة نافعة -؟!

الجواب

١- دين يجهله أهله، فضلًا عن الأمم الأخرى - والناس أعداء ما جهلوا -.

الطواغيت قد يعرفون الإسلام، ولكن الطاغوت لا يحمل نفسًا مستعدة للاستجابة للحق، أما الشعوب والجماهير العامة من كل الأمم إذا عرفت الحق، فإنها ولو بصورة إجمالية تهوي أفئدتها إليه.

٢- التضاد مع المصلحة الدنيوية للطواغيت، وهو الشيئ الذي يدفعهم؛ لمواجهة الإسلام بكل وسيلة ممكنة، فالطواغيت يعرفون إما أن يكون إسلام، فيتأتى لهم أن ينصبوا أنفسهم أربابًا من دون الله في الناس، ويقبل الناس هذه الربوبية الكاذبة، وإما أن يكون الإسلام، فيستحيل عليهم ذلك، ولا يجتمع أن يكون هناك وعي إسلامي وانشداد للإسلام، وتقديس للإسلام، واعتراف بألوهية الله ووحدانيته، وأن تقبل النفس الحالة الطاغوتية في الأرض، لذلك فالطواغيت عدو دائم للإسلام، وحربهم له بلا هوادة، فلا يمكن أن تتوقف العداوة للإسلام في الأرض من خلال هذا الطابور الخسيس طابور الطغاة والمستكبرين الجبابرة.

٣- العصبية العمياء التي تحكم الكثير من أتباع الديانات، خاصة طبقة المنتفعين بالدين، فهناك رهبان، هناك قسسة، هناك أحبار قد يعرفون الدين الإسلامي، ويعرفون حقّانيته، وأنه الدين الذي لا يصح بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتعبد بغيره، لكن لهم نفسًا لا تسمح بالوقوف الموقف الصحيح من الرسالة والرسول صلى الله عليه وآله.

٤- البشاعـات التـي تُرتكب باسـم الإسلام، وتسيـئ إليه من فئتـين: فئة الحكام المسلمين الظلمة، الأنظمة التي تنتسب إلى الإسلام وهي تمارس الجور والبغي في الأرض، وتتخلف بالأمّة مسافات على طريق تقدّمها، والفئة الأخرى هي التي تحمل راية الإسلام وتمارس أبشع الجرائم في الأرض باسمه ظلمًا وجورًا، زورًا وكذبًا، جهلًا وسذاجة.

٥- انهيـار المستوى الإنساني في كثير من الشعوب، بحيث أصبح الإسلام ثقيلًا على نفوس الكثيريـن، وأصبحت تكاليفه متجـاوزة حد ما تحتمل تلـك النفوس التي انهارت قدرتها العالية بفعل الحضارة الماديّة الساقطة.

٦- ووراء هـذا أو ذاك مـن الوجـوه السابقة قصـور وتقصير في التبليـغ والدعوة، ووراء العـداوة للإسلام والتجاسر عليه، والاستئساد في وجهه، والنيل من حرمة وكرامة شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فقد الأمّة هيبتها بسبب الوهن والتخلّف اللذين تعاني منهمـا من جراء الهيمنـة الظالمة للكيانات الجائرة التي تحكمهمـا، وتعمل على إسقاط قدرتها وإرادتها.[1]

ما هو دور المسلمين بإزاء الجهالات التي ترتكب ضدَّ الإسلام؟

على المسلمين وظيفتان:

١- وظيفة الرد الحكيم والقوي على كل هذه الجهالات.

٢- ووظيفة عرض الإسلام الوضّاء النوراني الحقّ إلى شعوب العالم.

وهذا العرض يقوم على ركيزتين:

أ- على الدور التبليغي الناجح والجاد.

ب- علـى إيجاد القدوة - للشخصيـات القدوة، والمجتمع القدوة، السياسة القدوة، الاقتصاد القدوة، الاجتماع القدوة -.

١- خطبة الجمعة (٣١٨) ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٩هـ ٢٨ مارس ٢٠٠٨م.

والمسلمين على تقصير كبير في كلا البُعدين، والأنظمة في البلاد الإسلامية -في أكثرها- إنما تُقدِّم نماذج من التخلف والظلم والطبقية والفوضى وعدم العدل، وبذلك تسيئ كثيرًا للإسلام.(١)

الدِّفاع عن أرض المسلمين

أما الموقف من التهديد الاستكباري لأي دولة من دول العالم الإسلامي، فالواجب الشرعي الصريح أن تنظر إليه الأمَّة بكامل حكوماتها وشعوبها على أنه تهديد لكل وجودها، ولأي شبر من الأرض التي تقيم عليها، وأن تقف في وجهه بكل ما أوتيت من قوة حماية لنفسها، ودينها، وكرامتها.

وهذا هو التعامل الذي تتعامله كل الأمم والكيانات المشتركة مع أي تهديد يأتيها من الخارج ولو لجزء منها.

وإنّ قوة أي بلد إسلامي يجب أن تكون قوة داعمة لحقّ الأمَّة ولوجودها الكامل، ولا يُساء استعمالها بأن يتوجّه منها أي ضرر لأي بلد إسلامي آخر، ولا أن تكون للعدوان الغاشم على أي بلد في العالم، وهكذا يلتزم البلد الإسلامي الحق.

هذا ما نفهمه بكل وضوح وجلاء من الإسلام الذي يتحتّم على الأمَّة أن لا يكون لها خيار في التعامل مع كل القضايا غيره.(٢)

١- خطبة الجمعة رقم (٢٥٣) ١٢ شهر رمضان ١٤٢٧هـ ٦ أكتوبر ٢٠٠٦م.

٢- خطبة الجمعة (٣٩٤) ٢٧ صفر ١٤٣١هـ ١٢ فبراير ٢٠١٠م.

الفصل الحادي عشر

الأمَّة الإسلاميَّة

مقدمة

متطلبات صناعة الأمَّة الرَّائدة

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.[1]

إبراهيم عليه السلام رجا من ربه سبحانه وتعالى أن يوجد من ذريته أمَّة مسلمة.

ما الطريق إلى هذه الأمَّة المسلمة؟

كيف تتصنع الأمَّة المسلمة؟

ذكر إبراهيم عليه السلام ما يحتاجه صنع الأمَّة المسلمة على الأرض.

﴿... وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ...﴾ لا بدَّ من رسولٍ أو رسولي لصناعة الأمَّة، الأمَّة الصالحة الأمَّة الرائدة، الأمَّة التي تنشر السعادة في الأرض، وتقود الإنسان على طريق النجاح والفلاح؛ لصنعها لا بدَّ من رسول، ولا بدَّ من فكرٍ رسولي، وإذا غاب الرسول فلا بدَّ من رموز رسوليه، فابحثوا دائمًا عن الرموز الرسالية، وانشدوا إليها، وتعلقوا بها، واستمسكوا بعروتها.

فإن هذه الرموز تتعلق بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، تتعلق بعلي بن أبي طالب عليه السلام، تتعلق بأهل العصمة، والتعلق بالمتعلق بأهل العصمة فيه نجاة، والتعلق بغير أولئك النفر فيه خسران وبوار.

لا بدَّ من رسول، وإذا غاب الرسول لا بدَّ من رسوليين، ربما كانوا بمجموعهم يساوون واحدًا في المائة من الرسول.

١- البقرة:١٢٩.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ...﴾، فلا بدَّ من آياتٍ من آيات الله.

ولا بدَّ من بياناتٍ من بيانات الله.

ولا بدَّ من كتابٍ هو من الله سبحانه وتعالى، يقود البشرية يهتدي به الرسول، يهتدي به الرسوليون يطبقونه في الأرض، يسيرون على ضوئه.

فلا بدَّ إذًا - وفي وقتنا الحاضر - من رسوليين، وتعلّقٍ بهؤلاء الرسوليين.

ولا بدَّ من استمساك بالكتاب، برؤية الكتاب بطرح الكتاب في كل مساحة الحياة.

﴿... وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ لا بدَّ من تزكية لأن توجد الأمَّة القوية القائدة التي تستطيع أن تنضبط، وتستطيع أن تقف في وجه التيار، تستطيع أن ترد على التحديات، وتستطيع أن تعلّم وتعدل.

لا بدَّ لهذا كله من أن تتزكى هذه الأمَّة، والأمَّة لا تتزكى بنفسها وإنما لا بدَّ لها ممَّن يزكيها.

الرسول كان يزكي الأمَّة.

كان يربيها.

كان يزرع في نفسها الأخلاق يزرع في الأفئدة والقلوب الخلق الإلهي العظيم.

كان يصوغ إرادتها.

كان يطهر ضميرها.

كان يملؤها بالمشاعر الإيجابية الخلَّاقة.

كان يدفع بها إلى الطريق القويم.

مَن بعد الرسول؟

كان الأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم).

ابحثوا عن بديلٍ بعد رسول الله ﷺ، لن تجدوا أولى من عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأهل بيته مَن يزكي الأمَّة ويطهرها ويربيها.

ثم ابحثوا من بعد الأئمة عليهم السلام، فلن تجدوا غير فقهاء الإسلام، وغير العلماء الصالحين مَن هو قادرٌ على تزكية الأمَّة التزكيةَ التي يرضاها القرآن، ولا تزكية على غير خط القرآن.

التزكية التي تتحدث عنها الآية الكريمة، هي تزكية تصوغ النفس في ضوء مفاهيم القرآن وأحكامه وتشريعاته وجعولاته، ما لم يكن ارتباطٌ بالأطروحة الإسلامية، وبالنظم الإسلامية، وبالرموز الإسلامية، لا يمكن للأمَّة أن تتزكى التزكية القرآنية المطلوبة، هذه مقومات ضرورية كان يركز عليها دعاء إبراهيم عليه السلام؛ من أجل صناعة الأمَّة المنقذة، فكونوا الأمَّة المنقذة، بتمسككم بكتاب الله، بارتباطكم بعلماء الأمَّة المخلصين المجاهدين، بالأخذ بمفاهيم الدين، بالرد على كل ما يعارض الدين وإن صعب الرد.[1]

خيانة الأمَّة

«إنّ أعظم الخيانة خيانة الأمَّة، وأفظع الغش غش الأئمّة».[2]

إذا كانت خيانة الفرد كبيرة، فخيانة الأمَّة أكبر، والذين يتعاونون على إفساد وضع هذه الأمَّة، وعلى خلخلة صفوفها، وزرع الفتن فيها، وسرقة أموالها، وتضليلها هم من أعظم الخونة.

بل إن هذه الخيانة في الكلمة عن النهج أعظم الخيانة، وذلك بالقياس إلى خيانة الأفراد.

١- خطبة الجمعة (١٥) بتاريخ ٢١ ربيع الآخر١٤٢٢هـ١٣يوليه٢٠٠١م.

٢- نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ - الصفحة ٢٧.

وأفضـــح الغشّ غشّ الأئمة: التخلّف عن الإمام الحقّ، رميه بالباطل، التخذيل عنه، التقصـير في نصرته، الكذب عليه، عدم تعظيمه وتوقـيره، كلّ ذلك غشٌّ في حقّ الأئمة، وأئمـة الهدى (صلوات الله وسلامـه عليهم أجمعين) أصحاب حـقٍّ عظيم على الأمَّة لا يستقيم أمرها إلا برعايته.

حقّ التوقير، والتعظيم، والطاعة للأئمة عليهم السلام أمر لا يستقيم وضع الأمَّة، ولا تصلح إلا به.

إفشــال مشاريــع الإمام، التشكيك في خُطـاه، التخلّف عن تقديم مـا تنجح به تلك الخطط، التعاون مع الجهات المضادة.

عدم تقديم المعلومات التي تقلّل من خسائر المشاريع.

عدم تقديم الرأي بعد تقليبه وفي الصورة المؤدّبة.

عدم التنبيه على مواضع الخلل، النيل من شخصية الإمام، كل ذلك خيانات كبرى هي خيانات لله عز وجل، ولرسوله، وللأمَّة، ومسيرتها الحضارية كلّها.[1]

١- خطبة الجمعة (٢٩٦) ٢٦ رجب ١٤٢٨هـ ١٠ أغسطس ٢٠٠٧م.

الباب الأوَّل

الأمَّة والهُوية

ما هو الانتماء؟

أي أمَّة أنت؟

نحن أبناء أي أمَّة؟

هل نعرف هُويتنا؟

هل نعرف انتماءنا؟

علينا أن نحدد هذا الانتماء.

ما لم تحدد الأمَّة انتماءها، فإنها ستتيه.

وكل الأمم الأخرى وإن ضلّت، والتزمت قاعدة معينة تنطلق منها، وإن كانت هشّة ستبني نفسها بعض الشيئ، ولو على مستوى من المستويات، وفي بعد من أبعاد الحياة.

أما الأمَّة الإسلامية، وكأي أمَّة أخرى حين تبقى بلا قاعدة.

تعيش التذبذب والتزلزل في الرؤية وفي الانتماء، فإنها ستضيع، ستتيه، ستكون مغلوبة مقهورة مفجوعة، ملقاة حصاة رخيصة، أو ذرة ضائعة.

علينا أن نحدد انتماءنا، وأننا أبناء القرآن، وأبناء سنة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

إننا أبناء القادة الذين اختارهم الله عَزَّ وَجَلَّ للبشرية كلّ البشرية قادة، أبناء رسالة السماء.

إنَّنا نمثل الأمَّة الامتداد في مسيرتها لمسيرة الأنبياء والمرسلين، هذا هو انتماؤنا، وإذا عرفنا هذا الانتماء، عرفنا أين نضع القدم، وعلى أي طريق، وكيف نصنع.

ما هو حجم هذه الأمَّة؟

هـذه الأمَّــة المليارية، من ناحية العـدد البشـري، والتى تمتلك الـثروة الهائلة من مختلف أنواعها، الثروات الطَّبيعيَّة الأوليَّة، ماء، ومعادن.

وتمتلك مناخات مختلفة، وينتشر عنصرها البشري في كل القارت.

وتمتلك شرايين صناعة هذا العالم وزراعته وسلاحه.

هذه الأمَّة التي تتوفر على الإمكانات المادية الهائلة، أين فرنسا منها؟

أين بريطانيا منها؟

أين كثير من بلدان الكفر المتقدمة منها؟

أين الهند منها؟

الهند التي تختلف عناصرها اختلافًا مبدئيًا يجعلها دائمًا في انقسام؟!

هذه الأمَّة على المستوى المادي أمَّة عملاقة، وعلى المستوى المعنوي تمتلك أكبر كنوز المعرفة الإنسانية، وهـي مهيئة من خلال المنهج العلمي، الذي يشدّها إليه قرآنها، وسنّة نبيّها ﷺ إلى أن تسبق في العلوم المادية.

نعم، الأمَّة الإسلامية لو التزمت المنهجة التي يدل عليها القرآن، وتدل عليها السنة، وهـي منهجة معرفية تقدر العقل، وتقدر الحس وتقدر مصادر معرفية أخرى، وتضع كل مصـدر من مصـادر المعرفة في موقعـه، وتناغم بين كل مصادر المعرفـة؛ لتثري معرفة الإنسان، وعلم الإنسان بحياته وأخراه.

لـو التزمـت الأمَّــة الإسلامية بالمنهجـة العلمية التي يفتـح القـرآن واعيتها عليها لسبقـت كل الأمم، وما تقدمـت الأمم الأخرى على المسار المـادي، وفي العلوم العصرية إلا مـن خلال التزام المنهجـة العلمية التي يدلّ عليها القرآن، وفي جانب منها وهو جانب التجربة والاستقراء الحسي.

التجربة والاستقراء الحسي دلت عليهما المنهجة القرآنية ومنهجة السنة، كما دلّت

على منهج العقل، ومنهج الوجدان، ومنهج الوحي.

هـذه الأمّة في بعدها المعنوي تمتلك هذه المنهجـة العلمية، وتمتلك قرآنًا يدلها على مختلـف حقول المعرفة، وتستطيع أن تستخرج منـه قواعد الحياة الصحيحة، والاجتماع الصحيح، والسياسة الصحيحة المتقدمة.

تستطيع أن تنفتح على كل القواعد التي تموّل الفكر البشري في كل مساراته، وفي كل ما تحتاجه الحياة من خلال انفتاحها على القرآنِ والسُّنَّة.

القرآن الكريم، والسُّنَّة المطهـرة يقدمان نظامًا اجتماعيًا، ونظامًا عباديًا، ونظامًا سياسيًـا واقتصاديًـا، ونظامًا حياتيًا متكاملًا لا يمكن أن يتقـادم مع مرور القرون، وهو لا زال يثبـت جدارتـه أمام كل الأطروحات البشرية التـي ما أن يمر عليها قرن أو أقل إلا واهترأت وتقادمت.

هذه الأمّة التي تمتلك هذا القرآن، والسُّنَّة.

وتمتلك من جهة أخرى الانتماء إلى الله ﷻ.

وتمتلك قادة مثاليين.

وحـين أقول مثاليين: ليس معنى ذلـك أنّهم لا يعرفون الواقع، مثاليين بمعنى نموذجيين، يجمعون بين المثالية والواقعية أتم جمع، وأحسن جمع.

هذه الأمّة التي تتمتع بقيادة مثل قيادة رسول الله ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام، وتمتلك من الرموز الفعلية الكم الكبير والمتقدم نوعيًا جدًا من خلال الفقهاء والمفكرين الإسلاميين.

هـذه الأمّـة لا ينبغي لها أن تقـع في موقعها الحاضر، وهو موقع التّخلّـف، موقع التّمزّق، موقع الذيلية.

كفى أنّ الهند تفرض نفسها على باكستان، وأن تطالبها بأن تقدم لها الإسلاميين الذين يدافعون عن أرضهم في كشمير.

كفـى أن تفرض أمريـكا علـى كل حكومـة إسلاميـة أن تطـارد كل رصيد مـن أرصدة الإسلاميين في مصارف المال، وأن تفرض على الحكومات الإسلامية أن تقدم لها رؤوس

الإسلاميين الذين يجاهدون عن أرضهم وحريّتهم وكرامتهم، لا أظن أن يوما سيمر على الأمَّة هو مشبع بذل أكبر من هذا اليوم.

ما هو الخَيار المستقبلي؟

لا بدَّ أن نحدد خيارنا المستقبلي أيها الإخوة، إما أن نذوب في الآخرين!

إما أن نتسلخ من هُويتنا!

إما أن نستسلم حضاريًّا!

إما أن نقبل بالبديل.

إما أن نذوب في الآخر، وننسحق في الآخر.

وإما أن نختار خيارًا آخر، هذا الخيار الآخر يمكن أن يكون هو حالة التذبذب، هو حالة عدم الاستقرار، هو حالة القلق.

أنا الأمَّة الإسلاميَّة أنتمي إلى غرب، أو إلى شرق.

أنا الشَّاب المسلم، أنا الشيخ المسلم لا أدري شطر من أُيَمِّم بوجهي؟

شطر الغرب، شطر الشَّرق، شطر الإسلام؟

هكذا حياةٌ ستسحق الأمَّة، ستؤول بالأمَّة إلى الضياع، إلى التيه، ستنهي الأمَّة أيضًا كما ينهيها الفرض الأوَّل.

الخيار الوحيد لهذه الأمَّة أن تعود إلى أصالتها، أن تعمل على اكتشاف ذاتها، على اكتشاف كنوزها، أن تفرض إرادتها الشعبية شيئًا فشيئًا على الأنظمة التي حكمتها الإرادة الأمريكية.

تفرض إرادتها من خلال التقدم العلمي ما أمكن - وأنا أعرف أنها محاصرة علميًّا -.

أن تفرض نفسها من خلال التقدم الإيماني ما أمكن - وأنا أعرف أنها محاصرة إيمانيًا -.

أن تفرض نفسها على الأنظمة من خلال ثقافة عالية أصيلة، هذه الثقافة المطاردة المقزّمة المحجّمة الحبيسة، أن تنمي نفسها من مختلف الجوانب والأبعاد، وهي مطاردة في جميع الجوانب والأبعاد.

لا أقول: إنَّ هذا بإرادة داخلية تعيش في أفكار أنظمة البلاد الإسلامية، ولكن بما أن أنظمة البلاد الإسلامية بما أن كثيرًا من هذه الأنظمة قد عاشت الضغط الأمريكي الهائل، وقد أُسرت للإرادة الأمريكية، وللإرادة الأوروبية، فهي لا تستطيع إلا أن تستجيب لإرادة الطرف الآخر ولو على حساب أمَّتها، ولو على حساب أمانيها الخيالية المفصولة عن واقعها العملي.

ما هي الوسيلة؟

الوسيلة هذا التقدم، الوسيلة طلب الخبرة في كل الجوانب، والوسيلة هو التنسيق ما أمكن بين الشعوب الإسلامية وبين حكوماتها، وإشعار هذه الشعوب لحكوماتها بأنها لا تعاديها، وبأنها لا تريد بها كيدًا.

في الوقت الذي يحترم الشعب نفسه، وفي الوقت الذي يحاول أن يفرض إرادته من خلال وعي وصحوة ومن خلال تقدم ينفع البلاد الإسلامية ويبنيها ولا يهدمها، إلا أنه يشعر الحكومات وعن صدق بأنه لا يريد بها كيدًا، ولا يتآمر عليها.

نريد التنسيق.

نريد التلاحم بين الحكومات وبين الشعوب، لكن لا لتقتل الشعوب وإنما لتتقدم، لا لتموت الأمَّة وإنما لتحيا.[١]

١- خطبة الجمعة (٤٠) ٢٠ شوال ١٤٢٢هـ ١ أبريل٢٠٠٢م.

الباب الثَّاني

الأمَّة والعلاقة بالأنظمة الحاكمة

تقويم العلاقة بين أنظمة الحكم والأمَّة

١- الأنظمة الرَّسميَّة محتاجة إلى أن تتفهم بأن هنا أمَّة، وهي أمَّة عملاقة، أمَّة أمجاد، وأمَّة حضارية كبرى، وهذه الأمَّة لا يُمكن أن تتنازل عن هُويتها، ولا يمكن أن تستسلم لعدوها إلا بأن تحترق الأرض كلها.

٢- من الخيال أن يُصدّق بأن المسلمين في شرق الأرض وغربها سيستسلمون للإرادة الاستكبارية، وسيتنازلون عن الإسلام، وسينسون كبرياءه الحضارية، وسينسون ذاتهم العملاقة التي تستمد الشعور بالعزَّة، والكرامة، والإباء، والشُّموخ، والثِّقة من الصِّلة بالله سبحانه وتعالى.

٣- الأنظمة لتكون للأمَّة، ومن أجل أن تكون الأمَّة معها، ومن أجل أن تنبني القوى الواحدة الضاربة، القادرة على الصمود، المستحيلُ عليها أن تستسلم، محتاجة إلى مشاركة شعبية، وتمثيل حقيقي للشعوب الإسلاميّة في صياغة القرار الرسمي.

الأمَّة المعزولة، الأمَّة المغيّبة بكل قواها الضاربة وبكل طاقاتها العملاقة يجب أن يكون لها حضورها الفاعل في قرارها الرسمي وإلا ستبقى الأنظمة ضعيفة مهلهلة، وستكون محل طمع الطامعين.

٤- محتاجةٌ هذه الأنظمة إلى سياسة لا تقصي طرفًا من أبناء الأمَّة لحساب طرف، فهي أمَّة واحدة، إن تكن فيها أطراف، فالطرفية هنا طرفيّة أخوَّة لا طرف عداوة.

٥- تحتاج الأنظمة إلى تطور سياسي إيجابي جاد متوافق عليه بصورة سلمية لا تجرّ بالأنظمة نفسها وشعوبها في آخر الشوط إلى مواجهات عنيفة تُنزل بهذه الأمَّة أكبر الهزائم.

٦- محتاجة هذه الأنظمة إلى الكف عن سياسة الهيمنة المذهبية على المستوى السياسيّ والتّشريعيّ، والحقوقيّ، والثّقافيّ، والتّعبُديّ.

لا بدَّ من إقلاع عن سياسة الهيمنة المذهبية والقومية وغيرها ولا يبرر سياسة الهيمنة أن تطرح بعناوين وحدوية مع كونها ذات مضمون سلطوي يكرّس روح الهيمنة والتحكم، وإلغاء الآخر.

٧- لا بدَّ للأنظمة والشعوب من التوافق على تقبل مبدأ النقد والمحاسبة للوضع الرسمي بلغة الأرقام والعلم، وبعيدًا عن اللغة الإعلامية الاستفزازية كلما أمكن الأمر، ولم تدع الضرورة البالغة لذلك، وأن تحترم هذه اللغة، وتستتبع حقائقُها تعديلًا في الأوضاع.

٨- الظلم كارثة على الجميع، والأمثلة الحية تمدنا بالوعي في مسألة ما يستتبعه الظلم الفئوي، والظلم الطائفي، والظلم القومي من كوارث على البلد الواحد، وعلى الأمّة بكاملها.

الجزائر كانت ضحية الظلم.

العراق كانت ضحية الظلم.

لبنان في حربها الأهلية الممزقة كانت ضحية الظلم.

أفغانستان في مسيرتها المضطربة، وفي خسائرها الكبرى كانت ضحية الظلم.

فلسطين اليوم وتحت وطأة العدو الشرس والهيمنة العالمية اليد التي يقال عنها بأنها قوية فيها - وهي اليد الإسرائيلية - لا يمكن أن يكون صحبها على أمن، ولا يمكن أن يطمئن، أو يستريح.

أي بلد من البلدان، وأي أمّة من الأمم يدخلها الصراع الداخلي لا يهنأ فيها أحد، ويشقى فيها كل أحد.

٩- تعالوا نكن أسرة وأسرة حقيقية، وشعار الأسرة شعار تكون له قيمته بمضمونه الحقيقي.

تعالوا نكن إخوة، وللأخُوَّة حقوق.

تعالوا نلتزم بحقوق الأخُوَّة والأسريَّة.

تعالوا نكن إخوانًا على طريق الله.(١)

متى تتَّحد المصلحتان - مصلحة الأنظمة ومصلحة الأمَّة -؟

لا يكـون ذلك إلا عندما تكون الأنظمة نابعة من رضا الأمَّة، وتنال قناعتها، وجاءت باختيارها.

وعندمـا يكـون اتحـاد على المبـادئ والخطـوط العريضـة لسياسة الأمَّـة، وتكون مصالحها هي المنظورة أولًا وبالذات قبل مصاحة الأنظمة.

وهــذا الاتحــاد في المصلحتين يمكن أن يأتي بعد أن يكـون اعتماد الأنظمة على الله سبحانه وتعالى أولًا، ثم على الأمَّة، وشعوبها، وجماهيرها.

أمَّـا إذا كان اعتماد الأنظمة في استمرارها على الدعم الأمريكي، وعلى الاحتضان الأمريكـي، وعلى الرضا الأمريكي، فـلا شك أن مصلحة الأمَّة في وادٍ ومصلحة الانظمة في وادٍ آخر، فإن أمريكا ليست صديقة الأمَّة، وليست الأمينة على مصالحها.(٢)

اتحاد الأنظمة لا يكون من دون مرجعيَّة الشُّعوب

لـو كانت الأنظمة السياسيَّـة التي تحكم الأمَّة كلّها صالحـة، منسجمة مع مصلحة شعوبها، متّحدة في الرؤية معها، حريصة على حاضرها ومستقبلها، منبثقة من إرادتها، معترفة بحقّهـا وحرّيتها ومرجعيتها السياسية، عادلـة في حكمها لكان في اتحادها نقلة كبـيرة في اتجاه قوَّة الشعوب وعزّتها ومنعتها وخيرها وتقدّمها، وحماية للأمَّة كلّها أمام كلّ الأخطار والتحديات.

وكلّ اتحاد من هذا النوع، وفي ظل هذا الشرط.

١- خطبة الجمعة (١٢٩) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ ٣١ أكتوبر ٢٠٠٣م.

٢- خطبة الجمعة (١٤٨) ١٢ صفر ١٤٢٥هـ ٢ أبريل ٢٠٠٤م.

شرط المرجعية السياسية للشعوب فيه قوّةٌ وعزّ وتقدّم للكيانات المتّحدة ابتداءً من الشعوب حتى الحكومات.

أمّا الاتّحاد بين الأنظمة المنفصلة عن شعوبها، المختلفة معها، غير المعترفة بمرجعيتها، وحريتها وحقّها في الحكم والثروة وتقرير المصير، فلا يمكن لهذه الشعوب أن تعدّه قوّة لها، أو يصبُّ في صالحها.

إنّ قوّة الأنظمة قوّة للشعوب حيث تلتقي الرؤية عند الأولى مع الرؤية عند الثانية، ومصلحتها مع مصلحتها، وحيث تكون الأنظمة منبثقة من إرادة الشعوب، ومن منطلق مرجعيتها.

وفيما عدا ذلك إنما تتقوّى الأنظمة من النوع الذي لا يحترم إرادة الشعوب، ويرى في قوّتها مع إصرارها على الحرية ما يستوجب المناهضة أوّل ما تتقوّى ضد شعوبها، وإجهاضًا لمطلب الحرّية والحقوق السياسية العادلة.(١)

أزمة الثّقة بين الأنظمة والأمّة

الكل يعلم أن هناك أزمة ثقة، وفاصلة كبيرة، ودرجة كبيرة من الاحتقان، من التذمر، من بدايات تمرد تحدث هنا وهناك، من توقع انفجار عام، وتخلف واضح في جسم الأمّة والأنظمة نتيجة لقصور وتقصير ترمي بلائمته الأنظمة الأمّة، وترمي بلائمته الأمّة الأنظمة، والأنظمة أملك للأمر من الأمّة، وهي أقدر فعلًا من خلال تحكّمها بإمكانات وقابليات وثروات وقدرات الأمّة، فهي تتحمل المسؤولية بالدرجة الأولى.(٢)

منشأ الخلاف

الخلاف هل هو على مصالح الأمّة، أو هو خلاف منشأه مصالح الأنظمة؟

فيما يجمع عليه الرأي العام في الأمّة هو أن خلاف الأنظمة في الكثير الأكثر إنما

١- خطبة الجمعة (٤٩٦) ٢٩ ربيع الآخر ١٤٣٣هـ ٢٣ مارس ٢٠١٢م.

٢- خطبة الجمعة (١٥٠) ٢٦ صفر ١٤٢٥هـ ١٦ أبريل ٢٠٠٤م.

هـو خلاف من منشأ مصالح الأنظمة نفسها، وليس من منشأ مصالح الأمّة، وهذا مؤلم محزن مؤسف.

أن يحصـل مثـل هذا الإجماع في الـرأي العام - على الأقل - يعنـي مؤشرًا خطيرًا جدًّا.(١)

الوقاية خير من العلاج

تعـاني البـلاد العربيـة والإسلامية مـن حالة تفكّك خطـير، وسوء ظـنٍّ، وتوتُّر في علاقاتهـا البينيـة، ومن حالة تدهـور سيئ في علاقاتها الداخلية بـين طرفي الحكومات والشعوب.

ومشـاكل الداخـل المتفاقمـة، وفقـدُ الأمـن، وتصاعد حالـة الاحـتراب تنتشر في باكستان، وأفغانستان، والصومال، والسـودان، والعراق، وتهدِّد كل هذه الأقطار بحريق هائل ماحق.

وبلدان أخرى إسلامية وعربية بدأت الفتنة فيها تخرج من حالة الاختمار إلى حالة الاشتعال سواء ظهر ذلك في الإعلام قويًّا، أم لم يظهر.

وما من بلد من بلدان الأمّة إلا وتختمر فيه الفتنة على الأقل.

والحديـد والنّـار، والتعذيب والتشريـد، والسجون والتهميش ليسـت الأسباب التي تقضي على الفتن، وإنما هي تُغذّيها، وإن أخّرت يوم لهيبها بعض حين.

ولا وقاية أوضح وأجدى من أن تسرع الحكومة في عملية إصلاح جدّية مشهودة على الأرض بأسرع وقت ممكن تتنـاول تحسين الوضع السياسي والأمنـي والمعيشي والديني والأخلاقـي والخدماتي، وأن تتحرك عن جد لا هزل لحالة توافق على مصير كل الملفات الساخنة، وخارطـة الحل لكل واحد منها بما ينهي حالة التجاذب والصراع الخطيرين،

١- خطبة الجمعة (١٤٨) ١٢ صفر ١٤٢٥هـ ٢ أبريل ٢٠٠٤م.

ويؤدي إلى علاقة هادئة إيجابية مستقرة.

يُسيئ جدًا، ويؤلم كثيرًا أنه بالإضافة إلى المشاكل والتأزّمات البينية المنذرة في البلاد العربية والإسلامية، توجد في كل بلد عربي وإسلامي قنابل اجتماعية موقوتة، ومشاكل مفخَّخة بين الشعوب والحكومات قابلة للانفجار في أي لحظة.

والخطر داهم، ويُخطئ مَن قامت سياسته في أي بلد على هدف التفرد بكل الصَّلاحيَّات، والحقوق، والمكتسبات، والخير، والأرض، وسائر الثروة والحياة، وإلغاء الآخر ودفنه وقبره.[1]

١- خطبة الجمعة (٣٨٢) ٢٩ شعبان ١٤٣٠هـ ٢١ أغسطس ٢٠٠٩م.

الباب الثَّالث

الأمَّة والوحدة الإسلاميَّة

الوحدة الإسلاميَّة الكبرى

مَن كان هدفه الإسلام كانت الوحدة هدفه.

فلست تجد عالمًا يفهم الإسلام يأخذ بخيار الفرقة، ويهمل شأن الوحدة.

ليس أنه لا يدعو للفرقة فقط، وإنما يكون من همّه دائمًا أن يعمل على الوحدة بين المسلمين، بل إنه يستهدف الوحدة الإنسانية الكبرى.

الوحدة الإسلامية الكبرى لا لتعزل باقي البشرية، وتلقي بهم إلى النار، وتجهّلهم، وتسلبهم وعيهم، وتقتل فيهم طموحاتهم.

الوحدة الإسلامية الكبرى؛ من أجل أن تتمدّد وتتعملق؛ لتكون وحدة إنسانية كبرى على خط الله ليس فيها ظالم ولا مظلوم.

علامة الوعي

هدف الوحدة علامة الوعي والفهم الحقيقي للإسلام، فمن لم يهدف هذا الهدف دلّ بموقفه على نقص في الوعي والفهم للإسلام ودعوته.

الوحدة الإسلامية الكبرى منطلقها الحرص على مصلحة الإسلام، والإخلاص له، وعدم المتاجرة به، مسؤولية علماء الدين أولًا، ثمّ هي مسؤولية النخبة الإسلامية المثقّفة على أنّها مسؤولية أمّة بكاملها.

والأمّة بعمومها ترضى من ساستها اليوم عدم الوقوف مع عدوها في خندق واحد، وأن تنسّق الأنظمة بينها؛ من أجل المصلحة العامة، وأن لا تكون عينًا، ولا يدًا على بعضها البعض؛ من أجل الأجنبي.

ومـن يأتي من عند الأئمة عليهم السلام لا يستطيع إلا أن يطـرح شعار الوحدة ويخلص له، وأن يعيش همَّ المسلمين جميع المسلمين بلا نظر إلى مذهب وآخر.[1]

المراد من الوحدة

ما هو متعلّق الوحدة كما تظن؟

أن نتحول شيعة كلنا؟

أن نتحول سنة كلنا؟!

مطلب ليس دونه خرط القتاد - كما يعبّر الفقهاء -، وإنما دونه حصد الرقاب.

لا يمكن بأي حال من الأحوال، وتحت أي ضغط أن يتحول العالم الإسلامي كله إلى شيعة، أو أن يتحول إلى سنة.

وإذا أردنـا الوحـدة على مستوى تفاصيل العقيدة، فـإن الصحابة - كما سبق - لم يكونوا على رأيٍ واحد في هذا الأمر.

وإذا أردنـا وحدة إسلامية على مستوى الفروع الفقهيـة، فالصحابة إذًا لا يشكلون أمّة واحدة.

والمذاهب السنية الأربعة لا تشكل أمّة واحدة.

والمذهب الشيعي نفسه في اجتهاداته المختلفة لا يشكّل أمّة واحدة.

إمـا أن نقبل بأننـا كنا ونحن في أحضان الإسلام بعد حيـاة الرسول صلى الله عليه وآله أممًا، وبقينـا أممًا، وسنبقى أممًا، وذلك للاختلاف الفقهي، وفي بعض تفاصيل العقيدة، وفي دقـة الرؤية التوحيدية وعدم دقتها، وأن علينـا أن يحصد أحدنا الطرف الآخر إلى آخر واحد.

وأمَّـا بـأن نقول: بأن كل هذه الاختلافات لم تعدد الأمَّـة في ماضيها، ولا تعدِّدها في حاضرها ومستقبلها، والأمر كذلك.

١- خطبة الجمعة (١٢٧) ٧ شعبان ١٤٢٤هـ ٣ أكتوبر ٢٠٠٣م.

إنّنا أمّة واحدة عقيدة وفقهًا، والاختلاف في بعض دقائق العقيدة، والفروع الفقهية لا يقسمنا إلى أمتين أو أمم.

الموحدون الشيعة ليسوا على فهم واحد للتوحيد.

والموحدون السنة ليسوا على فهم واحد للتوحيد.

فإذا كان التفاوت في دقة الفهم لقضية التوحيد مقسّمًا إلى أمم، فنحن لسنا أمّتين فقط، وإنما أمم متكثّرة.

وقد سبق أن النبي ﷺ مسلم وهو على توحيده أكملِ توحيد، وأن الأعرابي الذي آمن بالأمس أو اليوم مسلم وهو على ما هو عليه من توحيد ضبابي غائم، وذلك من ناحية الحقوق العامة الدنيوية للمسلم على أخيه المسلم.

وإذا كانت العقيدة لا يمكن أن نتوحد عليها بمالها من دقة بالغة، فهناك قضايا كثيرة جدًا يمكن أن نتوحد عليها، ويجب أن نتوحد عليها:

١- الحفاظ على الأمن الوطني لكل بلد من بلدان الإسلام، قضية تهم الجميع، وفقدها يضر بالجميع، ولا أمر يقتضي الاختلاف في الحفاظ على هذه القضية.

٢- إقامة العدل في أرض الإسلام، والأخذ بالمساواة في الحقوق والواجبات، المساواة بمعناها الدقيق، وليس بمعناها السطحي الساذج.

إقامة العدل في أرض الإسلام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مواجهة الظلم والفوضى من أي مصدر كان من حاكم أو محكوم، من سني أو شيعي.

هذا كله يمكن أن نتوحد عليه.

٣- حماية الدين والأمّة من الأجنبي، أمر يهم الجميع، وغيابه يضر بالجميع، ولا عائق إذا أنصفنا يعيق عن الأخذ بالوحدة في هذا المجال.

٤- التقدم بمستوى الأمّة وأوطانها، وحلُّ مشكلات الجهل والفقر والمرض إلى آخر المشكلات، وهي مشكلات تضايق الجميع، وتضرُّ بالجميع، من مسؤولية الجميع، والتوحد عليها لا يقف أمامه عائق.

٥- تبليـغ الإسـلام في خطوطـه العامة، وكذلـك أن تبلّغ الإسلام كما تفهـم، وأُبلّغ الإسلام كما أفهم.

تبليغـي وتبليغك يخدمان الإسلام العام، ويُقلّلان من موجات الكفر وامتداداتها في البلاد الإسلامية على الأقل.(١)

الوحدة بين الإلغاء والاحترام

تتكوّن الأمم، والـدول، والأقطار في العادة من أكثر مـن قوميّة، أو دين، أو مذهب، أو قبيلـة، أو لغة، وهي محتاجة للوحـدة أو التآلف؛ حتى تنتظم أمور الحياة فيها وتتقدم وترقى، وتكفى النزاعات الواسعة الدائمة المرهقة والمكلفة والمهلكة.

والوحدة يمكن أن يطلبها الطالبون عن أحد طريقين، ويتصوروا لها أحد أساسين: الإلغاء، والاحترام.

الإلغاء أساسٌ باطل، وفاسد، وغير منتج.

الإلغاء مقدّمة الافتراق، والبغضاء، والكره، والاحتراب والفوضى، ودمار الأوطان.

والاحـترام أساسٌ حـق، وصالح، ومنتج، يرسّـخ الأخوات، وينتـج السلام والأمن، ويوالي بين الجهود على طريق المصلحة المشتركة، فتجد السواعد كلّها في جهد متناسق؛ لإشادة البناء على الأرض، ولصلاح الإنسان.

والاحترام هو احترام كل طرف للطرف الآخر.

احترامه لإنسانيَّته، وكرامته.

وهو احترام للخصوصية القوميَّة، والدِّينيَّة، والمذهبيَّة، واللُّغويَّة.

واحـترام لحقـوق المواطنة، ويتمثـل في المساواة في الحقـوق، وفي الاشتراك العملي الحقيقي في الشأن العام المشترك.(٢)

١- خطبة الجمعة (٢٦٩) ٦ محرم الحرام ١٤٢٨هـ ٢٦ يناير ٢٠٠٧م.

٢- خطبة الجمعة (٣٣٣) ٧ رجب ١٤٢٩هـ ١١ يوليو ٢٠٠٨م.

بين الوحدة والشَّتات

دين التوحيد ينظر للإنسان بما هو نوع واحد، ويستهدف توحيده على خط الله.

والدِّيـن الحق وحده من بين كل الأطروحات هو القـادر على أن يلاقي بين المصالح الفردية، والفئوية، والوطنية، والقومية، والإنسانية النَّوعية، - ولا متَّسع لشرح الأمر -.

علـى طريـق ذلـك نحن نجـد أن طلـب القـوة في الإسـلام لا يكـون بسلـب الغير واستضعافه، وأن قوة الفرد يوظفها الإسلام على طريق قوة الفئة، وقوة الفئة على طريق قوة الوطن، وقوة الوطن على طريق قوة الأمَّة، وقوة الأمَّة على طريق قوة الإنسانية.

لو راجعنا الإسلام مراجعة دقيقة لوجدنا أنه يدفع بالأفراد إلى طلب القوة، لا على حساب الآخرين، ولا مفصولًا عن مصلحة الآخرين ودعم قوتهم.

ثـم إذا كان الإسـلام يمحـور كل حركـة الإنسانية حول محـور التوحيـد، فإنه إذا تمحـورت كل الحركة حول المحـور الواحد الصحـيح، فلا بـدَّ أن ينتج ذلك اتحاد الناس المنشدين إلى ذلك المحور.

لا توحُّد على الباطل

وكمـا يمنع الإسلام حالة الشتات يمنع حالـة التمحور والتوحد على الباطل، وأنه لا تعاون على شر أو خطأ: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ...﴾.[1]

اعتصام بما به الاعتصام من الخطأ والجهل والظلم، ولا اعتصام إلا بحبل الله.

يطلب بعضنا من البعض الاتحاد، ولكن يسبق كل ذلك سؤال: الاتحاد على ماذا؟

الاتحاد على أطروحة غربية؟

على أطروحة شرقية؟

أو أن الاتحاد الحق، الاتحاد المطلوب هو الاتحاد الذي يعني الاعتصام بحبل الله؟

فلنتعلم أن الاتحاد دائمًا يطلب بأن يكون بالاعتصام بحبل الله.

---

١ - آل عمران: ١٠٣.

ولنتعلم أن ألا نغالط من قبل الآخرين بطلب الاتحاد بشكل مطلق.

والآية الكريمة الأخرى في شطر منها تقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...﴾.(١)

إذًا، نحن أمام مطلب ديني واضح وهو أن نتحد، ويكون هذا الاتحاد خاضعًا لرؤى الدِّين، وأحكام الشَّريعة.

ولا اتِّحاد على الاطلاق على ما فيه منافاة الدين، وأحكام الشريعة.

فكلُّ صوت، وكلُّ راية تدعو إلى الالتفاف بها، على المسلم أن يتحقق من أمرها، أهي راية تخضع لشريعة الله؟، وتقدر أحكامه؟، وتعترف بالعبودية له،؟ أو تتنكر لشيئ من ذلك؟

وإذا أراد ان يبقى على خط إسلامه، فلا يتبعنّ أحدًا من غير إذن الله على الإطلاق.(٢)

ما هي الأمَّة المسلمة المؤمنة التي خوطبت بوجوب الوحدة؟

ما هي الأمَّة المسلمة المؤمنة؟

أهي خصوص أهل المذهب الجعفري؟

أهي خصوص أهل المذهب الحنبلي؟

أهي خصوص أهل المذهب المالكي، غيرهم؟

أم هي أوسع من ذلك؟

الأمَّة التي خُوطبت بالوحدة، وخوطبت بالتعاون على الخير، وخوطبت بحقن الدماء، وحفظ الأعراض والأموال، فكان ذلك مسؤولية ملقاة على عاتقها، ما هي هذه الأمَّة؟

١- المائدة:٢.

٢- خطبة الجمعة (٢٢٤) ١٣ ذي القعدة ١٤٢٦هـ، ١٦ ديسمبر ٢٠٠٥م.

قل عنـي بحكمك الذي لا نفاذ لـه أني مذهبي من أهل النار، ولكن أبقى مع ذلك واحـدًا من الأمّة الإسلامية التي عليك أن تراعي حقوقها العامة ما دمت على شهادة ألّا إله إلا الله، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، وليس كلُّ مَن فسق أو أخطأ تسقط حقوقه ويخرج عن الإسلام.

نقرأ على مستوى:

١- القرآن الكريم

هذا الخطاب للمؤمنين، للأمّة المؤمنة:

أ- الآيـة الأولى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[١]

فئتـان تتقاتـلان بالسيف في العراق، فئتـان تقاتلتا بالسيف: فئـة علي عليه السلام وفئة معاويـة، علـي إمام الحق المعصوم، ومعاوية الباغي، الخـارج عن الحق، لكن الفئتين في نظـر الإسـلام مسلمتان على مستـوى وجوب حفظ الدم، وجوب حفـظ العرض، وجوب حفظ المال خارج التقاتل الذي تسبَّب إليه الباغي، وبدأ به.

ب- الآية الثانية: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.[٢]

ج- وفي خطاب آخر للذين آمنوا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.[٣]

١- الحجرات: ٩-١٠.

٢- آل عمران: ١٠٣.

٣- المائدة: ٢.

الآية الأولى تخاطب المؤمنين في قبال أهل الكتاب، فالناس فيهم فريقان: فريق أهل الكتاب، وفريق المؤمنين الذين تأمرهم بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق.

فهي تتحدث عن أمَّة التوحيد بالصورة الإجمالية، وتشمل هذه الأمَّة أصحاب الآراء المتباينة، والمذاهب الفقهية المختلفة، وحتى أصحاب الخلافات التفصيلية في العقيدة التي لا تخرج بالقضية عن التوحيد بصورة عامة، وعن الإيمان بالرسالة والرسول صلى الله عليه وآله.

الأمَّة التي خوطبت بأنها أمَّة مسلمة ومؤمنة كانت تختلف في تصورها للتوحيد، كانت تؤمن بوحدانية الله على وجه الإجمال.

أما معنى التوحيد، فيختلف في أذهانها اختلافًا كبيرًا جدًّا، وما كان يمكن أن يساوي التوحيد في صورته في نفس أعرابي أسلم اليوم مع صورة التوحيد في ذهن علي عليه السلام، في ذهن النبي صلى الله عليه وآله، لكنَّ النَّبيَّ مسلم، وذلك الأعرابي الذي أسلم اللحظة مسلم من ناحية الحقوق الدنيوية العامة المترتبة على أصل الإسلام.

وكم كان يختلف الناس في فهم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فيختلف بذلك فهم الحكم الشرعي عندهم، والناس في زمن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا على مذاهب في تفاصيل العقيدة، وكانوا على مذاهب في الفقه، وكانوا كلّهم أمَّة مسلمة مؤمنة من ناحية الحقوق المذكورة، ومن ناحية المصلحة المشتركة، ومن ناحية الواجبات الملقاة على عاتق الأمَّة في حماية الإسلام والذرء عنه، والحفاظ على مصالحه، والتقدم بالأمَّة المؤمنة.

وفي اعتبار القرآن، وفي اعتبار السنة أن كل هذه المستويات الإيمانية، وأصحاب هذا المحيط الواسع بما فيه من اختلافات، وبما فيه من رؤى تفصيلية قد تكون متعارضة يشكلون الأمَّة المؤمنة بالإيمان العام، والمخاطبة بحقوق ثابتة على كل عضو عضو بالنسبة للآخرين في هذه الأمَّة.

أقول لكم إخوتي: إن الفريقين اللذين تقاتلا في صفين هم في الإسلام مسلمون، وأن الفريقين اللذين تقاتلا في الجمل هم في الإسلام، وفي نظر القائد المعصوم مسلمون.

نعـم، هنــاك إمام حـق وإمام باطـل، هناك أصحــاب شرعية، وهنــاك طغاة بغاة خارجون على الإمام الحق بغير حق.

٢- على مستوى الحديث

أ- في الموثّقة، في سند صحيح إلى ما قبل سماعة الراوي: «عـن أبي عبد الله عليه السلام - وهو الإمام جعفر الصادق عليه السلام -: «الإسلام شهادة ألّا إله إلا الله، والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله، به - أي بهذا الإسلام - حُقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس».[1]

جماعة الناس الذين يُطاق عليهم أنهم مسلمون، كل أولئك الناس.

الإســلام درجات، وكذلك الإيمان درجات، هنـاك إيمان عام، وإيمان خاص، ونحن لا نتحدث عن المراتب العليا للإيمان والإسلام، إنما نتحدث عن مرتبة من الإسلام يكون لي عليـك بهــا حق، ويكون لك بها علي حق، من أظهر هــذا الحق حفظ الدماء والنفوس والأعراض، وأن علينا أن نتحدَ.

وعلينا أن نتناصر ونتعاون في الحق.

وعلينا أن نرتفع بمستوى الأمّة، ونرعى مصالحها.

وأن لا نبنــي مصالــح دنيويــة لهذه الفئة علــى حساب الفئة الأخــرى تنقض حقَّها، وتضعف عموم الأمّة.

ب- وفي صحيحة حمران بن أعين عن الإمام أبي جعفر بن محمد علي الباقر عليه السلام أنه قال: «الإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلّها - مــا أكثر الفرق يـوم أبي عبد الله عليه السلام -، وبه حقنت الدمــاء، وعليه جرت المواريث، وجــاز النــكاح، واجتمعوا على الصــلاة، والزكاة، والصوم، والحــج، فخرجوا بذلك من الكفر، وأُضيفوا إلى الإيمان».[2]

١- الكافي ج ٢ ص ٢٥.

٢- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٥ - الصفحة ٢٥١.

هـذا هو الإيمـان العام، هـذه هي الأمَّـة المؤمنة في المعنـى العام للإيمـان، ويبقى التفاوت داخل المؤمنين واسعًا جدًّا، فمن إيمان إنسان يفسق في كثير من أحكام الإسلام إلى إيمان النبي صلى الله عليه وآله!

لكن يبقى الاثنان داخلين في الأمَّة المؤمنة، المسلمة بالمعنى العام للإسلام والإيمان.

وقـد عدد الحديث الأخير بعضًا من العلاقات الشرعيـة القائمة بين المؤمنين بهذا المعنى، وبعض الحقوق.

في ضوء النصوص السابقة: يمكن لنا أن نقول: بأن الوحدة الإسلامية واجبة شرعًا وبكل وضوح واطمئنان.

ومن ناحية عقلية، فإنَّ حفظ مصلحة الإسلام، وحفظ كيان الأمَّة، والرقيَّ بمستوى الأمَّـة، والتقدم بها، وصون الإسلام من العـدوان الخارجي كل ذلك واجب شرعي، وهو متوقِّف على وحدتها، فتكون الوحدة واجبًا في العقل.

ثمّ توجد الضرورة العملية:

هناك عدوان شرس على الأمَّة بكل مذاهبها.

هناك عملية سحق خارجي.

هنـاك عمليـة تصفية، محو لوجـود هذه الأمَّـة، استيـلاء عليها، استعبـاد، سلب لحريتها.

هـذا العـدوان الشرس، وهذه الهجمـة الظالمـة لا يردعها شيئ كما هـي الوحدة، فالضرورة قاضية بالوحدة بين المسلمين.

واقع الأمَّة وقضيَّة الوحدة

هذا كلام فيما هو الواجب.

أمَّا فيما هو الواقع، فتصوّرًا يمكن للأمَّة أن تكون متّحدة.

ويمكن لها أن تكون مفترقة.

ويمكن لها أن تكون محتربة، والاتحاد قوّة، والافتراق ضعف، أما الاحتراب فانتحار.

وإذا كان هـذا هـو التصـور، فـإن واقـع الأمَّـة خارجًا بـين أمرين: بـين الافتراق والاحتراب، الافتراق كاد يكون مستوليًا على الساحة بكاملها.

الافـتراق على أساس المذهب، وعلـى أساس القومية، وعلـى أساس الطبقة، وعلى أسـاس حاكمين ومحكومين كاد أن يستـولي على الساحة الإسلامية بكاملها، والاحتراب بـدأ ينشط ويتحول إلى ظاهرة ممتـدة، تتمدد وتتوسع؛ لتستوعـب المساحة الكبرى من واقع المسلمين وحياة المسلمين.

هذا هو الواقع.

ما الأسباب؟

١- يظهـر لي أن من أقـوى الأسباب لهذا الواقع المرير المهترئ والمستعر والمدمّر هو فتح باب الاجتهاد بصورة مبتسرة، ووجود اجتهادات قاصرة ومجتهدين صغار كُثر.

والإخـوة السُّنَّـة الذين كانوا يسـدون باب الاجتهـاد أصبح بـاب الاجتهاد عندهم مفتوحًـا علـى مستوى طالب جامعي، على مستـوى إنسان غيور عن الديـن ليست له أية عقلية فقهية تؤهّله للاجتهاد.

صـار الاجتهاد من ناحيـة عملية حقًّا حتـى للمثقفين العاديين، وهـذا منتشر عند الإخوة السنة، وقد يمتد إلى المحيط الشيعي.

٢- قصر النظر العملي الموضوعي.

هنـاك مَن يحمل شيئًا من الفقه، أو يعطي لنفسه حق الاجتهاد من غير أن تكون له بصيرة عملية، ولا يعرف تشابكات الواقع، وما تنتجه فتاواه من مخاطر مدمرة.

ولا بـدَّ أن ندخـل في حسابنا هنا التربية السيئة، أصحـاب المصالح السياسية التي يذهـب بهم الجشع والطمع والدنيويـة إلى حد التضحية بالأمَّة، وبكل مقدّس، وبكل غالٍ عليهـا حفاظًـا علـى مصالحهم السياسيـة والمادية، ومـا أكثر حكومات العـالم العربي والإسلامي من هذا النوع في هذا اليوم!!

٣- العملاء الأجراء للأجنبي على مستوى الأفراد، والمؤسسات، والحكومات.

٤- الـدور التخريبي المباشر للأجنبي، وهيمنتـه السياسية على البلاد الإسلامية، وقدرته على فرض آرائه وسياسته على هذه الحكومة، وتلك الحكومة.[1]

أسباب الفرقة بين المسلمين

إلى متى؟، ولماذا الجدار السميك العازل؟!

أما لماذا، ف:

١- لفهم سيئ من بعض كل مذهب لمذهبهم.

هناك سنّة لا يعرفون مقتضى مذهبهم، وهناك شيعة لا يعرفون مقتضى مذهبهم.

هـؤلاء لا يعرفـون حرص مذهبهم على وحـدة المسلمين، وأولئـك لا يعرفون حرص مذهبهم على وحدة المسلمين.

٢- يُضـاف إلى ذلك التربية المتعصبة: من عـالم جاهل، ومن عجوز على سذاجة، ومن فئات ضالّة.

٣- المصالح المرتبطة بالإثارات المذهبية: لزعيم شعبي، أو لعالم، أو لغيرهما.

٤- ضعف الفهـم السياسي: وإننا لا نعرف مـاذا يريد بنا عدوّنا، ومـاذا يكيد لنا عدوّنا.

٥- المواقـف السياسية غـير العادلة لبعض الحكومات التي تكـون شعوبها من أكثر من مذهب.

هذه المواقف السياسية غير العادلة تستثير المظلوم على المدلّل.

إذا كان أتباع مذهب يدلّلون، وأتباع مذهب آخر يُظلمون، فهذا الواقع بنفسه يستثير أهل مذهب على مذهب وإن كان ليس لهم شأن في ذلك.

١- خطبة الجمعة (٢٦٨) ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٧هـ ١٩ يناير ٢٠٠٧م.

٦- سياسة التحريض التي قد تحتاجها بعض الحكومات - التحريض الإعلامي، والتحريض المكشوف وغير المكشوف، والتخويف، والترعيب -.

٧- كون الأمّة محكومة لأعدائها الأجانب ممّا يسهل عليهم إحداث الفرقة وتحذيرها.

٨- عدم أخذ الوحدويين الأمر على محمل الجد إلى الحد المطلوب.

٩- التمزق السياسي الرسمي للأمّة المؤدي إلى تمزق اقتصادي، واجتماعي، وسياسي في الشعوب.

هناك تمزّقات مذهبية وتمزّقات قومية فعلية، والتمزق المذهبي غير أصل المذهبية، والتمزق القومي غير أصل القومية.

هناك تمزّقات مذهبية، وتمزقات اجتماعية، وتمزقات قومية مبعثها التعددية السياسية في الدول.(1)

وهناك عوائق تقلل من حظ الوحدة الإسلامية، منها:

١- نمط العلاقة التقليدية الراسخ، المتمثل في التعامل السطحي الذي وصفناه بعض وصف، والمطلوب تعامل عمقي، تعامل ثقافي، تعامل مشاريعي يخدم المسلمين بصفة عامة.

٢- مصالح سياسية.

أصحاب المصالح السياسية يعملون للحفاظ على مصالحهم، وقد لا تسلم المصالح السياسية بعض الأحيان في ظل وحدة إسلامية في هذا الشعب أو ذاك الشعب.

وهنا يأتي فساد كبير في حياة المسلمين، وشرخ هائل يصل بالمسلمين إلى الفرقة الثابتة والعداوة الشاملة وهو ذنب ترتكبه السياسة بلا رحمة.

هذا قد يحصل، وإذا لم يحصل على مستوى السياسة العليا، فقد يحصل على مستويات أخرى.

١- خطبة الجمعة (١٩٧) ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ٢٩ أبريل ٢٠٠٥م.

٣- المتغربـون والمتعلمنون يسوؤهم جدًّا أن تكون وحدة إسلامية بين الشيعة والسنة ممَّن يتعبدون بالإسلام ويلتزمون خطه، ويدخلون عاملًا مفرقًا ولو من منطلق المصلحة السياسية.(١)

الطَّريق إلى الوحدة

تعـاني كل البـلاد الإسلامية من تمـزق داخلي ووهـن في الدائرة العامـة لها على مستـوى كلِّ قِطر قِطر، وهي محتاجة إلى الوحدة الداخلية في كل بلد، والوحدة الشاملة، والاعتصـام بحبل الله، وقيم دينه وتعاليمه، ومؤشـرات منهجة، فإن تأخذ بذلك ينتهي التمزق، ويذهب الوهن، وإلا فلا مخرج، كل الحلول الأخرى آنية وقاصرة ومضطربة. (٢)

ثم أنه لا أغنى من هذه الأمَّة في مقوّمات الوحدة، ولا أكثر تمزّقًا منها!

ولا أشدّ غابيَّة من بعض فئاتها؛ ذلك لبعد عن دين الله، ولسوء فهم لدين الله.

ركائز الوحدة

وللوحدة ركائز منها:

ركيزة العقيدة الواحدة، وهذه الأمَّة أمَّة التوحيد، والمفروض أنها تتبع رسولًا واحدًا، وكتابًـا واحـدًا، وسنة نبي واحـد صلى الله عليه وآله، وفي ذلك ما يكفي لحفـظ وحدتها، ولتقديمها نموذجًا رائعًا على خط الوحدة في هذه الدنيا المقفرة.

دواعي الوحدة

ثـم إن هناك أسبابًا موضوعية تُحتّم على هذه الأمَّـة أن تجتمع كلمتها ولو بالمقدار الذي يحافظ على مصالحها في الدنيا، ولا يجعلها نهبًا للأمم الأخرى:

١- خطبة الجمعة (١١٣) ٢٨ ربيع الأول ١٤٢٤هـ ٣٠ مايو ٢٠٠٣م.

٢- خطبة الجمعة (٤٦) بتاريخ ٢ ذو الحجة ١٤٢٢هـ الموافق ١٥ فبراير ٢٠٠٢م.

١- الحاضر والمصير المشترك بخيره وشرِّه

أراد السُّنَّة والشِّيعة هذا أو لم يريدوه، فإن حاضرهم ومصيرهم واحد من ناحية مايطرأ على هذه الأمَّة من خير وشر.

إن تكن فتنة، فهي فتنة للجميع، وإن يكن وئام فهو مريح للجميع، وفرصة نموّ وتكامل للجميع.

إن يكن خيرٌ فسيعم، وإن يكن شرٌّ فقهرًا سيعم.

مثل هذا النظر الموضوعي لا بدَّ أن يوحي بشعور الوحدة.

ولا بدَّ أن يدفع في اتجاه الوحدة لو كنا على وعي.

٢- توحد الجبهة المعارضة

أعداء هذه الأمَّة من خارجها لا يستهدفون الشيعة دون السنة، ولا السنة دون الشيعة، وكلما كانت جبهة معادية واحدة كلما كان من شأنها أن توحّد المستهدف، والمستهدف هو الأمَّة بكاملها ومن عدو شرس، وعدو قادر، وعدو خبيث، فكيف لا تتوحد هذه الأمَّة في ظل هذه المعادلة المهلكة؟!

٣- الواقع المشترك

أنت لماذا تحاربني؟

لتقضي عليَّ؟

أنا لماذا أحاربك؟

لأقضي عليك؟

إيأس من أن تقضي عليَّ، ولأكن يائسًا أنا - أيضًا - من أن أكون قادرًا على القضاء عليك.

هذا اليأس المشترك من القضاء على المقابل لا بدَّ أن يزهد في المقاتلة.

لو نسينا كل مقومات وحدتنا، ونسينا ما يوجبه علينا ديننا، وتحوّلنا كلنا إلى أشرار، فلنحسب حسابنا بأنك لست قادرًا على أن تقضي عليَّ، ولست قادرًا على أن أقضي عليك، وقد بلغ الكل من التجذّر والقوة والقدرة على الإضرار بالآخر بدرجة كافية.

من شأن هذا الواقع أن يدفع الجميع إلى التراضي، إلى التصالح، إلى الوحدة بالمقدار الضروري على الأقل.

٤- الإجماع على حرمة بعضنا البعض

ألسنا نجمع بحسب مذاهبنا - إلَّا أنْ يكون هناك مذهب لا يعرف القرآن، ولا يعرف السُّنَّة - على صيانة دم المسلم وعرضه وماله، ويكفي في ذلك أن ينطق الشخص بالشهادتين من دون أن يظهر منه ما ينقض إسلامه!![١]

العلماء والمسؤوليَّة المحوريَّة

المسؤولية الأشد تقع على عاتق العلماء المعتدلين، والتصحيح يجب أن يبدأ منهم. [٢]

وإنَّ علماء الدين الواعين لحريصون كل الحرص على وحدة الأمَّة، وطلب الأسباب المؤدية لها، ورفع العوائق التي تحول دونها، ومن هذا المنطلق لا يمكن لهم أن يجاروا أي سياسة في ما قد ترغبه مما يمزّق شمل الأمَّة، ويقطّع أوصالها دينيًا وثقافيًا، ويخلق الغربة بين أقطارها، ويؤصّل حالة القطيعة القائمة فعلًا بينها.

أما المخاوف السياسية التي قد تراود بعض الأنظمة الرسميَّة من بعضها الآخر، فالعلماء لا يساعدون على تغذيتها، وينأون بأنفسهم عن مسبّباتها، والدخول في أجوائها. [٣]

١- خطبة الجمعة (١٩٧) ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ٢٩ أبريل ٢٠٠٥م.

٢- خطبة الجمعة (١٩٧) ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ٢٩ أبريل ٢٠٠٥م.

٣- خطبة الجمعة (١٩٨) ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ٦ مايو ٢٠٠٥م.

مقترحات للوحدة الإسلاميَّة

تقدم بعض اقتراحات خفيفة في هذا الشأن منها:

١- زيارات العلماء لبعضهم البعض، وكذلك الرموز السياسية من مختلف الطوائف.

٢- ندوات ومواسم ثقافية.

٣- مؤسسات اجتماعية وثقافية ومالية مشتركة.

٤- ونداءات موحّدة.

٥- إذا لم نستطع أن نوحد صفوفنا، ونكون أمّة واحدة لا أقل من أدب الخطاب، والكف عن لغة الشتم، وإيقاف نزيف الدم، وتعايش سلمي.

٦- المواجهة السريعة للحالة المتدهورة - كما تقدم في أسبوع سابق - تتطلب إنكار أهل كل مذهب على أهل مذهبهم منكرَهم وبشاعاتهم، وفتاوى محرِّمة بحق الإرهاب تخرج من أهل كل مذهب؛ لتخاطب أهل مذهبهم.[1]

لا أقل من التَّعايش السِّلمي

يوم وحدة الأمَّة الإسلامية هو يوم وحدة العالم، لأنها لو توحَّدت على أساس الإسلام؛ لتمّ سبب توحيد العالم على هدى الله ودينه القويم.

وليس من بعد التوحّد على دين الله مطلب يُطلب لوحدة هذا العالم.

ولن تتوحّد هذه الأمّة بحقٍّ بلا عودة جادة للإسلام تكون بها الكلمة له في كل أوضاعها وقضاياها.

أما اليوم والأمَّة تفارق الإسلام في كثير من دروب الحياة، فوحدتها الحقيقية ضربٌ من ضروب الخيال، ولكن وقد أصبحت وحدتها بتضييع دينها، وتحكيم أعدائها في أمرها، وتبعية الكثير الكثير من أنظمتها لإرادة العدو مستحيلة، فلا أقل من أن تدرك ضرورة التعايش السلمي في داخلها، والحفاظ على الحدّ الأدنى من مقوّمات وجودها.

١- خطبة الجمعة (١٩٧) ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ٢٩ أبريل ٢٠٠٥م.

وإذا نسيَ الإرهاب الهمجي من بعض فئاتها حرمة الدماء والأعراض والأموال، وحلَّ الاستخفافُ والجرأة على هذه المقدّرات محل الحرمة، فلا أقل من ذوق إنساني وحضاري يُخفِّف من هذا الإسراف والولوغ في انتهاك الحرمات، ولا أقل من إدراك موضوعي لما سينجرّ إليه الوضع إذا عمَّت العدوانية الهمجيَّة، وتحوّلت إلى سياسة عملية عند كل الأطراف من طوائف وقوميات وأحزاب وقبائل وطبقات وفئات مختلفة.(١)

مقترحات وحدويَّة

أنا أتحدث عن العلاقات المذهبية على مستوى هذا الوطن، ويأتي هذا على هامش أسبوع الوحدة:

١- كان يمكن للعلاقة بين الشيعة والسنة في البحرين أن تستقر عند نمط واحد لمدة طويلة من الزمن، بلا تغييرات ملحوظة لا إيجابية ولا سلبية في وقت لم يكن هناك مقتضيات لتحريك المياه.

اليوم مقتضيات تحريك مجاري الأمور من خطّها إلى خطّ آخر موجودة بوفرة؛ منها السياسي، ومنها الوعي الحقوقي، ومنها العصبية المذهبية.

٢- اليوم تجتمع عوامل مختلفة؛ للتردي بهذه العلاقات وانزلاقها في منعطف خطير، ومع ترك التقريب ستفلت الأمور إلى ما يمثل خطرًا ساحقًا، لأننا سنة وشيعة ليس مغفولًا عنّا، ومنا - شيعة، وسنة - الجاهل المتعصب الذي لا يقدر الأمور، وقد سادت تربية حاقدة في بعض أوساط المسلمين يمكن أن تفجّر وضعهم، وتهدم سقفهم على رؤوسهم.

نحن اليوم بين موقفين: بين موقف أن نتقارب فنسدّ باب الفتنة، وبين أن نُهمل شأن التقارب، فالفتنة عندئذ ستقتحم علينا الأبواب، وستخترق كل الجدر، وستنبع من داخل، أو تأتي من خارج.

١- خطبة الجمعة (١٩٨) ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ٦ مايو ٢٠٠٥م.

فالأمر يحتاج إلى عمل جاد في سبيل التقريب، ولا تحتاج الفتنة؛ لاشتعالها لأن نأتي بحطب جديد، وأن نشعل أوارها.

هناك مَن سيُشعل الفتنة، هناك المصالح الاستكبارية العالمية التي لا تريد لهذه الأمّة أن تتقارب، ولا تكتفي منها اليوم، وقد بدأ المسلمون صحوتهم إلا أن يدخلوا في شقاق مرهق طويل مدمّر.

٣- وعلى طريق التقارب وسد باب الفتن، وخدمة الإسلام والمسلمين، ولصالح هذا الوطن، يُقترح:

أ- تأسيس مجلس علمائي أهلي مشترك، له أنشطته الثقافية، والاجتماعية، ومشاريعه العلمية، وخطواته التقريبية المتعددة.

ب- جمعية سياسية مشتركة من إسلاميين شيعة وسنة.

ج- جمعية ثقافية كذلك، ويتحرك إنتاجها، وأنشطتها في المساحة المشتركة بين المذهبين وهي مساحة واسعة.

د- مركز رعاية مادية للمحتاجين، قوامه البشري من الطائفتين معًا، وتمويله كذلك.

هـ- مشاريع زواج مشتركة، وحفلات زواج إسلامية كذلك.

هذه بعض خطوات عملية يمكن أن تصب في صالح التقارب الإسلامي داخل هذا الوطن؛ لنكون نموذجًا جديدًا في عالمنا الإسلامي، ولنكون شوكة في عين الظالمين.[1]

أسبوع الوحدة

أمّا عن أسبوع الوحدة، فهو أسبوع من ابتكار أفكار القائد العظيم الزَّعيم العالمي المبارك روح الله الخميني (أعلى الله مقامه، ورفع الله درجته في الجنان)، وقد انطلق

١- خطبة الجمعة ١٥٤ ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٥هـ ١٤ مايو ٢٠٠٤م.

من روح إسلامية صادقة وشفافية روحية راقية، انطلق كلمة من كلمات مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي كانت من الله عز وجل؛ لتوحيد البشرية كافة، وستتوحد البشرية في يوم من الأيام، ويوم الظهور المرتقب على يد القائم عجل الله فرجه.

إنها دعوة صادقة جاءت من سليل الرسالة، ومن حفيد أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لتؤكد على نصاعة هذه المدرسة، وقدسيتها، وحرصها على المصلحة الإسلامية والإنسانية كلها.

لتؤكد على الإخلاص، وعلى الوفاء لهذه الأمّة.

ولتؤكد على الكفاءة على إنقاذ الأمّة كما سيتحقق في اليوم القريب الذي نأمل قربه من الله.

أسبوع الوحدة يخاطب فكر الأمّة.

يخاطب شعورها.

يخاطب واقعها بأن يعيش كل ذلك منها نقله جريئة، ويثور على نفسه ثورة جادة، فيتحول الواقع بعد تحول الفكر، وتحول الشعور.

وقد يتحوَّل الواقع قبل ذلك بدفع من الضرورة، لكن لا بدَّ أن ينتهي إلى تحول الفكر، وتحول الشعور في اتجاه صالح الوحدة الإسلامية الكبرى المباركة، وليس من مخلص واعٍ في أرض الإسلام إلا ويمد يد المصافحة والمبايعة لمثل هذا النداء المبارك الميمون، الذي أطلقته حنجرة من حناجر الإيمان، وحناجر التقوى، حنجرة روح الله الخميني (أعلى الله مقامه، ورفع درجته في الجنان).

ولقد كان مجيئه رضي الله عنه؛ ليذكّر بقيادة أهل البيت عليهم السلام.

ليذكّر بعد طول الفترة، وبعد نسيان القدوة، وبعد الغياب غياب المنارات المشعة عن واقع الفعل العملي المتحرك على الأرض.

جاء ليذكّر بأصالة مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبما ينبغي أن تكون عليه القيادة الإسلامية، قيادة الأمّة الوسط، قيادة الأمّة الرائدة، التي لها الوصاية على بقية الأمم، وصاية الترشيد، ووصاية الهداية، ووصاية التربية والتعليم، ووصاية إقامة العدل ونشر روح الإحسان.

جاء رضي الله عنه؛ ليقيم حجته على الناس من جديد من خلال نموذج أصغر من نموذج المعصوم.

ليذكّر بعظمة المعصوم، وقدرة المعصوم على الإنقاذ الكامل الشامل.

ومجيئه لكأنه تمهيد لمجيئ الإمام القائم عجل الله فرجه، ولأن يقع حجة من حجج القائم عليه السلام يوم ظهوره.

توفي (رحمه الله، وأعلى الله مقامه)، فترك كلمة ليست الكلمة التي يعبر عنها كثيرًا عند موت أي عالم، إنما هي الكلمة الملحوظة الكبيرة والهوة الساحقة والخندق الكبير الفارغ.

نعم، ملأ هذا الخندق قائد بعده (حفظه الله، وأيده، وسدّد خطاه) وهو أهل لأن يملأ الموقع بجدارة وكفاءة، ولكن لا ينكر أن وفاة الإمام الراحل (أعلى الله مقامه) تركت فراغًا ينتظر ملأه رجالات من رجالات الأمّة كالسيد محمد باقر الصدر الذي وافاه الأجل، واستشهد على أيدي الظلمة البعثيين.

والزمن من خلال قدرة الله، ومن خلال رحمة الله بهذه الأمّة كفيل بأن يعطي رجالًا ورجالًا من أبناء هذه الأمّة يملؤون هذه الفراغات، والموقع قد يفتقد الرجل الواحد فلا يملؤه إلا عدد من الرجال.

الرجل الواحد قد يكون أمّة وأمّة كبيرة يحتاج ملء موقعه الفارغ إلى عدد هم أمّة - أيها الإخوة -، وسيبقى موقع القيادة يشكو من نقص من نقص جزئي، ومن نقص ملحوظ حتى يأتي صاحبه الأصل الإمام القائم عجل الله فرجه، فلا يبقى فيه نقص، وتكون به الأمّة أعز الأمم، ورائدة الأمم على مستوى الفعل.

اللَّهمَّ، اغفر لنا، ولوالدينا، ولإخواننا المؤمنين والمؤمنات، واجعلنا ممَّن لا يرضى عن الإسلام بدلًا، ولا يبتغي عن طريق محمد وآله رسولًا، ولا يسره أن يرى الدنيا كلها بيده لخسارة شيئ من دينه، أو أن يرى الناس كلهم معه بمفارقته يقينه.[1]

بين وحدتين

هل العلاقة بين الوحدة الوطنية ووحدة الأمَّة علاقة انسجام، أم علاقة تهافت وتعارض؟

هل حفاظي على أمن البحرين فيه تهافت مع حفاظي على أمن الأمَّة؟

اعتزازي بالبحرين فيه تهافت مع اعتزازي بالأمَّة؟

ولائي للبحرين بالمعنى الذي يرضاه الله يتهافت مع ولائي للأمَّة؟

أم أن العلاقة بين كل ذلك هي علاقة توافق وانسجام؟

حين نأخذ الولاء، والمصلحة، والنصرة إلى آخر هذه الأمور بالمعنى الإسلامي، فلا تهافت، وحين نأخذها بالمعنى الجاهلي، فالمسألة تؤول إلى التهافت.

ونحن مسلمون، وعلينا أن نأخذ الأمور بما لها من معنى في الإسلام.

قوة الأمَّة في وطنها الكبير من قوة الأمَّة في أوطانها الصغيرة، كما أن مصر ملك الإسلام، فالبحرين ملك الإسلام، وكما أن تركيا ملك الإسلام فعمان مثلًا ملك الإسلام، وعزة الأمَّة مترابطة، وانتصارها مترابط، والعكس مترابط، فكلما عزَّ وطن من هذه الأوطان، وكلما نهض وطن من هذه الأوطان، كلما حقق نصرًا كلما كان ذلك يصب في صالح الوطن الكبير، والعكس بالعكس.

التَّعدُّدية وعلاقتها بالوحدة

نقطة أخرى في هذا المجال، وهي التعددية على مستوى الإسلاميين، والآخر في الوطن الواحد من بلاد الإسلام، وعلى مستوى الأمَّة، وعلاقة ذلك بالوحدة والفرقة.

١- خطبة الجمعة (١٠) بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٤٢٢هـ ٨ يونيو ٢٠٠١م.

في البحرين توجد قوى إسلامية، وتوجد قوى غير إسلامية، يوجد مسلمون ويوجد نصارى ويهود، فكيف تكون الوحدة الوطنية في ظل الإسلام؟

صدر الإسلام لا يضيق بخير على الإطلاق، إذا كانت الوحدة على شر، فالمسلم لا يدخل فيها طرفًا سواء كان الطرف الآخر مسلمًا أم غير مسلم، وإذا كانت الوحدة على هدى وخير وفيها صلاح الإنسان، وكل صلاح للإنسان فيه رضا الله ﷻ، فهذه الوحدة يبادر إليها المسلم سواء كان الطرف الآخر مسلما أو غير مسلم.

إقامة الحق والعدل في الأرض، العدل في الحقوق والواجبات، مناهضة الانحراف الخلقي، والانحطاط الإنساني يدخل فيه المسلم أيًا كان الطرف الآخر.

فنحن من منطلق الإسلام مستعدون دائمًا للوحدة حتى مع غير المسلم فيما هو خير، فيما هو صلاح، لأنَّ في ذلك مرضاة الله تبارك وتعالى.[1]

الدَّعوة للوحدة وعقبة الحكومات الظَّالمة

الشيعة والسنة في البحرين وغيرها إخوة دين ووطن وتاريخ.

إخوة ماضٍ وحاضر ومستقبل، وكلنا هنا شعب واحدٌ لا شعبين.

السياسية المغرضة في كل مكان تلعب على الوتر المذهبي والقومي، وأي وتر آخر؛ لإضعاف الشعوب وتفريق كلمتها والاصطياد في الماء العكر، وهذا غير خافٍ على أحد ممَّن له أدني انتباه لسيرة الحكومات الظالمة.

ومن المؤسف أن يغفل البعض عن ألاعيب السياسة القذرة، ويتناغم مع الدعوات الطائفية، ويقبل أن يكون أداة من أدواتها.

ونحن نعلم أنَّ الدعوة للوحدة الإسلامية والوطنية موجعة للحكومات الظالمة ومفشلة لأهدافها الخبيثة - إذا دعوت للوحدة آذتك الحكومة التي تريد تفريق الشعب، وألّبت عليك الأقلام، والألسن -، والدعاة لهذه الوحدة من أبغظ من يكونوا لهذه الحكومات، وهم ملاحقون منها بالتشويه والعقوبة، وقلب الحقائق، والكذب، والزيف، والبهتان.

---

١ - خطبة الجمعة (٢٦٩) ٦ محرم الحرام ١٤٢٨هـ ٢٦ يناير ٢٠٠٧م.

وعلينــا أن نؤكـد دائـمًــا على وحدتنــا الإسلاميـة والوطنيـة، وليَغضِب ذلك من يغضب.[١]

الوحدة الوطنيَّة ووحدة الأمَّة

في حلقة حوارية في إذاعة لندن العربية، كان الموضوع هو احتمال المواجهة الساخنة بين أمريكا والحكومات الإسلامية والعربية، وفي كلام لأحد متحاورين من أبناء الخليج، والمتحاورون في مثل هذه المواضيع متخصصون ذوي شأنٍ في الكلمة في العادة، والمتحاور الخليجي ليس من المعارضة.

وكان السؤال: إذا قامت حرب بين أمريكا وإيران، فالخليج مع مَن؟

قـال: يمكن مـن ناحية قلبية، من ناحية الأخلاق والعاطفـة أن يكون موقف الخليج مـع إيران، لكن من ناحيـة فعلية فالموقف مع أمريكا؛ معلّلًا ذلك بأن إيران تحتل (طمب الكبرى، وطمب الصُغرى)!، وكأن أمريكا لا تحتل شبرًا واحدًا من الخليج، هذا مع عدم تدخلنا في مسألة البت في قضية الحدود بين دولة إسلامية وأخرى، وما أكثر الاختلافات الحدودية الجغرافية بين كل دولنا.

وأمـر آخـر احتـجّ به المحـاور الخليجـي هو أن إيـران تعمل علـى التوسّـع الفكري والسياسي في الامتداد العربي.

وهنــا أيضًا نقول أمريـكا ليس لها أي هيمنة فكريـة، وأن أمريكا لا تفرض ثقافتها على البلاد العربية والإسلامية، وليست لها مؤسسات ضخمة في أكثر البلدان الإسلامية تعمـل لصالح الفكر الغربي المادي، وللأيديولوجية الأمريكية، وأمريكا لا تتدخل سياسيًّا في البـلاد العربية وسياستها مطلقًا، وإنما هي دولة ملأ قلبها الرحمة والشفقة على أمَّة الإسلام، وعلى أمَّة العرب، وهي حامية ديارنا والمحافظة على مصالحنا!!

ما أعدى إيران للعرب، وما أكبر إخلاص أمريكا!!

١- خطبة الجمعة (٤٨٣) ٢٧ محرم ١٤٣٣هـ ٢٣ ديسمبر ٢٠١١م- جامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.

(تنويه: هـذه الفقرات كتبناها من التسجيل الصوتي للخطبة؛ حيث إنّه لم نجدها منشورة في الموقع الالكتروني لسماحته).

كـذَّب اللهُ ظنَّ هذا المحاور العربي، وجعل حكام بلداننـا العربية والخليجية تعرف واجبها الديني لو نشبت حرب بين أمريكا وبين أي بلد من بلدان الإسلام.

إنــه قد رمى حــكَّام المنطقة بما لا يليق من وقوفها الوقوف المكشوف مع أمريكا ضد بلد إسلامي.

لسـت هنا محلِّلًا سياسيًّا، ولا ناقدًا، وإنما أنا أضع أمامك صورة من صور التدهور في الوضـع العام الإسلامي، ومـا آل إليه تمزق الأمَّة، وأن المسلم يقاتل أخاه المسلم تحت راية أمريكا.

فنحـن نحتـاج إلى الوحدة، نحتـاج إلى نـداء الوحدة، نحتـاج إلى شعـار الوحدة الصادق، نحتاج إلى عمل جاد دؤوب على طريق الوحدة.[1]

التَّوازن بين هموم الأمَّة والهموم الدَّاخليَّة لأقطار الأمَّة

الأمَّـة المسلمـة أمَّة واحدة في آلامها وجراحاتها، وكلهـا مسؤولة عن إقامة القسط، وإشادة العدل في داخلها، وفي العالم ما وسعها الأمر ووجدت إلى ذلك سبيلا.

وهي مسؤولة عن حماية حدودها الفكرية والجغرافية ومصالحها، وعن رد العدوان الأجنبي عن كل شبر من أرضها، وعن كل شعب من شعوبها.

وإذا كان لـكل قِطر مـن أقطار الأمَّة اليوم مشكلاتـه ومعاناته الداخلية، وخلافات بين أبنائه والنظام الذي يحكمه، فهذا لا يسقط الواجب العامّ المتعلّق بحماية الأمَّة، وكل أبنائها من بطش الأجنبي، وإرهابه، وعدوانه.

في الوقـت الـذي لا ينسى فيه - أي قِطـر من الأقطار - همومـه الداخلية التي هي مـن همـوم الأمَّة، ويجب على الأمَّة أن تشاركه فيهـا، ولا يتوانى عن السعي الدؤوب لحلّ مشكلاته الخاصة، وتحسـين أوضاعه وأوضاعه، لأنه الأولى بذلك، ولن ينيب أحدًا عنه في هذا الأمر، ويكون السَّابق له.

١- خطبة الجمعة (٢٦٩) ٦ محرم الحرام ١٤٢٨هـ، ٢٦ يناير ٢٠٠٧م.

إنّه لا يسع أي قطر في الأمّة أن ينسى نفسه وهمومه ومشكلاته؛ لتتفقّد بدرجة أكبر، وتتأزم كل أوضاعه بصورة أشد.

وليس طبيعيًّا أبدًا، ولا معقولًا أن يُسكت على خراب البيت الداخلي، وتبعثر أوضاعه، وسيادة الظلم والفساد كل أجوائه بحجة الاشتغال بالقضايا العامة للأمّة، فيما عدا ظروف استثنائية جدًّا يتعرض فيها الكيان العام للأمّة - مثلًا - للإلغاء والمحق.

والمسألة في مثل هذه الظروف تكون مسألة استثنائية، وينسى كل بيت صغير، وكل بيت كبير همومه الخاصة، وتكون هبّة قوية لدرء الخطر العام عن كيان الأمّة.

وهذه ظروف خاصة واستثنائية جدًّا.

وليس طبيعيًّا أبدًا، ولا معقولًا أن تقهقه الشوارع العربية والإسلامية، وتسبت مؤسسات المجتمع الأهلي للأمّة وأهل غزّة يُحاصرون، وتغلق عليهم كل المنافذ، وتُمنَع عنهم إمدادات الحياة، ويكتب عليهم العدو الإسرائيلي الموت الجماعي المتسارع.

إنَّ الأمّة بكاملها؛ لتعيش مسؤولية مشتركة أمام الله سبحانه، ثمَّ التأريخ لو بقيت متفرّجة على الوضع المأساوي للإخوة المسلمين في فلسطين عامة، وغزّة خاصة.

فإذا كان تفجر الغضب الشعبي للأمّة كلّها ضروريًّا أو نافعًا في رفع الحصار، وتخفيف الأزمة هناك؛ ليتوقف الموت السريع والجماعي للإخوة في الإسلام هناك كان لا بدَّ أن يحدث ذلك وبصورة قادرة على التأثير.[1]

ضرورة كبرى

ضرورة التآخي الإيماني العام في الظروف الحالية العصيبة، التي تواجه المؤمنين في العالم، وتنزل بمجتمعاتهم وجماعاتهم الضربات القاصمة، فأمامنا ظروف الأفغان، والشيشان، والعراق كأمثلة من أمثلة المحنة الإسلامية العامة، وضرورة التآخي الخاص على مستوى القطر والمدينة والقرية والمحلّة، فإن التآزر والتعاضد بين المؤمنين معيشيًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا، وعلى كل المستويات لهو من أكبر الضرورات وخاصة في مثل الظروف

١- خطبة الجمعة (٣٠٩) ١٦ محرم الحرام ١٤٢٩هـ ٢٥ يناير ٢٠٠٨م.

الحالية التي يواجه الإسلام والمسلمون فيها الهجمة الشرسة المنظمة، المستمرة المدعومة بالتخطيط والرصيد المالي الضخم.[١]

وحدة الهمّ الدِّينيّ

السياسة في كل البلدان لها حساسيتها الخاصة، والتي قد تبلغ حدَّ الإفراط المزعج أحيانًا.

ولا بدَّ من مراعاة هذه الحساسية، ولكن بالمقدار الذي لا يهدم الفهم، والحس الديني، ولا يخنقه، ولا يلغي أحكام الشريعة.

ولا يصح أن نفرض على الدين أن يعيش حالة التجزئة الجغرافية والسياسية التي تفرض نفسها على واقع الأمَّة.

فعلينا أن لا نقسّم الأمَّة في وجودها ووعيها وهمها، وفرحها، وحزنها الديني بقدر أوطاننا الجغرافية والسياسية، وأن نعيش من الناحية الدينية البعثرة التي نعيشها في البعد السياسي نفسه.[٢]

وما يعرفه المسلمون من الإسلام أنه قد أمر بالتعاون على البرّ والتقوى، ونهى عن التعاون على الإثم والعدوان، يقول الكتاب الكريم في سياق خطابه للذين آمنوا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[٣]

وكلُّ مشروع يُقسِّم المسلمين إلى قسمين في الوطن الواحد والأرض الواحدة؛ ليثير هذا ضدّ ذاك، ومن أجل الكيد به وإضعافه، ومناهضة حقّه، ولتهميشه، والنيل منه وإقصائه بظلم، فإنّما هو من التعاون على الإثم والعدوان الذي لا ينبغي لمؤمن أن يأخذ به.[٤]

١- خطبة الجمعة (٣٥) بتاريخ ١٤ رمضان ١٤٢٢هـ ٣٠ نوفمبر ٢٠٠١م.

٢- خطبة الجمعة (١٩٠) ٣٠ محرم الحرام ١٤٢٦هـ ١١ مارس ٢٠٠٥م.

٣- المائدة: ٢.

٤- خطبة الجمعة (٣٨٩) ٢٤ ذو القعدة ١٤٣٠هـ، ١٣ نوفمبر ٢٠٠٩م.

مقولة: «عدم التَّدخُّل في الشُّؤون الدَّاخليَّة»

إن شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية الذي أخذت به الأمَّة رسميًا، والقاضي بتفرج الدول الإسلامية كلها على عذابات أي شعب من شعوب الأمَّة، ويتيح لأي حكومة أن تمارس أقسى أنواع الظلم في حق شعبها من دون أن تحرك الأمَّة شعوبًا وحكومات ساكنًا في سبيل تخليص المظلوم، والتخفيف عنه.

شعار لا ينسجم مع الإسلام نهائيًا، وهو شعار توافقت عليه دول العالم طوعًا أم كرهًا كما قد يكون الحال عند بعضها، قهرًا للشعوب، وتصالحًا بين الحكومات بأن يسكت كلٌّ على ما يمارسه الآخر في حق شعبه من ظلم واضطهاد.

ولو التزمت الأمَّة خط الشريعة المقدسة لما عُلِّقت الآية الكريمة محلُّ الحديث، وآياتٌ عديدةٌ أخرى تحرِّم على الأمَّة أن يعذب شعب مسلم من شعوبها بشتى ألوان العذاب لعشرات السنين، وتقتل رجالاته، وتشرِّد الملايين من أبنائه، ويحارب في دينه، وتداس أعراضه، ويقبر أبناؤه في السجون، وتسلب لقمته.

وكل هذا يحدث على مرأى ومسمع من الأمَّة؛ لتواجه هذه المآسي والمظالم بشعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

لكن عندما تمس حكومة مرضي عليها من الكبار تأتي قاعدة أخرى، هي قاعدة انتهاك الحدود المحترمة، وعندئذٍ تجتمع الدنيا؛ لترد العدوان والمعتدي إلى جحره؛ ليعود فيمارس دوره الطاغوتي في أرضه، وداخل حدوده فتحيا القاعدة الأولى من جديد، قاعدة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

وها قد اقتضت المصلحة الأمريكية عند فريق من الساسة الأمريكيين التدخل في الشؤون الداخلية للعراق، فجاء الكلام عن ديكتاتورية الحكومة العراقية، وانعدام الديمقراطية، واضطهاد الشعب العراقي، ومشرديه، وسجنائه، وقتلاه.

وجاء الكلام عن تهديد دول الجوار، وأن أمريكا لا بدَّ أن تُنصفها، وتؤمِّن لها حدودها وإن كانت دول الجوار هي مَن شنَّ الحرب على العراق أخوف على حدودها، وعلى كياناتها من بقاء الوضع على ما هو عليه.

متى تملك هذه الأمّة زمام أمرها؟!

هـذه الأمّة علـى فُرقتها التي تعيشها هذا العصر، وتعدد دولها إلى حد الإفراط، لو ملكت أمرها بعض الشيئ واعتزّت بشخصيتها، وأمرت بالمعروف، ونهت عن المنكر رسميًّا في الدائرة العامة لدولها، واعتمدت محكمة إسلامية تحكم في خصومات حكوماتها فيما بينها نفسهـا؛ وفيما بينها وبين شعوبها لكُفيت كثيرًا مـن المخاطر، والخسائر الفادحة، والحـروب الداخليـة ذلك حين تكون مع المظلوم على الظـالم، وترد صاحب العدوان عن عدوانـه، إذ اعتمـاد موقـف من هذا النوع لمرة واحـدة يعدّ رادعًا كبيرًا جـدًّا عن تكرار العدوان.(١)

معركة واحدة ضدّ أمّة واحدة

إنّ المسلـم أخُ المسلم لا يخذله، ولا يُسلمـه، ولا يتفرّج على مأساته وظلم الأعداء له وسحقه وإذلاله.

١- ولكن أين الدول التي تملك إرادتَها أمام كبار المستكبرين في العالم؟!

وكم هي الدول التي تعترف بانقسام الأمور إلى معروف ومنكر؟!

وأي الدول التي تسعى لوجود محكمة سندها قوة الأمّة؛ لتنتصف لشعوبها منها؟!

وكم تتصورون الدول العربية والإسلامية التي لا يُرضيها شنّ حرب مدمرة على العراق رعاية للأخلاق، وغيرة على القِيم بعيدًا عن حساب الربح والخسارة بميزان المصالح السياسية البحتة؟

أمّا غير هذه الدول، فلسفتها النفعية الواقعيّةُ معلنة، وتمثل قاعدتها الرئيسة والأساس في الحياة.

نحن في هذا العالم صدّقت أو لم تصدّق.

عالم هَدْمَ القِيم، ويهدم غيابُها بناءَه على رأسه، وعن مناسبة عيد الميلاد للنبي عيسى (على نبينا وآله وعليه وجميع أنبياء الله ورسله أفضل السلام) نؤكد إيماننا بأنه يوم رحمة لهذا العالم، وأنّ عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله الصادق الأمين، وقد جاء هدى للناس ودالًا لهم على طريق ربه.

ولـو اتبع نصارى العالم إنجيل عيسى عليه السلام غير محرّف ولا مكذوب عليه لالتقوا مع المسلمين في طريق واحد، ولا أقل من أن يكونوا دعاة أخلاق ودين وسلام وصحبة وتعاون على الخير حقًا في هذا العالم، ولا يضعوا يدهم في أيدي المستكبرين أعداء عيسى، وموسى، ومحمد، وجميع رسل الله عليهم السلام أجمعين.

وإيمـان عـدد في الغـرب، وفي أنحاء العـالم بالنبي عيسى عليه السلام على ما في هذا الإيمان من شرك وكثير مـن البعد عن ملامسة الواقع؛ يخفف من غلواء الشر في الأرض.

ونحـن فرحـون جـدًّا بـيوم المولد الشـريف لهذا الرسـول الكريم، وبيـوم أي مولد لنبي من أنبياء الله، ورسـول من رسله (سلام الله عليهم أجمعين)، ونبارك للعالم المؤمن كله هذه المناسبة.

إنهـم يعلّمون الأمّة بأن موقف الخذلان للإسـلام وللمجاهدين الغيارى موقفٌ غير إسلامي لا يستقيم مع القرآن والسنة على الإطلاق.

المسلم لا يخذل أخاه المسلم شيعيًّا كان أوم سنّيًّا، عربيًّا كان، أم تركيًّا، أم فارسيًّا، أم من أيِّ قومية أخرى.

إن آلام المعركـة ومتاعبهـا وخسائرها يُقدِمُ المسلم الحـقُّ مختارًا على تقاسمها مع أخيه المسلم وإن وسعه جدًّا من ناحية عملية أن ينأى بنفسه عنها، وإنْ وقف كل الآخرين منها موقف المتفرّج كما عليه وضع الكثير الأكثر من أنظمة الأمّة في معركة اليوم.

إن أتبـاع مدرسـة أهـل البيت عليهم السلام ليسـوا كفّارًا - كمـا يُخطئ البعضُ القولَ -؛ ليحاربـوا المسلمـين، ويحاربهم المسلمـون، وإنما هم مسلمون بصـدقٍ وحقٍّ، وفي مقدّمة المسلمـين الذين لا يصـبرون على إراقة الدم المسلم الحرام ظلمًـا في أي مكان، ولا على سلب شبر من الأرض الإسلامية، ويبذلـون كل الجهد في حماية الإنسان المسلم، وأرض الإسـلام ومقدَّساتـه، ولا يُفرِّقون في الذود عن المسلمين بين سنـيٍّ وشيعيٍّ، وعن الأرض الإسلامية بين أرض وأرض، وبلدٍ وآخر.

إن أنهـار الدمـاء الزكيـة المسلمة التي تدفّقـت وتتدفق في أرض العـراق ظُلمًا كان الصحيـح أن يُحتفـظ بهـا؛ لمواجهة أعـداء الله والإنسانيـة والأمّة من مثـل الصهاينة المستكبـين المستهتريـن، وأنهـا لجاهليـة حمقاء تلـك التي تستهـدف النفسَ المسلمة المصونـة، والدم المسلم الحـرام في العراق، والمستضعفين هناك من شيب وولدان ونساء ورجال أبريـاء.

إن علـى الأنظمة في بـلاد الإسلام ألا تُغرِق الشعوب المسلمـة في المشاكل الداخلية، وتصـرف همَّها عن معركتها المصيرية مع أعداء الله وأعـداء الإنسانية في الأرض، وأن لا تضع عليهـا مِن تخلّف الأوضاع، ومن الأوضاع الإرهابيـة الرسميّة والقوانين الجائرة قيدًا يعيقها عن مواجهة أعداء الأمّة وناهبي أرضها، والعابثين بدم وأمن وكرامة وعيش الشعب المسلم في فلسطين.

إن نصرة حـزب الله لإخوانه المجاهدين في فلسطين ليست بالتصفيق والمجاملات

والابتسامــات المخادعــة، إنها نصرة بالدم القــاني، والأرواح الغاليــة، والنفوس المؤمنة الزكية، وشهداء المجد والإباء والشموخ والإيمان والكرامة.

الآن وقد اصطفّت كل قوى الشر والطغيان والاستكبار في العالم ضدّ أمّتنا ووجودنا، والأرضُ تلتهب تحت أقدام المجاهدين في لبنان وفلسطين، ويُمطر الآمنون بالنار، وتدكّ البيـوت علـى رؤوس أهلها المؤمنين، وتشـرّد الأفواج مـن ديارهم، وتُقطّـع بهم السبل، ويُلاحقهم الموت والدمار أينما وطأت لهم قدم.

كيـف يسـوغ لمسلم في أي موقع من المواقع، ولأي دولة مـن الدول الإسلامية أن تعين الكفـر والظلم والعـدوان بكلمات هي أشد ضـررًا وفتكًا بالإسـلام والمسلمين من نيران الأعداء ومن قنابلهم؟!

ومن الكتّاب المسلمين في الساحة الإسلامية مَن يخاف على أمّة الإسلام، ووحدتها، وأمنهـا، ودينهـا، ومصالحهـا في معركـة من معـارك المصـير التي تخوضهـا المقاومة في لبنـان، وفي فلسطـين على يد حـزب الله وحماس ضـدّ العدو الصهيـوني وغطرسته الجاهليـة، ويندد بهمـا انتصارًا لإسرائيل التـي تؤمّن كلّ العز والمجـد والرخاء والأمن والاستقلال والكرامة للإسلام والمسلمين.

إسرائيل تؤمّن كل ذلك، والخوف على كل ذلك من حماس وحزب الله في نظر هؤلاء الكتّاب؟!

ومـا أصدق تعبـير هؤلاء الكتّاب عن ضمـير الأمّة التي لا يخدعهـا شيئ عن عِداء إسرائيـل الدفـين لها، ومـا أنطقَها من لغة بوعـي الأمّة الرافض لهذه الأفـكار السوداء القاتمة المسمومة، والمشاعر السقيمة، والأصوات النشاز البغيضة؟!

ممَّ خوف هؤلاء الكتاب؟

ومَن وراءهم؟

خوفهـم عندي وعندك، وعند كل الواعين مـن الإسلام شيعيه وسنيه، من الإسلام بكل قومية من قوميات أبنائه لا فرق بين عربٍ وفرسٍ وترك وغيرهم.

إنه الخوف حقًا من الإسلام.

خوفهم لا من الإسلام الشيعي فحسب، فحماس وهي مخوفة منهم ليست شيعيّة.

إنهم يعادون حماس كما يعادون حزب الله، وحماس ليست شيعية، وحماس كذلك لا تُتّهم بأنها ستُمكّن للفرس على حساب العرب، فليس من عاقل يذهب إلى أن الحس الفارسي في قلوب أبناء حماس قد طغى على الحس العربي، وأن انتصارهم سيكون للفرس على حساب العرب، فلِمَ تُبغض حماس، ولمَ تُحارب حماس، وتُحاصر حماس، وتُعان أمريكا وإسرائيل على حماس، وهي السنية العربية؟!

وهل أمريكا وإسرائيل قد أصبحتا متسنّنتين ونحن لا ندري؟!

وهل أمريكا وإسرائيل قد أصبحتا عربيتين؛ ليقف معهما العرب ضد الفرس، وضد الشيعة؟!

وحتّى ضد حماس السنية العربية؟!

وهل تكتفي كل من أمريكا وإسرائيل بما هو أقل من السّيطرة التّامة على البلاد السُّنِّيَّة العربيَّة، وأن تكون لهما الكلمة العليا، والمصلحة الأولى؟!

يُخاف من استعمار إسلامي؟!

ومن امتداد سياسي إسلامي؟!

ويُؤمن للامتداد الأمريكي والإسرائيلي؟!

بأي لغة إسلامية نتحدّث؟!

يا كتّاب، من هذا النّوع ممّن تتواجدون في السّاحة الإسلاميَّة هنا وهناك؟!

إنّها العمالة، وإنها المهزلة، وإنها السخرية بالأمّة، وإنه الاستغفال للجماهير بالتخويف من التشيّع، والتخويف من الفرس.

أخوفٌ من الشيعة، ومحاربة لهم وهم المسلمون والعرب، وهم الأقلّية في مجموع البلاد الإسلامية؟!

واطمئنان ونصرة لأمريكا وإسرائيل، وارتماءً في أحضانهما، ووقوف معهما في خندق واحد، وأمريكا وإسرائيل ليستا مسلمتين، ولا عربيتين، وهما القوتان الباطشتان في الأرض والتي حق أن يُخاف منهما؟!

لقد حزن المسلمون الأوائل، وقلقوا كثيرًا؛ لانتصار الفرس يوم أن كانوا يعبدون النار على الروم، لأنهم أهل دين سماوي حتى طمأنهم الله بأن أهل الدين سينتصرون، فما لكم أيها المسلمون تفرحون بانتصار الكفر، وتمدّون الكفر بأسباب النصر، وتقفون في مؤامرة مشتركة ضدّ المسلمين؟!

لئن كان الشيعة في نظركم ليسوا مسلمين خالصين، فهل إسرائيل وأمريكا أقرب إلى الإسلام وأصدق إسلامًا؟!

الصحابة الذين تحتجّون بسيرتهم كانوا قد حزنوا لانتصار مَن لا دين له على من كان له أصل دين سماوي؟!

عجباه!!!

يطلع عالم من علماء الإسلام على الأمّة؛ ليقول: بأنَّ حتى الدعاء لحزب الله حرام!!

من أين هذا الفهم؟!

طائفة من كتّابنا وسياسيّينا المسلمين تفرح؛ لانتصار الطاغوتية الأمريكية والصهيونية الحاقدة على المسلمين بحجة أنهم شيعة، وأنهم من مذهب واحد مع الفرس، وهو شعار لخداع الجماهير المسلمة السنيّة، شعار للخداع فقط، ولتنفصل جماهير من المسلمين عن معركة الأمّة في اليوم الحاسم، وتُعطي الفرصة سانحة لانتصار أمريكا وإسرائيل.

أقول: إنه خداع، لأن حماس سنية عربية، ويكره هؤلاء كلهم انتصارها في قبال إسرائيل وأمريكا، ولئن الفرس ليسوا كلهم شيعة، ولو كان حزب الله لا صلة له بإيران

أبدًا وكان على إسلامه ومبدئيته بقي بُغضه مكينًا في نفوس هؤلاء، ولن تشفع له عروبيته عند مَن لا يريدون الإسلام، ويخافون من أيام الإسلام.

ولا نخطئ، ولا ننسى، فإنَّ الشَّريحة الواسعة من المسلمين السنة الحق الذين تخفق قلوبهم بحب الإسلام، ويتطلّعون إلى نصرته، ويعادون أعداءه، ويحبّون أحباءه ليقفون مع حزب الله، ومع حماس.

منهم السياسيون غير المرتبطين بالسياسة الرسميَّة، ومنهم الكتّاب، ومنهم الطلاب، ومنهم الجماهير الأخرى من أبناء الأمَّة.

إننا لا نشكو من الإخوة السنة، إنما نشكو من سنيٍّ عميل، ومن شيعيّ عميل.

نشكو من سنيٍّ ساذج، ومن شيعي ساذج.

نشكو من سنيٍّ لم يقرأ الإسلام القراءة الصحيحة، ومن شيعي لم يقرأ الإسلام القراءة الصحيحة.

من سني يفرح لآلام الشيعة على يد الكفّار، ومن شيعي يفرح لآلام السنة على يد الكفّار.

نشكو من شيعي لا ينصر أخاه السني في إسلامه، ومن سنيّ لا ينصر أخاه الشيعي في إسلامه.

إنها معركة واحدة، وعلى الأمَّة أن تتوحد في هذه المعركة، وتبذل كل ما في وسعها، وتقف بالكلمة، وبالمال، وبأي جهدٍ قلّ أو كثُر مع حماس، مع حزب الله، مع القيادة المؤمنة.[١]

١- خطبة الجمعة رقم (٢٥١) ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ ٢١ يوليو ٢٠٠٦م.

الباب الرَّابع

الأمَّة وواقعها المعاصر

توصيف الوضع الأمنيّ والسِّياسي المعاصر

أما بعد، فإن فارق ما بين أمس الأمَّة الإسلامية ويومها كفارق ما بين السماء والأرض.

أمَّة كان يُخطب ودُّها بالأمس وتُهاب، وتتقدم الأمم على كل طرق البناء والتقدم والعز والمجد والكرامة، وها هي اليوم في مجال الأمن والسياسة من أسوأ الأمم، وما هي بأحسن حالًا في المجالات الأخرى.

وهذا من وصف وضعنا الأمني والسياسي - فعلًا -:

١- ما من بلد من البلدان الإسلامية - فعلًا - حتى لو لم يكن نظامها نظامًا عميلًا إلا وهي محكومة ولو جزئيًا لإرادة هذا الأجنبي أو ذاك ولو من خلال بعض العملاء.

٢- نحن في مخاض مرحلة جديدة لحكم الأمَّة بكاملها، وبصورة تامة لا جزئية بالإرادة الأمريكية، وعن طريق حكوماتٍ من تنصيب أمريكا بصراحة وقحة.

وقد بدأ تدشين هذه المرحلة السيئة بأفغانستان، ويراد تطبيقها فعلًا في فلسطين، ومعه العراق؛ لتستمر العملية التطبيقية لهذا الطرح حتى آخر بلد إسلامي.

وكل البلاد الإسلامية مخيَّرة بين حكومات محلية تعمل كوكيل كامل، وبتنصيب أو موافقةٍ من أمريكا؛ لضمان المصالح الأمريكية، وتنفيذ سياسة البيت الأبيض في استكمال المخطط الإرهابي الخطير ضد أمتنا، وبين حرب طاحنة مدمِّرة.

ولمّا كان العراق هو المرشح هذه المرة؛ للاستيلاء الكامل عليه، فقد أعلنت بعض الأنظمة موافقتها على الاشتراك والتعاون؛ من أجل تسهيل المهمة الأمريكية في هذا البلد، والباقي قد يكون في الطريق.

ولماذا لا وأمريكا تضع هذه التعاون شرطًا للبقاء في الحكم وسلامة الحدود؟!

ولتُعذَر هذه الأنظمة، لأنها أضعفُ من أن تقاوم الإرادة الأمريكية والشرّ الأمريكي، ولكن من أين جاء هذا؟

أليس من التخلي عن الإسلام؟

من الانفصال عن الشعوب؟

من تمزق الأنظمة نفسها؟

من التمكين التدريجي للتدخل الأمريكي الأجنبي عمومًا؟

أليس من الاتكاء على الدعم الخارجي في مواجهة الشعوب؟

من شعور بعض الشعوب بعداوة الحكم لها حتى صارت تعادي الحكم، وتتمنى زواله بأي صورة من الصور، من باب عليَّ وعلى أعدائي؟!

وها هي الحرب مشتعلة في أكثر من موقع، ويمتد اشتعالها على أمَّة صامتة بعضها موقَّعٌ ابتداء على ذبح الأمَّة، وإنهائها.

وآخر مستسلم في الطريق، وشعوب كالشعب العراقي - كان الله في عونه - بين نارين لا رمضاء ونار، لا يدري من أيهما يهرب - لو كان له الخَيار -، وإلى أيِّهما يصير.

٣- يحكم الكفر العالمي على كل البلاد الإسلامية بعدم العودة إلى الإسلام، وبعدم التمتع بالحرية السياسية على النمط الغربي، حيث يتعارض كل من الفرضين مع إحكام القبضة السياسية الأجنبية على الشعوب ومصالحها قطعًا على الفرض الأول، واحتمالًا على الفرض الثاني بسبب عدم الانفصال الكامل عن الإسلام من أبناء الأمَّة.

وكأنه - أي الكفر - يَمنع على أي حكومة إلا أن تستخف بشعبها، دون أن تتعامل معه تعاملًا إنسانيًّا كريمًا؛ لتنال احترامه، ودعمه، والتفافه، وتقوى به، ويقوى بها.

٤- كل ما تملكه الأنظمة الرئيسة في الأمَّة إذا جدَّ جدُّها، وبلغ السيل الزبى، واشتد الخناق على الأمَّة بما يخيف تلك الأنظمة على نفسها أن تذهب بالمشكلة إلى الأمم

المتحـدة ومجلس الأمـن، والنتيجة هي الاتفاق أو الاختلاف بين أهـل حق تعطيل القرار على قسمة بلاد الأمَّة، وثرواتها، ومراكز نفوذها!

الأمَّـة بهذه الصورة الكئيبة والوجـود المهلهل المهدّد هي الامتـداد السيئ لأمَّة قال عنهـا ربُّها العظيـم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، وخير أمَّة لا بدَّ لها من التوفر على كلّ مقوِّمات الصلاح الذاتي: سلامة في الرؤيـة، وسموًا في الهدف، وصحة في المنهج، وجـدًّا في العمل، وضخامة في الوظيفة، وبعـدًا في الطموح، وعدلًا في الحكـم، واستقامة في الخلق، وتقدّمًـا في العلم، وصبرًا في الجهاد، والتفافًا بالحق.

ولـولا مـا كان لها من ذلك مجتمعًا في نصابه الكافي بصفـة كونها أمَّة لما استحقت شرف هذا الوصف الناظر إلى إيمانها على مستوى العقيدة والعمل.

أمَّـة كبيرة عملاقة رائدة تملك مخزونًا لا ينفذ، يعطي للتقدم الحضاري على طول الخط حاجته، ويتقدم الزمان والمكان أبدًا.

ومـا كانت أمَّة الإسـلام؛ لتحظى بهذا الوسام الكبير مـن ربّ العباد لو كان أمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر لا عن ائتمار منها للمعروف، وانتهاء عن المنكر أولًا، ولو كان إيمانها بالله سبحانه إيمانًا ميتًا لا حركة له، ولا نبض في عالم الأوضاع والحياة.

وإن مـا بنى أمَّة الإسلام في ظل قيادة الرسـول صلى الله عليه وآله هـادية مهدية، نشطة قوية، عادلة قويمة، متقدمة على طريق الخير سباقة هو أمور أربعة:

١- الإيمان، وهو لتصحيح الإنسان من الداخل.

٢- المنهـج الإيمـاني الـذي ينظم الحيـاة، ويقدم كل الحلـول العملية وهـو لعدالة العلاقات، وإثراء حركة الخارج، وربطها بالعلم والقِيم النبيلة.

---

١ - آل عمران: ١١٠.

٣- الحكومةُ الأمينة حقًّا على المنهج الرباني، القِيمة صدقًا على تطبيقه.

٤- المجتمعُ الرسالي الذي يمارس الرقابة الاجتماعية، ويحرس النظام، ويلاحق الأخطاء والتجاوزات ما ظهر منها من كل المستويات في محيط الفرد والجماعة، بالتصحيح والتقويم والرد إلى المنهج، وهو ما يعبر عنه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يمثّل رقابة اجتماعية عامة شاملة.

والإيمانُ قد خفَّ؛ لما انتشر وخطِّط له طويلًا وكثيرًا من الضلال.

والمنهجُ الحياتي القائم على الإيمان قد حلَّت محله أطروحات من غرب وشرق صنعتها جاهليَّة الإنسان.

والحكومة الأمينة على منهج الله، المنفِّذة لأحكامه، الذائدة عن حماه صارت مكانها حكومات وحكومات تطارد شرع الله، وتُجرِّم مَن ينادي به.

ورقابةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد توارت لما امتلأ به الدرب من ألوان التحديات، واعتلى بدل ذلك صوت المنكر يطالب في صحافة المسلمين، وعبر كل قنوات الإيصال السمعي والبصري بالصيغة الجاهلية لكل الحياة، وحتَّى مساحة الأحوال الشخصية التي لا زالت الشريعة تحافظ على طهرها بمقدار، وتنأى بها عن الفحشاء والسفاح.

هذا هو الوضع!

واقع الأمَّة والابتعاد عن المواثيق الإلهيَّة

هناك مواثيق مع أمم أُرسل إليهم رسل، وكانت هذه المواثيق واصلة على يد الرسل ومن خلال الكتب، وهي تختلف عن ميثاق الفطرة، وإن كانت متجهة اتجاهه ومؤكدة له: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾[1]، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا

١- المائدة: ١٣.

نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾[١]، والقرآن الكريم هو ميثاق بين الله ﷻ وبين هذه الأمّة، فابتعادنا عن كتاب الله شبرًا يعني نسيان الميثاق، تخلينا عن مفاهيم كتاب الله، عن أهداف كتاب الله، عن منهج الله سبحانه وتعالى يعني نسيانًا منًّا للعهد مع الله ﷻ.

ألم نكن - وقد قبلنا الإسلام، قد قبلنا القرآن؟!، ألم نكن وقد دخلنا الإسلام، قد قبلنا قيادة رسول الله ﷺ وكل كلمة أتت على لسانه الشريف؟!، نحن في عهد مع الله - على أن نقيم حياة قرآنية في الأرض، على أن نتخذ رسول الله ﷺ والقيادة من سنخه قيادة لنا دون أي قيادة، هذا عهد يعطيه المسلم لله سبحانه وتعالى حين يقول: أشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وما أكثر ما ننسى هذا العهد في علاقتنا مع أنفسنا، مع ربنا، مع أسرنا، مع مجتمعنا، مع كل محيط الحياة، مع النملة، مع النبتة، مع أي شيئ آخر.

كل مخالفة، وكل ميل عن كتاب الله ﷻ وتعاليمه يعني نسيانًا عمليًا لهذا العهد، وتخليًا واقعيًا عن هذا الميثاق.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾[٢] لا النسيان العلمي، ولا النسيان العملي.

رسول الله ﷺ ضمن له ربه سبحانه وتعالى أن لا ينسى القرآن على مستوى العلم، وأن لا ينسى القرآن على مستوى الذِّكر في مقام الشعور، وفي مقام العمل، في المواقف السهلة، وفي المواقف الصعبة، حين تكون الدنيا معه، وحين تكون الدنيا ضدّه.

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾[٣]، فهناك مواثيق وعهود تُنسى، وهناك كتب تنسى، كتب الله تنسى، ومواثيق الله وعهوده تنسى، وكل هذا النسيان يؤثر كارثة في حياة الإنسان، والكارثة الأكبر أن يخسر آخرته.[٤]

١- المائدة: ١٤.

٢- الأعلى: ٦.

٣- طه: ١٢٦.

٤- خطبة الجمعة ١٥٤ ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٥هـ ١٤ مايو ٢٠٠٤م.

لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلتموه![1]

كلمة كانت تقال على لسان رسول الله ﷺ بأكثر من تعبير للمسلمين في علاقتهم مع النصارى واليهود.

دخول جحر الضب من شخص، من مجتمع، من أمَّة ماذا يمثل؟

فقدٌ للعقل، سفاهة، قصور في النظر، فساد في الشعور، ضلالة تامة.

أمَّة بكاملها تدخل جحر ضب؟!

شخص واحد يدخل جحر ضب على ضيقه واختناقه.

خيارٌ سفيه، خيار مجانين، لكن هذه الأمَّة حسب الكلمات الواردة عن رسول الله ﷺ تدخل جحر الضب حيث يدخله اليهود والنصارى.

النصارى واليهود يدخلون جحر الضب من خلال الاقتصاد الجاهلي، ومن خلال السياسة الجاهلية، ومن خلال التدهور الخلقي، ومن خلال زواج المرأة بالمرأة، والرجل بالرجل، ومن خلال كل المنكرات متخلين عن منهج الله المنهج اللاحب.

اليهود والنصارى يدخلون الجحر بسفههم، وبضلالتهم ابتداءً، والأمَّة الإسلامية في الكثير منها تدخل جحر الضب متابعة، فهي ترتكب خطأين:

الخطأ الأول: السفه الذي تشارك فيه الأمم الأخرى، والضلالة التي تغرق مع الأمم الأخرى فيها.

الخطأ الثاني: إن هناك تنازلًا عن الشخصية، عن الهُوية، انسلاخًا عن الذات الحضارية، نسيان قيمة الذات، التبعية الهزيلة، الاستخفاف بالنفس، الدونية في الشعور بالقِيمة الذاتية لهذه الأمَّة، الانبهار المجنون، السقوط أمام الآخر، الحكم على النفس بالدونية أمام الآخر، وأي آخر ذاك؟

١- قال ﷺ يومًا لأصحابه: «لتسلكن سنن الذين من قبلكم، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، حتى لو أنَّ أحدهم دخل حجر ضب لدخلتموه». عوالئ اللئالئ ١/٣١٤، ابن أبي جمهور الأحسائي، تقديم: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، سيد الشهداء، قم - إيران.

آخـر ساقـط، سفيـه، ضـال، فاقد للتقديـر الـدقيـق، «لــو دخلـوا جـحر ضبٍّ لدخلتموه».[١]

هل نبقى أمَّة؟

ما فُرض علينا، وما يراد أن يفرض علينا من مقدمات هو الآتي، ونسأل في ظل هذه المقدمات، وفي ظل هذا الواقع المعاش: هل نبقى أمَّة، أم تنتهي أمَّتنا؟

وإذا كان الأمر أن الأمَّة تنتهي في ظل هذا الواقع، فلا بدَّ من تمرّد على هذا الواقع، ومناطحته ونسفه، وإلا فقد اخترنا أن ننتهي، وأن نكون نسيًا منسيًّا.

المقدمـة الأولى: لا سـلاح لِمَـن يقاوم، ويدافع عـن هذه الأمَّة، عـن دينها، وعزّتها وكرامتها، ومصالحها الدنيوية، والسلاح المسموح به هو السلاح باليد الطيّعة، وبالمقدار المحسوب الـذي لا يضـرّ عنـد المفاجآت وهو سـلاح تحت الرقابـة المشـددة، والهيمنة المباشـرة حيث المشرفـون الأمنيون، والمدرَّبون علـى السلاح، والمشغّلون لـه، والمشرفون المباشرون على كمياته ونوعه، وهو سلاح يُلِّح على طلب الخبرة الأجنبية، لمنع الخبرة أن تُملك، وأن تتنامى بيد المسلمين.

المقدمـة الثانيـة: الجامعـات ومنذ بعيـد في خدمة الثقافة الأجنبيـة، وقد خرجت تقريبًا من اليد، وفكرها يناصب الفكر الإسلامي العداء.

والطالـب الـذي يريد أن يستقيـم وهو في الجامعة يجاهد جهادًا مـرًّا؛ من أجل أن تثبت قدمه على الصراط وهو يحاصر بأجواء معادية، وبأجواء صناعة الصنع الخبيث، الصنع المغرّب، الصنع المعادي للأمَّة والإسلام.

المقدمـة الثالثـة: التشريـع الوضعي قد اقتحم في كثير من البـلاد الإسلامية آخر موقـع للتشريع الإلهي من مواقع الحياة الاجتماعيـة في كل أطرها، وهو ما يسمونه خطأً بالأحوال الشخصية.

١- خطبة الجمعة (١٤٣) ٦ محرم ١٤٢٥هـ ٢٧ فبراير ٢٠٠٤م.

المقدمة الرابعة: التحرك الجدي على الأرض؛ لتطبيق الإرادة الأمريكية في فرض مناهج يدّعى أنها دينية، وتربية تسمى إسلامية توافق هوى الغزاة الذين لا يعادون شيئًا كالإسلام.

المقدمة الخامسة: تخريج أفواج جديدة من علماء وأئمة جمعة وجماعة وأساتذة حوزات وقضاة ومرشدين للحج، ولكل الاختصاصات والوظائف الدينية مصنوعين تحت الإشراف الأمريكي، وعلى ضوء مخطط؛ لمسخ الأمَّة وإذهائها.[1]

واقع الأمَّة مؤلم

من المؤلم أن دول العالم تصطرع حول المسألة؛ تصنع تاريخنا، تختلف عليه، تختلف في أدوارها من صناعته، ترسم لنا خريطة مستقبلنا، تتدخل في حاضرنا، أما الدول الإسلامية، فتنتظر وكأنها لا تمتلك أي فعل في الأحداث العالمية من صنع الإنسان، كأنها ليست على وجه الأرض، كأن المسألة لا تعنيها، وكأنها قد أقعد بها العجز إلى الحد الذي يعفيها من أي دور.

أمَّة هي الكسيح من بين الأمم.

مؤلم جدًّا أن يكون هذا فرنسا، والصِّين، وروسيا!

الدول الكبرى، والدول الصغيرة تحاول أن تدخل بجدّ في صياغة هذا الحاضر والمستقبل، أما الأمَّة الإسلامية التي يُخطَّط لحاضرها، ويُخطَّط لمستقبلها على يد عدوها، فهي تنتظر وتتفرّج، وتُسكت جماهيرها أحيانًا عن الكلمة.[2]

أمريكا وإرادة الأمَّة الإسلاميَّة

تقول لنا الحياة والأحداث: بأن لا إرادة مطلقة لغير الله، وأنّ كل المتعملقين والفراعنة ليس لهم أن يقولوا للشيئ كن فيكون كما لله سبحانه، فإرادة المخلوقين تبقى

١- خطبة الجمعة (١١٥) ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ ١٣ يونيو ٢٠٠٣م.

٢- خطبة الجمعة رقم (١٠٢) ١١ محرم الحرام ١٤٢٤هـ ١٤ مارس ٢٠٠٣م.

في أحسن ظروفها محدودة لا تعمل في حرية مطلقة، ومن غير شروط مفروضة من الخارج، فكثيرًا ما تريد أمريكا وغير أمريكا ولكن الطريق ليس مفتوحًا دائمًا أمام ما تريد.

ويظل البحث عندها قائمًا، والمقارنات مستمرة إلى مدة تقصر أو تطول فيما يرتبط بما تريد الإقدام عليه من حيث توفر الشروط، وتأتّي الأسباب، وما يمكن أن يؤول إليه الفعل من ربح أو خسارة من غير أن تكون جازمة في قرارها منذ الخاطرة الأولى للفعل، ولا متأكدة تمامًا في الكثير من مراحل الفعل أحيانًا بما عليه النتيجة.

وما تريده هذه الدولة المسماة بالقوة العظمى في العالم من غزو العراق مثال لما عليه التردد البشري والمحدودية البشرية، وضبابية الرؤية عند البشر، وحاجته للتوسل في طريق غايته بوسائل وأسباب لا يملكها وعليه أن يبحث عنها هنا وهناك، ويتحايل في الحصول عليها، وقد يجبره اجتماع الصغار على خلاف إرادته وكسر قراره على التراجع عما يريد.

وبالفعل، فإن الدول الإسلامية فضلًا عن دول العالم لا تفقد القدرة على إجبار أمريكا بأن تراجع نفسها كثيرًا في الإقدام على تدمير العراق، والاستمرار في شنّ عدوانها على العالم بلدًا فبلدًا إذا اجتمعت على مواجهة القرار الأمريكي، وحتى على عدم التعاون معه.

وعليه، فإن الدول العربية والإسلامية تتحمل قسطًا وافرًا من مسؤولية إنجاح القرار الأمريكي الظالم على الأرض بتدمير البلاد الإسلامية، وأسر الأمّة، وكسر هيبتها، وسقوط الكيانات القائمة واحدًا تلو الآخر؛ لتتخلق فوضى عارمة في العالم العربي والإسلامي، وذلك من خلال ما يعنيه إنكارها الجاد للإرادة الأمريكية الظالمة في هذا الأمر، وعدم إبداء أي لون من التعاون في إنجاح حربها الغازية من سلبية عملية واضحة تفرض نفسها وضغطها على جدية القرار الأمريكي، وفاعليته، وجازميته، والاستمرار عليه لو كان.

الأمّة لم تتحول بالكامل إلى صفر.

إنَّ لها قوى، وعليها أن تعرف قواها، وإن لها وزنًا، وعليها أن تعترف أولًا هي وبالذات بوزنها.

وإن عدم الإنكار على سياسة البطش الأمريكي فضلًا عن دعمها يوقع غدًا حتمًا الداعم والمتفرج تحت طائلة هذه السياسة، وينشر الفوضى في العالم كله، ويأتي على مكتسباته الحضارية فضلًا عن أمنه، واستقراره، وتقدمه.

وإن الحكمة قاضية بتضامن العالم الإسلامي، بل العالم كله في مواجهة أمريكا بالتحذير من سياسية البطش والرعب والغطرسة، والعالم كله مسؤول بأن يمتنع عن دعم هذه السياسة وتشجيعها.

وروح الأنا التي تقف وراء السياسة الأمريكية قد تبتدئ بضرب من تسميه عدوًّا، ولكنها في الأخير لا تعرف أخوَّة، ولا صداقة، ولا وعدًا، ولا عهدًا، ولا يقف أمامها شيئ من ذلك عن تحقيق مطامعها الذاتية المتمددة.

وإن القوة المادية الهائلة بيد أمريكا – وهي محدودة على كل حال ومحكومة لقدر الله – لتغريها بأن تنسى حاجة العالم إلى الأمن والسلام، وأنها هي من هذا العالم الذي لا يتجزأ سلامه وأمانه بعد تقاربه واتصاله، وأن القوة الضاربة لا تُعْفِي منطلقها من الاحتراق بنار الحرب التي تشعلها ملتهبة طاحنة شاملة.

وهل تتذكر أمريكا بأن حرب الأمم تمتد أجيالًا، وتتوقد جمرتها في النفوس على المدى الطويل؛ لتحصد وتدمر وتعاود الاشتعال وتزلزل ما تحت الأقدام، وتقطّع الأواصر البشرية، وتصرف الإنسان؛ لتدمير حياة أخيه الإنسان.

لعل غرور القوة وغطرسة السلاح النووي والأسلحة الفتاكة الأخرى تُنسي أمريكا كل ذلك، ولكن ليس للعالم أن يشارك أمريكا هذا النسيان القاتل.

وهكذا كل مغرور مخمور لا يفيق على الحقيقة إلا بعد فوات الأوان.

ومسكين هو الشعب العراقي الذي لا يريد له المستكبرون أن يخرج من محنة إلا ليدخل في محنة مثلها، ولا يفلت من يد سفاح إلا ليقع تحت قبضة سفاح آخر، ولا ينتهي

امتهانه على يد طاغية إلا ليبتدئ امتهانه على يد طاغية ربما كان أسوأ.

ولكـن متى أشفق المستكبرون على شعب من شعـوب الأرض وهم بين اصطراع على استعبادها، أو اقتسام تضطرهم إليه الظروف لخيراتها؟![١]

القـوَّة مفصولـة عن الحكمة تغرُّ وتضرُّ وتجرُّ إلى الغبـاء، فلو تجاوزت قوة الإنسان كثيرًا مما هي عليه لم يكن إلا كثير البطش، كثير الظلم، مغلوبًا لغروره، مأسورًا لهواه.

هـذا الإنسان يتحمّل درجة من القوّة، يتحمـل درجة من الجمال، يتحمل درجة من الغنى، ولو زاد على هذه الدرجة لأهلكته زيادته، ولقد جاء على لسانهم عليهم السلام ما معناه: إنَّ مِن النَّاس مَن يصلحه الغنى، ومنهم مَن لا يصلحه إلَّا الفقر، وكذلك من النَّاس مَن لا يصلحه إلا الصِّحَّة، ومنهم مَن لا يصلحه إلَّا المرض.

أمريكا قويَّة قوَّة ماديـة، ولا تمتلك الخلفية الحضارية التي تورث الحكمة والتعقّل، وتضع الخطى على طريق الهدى والصلاح.

أمريـكا تنطلق من خلفية الفلسفة البرجماتيـة النفعية الواقعية التي تلخّص الكون والوجود، وكل شيئ في اللذة والمنفعة المادية.

أمريكا وقوَّة العضلات!

فليـس أمـام أمريكا مـن واقع فلسفتهـا، ومن واقـع عدوانيتها، ومـن واقع غزوها الجاهلي إلا الإفراط في استخدام القوة؛ لإسكات الشعب العراقي، والإفراط في استخدام القـوة سيظهرها وحشًا كاسرًا للأرض كل الأرض، للناس كل الناس، ويسقطها حضاريًّا في نظر كل الناس.

فأمريـكا قـد تربح ماديًّا إلى وقـت، ولكنها ستخسـر حضاريًّا ومعنويًّـا على المدى الطويل.

١- خطبة الجمعة (٧٣) ١٥ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ ٢٣ أغسطس٢٠٠٢م.

وإذا كان العالم يتذكر، ومن المؤسف أنّ العالم كثيرًا ما ينسى، فإن هذا العالم لن يصدق أمريكا في يوم من الأيام أنها منقذة للعالم، وبأن لها ديمقراطية تستهدف نشر العدل في الأرض، وتركيز أسس المساواة.(١)

أمريكا وإسرائيل معسكر الشّر بحقّ

إذا كان بوش يرى أن معسكر الشر يعني غير المعسكر الذي يقوده، فالحق الصُّراحُ والذي يتأكد على أرض الواقع يومًا بعد يوم أن ليس هناك جبهة للشر في الأرض أقرب للشيطان من جبهة يقودها بوش وسياسته.

أمريكا وإسرائيل تشنان حربًا ثقافية وأمنية واقتصادية وسياسية على أمّة بكاملها، وفي كل شبر من أرض الإسلام، وفي كل شبر من أرض الله فيها هدى، أو يُرتقب لها أن تكون أرض هدى وصلاح.

إنهما تفسدان الأرض كلها، وتثيران فيها الفساد بدرجة أكبر فأكبر كل يوم بل كل لحظة، وتشنان حربًا عسكرية دموية قذرة وبلا قيم ولا ضوابط، ولا مراعاة لقانون دولي، ولا عرف إنساني في فلسطين والعراق وأفغانستان، وتتهددان كل أرض من أرض الإسلام، وكل الكيان الإسلامي.

الأمّة كلها تشهد ضرب المقدسات، قتل الآمنين، تكسير العظام، ألوان التعذيب، الأساليب الساقطة خلقيًا، تشهد فظائع في أرض الإسلام على يد هاتين السياستين الخبيثتين، على يد الطغاة في هاتين الدولتين الشريرتين بما لهما من قيادة، وبما لهما من سياسة، ولا نعني أنهما شريرتان بما لهما من شعبين بكل فئاتهما.

رَفَح وكوارثها، وتجاوز السياسة الإسرائيلية لكل متعارف على أرض رَفَح تُمثّل تحدّيًا مخجلًا لهذه الأمّة، وتمثّل اختبارًا لإرادتها.

هل بقيت في هذه الأمّة إرادة مقاومة أو لم تبقَ؟!

هل بقي فيها إحساس بالذات أو لم يبقَ؟!

١- خطبة الجمعة (١٥٢) ١٠ ربيع الأول ١٤٢٥هـ ٣٠ أبريل ٢٠٠٤م.

هل بقي فيها تمسكٌ بالمصلحة العامة للأمَّة أم لم يبقَ؟!

هل هنا أمَّة؟!

أو الأمَّة قد غُيِّبت؟!

هل هنا رجال أو لا رجال على الأرض؟!

هل هنا استحضار للتاريخ؟!

للدور الرسالي؟!

للدور الخلافي؟!

أهنا وعي هدف؟

وعي طريق؟!

أم أنّ كل ذلك قد خسرته الأمَّة؟!

وافضيحتاه، فإن الحدث المهول في رفح، وفي العراق يثبتان على الأمَّة أنها على شفى انهيار.

سياسات متضعضعة متخاذلة متآمرة - هي على أقسام -، وأمَّة قد أفقدتها هذه السياسات التي لعبت دورًا كبيرًا في إسقاط نفسيتها، وتجفيف منابع العزة والكرامة في صفوفها، وعملت كثيرًا على قتل إرادتها.

هذه الأمَّة فقدت الكثير من إرادتها، ولم تعدْ في الكثير قادرة فعلًا على كسر القيود، وعلى تكسير الأغلال، وعلى الانطلاقة المقاومة لكل الوضع الفاسد في داخلها؛ من أجل حاضرِ عزةٍ، ومستقبل كريم.

والمسؤولية وإن كانت على كاهل الأنظمة بالدرجة الأولى لكن الأمَّة تبقى مسؤولة كذلك.

هذه مظاهرة تخرج اليوم؛ لإنكار الوضع الفاضح السيئ، والتّحدي الساخر لقيم الأمَّة.

هل سنجد في المسيرة كبارَ سنٍّ؟

هل سنجد الأطفال؟

هل سنجد العجائز؟

أو أن الواجب تعتبره الأمّة واجبَ شبابٍ فقط؟

اليوم والمتحدّى علي والحسين عليهما السلام، أين الذين يملؤون المآتم؟

أين الذين يلطمون على الصدور؟

أين الذين يبذلون الأموال في عاشوراء، وغير عاشوراء على خط الحسين عليه السلام؟

المتحدّى اليوم من أمريكا هو علي والحسين عليهما السلام.[١]

نعم، لبيك يا حسين، لأن نداء الحسين هو نداء الله.

نعم، لبيك يا حسين، لأن كلمة الحسين كلمة الله.

نعم، لبيك يا حسين، لأن خط الحسين خط الله.[٢]

الخطوات العدوانية المتسارعة الراكضة المجنونة على أرض رفح، وعلى أرض كربلاء والنجف، وعلى أرض العراق أرض المقدسات؛ هي لإذلال الأمّة وتركيعها بدرجة أكبر؛ لزرع عقدة الحقارة في نفوس المسلمين، فهل تقبلون أن تكونوا حقيرين في أنفسكم إلى الأبد؟[٣]

نقول لأمريكا: إن الدماء رخيصة.

إن الرؤوس رخيصة.

إن الأشلاء رخيصة على طريق علي والحسين عليهما السلام.[٤]

١- هتاف سماحة الشيخ مع جموع المصلين: (لبيك يا حسين).

٢- هتاف جموع المصلين بالتكبير: (الله أكبر)، والموت لأمريكا وإسرائيل.

٣- هتاف سماحة الشيخ وجموع المصلين بـ: (هيهات منا الذلة).

٤- هتاف سماحة الشيخ مع جموع المصلين: (لبيك يا حسين).

نعـم، إن ضرب المقدسـات سيشعل فتيل العنف، ويزيـد أواره ليس في أرض العراق فقط، وإنه يكتب دينًا ثقيلًا في ذمة المعتدي لأمَّة قادرة على الانتقام، واستخلاص الحق.

وأمريـكا وإسرائيـل لـن تثبت لهما قـدم في فلسطـين والعـراق، لأن وراء فلسطين والعـراق الأمَّة الناهضة التي بدأت بوادر نهضتهـا في الصف الإسلامي المتراص، وهذه الصحوة والنهضة ستستمر وستتسع، ولها إرادة فولاذية؛ للاستمرار، والمقاومة، والغلبة، والنصر إنْ شاء الله.

وإن أمريكا لتنتحر من حيث يتراءى لها أنها تنتصر.

إنهـا تنتحر، لأنها تستثير أمَّـة وإن أذلّتها السياسات الوضعيـة الظالمة، إلا أنها في رقدتهـا التي طالت، على ميراث كبـير من إرادة العزة والكرامـة والشموخ، وفي داخلها صوت من صوت رسول الله صلى الله عليه وآله، صوت من صوت عليٍّ، صوت من صوت ثورة كربلاء، وأمَّـة في داخلهـا هـذا الصـوت وإن طال بها النـوم وقتًا مـا إلا أنه لا يـدوم، وهي لا بدَّ منتفضة، ولا بدَّ أن تسترد كرامتها وموقعها ليس في أرضها، وإنما في كل الأرض.

مسيرة اليوم هي تعبير عن أن الأمَّة واحدة، وعن أن العدوان على الذات الحضارية للأمَّـة بكاملهـا، وأن ليس هناك غـير في العراق غير هنا، وإنما هـو جسم واحد، وذات واحدة في العراق، في فلسطين، في أفغانستان، في كل شبر من أرض الإسلام.

وإذا كانـت تعبـيرًا عن الاستنكار على أصـل العدوانية - وإننا لننكـر العدوانية في الأرض كل الأرض، سواء كانت عدوانية على مسلم أم غير مسلم، على دم حرام في هذه الأرض أم في تلـك الأرض، على حق تسلبه العدوانية في شرق الدنيا أو في غربها -، فإن لنـا إنكارًا آخر هنا؛ وهو الإنكار على العدوان السافر علـى قيم هذه الأمَّة، وعلى خطها الحضاري، وعلى رموزهـا الشامخة من بعد رسول الله.

مَن رمز أكبر من عليٍّ، والحسن، والحسين عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.(١)

١- خطبة الجمعة (١٥٥) ١ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ ٢١ مايو ٢٠٠٤م.

الغزو الأمريكي

أمريكا تطلب المستحيل، وأحلامها ليست واقعيّة.

والأرض الإسلامية لن تكون ساكنةً ومستقرةً تحت أقدام الأمريكان والأوروبيّين الذين جاءوا بغزوهم الجديد، وأن الإسلام لن يموت، وإنما قد يزيد انبعاثه.

هذا الهجوم شرس عدواني وردود الفعلِ في البلاد المغزوة ستتواصل بقوة بما يسقط الرهان الأمريكي على هذه العمليات الفاشستية الظالمة.(١)

لن نستسلم للغزو الكافر

كل هذه الأمَّة ستقاوم، كل هذه الأمَّة ستجالد، كلها ستنتفض، كلها ستقول: لا -لا على المستوى اللسان، فحسب، وإنما على مستوى الموقف العملي - وإن وصل الأمر إلى بذل الدم، من كل الأمَّة، وإلى أن تتحول ملايين من أبنائها إلى أشلاء وركام.

لن نستسلم للغزو الكافر.

ولن نرضى بأن نُسْلَب إسلامنا.

لن نرضى بأن نُسْلَب انتماؤنا الحضاري الكريم.

لن ننفصل عن قرآننا.

لن ننفصل عن محمد ﷺ.

لن ننفصل عن أئمة الهدى.

لن ننفصل عن رب العباد جميعًا.(٢)

١- خطبة الجمعة (٥٨) ٢٧ صفر ١٤٢٣هـ ١٠ مايو ٢٠٠٢م.

٢- خطبة الجمعة (١٠٤) ٢٥ محرم ١٤٢٤هـ ٢٨ مارس ٢٠٠٣م.

الغرب مع مَن؟

الغرب: أمريكا وأوربا مع مَن؟

مع الحكومات التابعة؟

مع الحركات المتحرّرة؟

مع خصوص الحركات الإسلامية منها؟

مع الشعوب التوّاقة للاستقلال؟

هذا السؤال مسبوق بسؤال، وفي جواب ذلك السؤال الجواب.

ماذا يريد الغرب - أمريكا، وأوربا -؟

وماذا تريد كل الدول الكبرى المستكبرة؟

كل أولئك يبحث عن عملاء، عن عبيد، عن ثروات الشعوب، عن مواقع جغرافية مؤثّرة، عن فرص استعمار، واستغلال، عن تدخّل مربح في شؤون الغير، عن سيطرة وهيمنة وتحكّم في مصير الأمم والشعوب؟

وإذا كان الأمر كذلك، وهو ليس إلا كذلك فالغرب، وكلّ الدول الاستكبارية، وكل الطواغيت إنما هي مع الحكومات التابعة التي لا تبخل بشيئ من ثروات الأوطان وعزتها، وكرامة إنسانها وقيمه، ودينه في سبيل دعم بقائها بقوة الأجنبي بعد أن تُعادي أطماعها بينها وبين شعوبها، وتتنكّر لمصلحة الأوطان.[1]

مصلحة الأجنبي إنما تلتقي مع حكومات تبيع كل شيئ؛ من أجل بقائها ولو ليوم واحد في الحكم.

١- ليس بعد أن تأخذ الأطماع الحكومات الجائرة إلى معاداة مستقرة مع شعوبها إلا أن ترتمي في أحضان الأجنبي؛ لتجد الدعم لها من قوّته.
ليستعمل أوطان الآخرين بقرة حلوبًا لمصالحه.

ولا يمكـن أن تتلاقـى وتتوافى مع توجّـه أي حركة تتشبّث مع حريـة قرارها، وعزّة وطنها وأمتها - من أي وجهة نظر كانت هذه الحركة، ومن أي انتماء -.(١)

وأمّـا تصـادم أولئـك الطامعـين الذيـن تحرّكهـم روح الاستعمـار، والاستغلال، والاستعبـاد، والاستكبار مع الحـركات الإسلامية الصّادقة فأسـاس ودائم، لما يعرفونه مـن عزّة الإسلام، وقوّته، وصلابته، ومبدئيّته، ومقاومتـه، وإخلاصه، ونقائه، وثوريّته، ونزاهته وأعلائيّته.(٢)

والتلاقـي بين أي حركـة حرّة، والنُّظـم الاستكبارية - كما قد يقـول به البعض في المثال الليبي - حيث تتّجه إرادة الشعب هناك مع إرادة الاستكبار في إسقاط النظام ولو كان ذلك من منطلقين مختلفين لا يدوم ولا يطول.

ولا بدّ أن ينقلب في فرض تمسّك الحركة بالحرّيّة، والاستقلال، والمصلحة الوطنية إلى صـراع شرس مريـر وإنْ كان بأساليـب متنوّعة يمارسها الغرب بمهـارة وفنّ؛ حتى يتكشّف أمر هذا الصراع، ويُعلن عن نفسه على مرأى من الدنيا ومسمعها.

اليأس من دعم القـوى الاستكبارية لقوى التحرّر في العـالم، لا يقل عن اليأس من استجابـة الحكومات التابعة لها لكلمة الحقّ والعـدل، والمطالب المُنصِفة للشعوب إلا بما اقتضاه الاضطرار، واستدعته الضرورة الخانقة.(٣)

١- فلتكن الحركة قومية، أو تكون وطنية، أو تكون علمانية، أو تكون إسلامية ما دامت تصر على الاستقلال، فالغرب ليس معها.

٢- الإسلام يعلو، ولا يُعلى عليه، والاستعمار إنما يبحث عمّن يعلو عليه. (هتاف جميع المصلين بـ: لبيك يا إسلام).

٣- خطبة الجمعة (٤٦٣) ٤ شهر رمضان ١٤٣٢هـ ٥ أغسطس ٢٠١١م.

الباب الخامس

كيف نغيِّر واقع الأمَّة؟
بحث مقتضب حول الإرادة والتَّغيير

قانون التَّغيير: التَّغيير الخارجيُّ يقتضي تغييرًا داخليًا

إذا كان التغيير المطلوب هو تغيير على مستوى الفرد، فالفرد لا بدَّ أن يغير نفسه؛ ليتغير خارجه.

ولا بد أن يقصد التغيير الداخلي؛ ليتغير داخله.

لا بدَّ أن يبدأ التغيير حتى لو أراد أن يتحسن داخله.

أريد أن يتحول جهلي علمًا، هلعي إلى صبر، خوفي وجبني إلى شجاعة لا بدَّ أن أعمل على التغيير.

تغيير الداخل وتغيير الخارج يبدأ من إرادة الإنسان.

ولا بدَّ أن يقوم الإنسان بدور في داخله فيتغير داخله، ثم يأتي التغيير منسجمًا مع واقع النفس الجديد - عليّ أن أسرع -.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]، فهنا علاقة التغيير الخارجي بالتغيير الداخلي، وأنه لا بدَّ من تغيير داخلي؛ من أجل التغيير الخارجي، هنا أمران: أمر العلاقة بين التغيير الداخلي والتغيير الخارجي، وأن هذه العلاقة هذا الربط هو من صنع الله سبحانه وتعالى.

الربط بين تغيير الداخل وبين تغيير الخارج هو من صنع الله سبحانه وتعالى وتحت حكومته، والإنسان إنما يملك بتمليك من الله المقدمة - كما يعبرون - التغيير الداخلي، تملك أن تغير داخلك بتمليك من الله عز وجل، ثم أن التغيير الخارجي يأتي نتيجة لربط

١- الرعد: ١١.

القانون الإلهي بين السبب وبين المسبب.

فالارتباط ليس ذاتيًا بين السبب والمسبب.

الارتباط مفاض من الله بين كل سبب وبين كل مسبب، وهيمنة الله عز وجل تمسك بكل ذرة من هذا الكون، وبكل علاقة فيه بين دقائقه، وبين كل شيئ كبير فيه.

فهـذا القانون كسائـر القوانـين في كل المساحات الاجتماعيـة والكونية محكوم لله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.[1]

هنـا عندنـا ﴿مَا﴾ هذا الذي بالقـوم، والذي يراد تغييره يمكـن أن يقال عنه: بأنه الوضـع الخارجي، وكذلك يتصـور فيه أن يكون - كما سبق - الوضع الداخلي، هناك في النفس ما يمكن أن يُغَير، والنفس ما لا يمكن أن يغيّر.

خلقنا باستعدادات عدَّة قد تُعطَّل وقد تُفعَّل

جئنـا بعقـول على قدر، جئنا بأوزان من الأنفس علـى قدر، ما كان فينا مخلوقًا من الله سبحانه وتعالى على محدودية فهو هو.

وهنـاك مساحة أعطينا فيها الحركة في داخل أنفسنا.

نحـن جئنا بمعلومـات قليلة، أو لم نأتِ بمعلومـات وإنَّما جئنا باستعـداد للعلم، ثم صـارت لنا فعليـة القدرة على العلم، صرنا قادرين على أن نتعلم، على أن نفهم، على أن تستقبـل عقولنا، هذه القدرة الفعلية، أعطينـا من بعدها حركة التعلّم، القدرة من الله، الاستعداد للعلم من الله، القدرة الفعلية على التعلم من الله.

أقدرنـا الله أيضًـا أن نتعلـم، أن نطلب العلم، هنا نستطيـع أن نغير، في الكم الذي نتعلمـه، في النـوع الذي نتعلمـه، في أن نقبل على هـذا العلم، نترك ذلـك العلم، ندرس الأولويات في العلوم نقدم ما هو الأهم على المهم، فنحن نستطيع أن نتحرك في الداخل.

١- الرعد: ١١.

أعطينا أيضًا قدرة على الشجاعة، القدرة على الصدق القدرة على الأمانة، القدرة علـى الفضائـل كلها، أعطينا قـدرات ربما تكون مختلفـة بمقدار وآخر علـى الفضائل، هـذه القدرات على الفضائل إمَّا أنْ نتحرَّك على خطهـا، وإمَّا أن نفعلها، ونتجاوب معها ونستثمرها، وإما أن نعطلها.

فنحـن نملك مساحة في داخلنا؛ للتغيير، لإضافة الجديد، لحذف شيئ في الداخل، لإضافـة شيئ في الداخل، حذف القبيح، إضافة الجديد النافع، هذا مما يملكه الإنسان وهو طريقه لتغيير داخله وذاته، أما الكيفية فذلك أمر آخر ويحتاج إلى كلام آخر.

هل الإرادة الإنسان موقع في قانون التَّغيير؟

هنا أضيف نقطة: قانون التغيير أين موقع الإرادة الإنسانية منه؟

هل نحن مجبورون، أو غير مجبورين؟

هـذا القانـون الذي يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَـا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]، ولقوانين الاجتماعية تحكم حركة الاجتماع عند الإنسان.

فإذا كانت الحركة الاجتماعية محكومة بقوانين الله سبحانه وتعالى، فأين المساحة التي نتحرك من خلالها؛ لنطور أنفسنا، ونطور حياتنا؟

في الحقيقة هذه الآية الكريمة تقدم لنا حلًّا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، المكتوب المفروض القهري هو أن التغيير ينتج التغيير، هو أن التغيير الداخلي ينتج التغيير الخارجي هذا لا حيلة لنا فيه.

أنـا لمّا أعمد إلى داخلي، فأشوّه داخلـي، حين أن أكب على الشبهات، أحاول أعايش القبائـح، حـين أحـاول دائمًا أن أكـذب، أن أسقط، هـذه المحاولة لمّا تتراكـم آثارها في النفس، هـذا السعي العملي والسعي العلمـي، يعطي تراكمات سلبيـة في النفس، فالأثر الخارجي لا بدَّ أن يحصل.

١- الرعد: ١١.

إهمال الأمَّة للعلم، إهمال الأمَّة لطلب القوة، إهمال الأمَّة للتماسك الاجتماعي، إهمال الأمَّة دون أن تعطي جهدًا في تطوير ذاتها.

هذا موقفٌ كانت نشطةً فكسلت، كانت متعلمة فصارت تميل إلى الجهل، كانت متحدة فصارت تتفرق، هذا موقف عملي غيَّر ما بالداخل.

حين يتغير ما بالداخل أنت لا تملك بعد ذلك إلا أن تحصل النتائج، أما من غيّر الداخل؟ هل تغيّر داخلك قهرًا؟

لا لم يتغير داخلك قهرًا.

أنت تستطيع أن تغيّر داخلك من خلال إرادتك، فهذا القانون مقدمته إرادة الإنسان، ونتيجته نتيجة حتمية تترتب على حسب اتجاه الإرادة، وفاعليتها، ونوع فاعليتها عند الإنسان.

لا إرادة لأمَّة تابعة

المخطط للبلاد الإسلامية، إما الاستسلام مع إبقاء أسبابه، استسلام وبقاء لأسباب الاستسلام، ضعف وتبعية وخنوعٌ مع إبقاء كل الموجبات؛ لاستمرارية هذا الخنوع والخضوع والاستسلام، إمَّا أن تقبل البلاد الإسلامية بهذا، وإمَّا عليها أن تواجه الضغط من الخارج، وصراعات الداخل من الدرجة الحادة والمصنوعة بعملاء الخارج.

فأفغانستان شأنها شأن أي بلاد إسلامية أخرى، تحكمها الإرادة الأجنبية، فهي يجب أن لا تجد فرصة إلى بر الأمان وأرض الأمان، ستبقى البلاد الإسلامية تعيش الويلات ما لم تنسلخ عن التبعية، وما لم تطلب القوة من داخلها، الأمَّة التي تعتمد في حل مشكلاتها، في اقتصادها، وفي سلاحها، وفي صناعتها، وفي كل مقوماتها على الخارج، لا بدَّ أن تكون مستعبدة للخارج، تابعة لإرادته.[1]

١- خطبة الجمعة (٣٣) بتاريخ ٣٠ شعبان ١٤٢٢هـ ١٦نوفمبر٢٠٠١م.

أهم أسباب التَّخلُّف السِّياسي

أيها الملأ الكريم، كل ساحاتنا الإسلامية مليئة بالمشاكل، مبتلاة بالتخلفات، مهددة بأفدح الأخطار.

وبرغم تعدد الأسباب إلا أن المطالع لا يفوته أن في مقدمة هذه الأسباب أمرين:

١- تغييب الإسلام عن ساحة الفعل والقرار.

٢- شل إرادة الشعوب عن العطاء والتحرك والمشاركة الفاعلة المنتجة إلا ضمن القوالب التي تحددها إرادة الأنظمة في داخل الأمَّة والمحكومة أساسًا في الأكثر لإرادة أعداء الأمَّة من خارجها، والداخلين معها في حروب تاريخية مستمرة.[١]

كيف ننهض بالأمَّة؟

والأمَّة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أوَّلها، والإنسان نوعٌ واحد يمثل موضوعًا واحدًا، لا يصلحه أكثر من منهج واحد: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ...﴾[٢]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ...﴾[٣]، ولن تصلح بغيره أوضاع آخرته ولا أولاه، ولن تهنأ له حياة ولا ممات.

وستبقى الأرض تحترق وأهلها بالعذابات حتى تُضيئَ بنور ربها نور الإسلام على يد القيادة المعصومة الرشيدة، وفي ظل إيمان يطهِّر الداخل، ومنهج ربّاني يقود حركة الخارج، وأمَّة تهتدي بهدى الله وتدعو إليه، وتردُّ الضال إلى طريقه.

لكن هل ينتظر بأفواه مفتوحة حتى ينزل الفَرَج من السماء للمتقاعسين في الأرض؟

وهل يستوي القاعدون والمجاهدون في أجر الآخرة والنتائج الموضوعية في الحياة؟

وهل يكون وضع أمَّتنا هو وضعُها قامت قائمة، أو كانت من القاعدين؟

١- خطبة الجمعة (٢٣) بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ ٧ سبتمبر ٢٠٠١م.

٢- آل عمران: ١٩.

٣- آل عمران: ٨٥.

وهل تحوّلنا إلى لا شيئ أمام أمريكا؟

وهل تحتم علينا أن نخرج من ساحة التاريخ؟

وهـل لا بدّ لنا أن نقنع أن نكـون وراء جدار التاريخ، وأن نكون في الهامش الصغير؟ أم أننا لا زلنا أمّة تمتلك أن تنتفض، وتمتلك أن تنهض، وتمتلك أن تتقدم؟

الأول غلط، الثاني صحيح.

وحتّـى لو لم يكـن إلا فرد واحد يؤمن بالإسلام، فعليـه أن يتحرك في اتجاه النصر بتركيز عقيدته، بالدعوة إليها، بتخلقه بأخلاق الإسلام.

أنتم لا تملكون أن تنصروا الإسلام بكلّ ما يحتاجه النصر، لكن ألا تملكون أسلحة نصر للإسلام ولو على مستوى التمهيد للنصر؟

أن تلتزموا في حياتكم الخاصة، وفي حياتكم الأسرية بالإسلام.

ألسنا نحن نحارب الإسلام من خلال الخروج عليه في حياتنا الخاصة، وفي حياتنا الأسرية، وفي علاقتنا الاجتماعية في الإطار الإيماني؟

ألسنا أعداءً للإسلام بنسبة؟

ألسنا أنصارًا لأمريكا بما نفعل؟

لـو لم يكـن إلا واحد لأمكن له أن ينصر الإسـلام بإقامة حياته الخاصة، وعلاقاته الاجتماعيـة ما استطاع على أساسـه، وبإطلاق صوت الإسلام إلى المدى الذي يمكن له، بنصيحة الآخرين، بأن يطلب الأساليب والآليات التي تقنع بفكرته.

هـذا هو الفرد، فكيف بأمّة لا زالـت تغنى بالعلماء والمثقفين، والمجاهدين، وجمهور عام من المؤمنين يتعشق الإسلام ويقدمه بكلّ غالٍ وعزيز؟!

يتوجـب جـدًّا إشاعة الفكر الإسلامي، والحوارُ؛ من أجـل الإسلام، لا الحوار الذي يمكِّـن للباطـل، فهناك حوارات من هذا النـوع الأخير يراد إشاعتهـا باسم أن الإسلام يفتح باب الحوار.

علينا أن نختار كيفية الحوار، أن نخطط للحوار، لا أن نستدرج للحوار الذي يريدون.

يتحتم إشاعة السلوك الإسلامي، وطرح وجهة النظر الإسلامية في الصحافة وغيرها من وسائل التفاهم المعاشة، خلق أجواء اجتماعية كلما أمكن، تطبيق الإسلام في الحياة للشخصية والأسرية والعلاقات الاجتماعية، واستثمار كل الفرص على هذا الطريق، المناشدة والمطالبة في كل البلاد الإسلاميَّة بتصحيح الأوضاع باسم الإسلام، والقرآن، والسُّنَّة، والواجب الشَّرعي.

إذا غيِّبت مصطلح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غيِّبت مصطلح الواجب الشرعي، غيِّبت مصطلح الشورى، غيِّبت كلّ مصطلح إسلامي صار العدل من عطاء الحضارة الغربية، صارت المطالبة بالحقوق تفكيرًا غربيًّا فقط، وضيّعت الإسلام، وغيِّبت الإسلام كلّه.[1]

ومن ثابت كربلاء الذي لا بدّ أن يستهدي الحاضر به، ولا يمكن له الانفصال عنه:

١- تحمل مسؤولية الإصلاح والتغيير للواقع الفاسد في الأمَّة وعدم التنصُّل عنها، ويشهد لذلك السيرة المستمرة من المعصومين عليهم السلام بما يتجاوز في النظر الدقيق الدلالة الاستحبابية؛ لاشتراك كل المعصومين في هذه السيرة، وعدم وجود موقف مضاد واحد في سيرتهم عليهم السلام .

وأكثر من ذلك دلالة على الوجوب النصوص المتواترة كتابًا وسنّة.

وقد انصبّت كلمات الإمام الحسين عليه السلام ومواقفه على هذا الاتجاه بصورة مركّزة، وقدّم أبلغ الدروس في هذا المجال قولًا وعملًا.

٢- المستهدَف دائمًا هو الإصلاح الشامل للإنسان والحياة بكل أبعادهما، والإصلاحات الجزئية مقدِّمة له، ولا يصح أن تشغل عنه، أو تؤثر على هُوية الأمَّة وانتمائها.

١- خطبة الجمعة (٧٨) ١٩ رجب ١٤٢٣هـ ٢٧سبتمبر٢٠٠٢م.

ونستهدي هنا بما جاء عن الإمام الحسين عليه السلام: «...، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمَّة جدي»[1]، فهو إصلاح مطلق وليس لحيثية معينة، ولا لعلاج مشكلة خاصة فحسب.

وإذا كان التصدي في موقفه عليه السلام للانحراف السياسي، فإنما كان بهدف المقدمية؛ من أجل الإصلاح الشَّامل الكامل.

وإذا كانت مسؤولية الإصلاح ثابتة دائمةً، فإن أساليبها وآلياتها وخصائصها المكانية والزمانية، وما تقتضيه هذه الخصائص من المتغير الذي يتطلب نظرًا جديدًا، ودراسة موضوعية خاصةً به.

وهذا لم يورث من المعصوم عليه السلام إلا في حدود ضوابطه الكلية العامة.[2]

الاكتفاء الذَّاتيُّ للأمَّة

لا تكون الأمَّة - أمَّة الإسلام، أمَّة الإيمان، في أي مكان وفي أي زمان -، أمَّة تنتظر قوتها من عدوها، وتنتظر ثوبها، وكل شيئ تحتاجه في هذه الدنيا، ممَّن يخطط؛ للاستحواذ على مقدراتها ومقدوراتها.

ليس مسموح للأمَّة في إسلامها إلا أن تكون في مقدمة الأمم آخرة ودنيا، وأن تكون الأمَّة الأقوى، وأن تكون الأمَّة الأغنى، وأن تكون الأمَّة الأكثر تماسكًا، وأن تكون الأمَّة الأقدر على اتخاذ القرار العالمي، والأمَّة الإسلامية.

وأي أمَّة لا يمكن أن يكون لها دور في القرار العالمي، فضلًا عن أن تتزعم موقع هذا القرار، من دون أن تكون هي الأقوى ومن دون أن تكون هي الأغنى، ومن دون تكون هي الأكثر قوة عسكرية ضاربة، وأن تكون أكثر علمًا وأكثر خبرة وتجارب وتماسكًا اجتماعيًا والتفافًا حول قيادتها الواعية، إعمار الدنيا مسؤولية الإنسان المؤمن، وتنشيط

---

١ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ ص ٣٢٩.

٢- خطبة الجمعة (١٠١) ٤ محرم ١٤٢٤هـ ٧ مارس ٢٠٠٣م.

حركة الاقتصاد والحركة الاجتماعية، والحركة السياسية على خط الله مسؤولية من مسؤوليات الإنسان المؤمن والأمّة المؤمنة.[١]

جهاد واجبٌ لا تطوّع

ما نسميه بالعمل التطوعي مما يدخل في الدعوة الى الله، مما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يدخل في مواجهة الباطل والانحراف الفكري والانحراف الخلقي، مما يمثل دفاعًا عن الإسلام، ومشاركة في تصحيح الفكر عند الشباب المسلم، وأخذًا بالناس على الطريق، ومواجهة الكفر العالمي، فيما يتعمّده من غزو فكري وخلقي، وفيما يشنه من حملات تدميرية على نفسية الإنسان المسلم وأخلاقه وكينونته الإنسانية الرسالية، هذا الذي نسميه عملًا تطوعيًا هو من التسمية الخطأ مائة في المائة.

إنّه جهاد واجب أيُّها الإخوة.

دخولك المؤسسة الإسلامية؛ لكي تشارك في الدفع بالعملية التوعوية، أو السياسية الصحيحة، هو من الجهاد الواجب العيني إذا لم يكن هناك العدد الكافي الذي يقوم بالوظيفة، هذه المشاركات المالية والمشاركات الفكرية بالكتابة والإلقاء والاتصالات الثنائية، والاتصالات الجماعية؛ من أجل تركيز الوعي الرسالي هو من الواجب الكفائي، فإن وجد العدد الكافي الذي يقوم بالوظيفة سقط الواجب عن جميع المسلمين، وإن لم يوجد العدد الكافي والمسلمون قادرون على أن يغطوا الحاجة، فكلهم آثمون، عاصون لله ﷻ، فأنت القادر الذي لا تشارك عاص لله آثم خائن لأمانة الدين.

ونحن نسمي هذا العمل عملًا تطوعيًا بالخطأ الصريح.

ماذا تعني الآية الكريمة؟ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ...﴾[٢]؟ الإسلام يُسحق، الإسلام يجهز عليه، الإسلام يغرّب، وتغرب في بلاده، نغزى في قعر دارنا، يملك علينا شبابنا وشاباتنا، يدخل السوء على كل فرد فرد في منزله، الفحشاء تنتشر،

١- خطبة الجمعة (٦) بتاريخ ١٧ صفر ١٤٢٢ هـ، ١١مايو ٢٠٠١م.

٢- آل عمران: ١٠٤.

العبث الأخلاقي، يمتد في شرق الأرض وغربها، دين الله محارب، خطط ومؤامرات ومشاريع كلها تصب مصبًا واحدًا في مواجهة دين الله، وأنت تستطيع أن تصحح بعض التصحيح، أنت تمتلك من الطاقات والمواهب التي رزقك الله إياها ما يسمح لك بأن تدرأ عن الإسلام بعض الشر، أيستحب لك أن تدرأ هذا الشر، أم هو الواجب؟!

إنه واجب، ومن أهم الواجبات: ﴿... وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[2]

هناك جهاد بالسيف، هناك جهاد بالكلمة، هناك جهاد بالمال، جهاد بالوقت،

جهاد بالجاه، والجهاد في كل الساحات وكل الساحات مستغرقة بالغزو، فيجب أن تستغرق.

﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ...﴾[3]، نجاهد بأموالنا وأنفسنا، ولا نجاهد بكلمة؟!

ولا نجاهد بحضور احتفال؟!

ولا نجاهد بدفع أبنائنا إلى مشاريع التعليم الصيفي الديني؟!

ولا نساهم في محاربة الموضات التحلّلية؟!

ولا تجاهد الفتاة في الرجوع إلى لبس العفاف والستر والكرامة.

﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4]، فالتطوع في هذه الأعمال لا يعني أصل المشاركة، وبالجهد المتعارف إنما يعني ذلك أمر واجب حتمي.

١- آل عمران: ١٠٤.

٢- المائدة: ٣٥.

٣- التوبة: ٤١.

٤- التوبة: ٤١.

التطوع في هذه الأعمال حينما تبلغ من الجهد حد الطاقة يعني إلى أقصى حد.

حينما تبذل أقصى ما يتسع له وسعك هذا يدخل في التطوع، أما بذل الجهد المتعارف فهو واجب[١]. [٢]

صمود الأمَّة

وإسقاط الأنظمة واستسلامها شيئ وسقوط الأمَّة وسقوطها شيئ آخر، سقوط الأنظمة أمر سهل، ولكنّ سقوط الأمَّة لن يكون سهلًا أبدًا.

وهذه الأمَّة وجدت؛ لتبقى.

وجدت؛ لتقود المسيرة العالمية إلى الخاتمة الحسنة.

وجدت؛ لتقيم عدل الله في الأرض، ليشهد الوضع الاجتماعي، والوضع السياسي، والوضع الاقتصادي، والوضع الثقافي والوضع الإنساني بكل أبعاده بأنه لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فهي أمَّة لن تقبر.

أمَّة لا بدَّ أن تنهض، وقد بدأت نهضتها، وهذه الزوبعة لن ترتد بالأمَّة عن خط المقاومة، وعن خط النهضة والصمود.[٣]

الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر

إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى أكبر الكوارث.

قتل الإمام الحسين عليه السلام، تسيير الفاطميات مسبيَّات كان نتيجة لإهمال وتمهُّل في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما إن تتأخَّر عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا ويكبر المنكر في الأمَّة، ويضمر المعروف.

١- والجهاد يستبطن بذل الجُهد، وتحمل حالة الجَهد والتعب والمشقة، فالأمر بالجهاد على هذا أمر يتحمل المشقة والنصب في سبيل الله.

٢- خطبة الجمعة (٦٣) ٢ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ ١٤ يونيو ٢٠٠٢م.

٣- خطبة الجمعة (١١٨) ٣ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ ٤ يوليو ٢٠٠٣م.

وكلما كبر المنكر، وضمر المعروف كان الناس في كارثة ليست على مستوى الدين فقط، وإنما أيضًا على مستوى الدنيا.

الحرب التي نراها الآن، واستئساد الكفر على الإسلام هو من تأخّر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساط المسلمين، فلو كان أمر بمعروف ونهي عن منكر لاشتد عود الأمّة، وإذا اشتد عود الأمّة وقامت على ساق لم تستهدفها الأمم بمثل ما تستهدف الوجود الضعيف.

لو كان أمر بمعروف ونهي عن منكر في هذه الأمّة لكانت رائدة الأمم كما هي مؤهلة إلى ذلك بإسلامها، وتراثها، وقادتها.[1]

الجهر بإنكار المنكر

لو نطق الإسلاميون – وهم أغلبية الأمّة ممّن يؤمن بالإسلام عقيدة ومنهجًا وعملًا لا خصوص مَن يطاق عليه هذا العنوان عرفًا – لو نطقوا برأيهم، وبلّغوا الإسلام ليس بمناسبة خاصّة، وإنمّا دائمًا، وأنكروا المنكر، وأمروا بالمعروف لسادت كلمة الإسلام ورأيه في الساحة الإسلامية كلّها.

تصوّروا أن هذه الملايين التي تؤمن بالإسلام عقيدة ومنهجًا وعملًا، وإن كانت تقصّر في الممارسة التطبيقية، تصبح وتمسي وهمّها الإسلام، وشغلها الشاغل بعد طلب اللقمة، ومع طلبها الدعوة للإسلام، وتبليغه، والتوجيه إليه، وتركيز سلوكه في الحياة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لكم أن تتصوروا ماذا ستكون النتيجة لو قامت الأمّة بهذه الوظيفة الواجبة عليها من الله سبحانه وتعالى؟

أنت مسلم قبل أن تكون عاملًا.

أنت مسلم قبل أن تكون مدرسًا.

١- خطبة الجمعة رقم (١٠٢) ١١ محرم الحرام ١٤٢٤هـ ١٤ مارس ٢٠٠٣م.

أنت في أي موقع مسلم ومسؤول أن تبلّغ الإسلام، وأن تجهر بكلمة الإسلام ما استطعت، وأن تصحّح الفهم الإسلامي عند أخيك، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.(١)

مواجهة المنكر

وحقًا أقول لكم: بأن الأمَّة التي لا تعتز بهُوِّيتها، ولا تذود عنها، يهزأ بها الآخرون ويحتقرونها، أما الأمَّة التي تحترم مقدّساتها وتذود عن كرامتها، فتفرض احترامها على الآخرين.

ولا بدَّ من التنبيه إلى أن الإصرار على أخذ المنكرات الهابطة واقع الظواهر المستفحلة الواسعة لا يتحرك من مجرد غرائز بهيمية منفلتة يمكن أن تشبع نهمها ولو حرامًا بغير كل هذا الضجيج والتبجّح والاستنفار والتظاهر والعدوانية ضد القِيم وإنما منطلقه السّيئ الواضح الأهم إرادة إحلال أنماط حضارية ساقطة أجنبية محلّ الأنماط السلوكية والفكرية المنتمية لحضارة الأمَّة ودينها، وهنا الخطورة.

وهذا منطلق يحتّم علينا مواجهة مثل هذه العملية من المسخ الحضاري.

إنه مسخ حضاري يجب أن يُواجه بجدّية، وعقلانية، وصبر، ووعي، وتكاتف.(٢)

أمَّة آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر

للحكومات دور، وللشعوب دور في تركيز الأمر بالمعروف أو مواجهته، وفي نفي المنكر أو تركيزه، أيهما الغالب؟

لا شك أن الحكومات تملك إمكانات هائلة، وتملك الخبراء والميزانيات الضخمة، والاختصاصيين والخبراء؛ لتنفيذ مشاريعها، لكن مع ذلك أؤكد لك بأن الأمَّة التي

١- خطبة الجمعة (٢٧٧) ٣ ربيع الأول ١٤٢٨هـ ٢٣ مارس ٢٠٠٧م.

٢- خطبة الجمعة (٢٨٠) ١ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ ٢٠ أبريل ٢٠٠٧م.

ترفض المنكر تغلب الحكومات، وأنّ الحكومة المتصدية لنشر المنكر لا تستطيع تنفيذ خططها إذا واجهت وعيًا، وإرادة صلبة، وتصميمًا من أي شعب وأي أمّة على محاربة المنكر.

وحتى حكومة كحكومة علي بن أبي طالب عليه السلام لا تستطيع أن تُركّز المعروف، وأن تنفي المنكر إذا لم تجد تجاوبًا من الأمّة، وقاومت إرادتها الشريرة الإرادة الخيّرة لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

مرة توجد الظاهرة بقوّة في منطقة من المناطق، فتحتاج مقاومتها إلى جهد كبير، ومرّة تحاول أن تجد لها موطئ قدم في منطقة كالترويج للمشي في الشوارع من غير لباس فيه حشمة، كتعرية السيقان والصدر والرأس وما إلى ذلك، كل ظاهرة بعدُ لم تنتشر الانتشار الكبير في القرى - مثلًا -، نستطيع أن نفتح لها الطريق والضوء الأخضر، ونستطيع أن نُشعل في وجهها الضوء الأحمر.

تنبيه من هذا، تنبيه من ذاك، تحقير للسلوك المنحرف، ولا يلزم من ذلك التحقير للشخص، كلمة «هذا أمر غريب»، هذا أمر شاذ، «هنا ليس أمريكا، هنا ليس فرنسا، هنا ليس انجلترا»، كلمات، تنبيهات، تذكيرات خفيفة تتكاثر إلى المائة، والمائتين لا يمكن أن تثبت معها ظاهرة متركّزة فضلًا عن ظاهرة تبحث عن موطئ قدم لها في منطقة.

كلما كثر الناهون عن المنكر، الآمرون بالمعروف كلّما وجد المعروف فرصته لأن يعيش في المجتمع، وواجه المنكر الصعوبة الشديدة في أن يكون له موطئ قدم، وكلّما خفت الصوت كلّما انتشر المنكر.

يريد منا الإسلام أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ومن السمات الرئيسة لهذه الأمّة أنها أمّة آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر.[1]

١- خطبة الجمعة (٣٠٣) ٢٨ شوال ١٤٢٨هـ، ٩ نوفمبر ٢٠٠٧م.

الرَّقابة

ولنقف مع تأشيرات من تأشيرات قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، فظاهر الآية الشريفة يقدم أكثر من تأشير يتصل بصناعة الحياة الاجتماعية والرقابة الإيمانية لحركة الحياة وواقع المجتمعات والتجمعات، فما نلتقيه في إطار هذه الأجواء من الآية الكريمة:

أولًا: إن هناك عملًا وحركة في حياة الإنسان لا بدَّ منها، وإن عملية التطور والتبدل والتحول عملية متوقعة دائمًا ومستمرة ومتدفقة.

ثانيًا: إن الإنسان فردًا ومجتمعًا ليس سيد نفسه على الإطلاق، وإنه يتمتع بحرية مفتوحة تجعله خارجًا عن المراقبة والمساءلة والمحاسبة، لأنه مملوك لله وكل تصرفاته وما يملكه من أدوات الصنع وأسباب الحركة راجع إلى فيض الله وقيمومته على الكون كله، فليس له أن يخرج على الإرادة التشريعية للمالك الحق فيما يفعل ويتصرف.

ثالثًا: لا معنى للرقابة إذا لم يترتب عليها التوجيه، والمحاسبة، والتَّقويم، والتَّأديب، والرَّد إلى الصَّواب، وذلك حسب المناسبات والمقتضيات.

رابعًا: تثبت الآية الكريمة تشريعًا للرسول صلى الله عليه وآله، والمؤمنين في الرقابة الثابتة لله على المخاطبين فردًا ومجتمعًا.

وفي هذا إكرام عظيم جليل لكل من الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين، وبيان واضح لنوع الرقابة التي يمارسها المؤمنون، وأن مقياسها منهج الله وأحكام شرعه وموافقة رضاه.

ولكون هذه الرقابة من سنخ رقابة الله عز وجل، ومن نفس طبيعتها فالمجسد لها بحق هم المعصومون الذين لا يحيدون في تقييمهم وتصرفاتهم عن خط الله، ولا يملك الهوى

١- التوبة: ١٠٥.

أي سلطان على قراراتهم ولا يدخلها الخطأ، ولذا جاء القول بأن المعنى بالمؤمنين في الآية الكريمة هم خاصة عليهم السلام لا غير.

خامسًا: يواجه المؤمنون مسؤولية الرقابة الاجتماعية على المجتمع وأفراده في المساحة المكشوفة من سلوك الفرد، وفي مجال التحولات والتوجهات الاجتماعية الثابتة والمتغيرة، وما ينشأ في إطار حركة الاجتماع والسياسة من خطوط وطروحات وتكتلات.

وتستفاد هذه المسؤولية من المنطوق الذي يقدمه ظاهر الآية مباشرة، أو من خلال القيمومة البدلية الثابتة للشريحة الرسالية، وفي مقدمتها فقهاء الأمّة وعلماؤها الربانيون في حال غياب المعصوم عليه السلام، ومن خلال ما يتطلبه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

سادسًا: يفرض واجب الرقابة الاجتماعية معرفة المجتمع، وتحركاته، وتوجهاته، ومستجدّاته، ومتابعة أخباره، وبدايات تحولاته ومساراتها؛ لقياس الأوضاع القائمة والمترقبة بمقياس الرأي الشرعي والخط الإلهي، وذلك للتقويم والتسديد والرفض، أو الإشادة والدعم، أو تقديم البديل.

هذا إلى واجب إثراء حركة المجتمع بالجديد من الموضوعات والقضايا العلمية في إطار الطرح الشرعيّ، وقيمه الثابتة، وأحكامه الأصيلة من الجانب المؤمن ابتداء.

سابعًا: الرقابة الإيمانية للأمّة والمجتمع البشري في أي عصر تتطلب امتلاك قراءة صحيحة دقيقة لأوضاع العصر وطروحاته وتحركاته وأساليبه، وقواه العاملة في الساحة، وعوامل القوة والضعف عند هذه القوى، وما هي عليه من خطأ أو صحة في أهدافها وطروحاته ووسائلها - مثلًا -.

ثامنًا: هذه الرقابة تعنى أن المؤمنين لا يصح لهم بأي حال من الأحوال أن يختاروا لأنفسهم موقفًا هامشيًا في حركة التاريخ وصناعة المجتمعات، بل يتحملون دورًا فاعلًا،

ومهمــة طليعية تستهدف سعــادة الإنسان وتقدمــه وهداه، مقدمة لرضــوان الله تبارك وتعالى.[١]

هكذا يقوم الدِّين وتنهض الأمَّة

أما بعد، فلنقف عند قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.[٢]

نستضيئ بنوره، ونتفيأ ظلاله، ونأخذ من هديه.

١- إن إقامة الوجه للدين خلوص التوجه له، والإنشداد كليًّا إليه، بلا ميل إلى يمين أو شمــال، لأن لا جاذبيــة لشيئ آخر يوازي جاذبيته، ولا ثقة بأي طرح كان كالثقة به، بل لا اعتبار بغيره، ولا احتمال للخير في ما خالفه.

وهــذا هو مقتضى الإيمــان الكامل بديــن الله، واليقين الثابت بأنــه من عنده، فلا ركض وراء الشعارات من هنا وهناك، ولا تلتفت للغثّ الكثير المستورد من شرق أو غرب، أو مــا يأتي به بشر أيًّا كان، ومــن أي مكان، وفي أي زمان كان أو يكون، مما يخالف كلمة الوحي، وحكم السماء.

٢- إنَّ المأمــور بالتوجــه إليه هو الدِّين القِيم الذي لا عوج فيه، ولا يدخل بناءه خلل، ولا لَبِنَــة فيــه من الباطل، أو الفكــر المهزوز، أو الشعور السقيــم، أو التوجه الضار، أو ما ينطلق من وهم بشري، وضعف أرضي، أو هوًى عابث.

وهو المنهج المتفــرد بالمتانة والسلامة، فلا وجود لمنهج قيِّم آخر، ولا طريقٍ مستقيمٍ غيره.

١- خطبة الجمعة (١) ١٢ محرم ١٤٢٢هـ ٦ أبريل ٢٠٠١م.

٢- الروم: ٤٣.

ولهـذا لزِم أن يكون الانشداد وإليه مطلقًا، حيث ليس فيما سواه منجًى ولا خلاص، ولا سموٌّ ولا فلاح.

٣- إنـه ديـن قيِّم لا يقبـل السقوط؛ تسقـط كل الطروحات وهو قائـم لا يفعل فيه الزمن، ولا يهِنُ له بناء أن يتقدم فكر الإنسان وتجربته.

أصوله تمتد في أغوار الضمير وأعماق الكون، وهي مما تقوم به السماوات والأرض.

وفروعـه لا تعـدل عن الحق، ولا تميل عن الصواب، ولا تخطـئ المصلحة، وأخلاقه تتبعثر الحياة وتعم الفوضى حين يهمل جانبها.

لغتـه لغة النظام الكوني العام صدقٌ وعدل وانسجام وتوحيد ونداء حقٌ جلي، وخلق كريم، وتعاون في الخير، ورفض للفوضى والعشوائية والانفلات.

قيِّـمٌ هذا الدين كلُّه في قدرته التامة على تحمل أعباء القيادة للمسيرة البشريَّة بما لا يطيق غيره من نظم وطروحات.

عطاءاته تتقدم المسيرة البشرية، ولا تتخلف عنها، ولا يمكن أن تبطِّئ حركة الحياة الكريمـة أو تشلَّهـا، أو يكون من بينها ما ينحرفُ به المسار عن الحق، ويعدلُ بالنَّاس عن المصلحة والسعادة.

الحيـاة دائمًـا على خط هذه العطـاءات متقدمة لا متعـثرة، مستقيمة لا منحرفة، غنية لا فقيرة، على هدى لا ضلال، يغمرها النور لا الظلمة.

وليسـت هناك فراغـات في عقيدة، أو تشريع، أو تربية وخلـق في الإسلام يمكن أن تملأ بالبديل، فبناؤه تام، وعمارته كاملة، ويتحمل دوره بأعلى كفاءة، وأدقّ أداء.

يتحـرك الإسـلام بحياة الإنسـان على مسارهـا الصحيح في ضـوء علم حضوري كامـل لما هو المنطلق الحق، والهدف السديد، والمنهج الصائب، والموضوع كما هو خارجًا

وحقيقة، والذي يتمثل في الإنسان، وفي ضوء علم حضوري بكلّ ماله من هذا الكون العريض الذي لا يحيط به الإنسان خُبرًا، من تأثير على هذا الكائن في حياة روحه وبدنه، وتقدُّمه وتأخره، وما ينبغي أن يكون منظورًا في توجهه وتشريعه.

٤- إقامة الوجه للدين ضرورة فردية واجتماعية للإنسان، ولذلك جاء الأمر الإلهي الحكيم بها جليًّا صريحًا لا يحتمل التأويل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ...﴾[١]، مدعومًا مع مولويته - مع مولوية هذا الأمر - ببيان الوجه في ضرورته، متوعّدًا على إهماله ومخالفته بيوم يعسر فيه الحساب، ويشتد العقاب، ولا يكفي من هوله أحد، ولا يدفع فيه دافع عن أحد، وأمره خالص بيد الواحد القهّار، تقول الآية الكريمة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[٢]، هناك توعُّد ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

٥- ذلك يوم تتصدع فيه الوحدة الأسرية والمؤسسيّة والحزبية والقبلية والوطنية والقومية والعنصرية، وكل وحدة يشعر من خلالها الإنسان هنا - في هذه الحياة - بالدفء والقوة والحماية والاعتزاز، وتتهدم كل القلاع، ولا تنفع علاقة من العلاقات إلا العلاقة بالله، وفي الله: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٣]، علاقاتنا هذه كلُّها تنفرط، وتتناثر وتتلاشى، وقد تتحول بل تتحول قطعًا في الكثير منها إلى عداوات يوم القيامة وكل طرف من الأصدقاء على الدنيا، وعلى الباطل يلعن الطرف الآخر، ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[٤]، فمن أراد أن يتترس غدًا، فليطلب اليوم ترسًا من الإيمان، وأن يحتمي غدًا، فليطلب اليوم قلعة من التقوى، وأن يتحصّن غدًا، فليطلب اليوم حصنًا من العمل الصالح والنية الخيّرة والتوجه إلى

١- الروم: ٤٣.

٢- الروم: ٤٣.

٣- الزخرف: ٦٧.

٤- القارعة: ٤.

الله، وإلا فلا ترس، ولا قلعة، ولا حصن يوم يقوم الأشهاد من النار، وغضب الجبار.(١)

نحتاج إلى إعداد الرِّساليِّين

بقاء الدِّين برساليِّيه.

الدِّين يحتاج دائمًا إلى رساليين، وحيث لا يوجد رساليون لا يوجد دين، فعلى الأمَّة دائمًا أن تخلق الظروف لوجودهم، فماذا لولا الإمام الحسين عليه السلام؟

ماذا لولا أهل البصائر، وقرَّاء المِصر؟، والمرأة الصَّالحة العاملة الصَّابرة ممَّن كان مع الحسين عليه السلام؟!

لو لم يكن الحسين عليه السلام سيد أهل البصائر، ومَن معه من أهل البصائر لما وصلكم إسلام.(٢)

١- خطبة الجمعة (٩٥) ٢١ ذي القعدة ١٤٢٣هـ ٢٤يناير٢٠٠٣م.

٢- خطبة الجمعة رقم (١٠٢) ١١ محرم الحرام ١٤٢٤هـ ١٤ مارس ٢٠٠٣م.

الباب السَّادس

الأمَّة والصَّحوة الإسلاميَّة

معنى الصَّحوة الإسلاميَّة

الصحـوة تعني: استيقاظ الإنسان المسلم على شيئ من عظمة إسلامه، وعلى شيئ من معناه هو، بما هو إنسان، وبما هو إنسان مسلم بالخصوص.

من علائم الصَّحوة

والانتخابـات في البلاد الإسلامية تعلن حقيقة رفض المجتمع المسلم بعد الصحوة لغير الإسـلام، وإصراره على الإسلام، انتخابات الجزائـر، انتخابات تونس، انتخابات تركيـا، انتخابات باكستـان، الانتخابات في أي بلد مسلم إذا أعطيـت شيئًا من الحرية، فهـي قادرة أن تقوم برهانًـا صارخًا على الرفض الجماهـيري الواسع من النخب وغير النخب لغير الإسلام، وأن الخيار الوحيد أصبح لا يتجاوز غير الخيار الإسلامي في فؤاد الإنسان المسلم، وعلى يديه كذلك.

وهـذه الصحـوة، وهذا الخيـار، وهذا الواقع علقـم في فم الكافريـن، وشيئ مرٌّ لا تصبر عليه الحضارة المادية.

فـلا بـدَّ من جهد عالمـيّ ومحليّ علـى مستوى البـلاد الإسلامية كلّهـا وهو مكثف، ومخطط له على جميع الأصعدة للعودة بالأمَّة إلى حالة السبات.

بـدأتم تستيقظون، وفي يقظتكم خطر على الحضـارة المادية، فلا بدَّ من المخدرات التي تعود بكم إلى حالة السبات، فهل تملكون مقاومة لكل المخدرات الثقافية؟

والمخدرات السلوكية؟

ومخدر المال؟

ومخدر الجاه؟

ومخدرات قد لا نملك لها عدًّا؟

تحتاجون إلى صحوة حقيقية.

تحتاجون إلى عقل يفكر.

تحتاجون إلى فطرة نابهة.

تحتاجون إلى نباهة ويقظة والتفات إلى عظمة هذه الأمَّة، وأين تكون مصلحتها.[1]

استهداف الصَّحوة

فإن الأمَّة المسلمة اليوم أمام منعطف من المنعطفات التاريخية بالغة الخطورة، وتخطيط استكباري حاسم يستهدف وجودها، ويعيش حالة من التطبيق الواسع على أرض الإسلام من أقصاها إلى أقصاها على يد ملايين من الأجهزة والتجمعات والمؤسسات التي تنتشر في كل البلاد الإسلامية؛ لإحداث تصفية سريعة للحالة الإسلامية التي بدأت صعودًا ملحوظًا في القرن الماضي، ومواجهتها مواجهة حدِّية بكل وسائل الفساد والتخريب الفكري والأخلاقي والإرادي والاجتماعي، وفي كل الأبعاد دعمًا لجيوش الغزو العسكري والاحتلال المباشر الزاحف في توسُّع وازدياد على كل شبر من أرض الإسلام.

رغم كل ذلك، فإن يقيننا أن الأمَّة لن تموت، وأن الدولة العالمية القادمة هي دولتها، وسيكون هذا التحدي المصيري باعثًا جادًّا من بواعث نهضتها، وشعورها بعزتها وكرامتها، ولن يطول الزمن قبل أن تتمرد الأجيال الناهضة على وضع التغريب والتمييع الذي ينهك مقاومة الأمَّة، ويسقط رجولة شبابها، ويومنا هذا قد بلغ وعي الصحوة في الكثير الكثير من بلاد الإسلام ما يمثل تحديًا كبيرًا أسقط فاعلية الآلة الإعلامية الضخمة للمستكبرين المفسدين وأذنابهم في القضاء على هذه الصحوة، التي لا تجد من الآلة الإعلامية والقدرات الأخرى ما يساعدها على التركز والامتداد، ولإجهاض التَّام

١- خطبة الجمعة رقم (٨٤) ٣ شهر رمضان المبارك ١٤٢٣هـ ٨ نوفمبر ٢٠٠٢م.

للحرب الثقافية الشرسة التي يشنها أعداء الله على هذه الأمَّة.

وصحيح أن مخطط الهجمة في اتساع، والتجميد والتجفيف والمصادرة لفرص الصحوة الإسلامية وآلياتها مستمرة، وأن أدوات التخريب والإفساد تتطور يومًا بعد يوم، ولكن كل ذلك لا يفشل هدى الإسلاميين، ولا يحجب شمس دعوتهم، وهناك قلوب ظمأى، وعقول متعطشة، وأرواح ملتهبة في كل الدنيا تتطلع للإسلام، لكلمة الوحي الصادقة، لما يغذي طموحها في أن تسترد إنسانيتها المسلوبة، وكرامتها المغَيبة، وسعادتها المسروقة من حضارة الطين والفُروج والبطون، والشهوات المدمرة، ورعاتها الطغاة الناهبين الماكرين الذين يحتقرون الإنسان، ويسحقون قيمه.

ولا يخاف على الإسلاميين، ولا يحبط دورهم أكثر من أن تستغفلهم مخططات الفرقة والشتات من طائفية وما ماثلها أو شابهها من شعارات ممزِّقة، تحول معركتهم بينهم، وتجعلهم يعملون وكلاء تبرعيين عن أعدائهم من أشرار العالم في القضاء على كيانهم.

أمريكا والصَّحوة الإسلاميَّة

أمريكا وهي المنفتحة زعمًا وادعاءً لا تستطيع التعايش مع واقع الصحوة الإسلامية القائمة.

هناك صحوة إسلامية فرضت نفسها على الساحة الإسلامية ليس في بقعة معيّنة من بقاع الأرض، إنما في كل شبر فيه إنسان مسلم.

هذا الواقع أمريكا لا تحتمله، الغرب السائر في ركاب أمريكا لا يحتمله، وهذا يخلق مشكلة صراع حضاري خطير.

أمريكا بموقفها المحارب للصحوة الإسلامية، المواجه لها بالحديد والنار، هل تقتل الصحوة، أو تنفخ في روح الصحوة؟

وتحول الصحوة إلى انتفاضة وثورة؟

أمريكا بموقفها الغبي تحوّل الصحوة إلى انتفاضة وثورة، وتشعل روح الانتفاضة والثورة في كل روح فيها إباء من إباء الإسلام، وشموخ من شموخ الإيمان، وعزة بالله سبحانه وتعالى.

نعم، إن أمريكا ترتكب غباءً فاحشًا، وتسقط الثقة فيها وفي حضارتها، وتعلن كذب ديمقراطيتها، وتؤلّب خلقًا كثيرًا في الأرض ليس من المسلمين فقط وإنما مسلمين وغير مسلمين عليها.

إنها خدمة من عدوّ لدود، وهي خدمة كشف الأوراق، فأمريكا تكشف بهذا الموقف عن كل أوراقها، وعن زيفها وكذبها، تتقدّم بمليون دعاية؛ لتأسر قلب الشاب والشابة من شبابنا وشاباتنا، ولتستقطب أفئدتنا، لترينا أنها كبيرة وأننا صغار، وعلينا أن نؤمن بتبعيتها والذوبان فيها.

لكن من الجهة الأخرى تُشهر سيفها ضد مصالحنا، تواجهنا بالحديد والنار، تسفك دماءنا، وتكشف التقارير الجديدة عن صور بشعة أخرى مارستها في سجن أبو غريب.

كل ذلك ترتكبه أمريكا؛ لتسقط كل محاولاتها الخبيثة الماكرة التي تحاول من خلالها استقطاب قلوب المسلمين.

هذه الحالة ينبغي استثمارها، وإدامة ذكر التجارب المرة المستمرة لها مع هذه الأمّة.

الأجيال تنسى، هذا جيل شهد سخف أمريكا، وكذب أمريكا، وظلم وطغيان وفحش أمريكا، وعنجهية وجاهلية وطاغوتية أمريكا، لكن الجيل الثاني يمكن أن يُخدع، وهذا الجيل نفسه يمكن أن ينسى من بعد سنوات.

على الواعين، على الدعاة، على الرساليين أن يبقوا الصورة البشعة حية باستمرار في قلوب المسلمين، وأمام مرأى كل أجيالنا.[١]

١- خطبة الجمعة (١٦٥) ٢٥ رجب ١٤٢٥هـ ١٠ سبتمبر ٢٠٠٤م.

صوت العدالة يتعالى

بـدأ صـوت العدالـة يتعـالى في أوسـاط كل شعـوب العـالم، وفي أوسـاط الشعوب الإسلامية بكاملها.

بـدأ صوت العدالة يتعالى، ويهزّ جنبات المجتمعـات، وظهرت الصحوة الإسلامية، وتفجّـر الوعي الحقوقي والسياسي، وانتفضـت روح الكرامة الإنسانية والإيمانية في هذا الإنسان.

ولم يعد من الممكن أن يتراجع صوت العدالة في ظلّ هذه العناصر الكريمة.

وبـدأ صوتٌ آخر وهو من ذلك الصوت يعمُّ المعمورة، وهو صوت التحرّر من الهيمنة الأجنبية.

بدأ هذا الصوت يتعالى كذلك.

والأنظمـة تخوّف فئة بأخرى، وتستميل فئة لضرب أخـرى، على أن الفئتين لو وعتا لاكتشفتا أنهما مظلومتان معًا.

يسرقـون الجميع، ينهبون الجميـع، يخيفون الجميع، يقزّمـون الجميع، يستعبدون الجميـع، لكن يثقّلـون على طرف أكثر من طـرف؛ ليحسب الطرف الثـاني المسكين أنه يتمتّع بالنعم الكثار، وأنه في جنة الفردوس.

ولبنان تردّ على هذا الدجل الأمريكي والإسرائيلي - مثلًا - بتوحُّد الشيعي والسني والمسيحي.

أمـا الفلسطينيـون ومجتمعات أخـرى إسلامية، فهي تقع في الفتنـة الداخلية التي تخدم الأغراض الأجنبية والداخلية الخبيثة.

من جهة أخرى: إنّ عقلية الشعوب قد بدأت تتصحّح، وهي آخذة في النمو على هذا الطريق، ولكن عقلية الحكومات بعدُ لم تعرف التغيُّر التصحيحي.

عقليـة الحكومـات كانت ولا زالت تـرى أن البلاد والعبـاد ملك السلطـان، وأنه لا اعتراض على مالك يتصرف في ملكه وعبيده، وكانت هذه العقلية محلّ اقتناع الشعوب،

لكـن بدأت صحوة في الشعوب تسحق هذه العقليـة، وتستبدل عنها عقلية جديدة، عقلية الحرية والتحرّر.

من المنتصر؟

المنتصر الواهم؟

أو المنتصر الواعي؟

المنتصر: الواعي، المنتصر: المتمشّي مع خطّ الله، مع مفاهيم الشرائع العادلة، وأن الإنسان حرٌّ لا يستعبده إنسان، فيملك عليه فكره، وشعوره، وإرادته، وحياته.[1]

١- خطبة الجمعة (٢٦٣) ٢٣ ذي القعدة ١٤٢٧هـ ١٥ ديسمبر ٢٠٠٦م.

الباب السَّابع

الأمَّة الإسلامية.. المقاومة، الجهاد، والثَّورة

المستكبرون وإسقاط روح المقاومة عند المستضعفين

تريدنا أمريكا أمَّة: بلا إسلام، بلا سلاح، بلا إرادة مقاومة، ثلاثة مطالب.

والأمَّة التي تجرد من مبدئها تهلك، والأمَّة التي تجرد من سلاحها تغلب، وهي مهزومة أكثر، وضعيفة أكثر ومغلوبة بدرجة أسهل حين تفقد إرادة المقاومة، والمطالب الثلاثة محلُّ الإرادة الشريرة لأمريكا بالنسبة لهذه الأمَّة.

بعد فصل الأمَّة عن الإسلام المطلوب سلب سلاح اليد، وسلب سلاح النفس.

وحين يسلب سلاح اليد، ويبقى سلاح النفس من إرادة المقاومة يمكن أن يستعاد ذلك السلاح، أما حين تسلب إرادة المقاومة من النفس، فلا فرصة من جديد للنهوض، إلا أن يعود هذا السلاح ذاته.

وإسقاط روح المقاومة من طرقه:

١- التَّهويل، والتَّهديد، والتَّقزيم للتَّخويف، والتَّيئيس

التهويل في حجم العدوّ، والتهديد لفريسته، والتقزيم لهذه الفريسة في الإعلام، وفي الخطط؛ للتخويف، والتَّيئيس.

٢- التَّمييع

وطريق آخر هو طريق التمييع، والأمَّة التي تميع في نفسيتها وسلوكها لا تبقى قادرة على المقاومة، وتخسر نهائيًّا إرادة المقاومة.

٣- التَّشكيك في الفكرة المحور

من الطرق لقتل روح المقاومة التشكيك في الفكرة المحور، وفي المبدأ الذي يمثل محور الالتفاف عند الأمَّة.

وإنما تتحرك الأمَّه جادّة وجاهدة وتناضل في التفافها حول هذه الفكرة، أو تلك، لأنها تستحوذ على اهتمامها، وتأخذ حركتها قيمتها من قيمة تمحورها حول المبدأ والفكرة، فحين تسقط الفكرة في نظر الأمَّة، وفي نفسيتها تفقد السبب الأصل لديمومة الحركة، وروح المقاومة.

٤- الاستضعاف

كلما استضعفت الأمَّة عمليًا، وكلما عاشت حالة الفرقة كلما وجدت شراذم الأمَّة ضعفًا داخليًا يمليه الضعف الخارجي القائم على أرضية الفرقة.

فحين نفترق سنة وشيعة، وعربًا وأتراكًا وأكرادًا وأفغانًا، فسنفقد سببًا من أسباب القوة، وسببًا من أسباب استمرار روح المقاومة وهي الوقود الأصل لحركة الذات في البرهنة العملية على ذاتها، وعلى طريق مواقعها المتقدمة.

٥- التَّشكيك في القيادات

وهو أسلوب استعماري يمارسه العدو بكل دهاء وخبث التشكيك في القيادات، والتهزيل لها، والتهوين من شأنها يسقط روح المقاومة؛ ذلك لأن محور حركة الأمَّة والجماعة يتمثل في أمرين معا: في هيبة الفكرة، في وقدسيتها، وفي هيبة الرمز والقدوة.

وحين تفقد الأمَّة الفكرة المحور تسقط بسقوط روح المقاومة وروح الحركة، وحين تسقط قيمة القدوة - أيضًا - تنتهي الأمَّة بانتهاء روح المقاومة.

لو كان الإسلام حقًّا في نظر الأمَّة، ولكن سقط من شخصيات الأمَّة من عدا رسول الله صلى الله عليه وآله، وفرغ تاريخ الأمَّة كله من الشخصيات القدوة وفرغ الحاضر من أي شخصية قدوة لكان الأمر أمر الأمَّة إلى انحدار وشتات.

الأمَّة بلا محور من رمز وقدوة أبعاض ضعيفة متفرقة تنتهي إلى الفردية المحضة، والهروب عن الفكرة.

٦- إظهار جانب الخيانة في الأمَّة

إظهار أي حادثة خيانة، واختلاق حوادث خيانة تعرض على الأمَّة؛ من أجل الشك في قدواتها أسلوب مستعمل على طريق تفتيت وحدتها.

والصحيح أن وصف رمي أي قدوة بالخيانة لا يترك للجماهير، وإنما تشخيصه دائمًا يُترك للنُّخبة، لأنهم الأقرب إلى فهم القدوة، وكان الإمام جعفر الصادق عليه السلام تبلغ زرارة منه كلمة جرح - زرارة من خلّص تلامذة الإمام عليه السلام -، فيسيئه ذلك، فيرسل إليه الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قالها، ولكن قالها حفاظًا على زرارة، واعتزازًا به، وادّخارًا له بما هو رصيد إسلامي ضخم.

السّقوط مرهون بنا

أمريكا تريد إسقاط إسلامنا، تريدنا بلا سلاح، تريدنا بلا إرادة مقاومة، وهذه إرادة الفاعل، ولكن الفعل كما يحتاج إلى إرادة الفاعل يحتاج إلى استجابة المنفعل، يحتاج إلى قابل كما يقولون، وهذه الإرادة الأمريكية لها شرط؛ وهو شرط أن نكون في موقع القابل الذي لا يقاوم، الذي لا يرفض، الذي لا يتحرك.

أما الأمَّة التي تعيش وعي الرفض، وتعيش روح المقاومة، وتعيش سلوكية الحركة، فإرادة العدو لا تنجح معها.

فهل نستسلم؟

لغة أمريكا في مواجهة الدول والقيادات اليوم على طريقة استسلم طوعًا، أم كرهًا.

على إيران أن تستسلم طوعًا أو كرهًا، على سوريا أن تستسلم طوعًا أو كرهًا، على كل بلد إسلامي وعربي أن يستسلم طوعًا، أو كرهًا.

هذا ما تعرضه أمريكا.

وقد تعرض هذا على فرنسا، وقد تعرضه على روسيا أيضًا.

نحن أقوى مجتمعين

والعالم الإسلامي مجتمعًا هو في نظري أقوى من أمريكا، لأنَّ أمريكا إمَّا أن تشن حربًا عادية، وإمَّا تشن حربًا نووية ساحقة؛ على مستوى الحرب العادية، فحربها في العراق إنما نجحت بالمسلمين أنفسهم.

أما حين تدخل في مواجهة الأمَّة بكاملها، وتدخل الأمَّة مجتمعة في مواجهتها، فهذا أمر آخر.

وأما الحرب العالمية، فكما ستسحق العالم الإسلامي ستسحق أمريكا بكل تأكيد.

ما أضعفنا متفرِّقين!

والعالم الإسلامي منقسمًا ومتشتتًا وخائفًا أضعف من أمريكا بلا أي إشكال، فنحن الذين نغلب أنفسنا، ونحن الذين نجعل أنفسنا في هذا الموقع الضعيف؛ موقع أن تقول لنا: أمريكا استسلم طوعًا أو كرهًا.

وهي بالنسبة لعالمنا الإسلامي قد أعطت نفسها، وأعطتها ذيلية كثير من الأنظمة، وإضعاف هذه الأنظمة لشعوبها موقع ولي أمر المسلمين الأكبر.

يستكثر المسلمون أن يكون في البلد الواحد منهم ولي أمر لهم باسم الإسلام، ولكن ومن ناحية الواقع العملي قد أعطوا لأمريكا أن تتبوأ هذا الموقع؛ موقع ولي أمر المسلمين الأكبر، وإن كان على غير الطريقة الإسلامية.

وها هي تأمر الدول واحدة واحدة، وترسم لها سياساتها، وتجعلها في طابور واحد في مواجهة أي بلد مسلم من غير أن تكاد دولة أن تستعصي.

وهــا هــي تنصب قرضــاي في أفغانستــان ولي أمــر للمسلمين، وتفرض نفسها في صياغة الحكومة الفلسطينية، وتفرض الجلبي أو غيره في العراق، بعد الجنرال الأمريكي المتقاعـد، وغـدًا تنصِّـبُ حاكمًا في سوريا، ثـم في غيرها ولها لكل بلـد حكومة جاهزة، والآمـر والناهي لكل هذه الحكومات إنما هو السيد الأمريكـي الذي يتمتع بولاية مطلقة على المسلمين جميعًا إن لم يكن على العالم!!(١)

عودة الشُّعوب للإسلام ناقوس خطر لأعدائها

فـإن شعوب الأمَّـة الإسلامية قـد تفاقم في داخلهـا الشعور بأنها لا تتبـوأ مكانتها اللائقـة، وأن الفـارق بن حجمهـا الحضاري وحجمهـا الواقعي كبيرٌ جـدًا، وقد دخلها الشعـور بضرورة الانتفاض على واقعها المهين، الذي فقـدت من خلاله الأمَّة كلها وزنها وكرامتها.

وهـذه الشعـوب لا زالت تتلمس الطرق، وتجـرِّب الواحد تلو الآخـر بحثًا عن الوزن المفقـود والكرامة الضائعة، وأكبر ما صعب على العالم الغربي المستفيد من تخلف الأمَّة أن تفكـر بعض شرائحها في العـودة للإسلام لا عن طريق الإرهاب للأبرياء الذي ينفيه الإسـلام نفسه، وإنما حتى عن طريق الديمقراطية التي يؤمن بها الغرب نفسه والتي لم يصبر على نتيجتها في الجزائر عندما جاءت ورقة موجبة لصالح الإسلام.

وأيُّ ديمقراطيـة يُتوقع لها بحسب المعادلات الخارجية، والظـروف الموضوعية أن تحقـق نتيجـة كالتي حقَّقتها في الجزائـر، فهي ممنوعة بقرار غربـي متغطرس، فضلًا عما يدعو إليه واقع المصالح التقليدية داخل الأمَّة من رفض لديمقراطية تؤدي إلى هذه النتيجة.

الوعي هو البداية

الشعور بضرورة الخروج من أسر الواقع المتردي.

واقـع التخلف والتبعيـة للأجنبي المعادي، يمثـل بداية نهضة داخليـة مباركة على

١- خطبة الجمعة (١٠٨) ٢٣ صفر ١٤٢٤هـ ٢٥ أبريل ٢٠٠٣م.

مستوى الشعور، وهو أمـــرٌ وراءه خلفيّة حضارية ثرّة، ومـيرات حضاري كبير، ورموز مشعـة على طـول الطريق، وتحضيرات تربوية متصلة بمستـوى وآخر، وضغط فائق من واقـعٍ مــأســاويٍ منــاف لكرامة الإنســان القادر علـى إدراك ذاتـــه، والشعور بقيمة إنسانيته.

وهــذا مجرد بداية تحتــاج إلى وعي نظري لقيمة الأطروحــات المختلفة، وما تمتاز بـه الأطروحـة السماوية عن غيرها في كل المقارنات، وإلى وعي عملي يستوعب عطاء كل التجارب التاريخية التي عاشتها الأمّة على مستوى المناهج الأرضية المختلفة، إلى جانب ما تحتاجه كلُّ نهضة من مقومات أخرى ضرورية.

فالمناهج الأرضّية بكل مقاساتها ضيقة وخانقة بالنسبة لحجم الإنسان: أبعاد ذاته، ومواهبة وطاقاته، وأمانيه وطموحاته.

والمنهـج الـذي يتقدم قامـة الإنسـان في طريقه لكمالـه، ويعرف كيـف يقوده على الطريق، لأنه يدرك وزنه وظروفه وفعليّة طاقته هو الإسلام، والإسلام وحده.

والتجـارب البشريـة وإن كان بعضهـا أقل سـوءًا من بعض، إلا أنها كلهـا متسمة بالقصـور، والعيـوب الواضحة، ولا يصح تعليق الآمال عليهـا بصورة مطلقة، ومن يفعّل ذلك لا بدَّ أن يصطدم بنتائجها الوخيمة المريرة.

نعم، علينا أن نطلب الأقل سوءًا، ولكن ليس لنا أن نثق بغير منهج الله الذي اختاره بعلمه ولطفه وحكمته للعدل في عباده وتربيتهم وتكميلهم، وهو العليم الخبير.

الدساتـير والقوانـين الأرضيّة لا ريب في أنها تمثل بما لهـا من صوابية وخطأ، وبما تنطـوي عليـه من عدل وظلـم واقعًا مضـادًا، أو مساعـدًا بصورةٍ ما علـى تغيير الواقع المتخلف في المجتمعـات، أو تكريسه إلا أنها لا يمكن لتخلفهـا أن يقاوم شعور النهضة في النفوس ليعطله، وإرادة التغيير الصالح؛ ليشلها، والتطوير النافع؛ ليوقفه.[1]

١- خطبة الجمعة (٤٧) ٩ ذو الحجة ١٤٢٢هـ ٢٢ فبراير٢٠٠٢م.

المسلم وانتصارات الكفر

الآيـة: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾[1]، يغرّهم - ويغـرّ عددًا من المؤمنـين العاملين -، ويغرّ الجماهير المسلمة العامة، وهـو سبب فتنة وانقلاب في الفكر والشعور، وتراجع في الموقف العملي.

إن الانتصارات التي يحققها الكفر في الساحة العالمية، وفي الساحة الإسلامية، لها مـردودات نفسية خطيرة، حين لا تكون يقظة، وحين لا يكون وعي، وحين لا يكون انشداد بـالله، أما القلوب المؤمنة المطمئنة، فهي لا ترى إلا فاعلية الله، ولا ترى في هذا الكون إلا هيمنـة الله، وتعرف أن كل جند من جند الأرض إنما هم جند مهزول مهزوم لإرادة الله سبحانـه وتعالى، وإن شيئًا في الأرض لا يمكن أن يتـم إلا بإذن من الله سبحانه وتعالى، وإذا وقـع شر في الأرض على المسلمـين، فهو بمقدمات من فعل أنفسهم وبحسب حاكمية القوانين الاجتماعية التي كتبها الله سبحانه وتعالى على هذا الإنسان في اجتماعه.

نعـم هذه الانتصـارات التي يمكن أن تتحقق على وجه الأرض على يد الكفر، تعطي للكفر انتفاخًا وانتفاشًا أكبر، وتريه أنه الرب الفاعل، وأنه القوة التي لا يمكن أن تواجه، فيزيده ذلك طغيانًا، وإدبارًا عن الله سبحانه وتعالى، وتماديًا في الظلم والبطش والفتك.

ومـن جهـة أخـرى، وفي دائـرة المؤمنـين العاملـين، إذا لم تكـن لهم مـن التربية الإسلاميـة ومن الارتباط بالله سبحانه وتعالى ما يكفي حماية ووقاية، فإن شعورًا سلبيًّا يغـزو أفئدتهم في هذا الظـرف، وربما سبّب لهم الفتور والتراجـع في الحركة، ذلك من وحي شيطاني يترتب على مثل هذه الأسباب.

ولذلك لا بدَّ من دوام ذكر الله سبحانه وتعالى، وانشغال النفس بالنظر إلى جبروته وعظمتـه، وآثـار ذلك في النفسـ والآفاق؛ من أجـل أن يصغر كل شيـئ في النفس أمام عظمة الله سبحانه وتعالى، وألا لكان الإنسان قريبًا من الشرك وخسارة الإيمان.

١ـ آل عمران:١٩٦.

كيفيَّة التَّغلُّب على المشاعر السِّيئة

أولًا: أما القواعد المؤمنة العامة، فهي أكثر تأثرًا بمثل هذه الأحداث، وعلى المبلّغين والدُّعاة أن يعالجوا سلبية هذا الشعور، حين الأزمات وأن يعطوا ضخًّا إيمانيًّا كبيرًا، وزخمًا إيمانيًّا فاعلًا بالنفوس، نفوس الجماهير المؤمنة؛ من أجل أن لا تلتفت إلا إلى عظمة الله، وفاعلية الله، وجبروت الله، وحتى لا تقع ساجدة لعدو الله.

ثانيًا: المؤمن الذي يتمتع برؤية كونية ثابتة، ونظرة إيمانية متأصلة، ويقين بالله وباليوم الآخر، وتقييم دقيق لوزن الدنيا والآخرة، والذي يرى النهايات والمصائر هو الذي لا يرى في تقلّب الذين كفروا في البلاد شيئًا كبيرًا، ولا وزنًا ثقيلًا، ولا نعمة يغبط عليها، وهي تعقب النار، وتذهب سريعًا؛ ليحل محلها مهاد وهو بئس المهاد، وعذاب هو أشد العذاب.

ثالثًا: وكيف ينسى هذا الإنسان جبروت ربه، ويغفل حاكميته وقهره، وبطشه وأخذه، وملكه ونعمائه وافتقار الأشياء إليه، وتقوّمها بعطاء رحمته، ويملك عليه كلّ نفس ظهور عابر، ونصر عاجل، يسجّل هنا أو هناك، وسلطان محدود متزلزل لهذا أو ذاك؟!

إنَّه جهل الإنسان، غفلته، انخداعه، اغتراره، وأنَّها وسائل المكر، والخديعة، والتَّظليل، والتَّهويل، وتصغير الكبير، وتكبير الصغير.

النصر الذي قد يأتي في ظروف معينة للكفر يمكن أن يأتي في ظروف أخرى للإسلام، الكفر يأخذ بأسباب من أسباب القوة التي أمر الله بها، فيمتع ويعز في دنياه، ويغلب وينتصر، والمسلمون حين يفرّطون في الأخذ في الأسباب المدفوعين إليها من قبل الله سبحانه وتعالى، يقعون في الهزيمة.

اطلبوا أسباب القوّة أيها المسلمون، أسباب العزّة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾.[1]

ابنوا أنفسكم علميًا.

ابنوا أنفسكم إراديًا.

١- الأنفال: ٦٠.

ابنوا أنفسكم في كل أبعادها.

تحرَّكوا، خطِّطوا.

التفوا حول قيادة رشيدة.

اطلبوا كلَّ أسباب الاجتماع المتين والتَّماسك، تحتلون الموقع الأوَّل من بين الأمم.

تنجـون من مثل هذه الظروف التي تهز الثقـة، التي تقلّل الإيمان بالإسلام، بعظمة الإسـلام، بفعالية الإسلام، بقدرته على تحقيق النصر وإعطائه الريادة لكم من بين كل الأمم.(١)

تخشى القوى الطَّاغوتية صحوة المسلمين وقوَّتهم

وإن أعدى ما تعاديه القوى الطاغوتية في العالم وأشد ما تحذر منه، وتخطط ضده، هـو أن تقوم قائمـة للإسلام والمسلمين؛ ذلك لما عرفته هذه الدول مـن قبلُ من نزاهة الإسـلام وعظمتـه، وجدارته في انقاذ العالم مـن سياسة الخـداع والتضليل والتجهيل، وإسقـاط القِيم واللعـب بالألفاظ، وسحر الفن السَّافل، والتَّهويـل، وزرع الرُّعب، وتغيب الـذَّات الإنسانيـة التي تنشـد إلى السمو والرفعـة، وتطالب بهما، ولا تلتـذ بمثل ما تلتذ لهما.(٢)

أيُّها المؤمنون والمؤمنات

إنّـه مهمـا يكن من أمـر الصراع بـين الكفر والإسـلام في السـاحـات المختلفة من فلسطـين، وأفغانستان، والشيشان، وكشمـير، وكلّ البلاد الإسلامية، فلن يجد الكفر في يوم من الأيام الفراغ من هذا الصراع.

واستقرار الأرض تحت قدميه؛ ليفرض إرادة الباطل والفسق والفجور على الساحة الإسلاميـة العامة؛ فالمقاومة مستمرة، وأجيال الجهاد متدفّقة، وروح الإصرار متنامية،

١- خطبة الجمعة (٣٤) بتاريخ ٧ رمضان ١٤٢٢هـ، ٢٣نوفمبر٢٠٠١م.

٢- خطبة الجمعة (٨) بتاريخ ٢ ربيع الاول١٤٢٢ هـ ٢٥مايو٢٠٠١م.

والزحف قادم، وبلاد الكفر فضلًا عن بلاد الإسلام لا بدَّ أن يعمّها عدل الإيمان، ورشدُه، وهداه، وأطروحته المنقذة.

وإنّ الأنظمة المتخاذلة لا تُمثّل مستوى الأمّة؛ وليس لها إرادتها ولا إيمانها وصلابتها، ولا رؤيتها وهمُّها وتطلعها، وقداسة هدفها، واعتزازها بذاتها، فإذا انتكست الأنظمة وسجّلت على نفسها الهزيمة بعد الهزيمة، والانسحاب بعد الإنسحاب، فلا يعني هذا أبدًا انهزام الأمّة، وانسحاق الشعوب، وانسحاب المجاهدين من أبناء الإيمان والقرآن من سوح الجهاد والمنازلة.

ولولا ما ينعكس به الواقع الرّسمي المتردّي داخل الأمّة على مجمل حركتها من عوامل العرقلة والشلل، والبعثرة والوأد للحركة والانطلاق، وقابليّات الصنع والإبداع لما أمكن لأعداء الله ومردة الكفر أن يجدوا موطئ قدم في بلاد الإسلام في يوم من الأيام.

ولهذه الحقيقة التي ينطق بها تأريخ المجد الإسلامي، وواقعُ الإنسان المسلم الحقّ ينصبُّ الاهتمام من كلّ القوى المعادية من الخارج والداخل في دائرة الأمّة على محاصرة الإرادة الإسلامية والفكر الإسلامي، والصحوة الإسلامية في نفوس أبناء الأمّة، ويزداد التّفنّن في مختلف الخطط والمشاريع؛ لمطاردة الإسلام وأخلاقيّته وفاعليّته في كلّ ميدان من ميادين النفس، وفي كلّ ميدان من ميادين الحياة النابضة في الخارج.

إنّ الأمّة بشعوبها الحيّة وأبنائها الأماجد، وروح الأصالة والعزّة والكرامة الإيمانية، التي تسري في عروقهم؛ لتبرأ من واقع التبعية الذليل الذي يغوص كثيرٌ من الأنظمة الرسمية في وحله، وحالة المهانة والسقوط، وفقد الهُوية التي يعاني منها مسؤلوا هذه الأنظمة إلى الحدّ الذي تفرض التعبير عن ذاتها على ألسنة البعض بالصورة الرسمية بطرح مقايضة بين الدم والمال، بين نصرة الأمّة، وقبض ثمن ماليّ مقدّم باهض منها، بل بالبراءة من نصرتها مطلقًا، والانفصال عنها، والنأي بعيدًا بالنفس عن لهب النار التي يراد لها أن تحرقها على يدي العدو الذي قد يراه هذا البعض عدوًّا لا بدَّ أن يُركع له، ويتمرّغ على قدميه تودّدًا وخنوعًا؛ من أجل بقاء الموقع - والموقع كُلّ الأمنية، والموقع

كلّ الحيـاة، والموقـع كلّ المقدسات، وكلّ الشرف والكرامة - قد يراه صديقًا يُطلب قربه، ويعـترف لجميل دولاره، ودعمه لكرسي الحكم الذي لا يجـد له أرضية مستقرة إلا بهذا الدعم، لأنّه لا يقوم على رضا شعب، ولا مراعاة مصالحه، ولا احترام مقدّساته.

ولعلّ هذا هو الاحتمال الأرجح الذي يقضي النّظر إلى واقع الأمور التي تتحدث بلغة الأرقام، وبيان أفصح من بيان اللسان.

وإنّ الأمّة لمسؤولة أن تجنّد كلّ طاقاتها في معركتها المصيرية التي يشتدّ أوارها هذه الأيـام في أكثر من أرض من أرض الإسـلام، وخاصة في أرض المقدسات فلسطين، وهي تمتد؛ لتشمل بعدوانيتها الإسرائيلية الأمريكية كلّ شبر من الوطن الإسلامي الكبير.

مسؤولة أمّتنا ألا تدّخر وسعًا في دحر العدو، والدفاع عن المصير والكرامة، والأرض والإنسـان، والـثروة والقِيم، والأصالـة والتأريـخ، والحاضر والمستقبـل، وفي سبيل منع الكارثـة الكبرى ممـا يستهدفه العدو الشرس الباغي مـن تسجيل هزيمة فادحة تسحق وجود الأمّة، وتغوص إلى أعماق إنسانها.

المعركة التي دمّرت أفغانستان، وسجّلت كلّ البشاعات القذرة على يد الصهاينة في أرض الرسالات، وهي في طريقها إلى سحق العراق؛ لتتواصل في شوط بعيد المدى حتى لا تترك مسلمًا ولا إسلامًا إلّا ألحقت به الأذى، ولا شعبًا ولا حكومة تنتصر للدين والأرض والنفـس والكرامـة، إلّا وأذاقتها الهـوان، ولا بلدًا من بلدان الإيمـان إلّا وأذلّته، ولا ثروة للمسلمين إلا وضعت يد الباغي عليها.

هذه المعركة أيتوانى أمامها؟!

أيشتغـل عنها بلعب الكرة، ومسابقات الجِمال والليالي الساهرة العابثة الرخيصة، وكثـير من اللهو والمجون الذي يأكل شعور الأمّـة بالعزّة والمجد والكرامة، ويأكل رجولتها وقدرتها على المواقف المشرّفة الخالدة؟!

المقاطعة سلاح

وأهنئ جماهير أمّتنا المؤمنة في مقاطعتها للبضائع الأمريكية بكلّ ما تستطيع، وبكلّ ما يفسح لها المجال، لأنّه فيما يبدو من حملات التضليل الإعلامي التي تقلّل من أهمية هذه المقاطعة على ألسنة الإذاعات الذليلة التابعة للمعسكر الظالم أنّ الضربة موجعة، وأنّ المقاطعة بدأت تأخذ تأثيرها الضار على العدو، فلا بدّ من مواصلة الطريق.

والمقاطعة لن تدخل أثرها المطلوب على الجبهة المعادية حتى تتواصل وتستمر بإصرار وجد، حتى تتحول عبادة في فهمنا وفي شعورنا، ونصرة في سبيل الله، وسلاحًا نواجه به العدو.

يا جماهير أمّتنا المؤمنة

أدخلي عنصر المقاطعة لكلّ ما يمكن من السلع الأمريكية والإسرائيلية سلاحًا في المعركة التي تستهدف هزيمة الأمّة، وليشجعكم على ذلك كثيرًا ما تحاوله إذاعة لندن وغيرها من التقليل من أهمية المقاطعة.[1]

الجهاد وإسقاطاته على الواقع المعاصر

أمّا بعد أيُّها المؤمنون والمؤمنات، فإنّ للإيمان تكاليف باهضة لا يسع مؤمن أن يتخلّى عنها، ويدير ظهره إليها منها ما يحمّله هذا الخطاب الإلهي من مسؤوليّة للذين آمنوا: ﴿انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[2]

والمؤمنون اليوم أمام معركة ضارية تستهدف طرد شعب مسلم من أرضه، وهي تحصد في طريق هذا الهدف الإجرامي المسلمين كبارًا وصغارًا، ذكورًا وإناثًا، مجاهدين ومدنيين من غير حساب، وتنكّل بالآمنين أشدّ تنكيل في صور مرعبة وأشكال رهيبة.

١- خطبة الجمعة (٥٦) ١٣صفر١٤٢٣هـ، ٢٦أبريل٢٠٠٢م.

٢- التوبة: ٤١.

المؤمنون والمسلمون اليوم أمام حالة من حالات الدفاع عن الأرض والمال والنفس والعرض، فكلّ ذلك يتعرض للعدوان، وكلّ ذلك يواجه صورًا من الفتك والسّحق.

وحالة الدفاع هي حالة استنفار لكلّ قوى الأمّة وقدراتها إلى الحد الذي يدفع العدوان، وتأمن به الأرض، والأنفس، والأموال، والأعراض والمقدّسات، ويعيد الحقّ إلى نصابه كما تُجمع عليه فتاوى الفقهاء، وتقرّره واضحات الشّريعة.

والدفاع جهادٌ موضوعه عدوان ابتدائي يتوجّه إلى المسلمين وأرضهم ومقدّساتهم، فيتوجّب عليهم ردُّه بما هم أمّة، فإن تأدّى على يد جماعة معيّنة سقط الوجوب عن الجميع.

أمّا إذا لم يكفِ المدافعون واستعداداتهم للرّدّ على العدوان وإيقافه نهائيًّا، وتصحيح الوضع بالكامل، فالأمّة كلّها مخاطبة بنصرتهم حتى تؤدي عملية الدفاع كامل أغراضها، وإن لم تفعل وهي قادرة فهي آثمة، وكل من أبنائها معاقب بحسب تفريطه.

وإنّ الأمّة اليوم لتقف وجهًا لوجه أمام هذه الخطابات الإلهيّة الحاسمة:

١- ﴿انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ...﴾[١]، منكم من تسمح له ظروفه بأن يندفع، يتحرّك في سَرَاع إلى الجهاد من غير معاناة، ومنكم من تُثقل ظروفه خطاه، إلا أنّ على الجميع من سهلتْ حركته، ومن صعبت أن يتحرّك في حالة من المستميت، وخاصة إذا كانت المسألة مسألة دفاع بأن كان العدوّ مبتدئًا غازيًا: ﴿انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ...﴾ لا الجهاد.

٢- ﴿... وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾[٢]، وغير الأموال، وغير الأنفس، من ولد ومن رحم ومن قريب ومن صديق.

٣- ﴿وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ولا يكن هذا الجهاد غطرسة، ولا يكن هذا الجهاد للظهور الشخصي، ولا حماية عن الوطن بما هو وطن فقط، إنما بما هو وطن إسلامي، وكلّ شبرٍ من الوطن الإسلامي له قدسية، وكلّ حبّة تراب من الوطن

١- التوبة: ٤١.

٢- التوبة: ٤١.

الإسلامـي لهـا قدسية عند الله ورسوله لا بما هي حبّـة مل، وإنما بما تملكه من وظيفة فعليّة في خدمة الدين، وفي أداء الدور الخلافي هنا في الأرض عن الله.

٣- ﴿وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[1]، وإنَّما تستحقُّون النصر حينما يكون جهادكم في سبيل الله.

٤- ﴿... ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، خسارة الأمـوال، وخسارة الأنفس، الاضطـراب الأمني، فقد الراحة، المعاناة الصعبة، الثكل، التيتم، شتى الآلام، كلها ثمن رخيص للنصر الذي يخدم دين الله، الذي تأمن به السبل، الذي ينتشر به العدل، الذي تتمكن من خلاله الأطروحة الإسلامية، أن تؤدي دورها على الأرض، ودورها دور إيجابي دائـم، دور عـادل، دور متقـدم، دور صنـاع للإنسان، لرقـي الإنسان، لتقـدم الإنسان، لإنسانية الإنسان.

التَّخطيط في التَّضحية

إذا قـال السيـف هنا قتل وتصفيات، قال الـدَّم الزَّاكي - حيث يكون إسلام -: هنا تضحية مرسومة، وفداء مخطط.

ولا يكفي أن تكون هناك تضحية.

ولا يكفي أن يكون هناك فداء.

فلا بدَّ أن تكون التضحية دربها مرسومًا.

ولا بدَّ أن يكون الفداء مخططًا له.

على الأمَّة أن تتعلم كيف تنتصر حتى لو لم يكن لها سلاح إلا التضحية.

يمكن الانتصـار بالتضحية حيث يكون التخطيط، وحيث تكـون الدراسة الميدانية، وحيـث توضـع التضحية موضعهـا، فكر السيد الشهيـد الصدر (أعلـى الله مقامه) أن

١- التوبة: ٤١.

٢- التوبة: ٤١.

يخطو خطوة مصغرة على منوال موقف أبي عبد الله الحسين عليه السلام، كان يفكر أن يخطب خطبة جهنمية في الحرم الحيدري - حرم الإمام علي عليه السلام - ضد البعث، هو وصفوة من طلابه، كالسيد الحائري، والسيد الهاشمي، وما إلى ذلك.

فكَّر في هذا؛ ليحدث زلزالاً في ضمير الأمَّة، لأنه سيستشهد على أثر الواقعة.

فكَّر، وقدَّر، واستشار، ثم توقَّف![1]

لا حدَّ للتَّضحية!

لا حدّ للبذل في الدين ما دام هو الأصلح لبقائه.

وليس أعزّ من رأس الحسين عليه السلام رأس بعده.

ولا أكرم من أهل بيته أهل بيت.

وما لاقى شهيد في الإسلام من أجله ما لاقاه الحسين عليه السلام قبل الشهادة وبعدها في سبيل الله.

وما أوذي أهل بيت مختارين تضحية للدين كما أعقبته كربلاء من أذى لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أطفالاً ونسوة وعليلاً.[2]

الدِّين مقدَّم

هناك موقع كبير للأنفس، وحرمة كبيرة للأنفس في الإسلام.

الأنفس مقدمة على الأموال.

الأعراض مقدمة على الأموال، ولكن دين الله مقدم على كل شيئ، وعزَّة الأمَّة الإسلامية بما هي أمَّة إسلامية مقدمة على كل شيئ.

أن يبقى النور الإلهي في الأرض مربيًا صانعًا هو أهم من الأنفس.

١- خطبة الجمعة رقم (١٠٢) ١١ محرم الحرام ١٤٢٤هـ ١٤ مارس ٢٠٠٣م.

٢ خطبة الجمعة رقم (١٠٢) ١١ محرم الحرام ١٤٢٤هـ ١٤ مارس ٢٠٠٣م.

أهم من الأموال.

أهم من كل شيئ.

ليس هناك دم أغلى من دم الإمام الحسين عليه السلام في وقته.

وليس هناك بيت له من القدسية ما لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا حرمة أكبر من الحرمة الثابتة لبيت النبوة، وللفاطميات يوم كربلاء، إلا أنّ كل ذلك قد رخص في سبيل الله، ومن أجل الحفاظ على دين الله.

١- ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١]، ولو علمنا لانكشف الأمر لنا، لكنها السذاجة، ولكنها الغفلة التي تجعلنا نطلب الراحة بالذل، ونطلب العيش الرغيد ببيع دين الله.

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.[٢]

تضع الآية الكريمة أيدينا على خلفية التقاعس.

على خلفية الخوف في داخل أنفسنا.

على خلفية الجبن.

على خلفية التخاذل أمام أعداء الله، ما هي الخلفية؟

هي الارتباط بالحياة، تقديم الحياة على الآخرة، لأننا لا نعرف قيمة الآخرة.

لأننا لا نذكر الله.

لأننا لا نعرف أنفسنا.

١- التوبة:٤١.

٢- التوبة:٣٨.

لو عرفنا أنفسنا ما بعناها بأي ثمن، لو عرفنا الله ﷻ، لما ارتعدنا أمام طاغوت.

لـو عرفنـا قيمة الآخرة لزهدنا في الدنيا حتى لو لم تكن ثمنًا للآخرة، فيكف بها في ما يراد بنا أن تكون ثمنًا لآخرتنا؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[1]، أفقدتم وعيكم؟

أفقدتم حسكم الإيماني؟

أنسيتم ذواتكم؟

أنسيتم ربكم؟

أنسيتم مستقبلكم؟

أنسيتم عزتكم؟

إثاقلتم إلى الأرض؟

رضيتم متاع الدنيا من الآخرة؟

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.[2]

الله يكشف لنا الواقع.

الله يكشف الغطاء عن الحقيقة.

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[3]، قليل مزهود.

قليل لا يلفت النظر.

قليل لا يستقطب النفس.

﴿إِلاَّ تَنفِـرُواْ...﴾ أمـام إسرائيل، أمـام كل غزو ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُـمْ عَذَابًا أَلِيمًا

١- التوبة:٣٨.

٢- التوبة:٣٨.

٣- التوبة:٣٨.

وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ...﴾، دين الله لا يتعطّل: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[1]

فوق هذا العذاب الذي يواجهنا به العدو إذا جبنا، إذا نكصنا، إذا تراجعنا.

نتوقّع عذابًا أكبر وصفه الله ﷻ بأنّه عذاب أليم، ووصف الله ﷻ لا يرقى إليه وصف.

رؤى مبدئيّة

١- إنّنا ضدّ مشاريع الاستسلام والتّطبيع الخانع بكلّ أشكالها وصورها.

٢- ضدّ استعباد الأمّة، والسّيطرة الأمريكية على مَقْدراتها ومقدّراتها باسم الصّداقة الأمريكية العربية أو الإسلامية.

٣- ضدّ سلبية الأنظمة الرسمية في القضايا المصيرية لحاضر أمّتنا ومستقبلها، وتآمر بعض هذه الأنظمة على واقعنا ومستقبلنا الإسلامي الكبير.

٤- ضدّ تهميش الشّعوب المسلمة وإلغاء إراداتها الإيمانية الفاعلة.

٥- ضدّ تعميم الشّعور بالضّعف والهزيمة، وتركيزه في نفوس جماهير الأمّة وأجيالها الصّاعدة.

٦- نحن نؤمن بقدرة أمّتنا، وبعطاء جماهيرنا، ونؤمن بعظمة الإسلام الصنّاع للقدرات الهائلة، وتفجير الطاقات المخزونة، والقابليّات التي تعاني من الكبت.

٧- نؤمن بأنّ أيّ ضعف طارئ على الأمّة مردّه إلى قصور الأنظمة وتقصيرها، وليس لعظمة ذاتية تتمتّع بها إسرائيل أو أمريكا، أو غيرهما وتفتقدها هذه الأمّة المجيدة الحيّة المعطاء.

---

١ التوبة: ٣٩.

٨- نؤمن بأنَّ طريق النَّصر يمُرُّ باعتراف الأنظمة بالشعوب وكرامتها ومخزونها الهائل، وإتاحة الفرصة لهذا المخزون أن يتحرّك فاعلًا على أرض الواقع من غير عوائق فئوية وطائفيّة ومصالح شخصيّة ضيّقة، ومن خلال أجواء النّمو الصالح، والتّعبير بإرادة حرّة عن الانتماء الحضاري الإسلامي القادر على الدفع بعجلة الأوضاع إيجابًا، وبصورة مثمرة ثرة ملايين الأضعاف على ما عليه واقع سيرها فعلًا، وفي غياب فاعليّة هذا الانتماء وتجميده.[1]

زمن الثَّورة والدَّولة

متى تكون الثَّورة؟

متى تكون الانتفاضة؟

متى تكون الحركة؟

متى تكون الدولة إسلامية؟

تحدث في عالمنا الكبير ثورات، انتفاضات وحركات تستهدف لونًا من التصحيح، الإصلاح، التغيير، وتنطلق من ضغط ظالم، وظروف سيئة، ويكون لهذه الثورات خط من صواب أو خطأ، وعدل أو ظلم، واستقامة أو انحراف.

وتحدث في عالمنا الإسلامي ثورات، وانتفاضات وحركات منها المنتسب للإسلام، والمنتسب لغيره.

وقد يكون لما انتسب للإسلام منها منطلق إسلامي، أو صبغة ما إسلامية، أو إيمان إجمالي بالإسلام، أو استئناسٌ به، أو تُحاول الاستفادةَ من الانتساب إليه.

وقد تؤدي الحركات الأولى أو الثانية إلى بعض الإصلاحات والتعديل في هذا الوضع أو ذاك، وتسترد بعض الحقوق، وتختلط نتائجها من السلب والإيجاب بالنسبة لما هي

١- خطبة الجمعة (٥٣) بتاريخ ٢٢ محرم ١٤٢٣هـ ٥أبريل٢٠٠٢م.

المصلحة الحقيقية للإنسان ومجتمعه، بالقياس إلى أهدافه النبيلة الكريمة المنسجمة مع الغاية الصدق التي ينبغي أن يكون تحرُّكه الحضاري على مسارها كما هو في رأي الإسلام.

أما الثورة الإسلامية، والحركة الإسلامية التي يصدق عليها هذا العنوان بحق، فلها شروطها الخاصة بحيث تكون إسلامية حقًّا منطلقًا ورؤية وهدفًا وأخلاقية وأسلوبًا ومعالجةً ومنهجًا وخضوعًا لأحكام الإسلام وتشريعاته في كل كبيرة وصغيرة تواجه الحركة، الثورة، الانتفاضة على الطريق الطويل الشائك.

والثورة الإسلامية التي فجّرها الإمام الخميني ﷺ حقيقة بهذا العنوان بصدق بلحاظ كل المقوّمات السابقة.

ثم، إنّه لا يتم صدق الثورة الإسلامية والحركة الإسلامية، ما لم تكن القيادة قيادةً إسلامية واقعًا؛ وصدق عنوان القيادة الإسلامية متوقف على شروط لا بدّ من تحققها الخارجي:

١- وضوح فكري للإسلام في تركيبته العامة، وروحه، ومقاصده، ورؤيته.

٢- إيمان عميق ثابت بالإسلام، وقدرته على الإنقاذ، وحقّانيته التي لا غبار عليها.

٣- فقه أحكامه[1] وتشريعاته بما في ذلك تشريعات الحياة العامة للمجتمع، وحركة الحياة خاصّة.

٤- التقوى العملية الرادعة عن مخالفة الشريعة في مضائق الأمور، ومزالق الأقدام.

٥- كفاءة الخبرة والعلم بالمكان والزمان.

٦- الكفاءة النفسية، والإرادة الإيمانية المتطلّبة عدم الضاغط المعطّل، أو المعرقل من صفتين خطيرتين على النفس في هذا المجال: الجبن، والتهوّر.

١- القيادة بلا فقه، لا يمكنني أن أسميها قيادة إسلامية.

٧- التواضـع أمام علم الآخرين وخبرتهم إلى حدّ التنازل عن رأي القيادة وإن كان معلنًا، مع احترام القيادة لما هي عليه من علم وخبرة.

والشَّرط الأخير وارد في حق غير المعصوم عليه السلام.

وإذا كانـت القيادة الإسلاميـة في درجتها المثالية إنما تتجسّد في المعصومين عليهم السلام فحسـب، فإنها متجسدة بحق وصـدق بدرجة عالية كافيـة في الإمام الخميني رضي الله عنه، وبلحاظ كل تلك الأمور، وهو الشيئ الذي أعطى قيادته الاستقطاب الكبير للمستضعفين والمحرومين والوعاة المنصفين، وأتعب بها الطغاةَ المستكبرين.

أمَّـا عن أثر الثورة الإسلامية المباركة على يد الإمام الخميني (أعلى الله مقامه)، فإنهـا أعطت بعثًا جديـدًا للإسلام والأمَّة على مستويات؛ علـى مستوى الروح، والإرادة الإيمانيـة الروحيَّة، وصحـوة الفكر الإسلامـي، والتفتُّح الفقهي الميـداني العام، والثقة العاليـة بالنفس عنـد الإنسان المسلـم والمجتمع المسلم، والحميَّة والغيرة علـى الدِّين، والأمَّـة، والوطن الإسلامي الكبير، وهيبة الدِّين والأمَّة في صدور الأعداء، وعزة وكرامة الإنسـان المسلـم، واستيقـاظ روح البذل والتضحيـة والجهاد والوعـي الحقوقي لأبناء الأمَّـة، والإيمـان بقضية التغيـير، وفرض الدولـة الإسلامية المباركة واقعًـا حيًّا، ومثالًا كريمًا، ومنارة مضيئة في الأرض.[1]

١- خطبة الجمعة (٢٧٢) ٢٧ محرم الحرام ١٤٢٨هـ ١٦ فبراير ٢٠٠٧م.

الفصل الثَّاني عشر

قضيَّة فلسطين

فلسطين القضيَّة والمحكّ

موقع الأمَّة من الحرب على فلسطين

أمامنا فلسطين المغتصبة ومشكلاتها المتحدية للأمَّة، والتي تحمّلها مسؤوليتها الكبيرة.

المُحارَب في فلسطين إرادة الأمَّة، تاريخها، انتماؤها، كبرياؤها، نهضتها، حاضرها، مستقبلها، وليس إنسان فلسطين فقط.

والنتيجة لهذا الطرح ولهذا الواقع هو أن لا بدَّ أن تكون الأمَّة كلها في خندق المواجهة، ما دام المواجه كل الأمَّة.

فلا بدَّ أن يكون المواجِه أيضًا هو كل الأمَّة، فهذا يعطينا الشعور بأننا لا يصح لنا أن نكون متفرجين، ولا يكون حديثنا واهتمامنا بالقضية الفلسطينية عند تأجج الأحداث فقط، وعند مناسباتٍ خاصة.

الانتفاضة رأس مال الفلسطيني المقهور، المضطهد فكيف يفرّط فيها؟!

هل له رأس مالٍ آخر في مواجهة إسرائيل في استرداد حقه في أن يكون له أملٌ في استرداد هذا الحق؟!

لا يوجد على الساحة، على الأرض شيئ من الرصيد غير هذه الانتفاضة.

إذًا، لا يصح له أن يفرط فيها والحال هو هذا الحال، حل العدو أن يتحول عرفات إلى جزّارٍ وكيلٌ لشعبه.

وحل الانتفاضة مواصلة الكفاح.

أسأل: فالأمَّة مع أي حل؟!

مع حل العدو الصهيوني الذي يطرحه، وهو أن تكون مفاوضاتٌ غير مشروطة بشرطٍ واحد يفرض عليّ، وشرطه في ذلك أن تقف الانتفاضة بالكامل، أن يكون الانسحاب من

ساحة المواجهة.

أن يتخلّى الفلسطيني عن قفزة إرادته.

عن اشتعال نار الثورة في داخله؛ من أجل أن يبرد.

من أجل أن تبرد أعصابه.

من أجل أن يستكين للاستراحة.

من أجل أن تطوى صفحة الانتفاضة.

هذا هو شرط العدو في الدخول في مفاوضاتٍ لا يلتزم فيها ولو بشرطٍ واحد.

الأمّة في شعوبها، الأمّة في حكّامها مع مَن؟![1]

على هدى الإسلام

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[2]؟!

أَفقدتم وعيكم؟

أَفقدتم حسكم الإيماني؟

أَنسيتم ذواتكم؟

أَنسيتم ربكم؟

أَنسيتم مستقبلكم؟

أَنسيتم عزتكم؟

اثّاقلتم إلى الأرض؟

رضيتم متاع الدنيا من الآخرة؟

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.[3]

١- خطبة الجمعة (٢٣) بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ ٧ سبتمبر ٢٠٠١م.

٢- التوبة:٣٨.

٣- التوبة:٣٨.

مسؤوليَّة الحكومات

إنَّ الحكومات لمسؤولة أن تنتقل من ردّ الفعل على مستوى الإدانة اللفظية، ومناشدة أمريكا الصديقة العدوّة تخفيفًا لموجات الغليان الشعبية في الأمّة، وتخديرًا للأعصاب، وإقناعًا للجماهير بالموقف البطولي الزّائف إلى اتّخاذ مواقف عمليّة جادّة في مسألة الدّفاع.

نحن لسنا أمام مسألة جهاد بالمعنى الاصطلاحي، نحن أمام مسألة دفاع بهذا المعنى.

ونحن في حالة ردّ العدوان، ولسنا في حالة فتح بلاد أخرى باسم الإسلام، وتفعيل كلّ الآليات المتوفّرة في المعركة المصيرية المشتعلة.

ولا يُقبل أبدًا أن يتساوى ردّ الفعل من الأنظمة التي تضع يدها على قدرات الأمّة، مع ردّ الفعل من الشّعوب المسلوبة كلّ شيئ إلّا النزر القليل.

الشعوب تُدين بإدانات لفظية، ومظاهرات، وباحتجاجات كلامية، وأيضًا موقف الحكومات هو الإدانة الكلامية؟!

بيد الحكومات

١- سلاح النفط.

٢- قطع العلاقات السّياسية، والاقتصادية، والثّقافية مع العدو الإسرائيلي.

٣- توظيف موقف سياسي موحد قوي للضغط على السياسة الأمريكية.

٤- طرح البديل الجاد لمبادرة السلام التي واجهتها إسرائيل بالاستخفاف والردّ الساخر من القمّة العربية.

٥- إمداد المجاهدين بالمال والسلاح في داخل الأرض المحتلّة.

٦- فتح الفرص؛ لتدفق المجاهدين من أبناء الأمّة خارج فلسطين المغتصبة عليها.

٧- إيقاف الاستثمارات العربية في البلاد المساندة لإسرائيل.

٨- عدم التعاون العلني والسرّي مع المشاريع الأمريكية في المنطقة، والغزو الظالم للبلاد الإسلامية.

والمعروف أنَّ بعض الأنظمة العربية والإسلامية - وإلى الآن - تواجه وتمنع المظاهرات السلمية ضدّ إسرائيل في الوطن الإسلامي، كما أنّ كثيرًا من بلدان العالم العربي والإسلامي لا زالت تتقرّب إلى أمريكا بتسليمها الصيد المسلمين الذين ترميهم أمريكا نفسها بالإرهاب توثيقًا؛ لإخلاصها للسّيّد الأمريكي، وسياسته الرحيمة في بلاد المسلمين.

مسؤوليّة الشّعوب

أمَّا ما تملكه الشعوب، فهو:

١- المقاطعة الشاملة لكلّ ما فيه دعم للاقتصاد الإسرائيلي، ومنابع دعمه في أمريكا عدا ما قضت به الضرورة القصوى.

٢- الاستمرار في المظاهرات والمسيرات والاحتجاجات؛ لتكون ظاهرة صارخة على مستوى الأمَّة في وجه العدوان الإسرائيلي والاحتضان والدعم الأمريكي، والصمت الرسمي العربي والإسلامي فضلًا عن الصمت العالمي، ومن أجل تحريك الضمير العالمي الذي يعاني من التّبلّد والجمود.

٣- تملك أن تسجّل رفضًا تاريخيًّا مستمرًّا وبقوّة لمخطّطات الاستسلام، وبيع الحاضر والمستقبل الإسلامي؛ من أجل إيقاف المؤامرة الاستكبارية على أمتنا، وأن تحبط بمواقفها المبدئية محاولات التغريب الفكري والعملي التي تستهدف إسقاط هُويَّة الأمَّة.

رسالة الموقف

١- إنّنا ضدُّ مشاريع الاستسلام، والتّطبيع الخانع بكلّ أشكالها وصورها.

٢- ضدُّ استعباد الأمَّة والسّيطرة الأمريكية على مَقدراتها ومقدّراتها باسم الصّداقة الأمريكية العربية أو الإسلامية.

٣- ضدُّ سلبية الأنظمة الرسمية في القضايا المصيرية لحاضر أمَّتنا ومستقبلها،

وتآمر بعض هذه الأنظمة على واقعنا ومستقبلنا الإسلامي الكبير.

٤- ضدّ تهميش الشّعوب المسلمة، وإلغاء إراداتها الإيمانية الفاعلة.

٥- ضدّ تعميم الشّعور بالضّعف والهزيمة، وتركيزه في نفوس جماهير الأمّة وأجيالها الصّاعدة.

٦- نحن نؤمن بقدرة أمّتنا، وبعطاء جماهيرنا، ونؤمن بعظمة الإسلام الصنّاع للقدرات الهائلة، وتفجير الطاقات المخزونة، والقابليّات التي تعاني من الكبت.

٧- نؤمن بأنّ أيّ ضعف طارئ على الأمّة مردّه إلى قصور الأنظمة وتقصيرها، وليس لعظمة ذاتية تتمتّع بها إسرائيل أو أمريكا، أو غيرهما وتفتقدها هذه الأمّة المجيدة الحيّة المعطاء.

٨- نؤمن بأنّ طريق النّصر يمرّ باعتراف الأنظمة بالشعوب، وكرامتها، ومخزونها الهائل، وإتاحة الفرصة لهذا المخزون أن يتحرّك فاعلًا على أرض الواقع من غير عوائق فئوية وطائفيّة ومصالح شخصيّة ضيّقة، ومن خلال أجواء النّمو الصالح، والتّعبير بإرادة حرّة عن الانتماء الحضاري الإسلامي القادر على الدفع بعجلة الأوضاع إيجابًا وبصورة مثمرة ثرة ملايين الأضعاف على ما عليه واقع سيرها فعلًا، وفي غياب فاعليّة هذا الانتماء وتجميده.

وطأة الضّغط

يا أبناء أمّتنا الغيارى، إنّكم لن تعوّلوا في أيّ يوم من الأيّام على مندوبي الرّئيس الأمريكي للمنطقة، ولا على الرئيس الأمريكي نفسه، وعلى طلبه لإسرائيل بالانسحاب.

ولن تقدم أمريكا ولا أوروبا على أيّ خطوة في صالح قضيّتنا إلا اضطرارًا تحت وطأة الضّغط من جماهير الأمّة، وقواها الشعبية الفاعلة، ولإنقاذ مصالحها، والحفاظ على مدلّلتها إسرائيل.

إنّه لا يُحسن الظن بأعداء الأمّة.(١)

١- خطبة الجمعة (٥٣) بتاريخ ٢٢ محرم ١٤٢٣هـ ٥ أبريل٢٠٠٢م.

خطُّ الوعي والبصيرة والقيادة

الواجـب على المسلمين أن يحموا أي ذرة من ذرات الأرض الفلسطينية، ومن ذرات أي وطـن من الأوطان الإسلاميـة، والأوطان الإسلامية والأوطـان الإسلامية كلها وطن واحـد، وأن يترجـم اهتمـام المسلمـين بفلسطين عمليًـا في صورة بذل مـالي، في صورة مظاهـرات، في صـورة مسيرات، في صـورة اجتماعات، في صورة حمـل البندقية، وبذل الدَّم وما إلى ذلك.

لكـن كل هــذا لا يصح أن يأتي عشوائيًا، ولا يصـح أن يتلقى من جهة مجهولة أبدًا، وإنمـا الصحيـح للمؤمنين في كل مكان أن يخدموا قضاياهم من خلال خط الوعي، ومن خلال خط البصيرة، ومن خلال خط الارتباط بالقيادة التي يؤمنون بها.[1]

بوصلة الجبهة الإسرائيليَّة

كل التدمـير الهائل، والنسـف للبنية التحتية في غزَّة، والدكّ للمواقع المؤثرة بدرجة أساس وحتى المواقع الثانوية، والمذابح الآثمة للمدنيين، والترويع للجميع، وتقطيع شرايين الحيـاة والحركة، والحصار الخانـق، والشح في الإمدادات، والإمعـان في التخريب، ثم الإدانـات الرسميـة العربية والأجنبيـة للمقاومـة، ومشاريع الهدنة المصممـة تصميمًا خاصًـا يتوافق مع رغبة العدو الإسرائيلي؛ كل ذلك يراد له أن ينتهي إلى تجريد المقاومة كل المقاومـة من حماس وغـير حماس في فلسطين، وغيرها وحتى على مستوى الدول من قدرة المقاومة، وسلاح المقاومة، وإرادة المقاومة، وروح المقاومة، والإيمان بالمقاومة فضلًا عن فاعلية المقاومة.[2]

وذلـك ليستسلم الجميع، ويسلـم للمشروع الاستكبـاري المتعلق بالأمَّـة الإسلامية والعربية، وفرض لون سياسي واحد على المنطقة والأمَّة، وصوت واحد، ومنطق واحد هو منطـق المصلحة الأمريكية والإسرائيلية، والأوربيّة، وفرض إرادة هذه الجهات وهيمنتها السياسيـة والأمنية والحضارية علـى كل مفاصل وجود هذه الأمَّـة، وهو المنطق الذي لا يقبـل كيانًا حاكمًا في هذه الأمَّـة إلا الكيان الذي يحكم فيها نيابة عن الأجنبي، وبإرادته

١- خطبة الجمعة (٦) بتاريخ ١٧ صفر ١٤٢٢ هـ، ١١مايو٢٠٠١م.
٢- هتاف الشيخ وجموع المصلين بـ: (لبيكِ يا مقاومة).

وعقليته، ومصلحته.

ولا يقبل رأيًا ولا صوتًا يخالف هذا التوجه والسياسة، ويتمرد على قهرهما.

وإنـه ليراد لهذه الأمَّة أن تنتج لغيرها، وأن تكـون التابعة الذليلة لغيرها، وتستسلم وتسلـم لإرادة غيرهـا، وأن تذوب، وتتنازل عن ذاتها له، وأن تنسلخ من جلدها وهُويتها، وتنفصـل عـن حضارتها ودينها لاطمئنانه، ويراد لها أن تقبل منه أن يذبح مَن يذبح من أبنائها راضية ضاحكة مسرورة.(١)

لا مبرِّر للتَّقاعس

هل من مبرِّر لتقاعس الأمَّة؟

هناك وجودٌ فتّاكٌ في المنطقة في حربه وسلمه، وجودٌ عدوانيٌّ، ومتوسعٌ من كل أعداء الإسـلام ومصالح العرب، هذا الوجود هو إسرائيـل المغتصبة اللقيطة، الحربة الغائرة في خاصـرة أمَّتنا، وهناك مهزومٌ مشلـولٌ قاصرٌ، يقفه الوجود العربي الرسمي في أكثر، والوجـود الرسمي الإسلامـي في أكثره كذلك، وينسحب الشلـل والهزيمة والقصور على الموقـف الشعبي في تعاطيه مـع القضية، على المستوى الأوسع مـن شعور الأمَّة وتفكيرها وهمها.

هذا القصور والهزيمة والشلل في الموقف، خاصةً على المستوى الرسمي، من قصور ذاتي أم من تقصيرٍ في الأمَّة؟

هذا هو السؤال.

أسأل: الأمَّة مجتمعةً فاقدةً لأي لون من ألوان الضغط السياسي المشترك، والضغط الاقتصادي المؤثر في أمريكا مدللة إسرائيل، وعلى إسرائيل نفسها؟

الأمَّة لا تستطيع أن تمارس هذا الضغط؟، تفتقده؟

أم أنَّها فرقة الكيانات المصلحية المتناحرة؟

١- خطبة الجمعة (٣٥١) ١٢ محرم الحرام ١٤٣٠هـ ٩ يناير ٢٠٠٩م.

والمتاجـرة؛ لتثبيـت الكراسي المهزوزة، وبعـثرة أموال الأمَّـة وطاقاتها، وممارسة تمييع الإرداة عند إنسان الأمَّة، والفاصلة الكبيرة بين كثير من الأنظمة وشعوبها.

مَـن يلجأ إلى استقرار الوضع الأمني بالقـوة، إلى طلب رضا العدو الخارجي الذي يحتضن إسرائيل، ويمدها بأسباب القوة والصمود؟

أوَ لم يمر وقتٌ طويل على القضية نهضت فيه أمم وشعوب.

الأمَّـة الإسلامية تـراوح في مكانها، أو تتراجع القهقـرة بالقياس إلى حالة التقدم السريع في العالم، في أسبـاب النمو العسكري والاقتصادي والصناعي والزراعي، وثورة المعلومات إلى آخر هذه الأمور؟

الهند أقل في ثراوتها الطبيعية، أم العالم الإسلامي؟

أيهما يخاف الآن بدرجة أكبر من ناحية عسكرية؟

أكثر بلدان العالم الإسلامي، أم الهند؟

الهند، ولماذا؟، لأن الأخيرة تصر بدرجة ما على إرادة التحرر من قبضة الآخرين، وتراهـن على شعبها وتقدمه، وتفجير قابلياته وطاقته، وأكثر حكام أمَّتنا تحول الشعوب والأرض والمقدرات والمقـدورات إلى أعداء الأمَّة؛ من أجل الاستقـرار الذي يعني تكبيل الأمَّـة وإلغائهـا، وتقزيمها، وكأنـه لا استقرار إلا بهذا، ولا أمن إلا بـأن تعذب الآخرين، وتكبت فيهم أي نبضٍ للحرية.[١]

العمق الاستراتيجيُّ للمقاومة

كيف ننتصر للقدس، والأرض المغصوبة، والمسلم المعذب؟

والشهـداء، قوافلهـم، القـادة الإسلاميـين، العسكريِّـين، المجاهديـن، المسلمين، الرُّضَّع، الشيوخ، الحرائر، الشابات.

هناك الاحتجاجات والبذل المالي، والمسيرات والمظاهرات، والمؤتمرات والمذكرات،

١- خطبة الجمعة (٣) ٢٦ محرم ١٤٢٢ هـ ٢٠ أبريل ٢٠٠١م.

هناك أساليب من هذا وقد ترقى إلى حمل السلاح!

إلا أن الأهم من ذلك في نظري وعلى المدى البعيد أن نعرف هُويتنا.

أن نرجع إلى انتمائنا.

أن نتمثل قيم الإسلام وروح الإسلام.

إذا صرنا على الخط الآخر وهو خط التغرب، والتغرب لا يعيد أمجاد أمَّة، ولا يستعيد القدس بما هي قدس، الخط الآخر خط التميع، وخط التميع لا يخلق بطولات، ولا يخلق رجولات، ولا يخلق قوافل شهداء، ولا يخلق قادة صامدين، ولا يخلق قلوبًا صلبة صامدة، ونزيهة لا تخون.

أمجاد الأمَّة كل أمجادها كانت تحت راية الإسلام، ولن تستعيد مواقع المجد ومواقع العزة والكرامة ومواقع الريادة إلا تحت راية الإسلام.

هذه التجارب تتوالى، فوق المليار مسلم، السلاح موجود، قد تتفوق إسرائيل على المسلمين من حيث السلاح الذري، لكن أسلحة كثيرة بيد المسلمين، بيدهم السلاح المدني، وبيدهم السلاح الحربي، وبيدهم العدة التي لا تعرفها إسرائيل، بيدهم القبضة على شرايين الحركة الصناعية في الغرب، لكنهم يفقدون الإرادة وفقدهم للإرادة من خلال فقد الإيمان، ومن خلال التغرب الذي غزاهم، ومن خلال مواقف الاهتزاز في الثقة، بل مواقف التراجع عن خط الله سبحانه وتعالى علنًا وسفورًا.

نحتاج إلى أساليب المسيرات والمظاهرات، والبذل المالي، والتبرع بالدم، والمذكرات والمؤتمرات، والاحتجاجات، والخطب، والقصائد.

لكننا في الأصل نحتاج إلى شيئ أساس هو أكبر من ذلك كله، ولن ينتج ذلك كله إلا بالرجوع إلى الإسلام، وعزَّة الإسلام، وكرامة الإسلام.

أن تصنع نفسك مسلمًا قويًا.

أنت كيف تنتصر للقضية الفلسطينية - قضية القدس - أن تصنع نفسك مسلمًا قويًا، فيما تملكه من إمكانات علمية وخبرات ميدانية، وفيما تتمسك به من فكر إسلامي

أصيل، وفيما تتزين به من خلق إسلامي كريم.

خرّج من نفسك شخصية إسلامية تخرج من نفسك أمّة تقف في وجه اليهود والطامعين، كل الملايين والمليارات من غير إسلام ستكون هباء.

قولوا: لماذا؟

هناك فرق كبير، بين الأمم الأخرى وأمّتكم.

أنتم - المسلمين - ذقتم الإسلام، عرفتموه بمقدار، لازلتم على درجة من صفاء الفطرة والذوق الفطري السليم، والذوق الخلقي الكريم، والضمير الإنساني النقي أصول الفكر الفطري.

أنتم على هذا الواقع - ومن خلال هذا الميراث - لا يمكن لكم نفسيًا، ولا عقليًا وإن حاولتم أن تنسلخوا عن الإسلام بالكامل، وأن تقبلوا بأي أطروحة أخرى، لأن كل الأطروحات الأخرى قاصرة، دونية، منسحقة، أمام الأطروحة الإسلامية التي تتراءى لكم على بعد، والتي تحملون عنها تصورًا ما ولو باهتًا، الأمّة التي تحمل ولو تصورًا باهتًا عن الأطروحة الإسلامية تمتلك نفسية أكبر من كل الأطروحات، وعقلية أكبر من كل الأطروحات، ونقاء فطريًا يرفض كل الأطروحات الزائفة.

الغرب يمكن أن ينتج في ظل أطروحة زائفة كاذبة إنتاجًا دنيويًا.

أنتم لا يمكن أن تنسجموا مع أي أطروحة تعادي الإسلام، وتنفصل عن الفطرة، فحيث تحرمون من الإسلام من جهة، ولا تستطيعون أن تتفاعلوا التفاعل الكامل مع أي أطروحة أخرى قاصرة مناهضة، تكون في حالة من التذبذب، والقلق الفكري والنفسي والحضاري.

وبذلك نفقد الموقع المتقدم، ونفقد القدرة على رد الفعل فضلًا عن الفعل.

أمريكا القدوة، القدوة الفكرية.

أمريكا القدوة في الديمقراطية.

أمريكا القدوة في المجتمع المدني.

٦

أمريكا القدوة في الليبرالية.

أمريكا القدوة في التحرر، ماذا تقول؟

ترفض أن تحضر مؤتمرًا لمحاربة العنصرية في جنوب أفريقيا يتعرض لعنصرية إسرائيل، اقتدوها أيها الناس، هذا هو إمام الحضارة الحالية، هذا هو المبشر بالإنقاذ، هذا هو القائد إلى ساحل الأمان وشاطئ الكرامة الإنسانية.

أمريكا ترفض أن تحضر مؤتمرًا يتعرض لإسرائيل فيما تمارسه من ممارسات عنصرية قاسية مقيته، فماذا يقول الإخوة المثقفون العرب؟

ماذا يقول المتفرنجة فكريًّا؟

ماذا يقول المتفرنجة سلوكيًّا؟

ماذا نقول نحن المسلمين؟

عودة أيُّها الإخوة، للإسلام وبقوَّة، عودة لفكر رسول الله ﷺ، عودة لأحضان القرآن، عودة لرايات الأئمة، والصحابة الكرام.[١]

خطر الفتنة الطَّائفية على القضيَّة الفلسطينيَّة

من منطلق الحرص على متانة الصف الإسلامي في بلادنا الإسلامية بكل أقطارها، والحفاظ على وحدة المسلمين، وتوجه الجهود المشتركة إلى بناء وطن المحبة والاستقرار، والتمحور حول القضايا المهمة بالأمَّة، وفي طليعتها قضية فلسطين، والقدس، والمسجد الأقصى.

أُحذر كثيرًا من الانجرار وراء الإثارات الطائفية البغيضة ممَّا يمارس في الصحافة محليًّا كانت، أم غير محلية.

فالجواب على ذلك ينبغي أن يكون عمليًّا، ومن وحي الدِّين وتقدير مصالح المسلمين، ومن خلال تلاحم أكثر بين كل المخلصين من الطائفتين الإسلاميتين الكبيرتين، والذين

١- خطبة الجمعة (١٨) بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ ٣ أغسطس ٢٠٠١م.

يحملـون هـم الإسلام المشـترك، ويسعون لتوحيد صفـوف الأمَّة الواحـدة، ليس في يوم حربها مع الغادي فقط، وإنما في يوم الحرب والسلم، والشدة والرخاء.[١]

حرف البوصلة إلى أعداء ومميين!

الانتقال من الحديث عن الخطر الإسرائيلي إلى الحديث عن الخطر الإيراني!، إلى الحديث عن الخطر الشيعي!

ألا نعلم جميعًا بأنَّ القرآن الكريم، والسُّنَّة المطهَّرة آخى بين المسلم والمسلم، وفرض عليهم أن يكونوا صفًا واحدًا في مواجهة الغزو الكافر؟!

أيختلف مسلمان على هذا؟!

فمن أين جاز لنا قرآنًا، او سنَّة أن تتحدث الصحافة العربية، والقنوات العربية.

الإذاعات العربية، التصريحات العربية عن خطر على العرب تتحدث عنه أمريكا، وتشيع ثقافته أمريكا.

أمريكا هي الصديق، والشيعة هي العدو؟!

أمريكا التي تستعمر، التي تقتل، التي تستعبد، التي تستنزف خيراتنا في كل البلاد العربية.

أمريـكا التي ما وقفت في يـوم من الأيام مع العرب ضد إسرائيل، وما وقفت في يوم من الأيام الموقف الحيادي في الصراع العربي الإسرائيلي.

أمريكا صديق مخلق، والشيعة عدو؟؟!![٢]

وعد بلفور

أمّـا بعـد، ففي مثل هـذا اليـوم، وهو الثاني مـن نوفمبر للعـام السابـع عشر بعد التسعمائـة والألف كان الوعد المشؤوم الظالم لبلفـور المعادي للحق بما فيه من كيد لأمَّة

١- خطبة الجمعة (٢٢) بتاريخ ١٢ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ، ٢٤ أغسطس٢٠٠١م.

٢- خطبة الجمعة (٣١٥) ٢٨ صفر ١٤٢٩هـ ٧ مارس ٢٠٠٨م.

الإسلام، واستهداف لخلق الصراع الدائم في هذه المنطقة من الأرض ووضعها تحت نقمة الغرب.

واليوم تتوسل أنظمة الأمّة إلى أخلاف بلفور؛ من أجل إنقاذ القدس، وتطهير الأقصى، فهي تحوّل العدو صديقًا، والذئب حارسًا، والظالم عادلًا.

نعم، والدليل هو الدعم لإسرائيل، وتجويع العراق، وتدمير أفغانستان، والتهديدات الجدّية لحرق دول أخرى إسلامية عربية وغير عربية، والهجمة الثقافية، والعب المتواصل من نفط المسلمين، ونهب ثروة الأمّة مرتين، مرة في هذا الاستنزاف للثروة الأولية بثمن بخس؛ لتحريك الآلة الصناعية والحربية المعادية – وهو أمر يهدد مستقبل الأمّة –، وأخرى في التصدير المفروض على الأمّة للمواد التحويلية بأثمان خيالية مضاعفة، وفي الكثير ممّا لا ينفع، وممّا لا يضر.

بناء الذّات مسلك؛ لاسترداد الحق

فيا أيتها الأمّة المسلمة، اختاري بين أن تعيشي على الأحلام الوردية المؤملة في رحمة العدو الجاني، بتقديم هدية هانئة، دولة فلسطينية مستقلة كاملة السيادة تزاحم الوجود الإسرائيلي الحبيب للمهدين، أو أن تعودي إلى الأصالة، وبناء الذات على جميع المستويات؛ لاسترداد الحق، وانتزاع الأرض والمقدسات من اليد العدوانية الغاصبة.[١]

ازدواجيّة المعايير الغربيّة

إسرائيل وهي تمتلك السلاح النووي الذي يهدّد المنطقة بكاملها.

وإسرائيل التي تقتل المدنيين – بمَن فيهم من أطفال – عن سبق تخطيط وعمد وإصرار من أعلى مستويات القرار الرسمي، والتي تُعقب الجريمة بالتبجح والفخر.

وإسرائيل التي تهدم البيوت على رؤس الآمنين، وتغتال وتختطف، وتجتث الأشجار، وتدمّر كل مظاهر الحياة عند فريستها، دولة من دول التقدم والخير والدّيمقراطيّة والشرف الرفيع،

١- خطبة الجمعة (٣١) بتاريخ ١٦ شعبان ١٤٢٢هـ ٢ نوفمبر ٢٠٠١م.

حاشاها أن تعدّ دولة إرهاب وشرّ في قاموس الغرب، وفي قاموس أمريكا، وإذا طفح الكيل واضطر رعاة السلام في العالم والأمناء على العدالة من أهل أمريكا وأوروبا أن يقولوا كلمة عن إسرائيل تقتضيها مصالح السياسة، فلا بدَّ أن تقال مخفّفة!

ولا بدَّ أن يعقبها موقف عملي داعم لدولة الخير والسلام.

ولا بد أن يحال أمريكيًّا بين أي منظمة دولية وبين القرار الذي يضرّ بمصلحة إسرائيل ما أمكن.

وإذا غضبت الدول العربية إلى أقصى حدٍّ شجبت واستنكرت الوحشية الإسرائيلية في كلمات.

والشعوب العربية لكثرة ما تعاني من ظلم في بلادها، وتسكت عليه مقهورة تعلّمت أن تصبر سلبًا على الجراح حتّى من مثل إسرائيل، بل أوَ ليس قد تعلّمت هذه الشعوب من أنظمتها أن تلك الأنظمة لا تصبر ولو على مظاهرة ضد إسرائيل؟![1]

التَّطبيع

التطبيع مع إسرائيل إضعاف للأمّة، إسقاط لقيمة الجهاد الفلسطيني، خيانة للقضية، إلغاء لتاريخ التضحيات، تنكّر لآلام وآمال الشعب الفلسطيني، إقرار بالهزيمة أمام العدو الإسرائيلي، وهو إقرار ترفضه الأمّة، ولا ترى أي مبرر لارتكاب عاره، مكافأة للعدوان الغاشم، تسهيل لمزيد من التسميم الثقافي والخلقي والديني لأجواء الساحة الإسلاميّة، ومزيد من التمييع الحضاري، توفيرٌ للراحة النفسية، وضخٌّ للثقة عند الغزاة المحتلّين، تذويب لروح الجهاد، وقتل لإرادة التحرّر عند الجيل الحاضر وأجيال أخرى لاحقة من أبناء أمّتنا.

هذا هو التطبيع في درجاته الأولية، أما عضوية إسرائيل في تجمع عربي أو إسلامي إقليمي والعدوان الإسرائيلي على أشدّه ورغم انتهاكاته لكل القِيم والمقدّرات والمقدّسات

١- خطبة الجمعة (٦٩) بتاريخ ١٥ جمادي الأولى ١٤٢٣ هـ ٢٦ يوليو ٢٠٠٢م.

إمضاء عملي صريح لجرائم الصهاينة الكبرى، ومشاركة فاعلة في قبائحهم المنكرة، وهو من أوضح الحرام وأصرحه.[1]

فلسطين .. واخجلتاه!!

أكاديميون أوربيون يهبّون لمقاطعة جامعات إسرائيلية، وأكاديميون إسرائيليون يطردون من مطبوعات بريطانية - كما هو أخبار الخليج -، وحكومات عربية تحارب المقاطعة، وتهرول على طريق التطبيع الذليل.[2]

وهذه الحكومات المستأسدة ضد شعوبها ضعيفة متخاذلة فاقدة للحيلة مستسلمة أمام إسرائيل، وإرادتها.

كانت الأنظمة العربية تُكثر القول المكرَّر بأن فلسطين والقدس هما القضيّة الأولى للأمَّة العربيّة.

والقضيّة الأولى والمركزيّة والثابتة لا يساوم عليها ولا تُضيَّع، ولا تُنسى، ولا تُقدَّم على حسابها التنازلات.

وقد توالت الانسحابات عن الالتزام بهذا القول، ودخلت الأمَّة رسميًّا في خارطة الطريق لسدّ الطريق، أو ليؤدي إلى تحقيق ما خططت له إسرائيل في هذه القضية، وبدأ التنازل بعد التنازل، والتبرير؛ للتخاذل بعد التبرير، وسجّلت الأنظمة على نفسها ضعفًا مخجلًا أمام الأمَّة والعالم إن لم يكن خيانات واضحةً من البعض، وتآمرًا على الأمَّة.

وفي كل مرة من المفاوضات المباشرة أو غير المباشرة تسدُّ إسرائيل الطّريق، وتتظاهر أمريكا بالضغط عليها ببعض الكلمات؛ لتعلن للعرب من بعد ذلك بأنَّ الإرادة الإسرائيلية أقوى من أن تلين؛ ليستجيب العرب بتنازل جديد للإشارة الأمريكية لا ضغطها الذي لا تحتاجه في التعامل مع هذا الطرف الذي حكم على نفسه بخلوِّ اليد من كلّ الأوراق الضاغطة على إسرائيل والوسيط الأمريكي المخلص لها.

١- خطبة الجمعة (٣٤٠) ١٠ شوال ١٤٢٩هـ ١٠ أكتوبر ٢٠٠٨م.

٢- خطبة الجمعة (٦٧) بتاريخ ١ جمادي الأولى ١٤٢٣ هـ ١٢ يوليو٢٠٠٢م.

وكأنّ العرب لا نفط بيدهم، ولا موقع ذا أهمية استراتيجية تحتاجه أمريكا، وليست لهم مساندة تعتمد عليها فيما تريد الوصول إليه في قضايا الأمّة، ولا يمثلون سوقًا رابحة لأمريكا في السلاح والبضائع الأخرى، ولا أرصدة لهم اسمًا في المؤسسات المالية الأمريكية؛ لتنشيط الاقتصاد الأمريكي وتغذيته.

فالأنظمة الرسمية في الأمّة أقوياء ولكن ضعفاء؛ أقوياء عليها، ضعفاء أمام إسرائيل.[١]

ولماذا تحرص أمريكا وإسرائيل على التّطبيع؟

لتكون البلاد العربية والإسلامية سوقًا مفتوحًا اقتصاديًّا، وثقافيًّا، وسياسيًّا، وعلى المستوى المخابراتي لكل البضائع الساقطة والمسمّمة للساحتين العربية والإسلامية وإنسانهما وأوضاعهما، ولفرض الهيمنة وإحكام القبضة الأمريكية والإسرائيلية على مَقْدُرَات ومُقَدَّرَات أمّتنا، وتنفيذ خططهما الخبيثة ضد الإسلام بصورة أوسع وأسرع.

ويتجاوز الطموح الأمريكي الإسرائيلي تحييد الأمّة العربية أنظمة وشعوبًا عند توجيه أي ضربة عسكرية قاسية ضد أي بلد إسلامي مقاوم إلى مشاركة هذه الأنظمة، أو عددٍ منها في هذه الضربة.

والخاسر الأكبر في التطبيع المشؤوم هو جماهير الأمّة، ودينها، وحضارتها، وأخلاقيتها، وعزتها، وكرامتها، ونهضتها المجيدة التي وُجدت وبعدُ لم تبلغ.

والحق أن التطبيع مع العدوّ الإسرائيلي يعني توجيه ضربة قاسية ومقصودة لوجود الأمّة المادي والمعنوي، وتآمرًا على أمنها في كل أبعاده، فلا يقدم عليه إلا معادٍ بها، والمريد لها سوءًا[٢].[٣]

يوم القدس العالمي

يوم القدس العالمي دعوة سياسي مؤمن محنّك؛ لترسيخ حاكمية العدل والحق.

١- خطبة الجمعة (٤٣٥) ٢٤ محرم الحرام ١٤٣١هـ ٣١ ديسمبر ٢٠١٠م.

٢- هتاف جموع المصلين بـ(الموت لإسرائيل).

٣- خطبة الجمعة (٣٧٨) ١ شعبان ١٤٣٠هـ ٢٤ يوليو ٢٠٠٩م.

١- هو يوم لجعل القضية الفلسطينية والقدس الشريف في مقدمة قضايا الأمَّة التي يتحتم عليها العمل بجدٍ، ومن خلال جهادٍ مستميتٍ على طريق حلها.

٢- من أجل نقل القضية من المحيط العربي، وهو محيط على سعته ضيقٌ بالنسبة إلى المحيط الإسلامي الأعم، فهذا اليوم يصر على نقل القضية، أو تقوقعها في المحيط العربي، وأن تنتقل إلى المحيط الإسلامي الأكثر رحابة، خدمةً للقضية، وتحشيدًا للطاقات الهائلة التي تختزنها الأمَّة على هذا الخط.

٣- للخروج بالقضية من سيطرة الأروقة الرسمية، وما قد تخضع له من مساومات، وتنازلات، وربطها بالهم العام للأمَّة؛ من أجل أن تمارس الضغط على مواقع القرار في صالح القضية.

٤- لخلق حالة من الإنكار العالمي للظلم الصهيوني.

٥- لتعبئة ضمير الأمَّة تعبئةً هائلة نصرةً للقضية، وإذا تحرك الضمير تحرك الخارج.

٦- لحشد مستضعفي العالم ضد المستكبرين.

وهذه لفتة ليست بالأمر اليسير كانت في كلمة السيد الإمام (أعلى الله مقامه) حين عدّ هذا اليوم يوم مواجهة، ومكافحة المستضعفين للمستكبرين.

إنها التفاته تختزن كثيرًا من الوعي، وتختزن شديدًا من الرؤية السياسية المركزة، وتختزن عمقًا ووعيًا إيمانيين شديدين، ذلك لأن قضية القدس قضية الإيمان والإسلام، قضية ارتباط البشرية بالقدس، بقيم القدس، بخط القدس، الخط الإلهي.

والصراع في الأرض بين خطين: الخط الإلهي، والخط الشيطاني.

والمستضعفون آلة للمستكبرين، ولقمةٌ سائغةٌ بيدهم إذا حكم خط الشيطان.

الملايين من البشر، المليارات من البشر تتحول إلى سائمة، وتتحول إلى آلة رخيصة، وتتحول إلى آلة مستغلة، وإلى أيدي كادحة، وأدوات منتجة؛ لتصب في جيوب عددٍ ضئيلٍ من المستكبرين، وتعطيهم آلة البطش والفساد والإفساد في الأرض، هذا كله حين تكون

الحاكمية لخط الشيطان.

والأقصى لا يسجن مبنى، الأقصى مسجونٌ قيمًا، مسجون خطًّا، مسجونٌ مدرسةً، مسجون أطروحة.

والجهاد كل الجهاد ليس لتحرير الأقصى مبنًى، إنما الأكثر من ذلك لتحريره معنى، وكل أرض الله أقصى، كل أرض الله تحتاج إلى تحرير من قبضة الشيطان، حيث يسيطر على إنسان العصر الهوى، حيث يحكمه هوى المادة، وحيث يبعد ويشرد عن الله سبحانه وتعالى حكوماتٍ وشعوبًا في أكثرها.

الأرض تحتاج كلها كالأقصى الأسير إلى تحرير، وتحريرها بأن تنطلق من أسر الشيطان وقبضة الهوى، وحاكمية الطغيان، والظلم، والبغي، والاستكبار العالمي؛ لتنطلق على خط الحاكمية العادلة، حاكمية الحق، والعدل، والخير، حاكمية الله سبحانه وتعالى.

ويبقى على الأمّة أن تفعّل هذا اليوم وتستثمره استثمارًا جيدًا في وجه العدوان الصهيوني ومؤامرات دفن القضية وتذويبها.

وسيبقى هذا اليوم شاهدًا من شواهد عديدة على تجاوز ذلك الرجل العظيم لكل الأطر الضيقة في التفاعل مع قضايا الأمّة والإنسان، وانفتاحه على هموم الإسلام والمسلمين بكل جدية وإخلاص، وعلى هموم المستضعفين والمحرومين في كل مكان؛ ليسجل شاهدًا على عظمة الإسلام، وانفتاح الإسلام، وعدم انغلاقيته، وأن الإسلام والعقلية الإسلامية، والقلب المسلم لا يؤطره المكان، لا يؤطره الزمان، لا يتقوقع مع الأطر القومية، ولا الأطر الجغرافية، ولا أي إطار.

إنَّه ينطلق مع إرادة الله، إرادة الخير والجمال؛ ليبني الخير، ويهدم الشر، ولينتصر للمظلوم، ويواجه الظالم في كل مكان، ومن أجل كل إنسان.[1]

١- خطبة الجمعة (٣٧) بتاريخ ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ ١٤ديسمبر٢٠٠١م.

٧- إنَّه يوم للأمَّة؛ لوحدتها، وقوتها، ووعيها، وحيوية إرادتها، وتعزيز ثقتها بنفسها، وشحذ عزيمتها، وعزَّتها، وكرامتها، ونصرها، وروح النهضة والمقاومة فيها،

وإنَّه يوم للقضية؛ للإصرار على القضية، للتمحور حولها، لذكرها، لحضورها، وانتصارها.

والأمَّة اليوم تتعرض للتفتيت، والقضية اليوم يستهدفها الطمس والتغييب، ويراد لها أن تُدفن وتُنسى، فالحاجة إلى يوم القدس حاجة ملحّة.

والأمَّة اليوم تتعرض؛ لتربية الإذعان والاستسلام والذوبان، والقضية تتعرض للتَّآكل، والتَّآمر، والمساومات الرَّخيصة التي تحفظ الكرسي الهزيل المهزوز قبال العزَّة، والكرامة، والقِيم، والانتماء، والأصالة، ومصلحة الأمَّة، ووجودها.

٨- إنه يوم لمقاومة اليأس والقنوط وروح الإحباط التي تزرعها الأنظمة الرسمية في نفوس أبناء الأمَّة، ولرفض العمالة والتحالفات الظلامية مع القوى المستكبرة والمقسمة للأمَّة لصالح أعدائها.

٩- إنه لتحية الصمود الإسلامي الذي يجسّده حزب الله لبنان، وحماس، وكل جماهير الأمَّة المؤمنة الواعية في وجه المخططات الاستكبارية المدمرة، وحملات الإبادة المعنوية لإرادة الصمود لأبناء الأمَّة الغيارى والمجاهدة، الأمر الذي يذهب إليه الوهم الأمريكي والإسرائيلي الكاذب.

١٠- يوم القدس؛ لإحداث فاصل مائز بين تخاذل عدد من أنظمة الأمَّة الحاكمة في موقفها الاستسلامي والتآمري على مصلحة الأمَّة وهُويتها وبين موقف الجماهير الباسلة الذي يصر على مقارعة المعتدين.

إنه لخلق حاجز من وعي الجماهير وثوريتها وحضورها الفاعل في قضاياها عن التلاعب الرسمي من كثير من أنظمة الحكم في الأمَّة بهذه القضايا والمساومة الرخيصة عليها، وتصفيتها لصالح أعداء الأمَّة.

إنه يوم من تخطيط قائد عظيم قدّر كيف سيكون مسار القضية بيد الكثير من الأنظمة الرسمية في الأمّة، فأراد أن لا تكون القضية رهن الإرادة الخائرة لتلك الأنظمة، وأن يكون لإرادة الأمّة حضورها الفاعل في كل قضاياها[١].[٢]

ستستمر المقاومة ولو بالسِّنِّ والظُّفر

ينبغي أن يُفهم أن إسرائيل ستبقى عاجزة عن توفير الأمن لنفسها مادامت تختار إخافة المسلمين الفلسطينيين واضطهادهم طريقًا إلى ذلك، لأنه لا يمكن بحسب تصميم الشعب الفلسطيني وعدالة قضيته، وروحية الإنسان المسلم في ظروف الصحوة أن يتم الخنوع والاستكانة أمام الآلة الحربية الفتاكة لإسرائيل، وستستمر المقاومة ولو بالسن والظفر، وما ينطبق في فلسطين ينطبق في أفغانستان وباكستان، وأي بلد إسلامي آخر أمام الغزو الأمريكي والغربي عمومًا، فلا بدَّ أن تستمر وتيرة الخسائر في الجيوش الغازية كلما طال أمدها على أرض الإسلام حتى يتم التفجر الهائل لوجود الأمّة.

وإن العالم كله - وعلى مستوى كل بلد بلد، وعلى مستوى العلاقات الدولية - لا يقبل إلّا أحد أمرين، والثالث وهمٌ!

لا يقبل إلّا أمنا مشتركًا، أو خوفًا مشتركًا، أما أمن منفرد لمَن يسمّون بالأقوياء وحدهم، وخوف وقتل وتشريد واضطهاد وظلم سياسي واجتماعي واقتصادي، وتهميش ثقافيّ للآخرين، فقد أصبح أمام إرادة الشعوب المضطّهدة والجماعات المستهدفة أمرًا مستحيلًا دونه موت هذه الجماعات الذي يعني بالضبط محرقة للجميع.

والمراهنة على قوة السلاح، والاحتياطات الأمنية، والتخدير الإعلامي، وبث الفرقة هي مراهنة على وسائل بدأت تفقد مفعولها أمام وعي الشعوب وصلابة تصميمها، وصارت أمام حالة من نفاذ الصبر على الضيم والهوان.

١- هتاف جموع المصلين بـ (لبيك يا روح الله).

٢- خطبة الجمعة رقم (٢٥٥) ٢٦ شهر رمضان المبارك ١٤٢٧هـ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٦م.

فالرشيد من الحكام والساسة على مستوى العلاقات الدولية، وعلى مستوى الوضع الداخلي لأي بلد من البلدان هو من طلب لبلده الأمن والتقدم والحياة المستقرة، وتحسّن الأوضاع في العدل لا الظلم، وبالفعل الصادق لا القول المراوغ، وبالاعتراف بالآخرين لا الاستخفاف بهم، وبمدّ يد الصداقة لا العداوة، وبتقدير القِيم لا هدرها.

ودروس الحياة القائمة في كل مكان تؤكد هذا المنطق، وتبرهن على هذا الطرح.

ويكفي درسًا لإسرائيل، ودرسًا لأمريكا، ودرسًا للعالم كله، ودرسًا لهذه الأمَّة التي تستضعف نفسها، قبل أن يستضعفها عدوها، ونحن في ذكرى انتصار المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان أن إسرائيل لم تصمد طويلًا أمام أمام نخبة مؤمنة، فئة تربت على الإيمان ولم يكن بيدها سلاح كثير الفاعلية بما يكافئ فاعلية السلاح الإسرائيلي والأمريكي، ويزيد عليه أضعافًا مضاعفة إلا سلاح الإيمان، وسلاح الإيمان فاعليته غير محدودة، وغير موقته، وفاعليته لا تشترى بالأثمان.

سلاح الإيمان له منبع ثر من داخل الضمير الذّاكر لله، الموصول بحب الله، المستقي العزة من عزة الله سبحانه وتعالى.

إنه درس للعالم كله بأن هذه الأمَّة لا يمكن أن تهزم إلى الأخير، وأن هذه الهزيمة مؤقتة، وقبل أن ينتفض المارد الإسلامي في داخل الإنسان المسلم، وقبل أن يستقيم الشباب المسلم، وقبل أن يفيق الشباب المسلم على أنه مخدوع بالفكر الآخر، على أنه مخدوع بالأخلاقية المهترئة المستوردة، على أن إيمانه مستهدف، وأن عزة الأمَّة مستهدفة من خلال استهدافه، وقبل أن تفيق الشابة المسلمة، والمرأة المسلمة، وتلتفت إلى قيمة الحجاب والعفة والمواقف الصلبة، إلى الإصرار على المبدأ، الإصرار على درب العزة والكرامة والشرف والجهاد.

ويوم أن تفيق الإرادة الإسلامية في نفس الشاب المسلم، وفي نفس الشابة المسلمة، في الرجل الكهل، في المرأة الكهلة، في كل الأعمار حينئذٍ لن يبقى بيد العالم كله سلاح

يمكن أن يقهر إرادة الأمَّة.

وليتعلـم حكام الأمَّة، ولتتعلـم الأمَّة نفسها أن الحكام خانـوا الأمَّة حين أخذوا بها بعيدًا عن طريق الإيمان، وإلا فما معنى أن الأمَّة العربية كلها تقف خاسئة أمام إسرائيل، ثـم إن المقاومـة الإسلامية في جنوب لبنان قـد استطاعت فعلًا بمـا في يدها من سلاح الإيمان أن تقهر إسرائيل، وأن تطردها؟!

وإن ثـورة الحجارة في فلسطين لـن تهدأ، ولن تفيد المساومـات، ولا المغالطات، ولا المؤامـرات في إيقـاف هذه الثـورة، وستواصل دربهـا حتى تكتسح الظـالم، وحتى تطهر الأرض المحتلة من دنس أقدام الصهاينة الغاصبين.

ولتتعلـم الأمَّة أن تطالب دائمًا وأبدًا في أول ما تطالب به أنظمتها وحكامها بالعودة إلى الإسـلام، وبالقـرب من خط الله سبحانـه وتعالى، وبعدم تمييع الأمَّـة، وبعدم بناء اقتصـادي ولو عملاق على حساب شرف الناس، على أنقاض شرف المرأة، على أنقاض شـرف الرجـل، وأؤكد لكـم أن أي اقتصـاد عملاق يقـوم على أسـاس مَـن سرقة شرف الآخريـن، فإنـه لن يصـير إلى جيوب المستضعفـين، وإنما هو دائمًـا سيصب في جيوب المستكبرين.[1]

١- خطبة الجمعة (٦٠) ١٢ ربيع الأول ١٤٢٣هـ ٢٥مايو ٢٠٠٢م.

الفصل الثَّالث عشر

الصحوة الإسلاميَّة و(الرَّبيع العربي)

(١)

رياح التَّغيير

هذا الذي يعرض للأجواء السياسيَّة في البلاد العربيَّة هو من رياح التّغيير العاتية، والزلزال العنيف، والطّوفان الجارف، والتحوّلات الكاسحة.

ما يحدث ليس صدفة، ولا مفاجأة كاملة، ولا شذوذًا في سير التّاريخ، ولا خروجًا عن سُننه.

المقتضي موجود، والموجب تام، والسبب قائم في جور الأنظمة، نهبها للقمة الشعوب، سياسة الإذلال والهوان، تهميش الأمَّة، بيع المقدّرات، التّنكُّر للهُويَّة، سحق الكرامة، بيع الأوطان، الفساد والإفساد الشامل.

وإذا كان مانع من التغيير، فهو على ما هو عليه لم يتغير، وهو قهر الأنظمة، بطشها، تمسكها بالحكم بأيّ ثمن تجده على الإطلاق، استهزاؤها بإرادة الشعوب.

والثّابت أنّ المانع على شدّته ليس إلى الحدّ الذي يُعطّل رياح التّغيير، ويؤجّل الزلزال، ويحُول بين الطّوفان وبين أن يبدأ، ويَمُدُّ في عُمُر الباطل لو حصل شرطُ التّغيير.

مسألةُ بداية التغيير، وزحفِه، وحدوثِ الزلزال، واشتداده، وانطلاق الطوفان، واكتساحه مرهونة بانهدام حاجز الخوف والرعب الذي أقامته ومتّنته الأنظمة السياسية الجائرة في نفوس أبناء الأمَّة، والحرص على الحياة الدّنيا وإن كانت شحيحة ذليلة في نفوس الشعوب، ومرهونةٌ بإدراك الحالة البائسة حتى لمَن كان شبعان من الناس، وانفتاح الأمل بعد اليأس المقيت.

أما رشد التغيير، وتحقيقه للآمال العريضة، وانضباطه، وأمنه من الحَرْفِ والالتفاف عليه، ويُسره وانسيابيته بدرجة أكبر وأضمن، فيحتاج إلى شرط القيادة الموحَّدة الكفوءة الرشيدة الأمينة الشجاعة النابعة من ضمير الأمَّة، المنسجمة مع آمالها، المجسِّدة لرؤيتها، التي لا ينقصها الوفاء والإخلاص، والتقدير الدقيق.

وقد تجسّد هذا الشرط في مثل قيادة الإمام الخميني (رضوان الله عليه) في ثورته العملاقة أمام طغيان النظام الشاهنشاهي المقبور.

على أن أي تغيير صالح في الأنظمة الفاسدة تتوفر عليه الشعوب هو خيرٌ، وإن لم يبلغ كلّ ما تبلغه ثورة تامة المقوّمات، مكتملة الشروط.

شرط التغيير، وانطلاقةِ الطوفان حصل في تونس، ومصر، وله بوادره القوية في بلدان أخرى.

وهو الشيئ الجديد في درجته القويّة الواسعة فيما استجدّ في مسألة التغيير، ولمنبّهٍ وآخر، وبرحمة من الله عزّ وجلّ توسّع الإحساس بضرورة التغيير، وانتفضت النّفس مستعليةً على خوفها، وقبولها بالهوان، مسترخصة حياة الذّلة والخِسّة، فكان التغيير.

والطوفان بدأ لا ليهدأ، ولا ليقف عند حدّ بلدٍ وشعب، وهو غير قابل للالتفاف والمغالطة، والتخدير، والتأجيل.

ومن التغيير ما يكلّف البلدان الكثير من الخسارة على مستوى الإنجازات والإنسان، ومنها ما هو دون ذلك.

والمسألة ترتبط بحكمة الأنظمة وتعقّلها، ومبادرتها في الاستجابة لضرورات النّاس ومطالبها العادلة السياسية وغيرها، والاعتراف العملي العاجل بكرامة الشّعوب وحقوقها في شكل الحُكم وسياسته.

وقد رأينا أنّ ما يُمتنع عن إعطائه للشعوب اليوم لا ترتضيه غدًا على مضاعفته، وأن الذين يتدرّعون بألوان من التدّرعات، ويعتذرون بألف عذر عن الإعطاء للقليل، والتغيير في حال السّعة، يعلنون عن استعدادهم للإعطاء الواسع، والتغيير الكثير إذا ضاقت بهم الأمور، وعند فوات الأوان.[1]

بين ربيع وخريف!

الوطن العربي بين خريف حارق لكلّ أخضر ويابس على مستوى العقول والقلوب

١- خطبة الجمعة (٤٣٨) ٧ ربيع الأول ١٤٣٢هـ ١١ فبراير ٢٠١١م.

والضمائر، وإرادة الخير والإبداع الكريم في الإنسان، وعلى مستوى السَّاحة الخارجية، وكلّ مظاهر الحياة.

بين ذلك وبين ربيعٍ بدأت نسائمه تهبّ عَبِقة ببشائر الحياة.

طال الخريف العربي حتّى كاد أن يقضي على الحياة، إلَّا أن الأرض العربية بدأت تستقبل الرَّبيع، وتعيش مظاهره في واقع الشّعوب وحركتها.

والخريف العربي، والجمود في الواقع العربي الرَّسمي لا زال يقاوم بشراسة ودهاء، وإمكانات وخزائن هائلة حركة الوجود، وانبثاقة الحياة في الأرض العربية.

وما بيد الوجود الرسمي من خزائن وجيوش وإمكانات إنّما هي مُلك الأمَّة، وكلّ إمكاناته التي يُواجهها بها من صنع ثروتها وأيديها.

الحركة حركة شعوب لا حركة أنظمة من ذاتها، ولا حركة لأيّ نظام عربي بمقدار خُطوة إيجابية صغيرة إلا بتحريك من الزلزال العربي على مستوى الشعوب.

دورُ الأنظمة دور مُقاوِم، مُجْهض، مبطل، محرِّف، متحايل، سارق لحركة التغيير ونتائجها.

المستقبل لأيّ؟

لحالة الجمود، أو الإصلاح والتغيير؟

لبقاء الخريف العربي الذي طال؛ ليدمِّر كلّ شيئ من خير هذه الأمَّة، ويحرقَ كل أوراقها، ويأتي على كل أخضر ويابس، ويهلك الحرث والنسل؟

أم لانتعاشة الربيع العربي، وازدهاره، وقوة الأمَّة، وعزَّتها، وريادتها؟

الجواب: ليس خفيًّا على أحد حسب مؤشِّر الأحداث، وما جدّ في حياة العقول والنفوس ومستوى الإرادة عند إنسان أمَّتنا.[1]

١- خطبة الجمعة (٤٦٩) ١٧ شوال ١٤٣٢هـ ١٦ سبتمبر ٢٠١١م.

(٢)
المنطلقات والأسباب

منطلقات الثّورات العربيّة المعاصرة

كلّ التحـرّكات الإصلاحية، والثورات التّغييريـة في الساحة العربية منطلقها الروح الوطنيّـة التحرُّريـة، ومبعثها الظّلـم والتهميش واحتقـار إرادة الشعـوب الذي تمارسه الأنظمة الحاكمة.[١]

إذا حصل السَّبب حصل المُسبَّب

فلسفيًّا وخارجيًّا إذا حصل السبب حصل المسبَّب.

وهو قانون سارٍ في عالم الطبيعة والاجتماع، والسياسة والاقتصاد، ومختلف جنبات الحياة والوجود.

والمجتمـع الذي ينقسم إلى ظـالمٍ ومظلوم، ناهبٍ ومنهوب، سالـبٍ ومسلوب، قاهرٍ ومقهور، آمنٍ وخائف، مترفٍ ومحروم، لا بد أن يكون منشأً للصراع واحتدامه.

ومجتمعـات الأرض اليوم - إلا ما ندر منها - تعيش هذا الانقسام المنتج للصراع، المؤجج له.

وحالـة الانقسـام المَرَضـيِ هذه لا بدَّ منهـا في غياب الدين الحـق، والقِيم الخلقية الأصيلة عن عالم السياسة والاجتماع.

وتعـاني المجتمعـات العربيـة بصورة فظيعة من هـذا الواقع السيئ مـن الانقسام، وتتقدم على مجتمعات كثيرة في العالم في هذا المضمار.

١- خطبة الجمعة (٤٤٠) ٢١ ربيع الأول ١٤٣٢هـ ٢٥ فبراير ٢٠١١م.

وتكرّس هذا الواقع حكومات مستبدة لا تقيم لشعوبها وزنًا بمقدار مثقال، ترى أن الأرض لها، ترى الثروة مختصة بها، وإنسان الأرض رقًا تحت يدها، لها التصرف فيه كيف تشاء، وليس له في قبالها شيئ من حقوق.

طعامه، شرابه، ملبسه، مسكنه، تعلُّمه، بقاؤه حيًّا دون تصفية جسدية مِنّةٌ منها.

إنْ قَصَّر في شُكر هذه المنّة، فلم ينحنِ، ولم يُسبّح باسم الحكومة المنعمة عليه بها حقّ عليه العذاب.

توقيت الانفجار

الظَّاهرة قديمة، فلماذا لم تنفجر الثَّورات قبل اليوم؟

والظاهرة ليست بنت اليوم، وإنما قد ترسّخت طويلًا، ومكثها في الأرض عامة، وفي الأرض العربية بالخصوص طويلٌ مقيم.

لكن لماذا اليوم لا أمس يرتفع صوت الشعوب، وتكثر التحركات والثورات، ويعلو لهب النار، ويحتدم الصراع؟

الجواب

السرّ أن من عناصر العلة انتفاء المانع، فحتى مع وجود المقتضي لا يولد المُسبَّب في ظل ما يعطل فاعليته.

فالظلم، والنهب، والقهر، والإساءة، وازدراء الشعوب، والاستخفاف بكرامتها، واستعبادها، وتجهيلها، واستحمارها من قبل الحكومات هو ما اعتادته الساحة العربية منذ قديم، ومنذ تنكّرت هذه الحكومات لإسلام الأمّة وإنسانيتها.

والتخلُّف الفكري، والهزيمة النفسية، وسحق الثقة في النفس، ومحق إرادة التغيير عند الشعوب بفعل سياسة التجهيل والقمع والإذلال، وتحريف الدين، وتحويله إلى أداة تخديرٍ، وتدجينٍ واستسلام لإرادة الظالم، كان دائمًا هو المعطّل لحركة الشعوب؛ من أجل استرداد حقها وكرامتها.

كان هذا هو المانع من أن يدفع واقع الظلم والاستبداد والأثرة والقهر الذي تمارسه الحكومات شعوب الأمَّة للتحرك، وقبول ما يتطلبه من ثمنٍ باهظ، وقد شاء الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرتفع هذا المانع بحدوث درجةٍ من الصحوة الإسلامية التي عمَّت الأمَّة، فكان لها منها بعثٌ قوي، وحياة فكر وإرادة ومضاء وروح تضحية من جديد.

وبهذا المستجدِّ في حياة الشعوب كان لا بدَّ من نهضة، ولا بدَّ من إصلاح وتغيير وإن كلّف الكثير.

وهذا الذي كان حين هبَّ صاحب الحق للمطالبة بحقّه، وأصرّ المأسور على استرداد حريته، وأبى المظلوم أن يقرّ للظلم في أرضه قرار، فتداعت التحركات والاحتجاجات والمسيرات والثورات في مختلف البلاد العربية، وتنادت صيحات الإصلاح والتغيير هنا وهناك، وجنّ جنون الحكومات، فلجأت إلى كل سلاحٍ فتّاك؛ من أجل إسكات صوت الشعوب.[1]

جور الحكومات

الحكومات وظيفةً؛ من أجل أمن الشعب، نَظْم أمره، لمّ شمله، حماية دينه، ونفوس أبنائه وبناته، تطوير اقتصاده، وثروة وطنه وتوظيفها لغذائه وصحته، وتقدّمه العلمي، والاجتماعي، وتحسين بيئته، وتوفير الخدمات المدنية التي يحتاجها، والتقدم بكل أوضاع حياته.

أما عن واقع حكومات كثيرة فقد صار مطلوبها شعبًا بلا أظافر، بلا عقول، بلا إرادة، بلا اعتزاز بذات، بلا رأي، بلا شوق للحرية، بلا إيمان بالكرامة، بلا تطلّع لحياة مريحة، بلا أمل، وحتى بلا لسان.

صار مطلوبها شعوبًا مستسلمة مستكينة، متنازلة عن حرّيتها أو لا تؤمن بهذه الحرية أساسًا، وكل إيمانها بالحرية المطلقة للحكومات في أن تفعل فيها ما تشاء، وتختار لها ما تشاء، وأن الحكومات مالك مطلق للأرض والشعب وكل الثروة، وأن على الشعوب

١- خطبة الجمعة (٤٦٨) ١٠ شوال ١٤٣٢هـ ٩ سبتمبر ٢٠١١م.

أن تكدح جاهدة؛ لثراء حكوماتها التي إن شاءت أن تتصدق عليها بما يقيم أودها؛ لتقوى على خدمتها كان ذلك منها إحسانًا، وإن شاءت أن تقبض يدها فهي تمارس حقها الطبيعي، ولا مورد لأي اعتراض عليها.

المطلوب لهذه الحكومات شعبٌ يُسبّح باسم حاكميه ليلًا ونهارًا، وينسى ذاته وربه ودينه وقيمه، وضروراته، وحاجات حياته، ويكون بلا أمل، ولا أمنية، ولا تطلّع.

وهذا هو الواقع الذي تُعاني منه شعوب هذه الأمّة، ويثير تحركات أقطارها، ويفجر ثوراتها، ويسقط حكومة تلو حكومة، ونظام تلو نظام من حكوماتها وأنظمتها.

وهو الواقع الذي آلم هذا الشعب، وأنفذ بثقله ومرارته البالغة صبره، وجعله يدفع من أمنه وماله وجهده ودمه، ويركب الصعاب، ويتعرض لما يعز عليه من مهانة الأعراض، وأذى النفس؛ ليكون في الوضع الإنساني والحقوقي الصحيح، ويملك اختيار طريقه، وأسلوب حياته، ويسترد حريته، وتُصان كرامته.

وهذا الواقع المرفوض عقلًا ودينًا ووجدانًا، والذي يحرك جميع شعوب الأرض اليوم؛ من أجل الانعتاق، واسترداد الحرية والكرامة هو الذي يغذّي كل التحركات الشعبية، ويدفع بها إلى الأمام، ويعطيها الدوام والاستمرار، ولا يأذن لها بالتوقُّف، ويجعل الأثمان الغالية في سبيل التخلص منه زهيدة رخيصة.

وشعبنا شعبٌ من شعوب الدنيا ومن أوعاها وأشدها صبرًا وإباءً وغَيرة وتحمُّلًا، وإحساسًا بقيمة ذاته ودينه وشرفه.[١]

استرداد الحقِّ السِّياسي

كل المشاكل الحقوقية إفراز طبيعي للمشكلة السياسية، للتَّهميش السياسي، للإقصاء السياسي، للاضطهاد السياسي، لدستور واجَهه الرفض الشعبي قبل ولادته ويوم ولادته، وفرضته القوَّة على الواقع رغم الإرادة الشعبية، وظل رفضه قائمًا إلى اليوم.

١- خطبة الجمعة (٤٧٥) ٢٩ ذو القعدة ١٤٣٢هـ ٢٨ أكتوبر ٢٠١١م.

والحق السياسي هو أول حقٍّ للشعب في العلاقة بينه وبين الحكومة، والحقُّ الأساسُ الذي لا يسلم معه أيّ حقٍّ آخر من حقوقه مع سلبه.

ولا يمكن أن يُضمن استرداد الحقوق الأخرى المسلوبة في ظل استمرار سلب هذا الحق.

الشّعب الذي لا رأي له في دستور حكمه، ولا القوانين التي تنظّم حياته العامة، ولا تمثّله سلطة نيابية منتخبة انتخابًا حرًّا عادلًا، وتمارس صلاحياتها النيابية كاملة في ضوء قناعات شعبها المرتكِزة إلى دينه وشريعته، وتقوم بدورها في الرقابة والمحاسبة وطرح الثّقة ناظرةً إلى مصلحته.

الشعب المجرّد من كل ذلك كيف يمكن له أن يُحافظ على حقوقه، ويحمي نفسه من انتهاكات السُّلطة المتفرّدة التي تملك القُوّة، وتتحكّم في الثروة، وتُشرّع كما تشتهي وتهوى؟!

ما لم يَسلَمْ هذا الحق السّياسي، فلا سلامة لأي حقٍّ من الحقوق، وما لم تُحَلّ المشكلة السياسية، فلا حلَّ لأي مشكلة من المشاكل.

وكلُّ الشعوب العربية اليوم متوجهة لاسترداد حقّها السياسي، ومَن لم يرتفع صوته مجلجلًا من هذه الشعوب بالمطلب السّياسي مُبكّرًا لظروفه الخاصة، فهو في طريقه لأن يوصل صوته إلى كل العالم بهذا المطلب.

وأيُّ دائرة إقليمية تحسب حكوماتُها أنها معفية من المطالب بهذا الاستحقاق الشّعبي فهي واهمة جدًّا، ولا بدَّ للصّمت أن يخترق، وللقيد أن ينكسر، وللحقّ أن يعلو، وللشعوب أن تنتصر.

كلّ الشّعوب التي عاشت الحَراك الثّوري، والسياسي لم يتراجع أحدها، والشّعوب الأخرى في تتابع في لحاقها بهذا الحَراك؛ لتزيد من قوّته وفاعليته، وتُصاعِدَ من فورانه وتأثيره.

صار المطلب السياسي يملأ واعية هذه الشعوب، ومنها شعب البحرين، ويمثل همها، وحاجتها العملية، ويملك عليها شعورها، ولم يَعُدْ خاطرة عابرة، وحلمًا ممًّا يداعب الخيال.

وهو بذلك أقوى من أن يشهد تراجعًا، أو يُلتفَّ عليه، أو تَشْغَلَ عنه الدعايات، والاختلاقات، والمغالطات، أو تصرف عنه المسرحيّات والترّهات.[1]

تحركت الساحة العربية بصورة واسعة؛ لتصحيح وضع العلاقة الظالم بينها وبين حكوماتها، أو التخلص منها نهائيًّا بإلغاء النظام أو الحكومة كما في بعض هذه التحركات، وقد أُسقط عدد من الأنظمة، وطُويت صفحته من الواقع تحت ضغط الشعوب.

وكل الحكومات والأنظمة التي واجهتها موجة الاحتجاجات والانتفاضات والثورات في الساحة العربية أبدت درجةً من اللّين والمرونة والاستجابة لمطالب شعوبها، وذلك على مستوياتٍ سياسيةٍ متفاوتة، ولا زالت الشعوب تطالب بالمزيد لإيمانها بأن الاستقرار الحقيقي لا تحقّقه الحلول الشكلية، والمعالجات الهزيلة.

وحتى الجزائر التي لم تتصاعد فيها حركة الاحتجاجات، ولم تتسع رُقعتها، يعلن النظام فيها عن تبنّي نوعٍ من الإصلاح للدستور تحسُّبًا لما ينتظره الوضع هناك من تفجُّرات، وإن كان بعض دعاوى الإصلاح تخديرية وليست ذات مضمونٍ جدّي مما يُمثّل حلًّا حقيقيًّا.

وفي الكويت الخليجية تحضير عملي، وخطواتٌ على الأرض لنوعٍ من الإصلاح السياسي المطلوب.

فهل البحرين التي عاشت المطالبة بالإصلاح السياسي لسنوات وسنوات، واشتدّ الحَراك الشعبي فيها لهذا الهدف بدايةً من الرابع عشر من فبراير، وبذل الشعب في سبيل ذلك ما بذل من أثمان باهظة، والحكومة على تصلّبها؟

١- خطبة الجمعة (٤٧٨) ٢١ ذو الحجة ١٤٣٢هـ ١٨ نوفمبر ٢٠١١م.

هل البحرين والحال هذا تعتبرها الحكومة خارج السياق العربي كله، وأنها المستثنى الوحيد الذي لن يكون فيه إصلاحٌ لوضعه السياسي، ولن يَمسّ وضعه السياسي تغييرٌ أو تعديل؟

استمرار الاستثناء مستحيل، والمماطلة بالإصلاح فيها تصعيد، وتأخيره لا يضاعف الكلفة المدفوعة من الشعب وحده، ولا يخفّض من سقف المطالب، فحسب، كل تجارب الحَراك العربي، وحسب الحَراك المحلي، كلما مضى الوقت تعقّدت الأمور، وكلما دفعت الشعوب تضحيات أكثر كلّما ارتفع سقف مطالبها حتى استحال الالتقاء في عدد من النقاط من الساحات العربية على نقطة مشتركة، وحسب عدد من هذه التجارب.(١)

التَّطلّع للحياة الأفضل

تحرّك عددٌ من الشعوب العربية في سبيل واقع جديد، وحاضرٍ مشرّف، وغدٍ أفضل ينطلق من إصلاح الوضع السياسي الظالم في الأمَّة وتغييره، ومن تحقيق الانعتاق من الأسْرِ الخانق الذي تُعاني منه شعوب الأمَّة على يد الأنظمة السائدة، وحالة التهميش التي تفرضها عليها، والاستخفاف الذي تتعامل به معها؛ إذْ كل جَنَبات الحياة عند الإنسان يصيبها الضرَرُ، والتصدّع، والتأثّر بسبب سوء الوضع السياسي، والخلل الداخل عليه.

للحرِّيَّة، للكرامة

تحرّك هذا العدد من هذه الشعوب؛ لاسترداد كرامة الدِّين، والإنسان، وحريّته، وإنقاذ الثروات الوطنية من يد العبث، والنهب، والتلاعب.

وهو تحرّكٌ لا رجعة فيه إلى الوراء، ولا انحسار.

وشعوب الأمَّة التي لم تلتحق بعدُ بحَراكِ الإصلاح والتغيير لاحقةٌ به لا محالة.

وقطار التغيير مواصلٌ انطلاقته إلى آخر الطريق، ولن توقفه قوّة غاشمة، ولا تحايل ولا مكر ولا كلّ ألاعيب السياسة، ولا موقف دولةٍ صغرى، ولا دولةٍ كبرى في الأرض كلّها على الإطلاق.

١- خطبة الجمعة (٤٨١) ١٣ محرم ١٤٣٣هـ، ٩ ديسمبر ٢٠١١م.

منطلق الصَّحوة الإسلاميَّة

ربيع الثورة العربي، وحركات الإصلاح إنما وُلد كلّ ذلك من رحم الصحوة الإسلامية التي سرت في روح هذه الشعوب، وكلما حضر الإسلام في وعي شعبٍ وشعوره كلما امتنع أن يَردَّ هذا الشعبَ رادٌّ عن طريق العزَّة، والكرامة، والحرِّيَّة، والمطالبة بالحقوق، والتَّغيير الصَّالح، والانعتاق.

منطلق الربيع العربي مخزونٌ من الشعور بالقهر والإذلال والحرمان والتهميش والكبت، وفقد الأمن.

وكل ذلك من عطاءات النظام السياسي العربي الغاشم.

منطلقه هذا المخزون، وتلك الصحوة التي بعثت الوعي، فأحيت الضمير، وحرّكت الإرادة، وألهبت الشعور.

والنجاحُ الحقيقي لحركات التغيير والإصلاح، وتحقيقُ مستقبلٍ زاهرٍ كريمٍ رائدٍ للأمَّة مرهونٌ باستمرار هذه الصحوة وتعمّقها، وصِدْقيَّتِها في ميزان الدّين، وشدتها وتوسعها.

مع استمرار هذه الصحوة وتصاعدها، يستحيل على أيّ نظامٍ من أنظمة الحكم الظالمة أن يكون في منأى عن المواجهة والمطالبة بالإصلاح والتغيير.

وفي ظلِّ الواقع الجديد لشعوب الأمَّة لم يبقَ أمام الأنظمة الحاكمة المناهضة للإصلاح والتغيير إلا أن تستبدل عن شعوبها، أو تستجيب لإرادتها.[١]

أمَّة تعود إلى ماضيها

أمَّة الإسلام اليوم تعود لماضيها؛ لتُحيا لا لتموت، لتتحرَّك للأمام لا لتجمُدَ، ولا تتراجع إلى الخلف، لتتجدَّد لا لتتقادم.

١- خطبة الجمعة (٤٨٤) ٥ صفر ١٤٣٣هـ ٣٠ ديسمبر ٢٠١١م.

أمّة الإسلام تعود لماضيها عودة حياة لا موت، حركةٍ لا جمود، تقدّم لا تراجع، تجدُّدٍ لا تقادم؛ ذلك لأنها عودة لقيادة الإسلام، قيادة القرآن، قيادة الرسول صلى الله عليه وآله.

وهي قيادة؛ لإنماء الحياة، ولإثرائها، لتدفُّقها، لتقدمها، للارتقاء بها، لتخليص حركة الإنسان في إنسانيته الكريمة، وفي إنجازاته المثمرة، وإبداعاته واكتشافاته وإضافاته النافعة من كل معوِّقاتها، والدّفع بها إلى الأمام على الخط القويم.

وإنّ عودة الأمّة إلى هذه القيادة فيها صحوتها، وحياة عقلها وإرادتها، وفيها حيويتها ونشاطها، وعزّتها وثقتها بنفسها، وقوّة عزيمتها، وحريتها واستقلالها، وإباؤها ورشدها وهداها.

وشعبنا وهو من أشدّ شعوب هذه الأمّة ارتباطًا بالإسلام، وانشدادًا إلى رؤيته، واعتزازًا به يعود اليوم بقوّةٍ إلى إسلامه، وعزّة الإسلام، وقِيَم الإسلام، وأحكام شريعته، وهدى القرآن العظيم، وقيادة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.[1]

وبهذه العودة المباركة صار لا يستثقل في سبيل حريته وكرامته، واسترداد حقوقه المسلوبة، وردّ اعتباره إليه من البذل والتضحية ما ثَقُل، ولا يئِنُّ من التعب الذي تئِنّ منه النفوس القوية، ولا يستبطئ النّصر وإن أبطأ، ولا ييأس من الظّفر وإن تأخّر، ولا يشكو من قِلّة الناصر وإن عزّ، ولا يفكّر في التراجع وإن طال المدى، ولا يتنازل عن شيئ من مطالبه وإن قست الظروف، ولا يُغيّر من قناعته أن تتنكّر لحقّه كلّ الدنيا[2].[3]

١- شعبكم أنتم.

٢- أي لن يصل بكم أحدٌ إلى حد الضعف والتسليم إلى عملية الاستضعاف.

٣- خطبة الجمعة (٤٧٧) ١٤ ذو الحجة ١٤٣٢هـ ١١ نوفمبر ٢٠١١م.

(٣)
الانفجار

ظاهرة مشتركة

تَمثَّل الربيع العربي في عدد من الحركات والانتفاضات والثورات في طول الساحة العربية وعرضها، وعلى مستوى الكثير من دولها، واشترك كل هذا في ظاهرة بيّنة ثابتة، تلك هي: إن المطالبات الشعبية تبدأ بأسلوب سلمي، وبسقف متواضع فتُقابل بقمع السلطة وإرهابها، وإسالة دم أبناء الشّعب والجرح والقتل، فلا يلبث سقف المطالبة أن يرتفع، وتتسع رقعة الاحتجاجات، وتعمّ المظاهرات والمسيرات، وتحدث التمركزات الشعبية الكبيرة، ويزداد قمع السلطة، ويغزر سيل الدماء، وتعمل قوى الأمن الحكومية والجيوش على دفع جماهير الشعب إلى فقد الصبر، والخروج عن دائرة الأسلوب السلمي دفاعًا عن النفس؛ لتتّخذ الجهة الأخرى من ردَّة الفعل الشعبيّة مبررًا للاستباحة العامة على حدٍّ ما ينقله التاريخ من استباحة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله في حُكم يزيد بن معاوية إلّا أنّ الزمن في تجارب بعض الأنظمة العربية هذه الأيّام يمتدُّ وضع الاستباحة لشهور طويلة في تنكُّرٍ تام لقِيم الدِّين، وضوابط الشريعة، والقانون والعرف المحلي والعالمي، وكلّ المقدَّرات والمواضعات الإنسانية.

وفي النهاية قد يُصرع النظام كما في التجربتين التونسية والمصرية، وقد تطول المنازلة بين الطّرفين؛ لتزيد خسائر الأوطان، وتطول محنة الجميع، وتتكبّد البُنَى التحتية في البلاد ما تتكبّده من تصدّعات وشروخ خطيرة.

ومن الشعوب مَن لا يُخرجه عنف السُّلطة عن خياره السلمي، وقليل هو هذا النوع.

وفي الثبات على الخيار السلمي رحمة بالأوطان، وحجة تدين الأنظمة، وإن تطلّب ذلك صبرًا كبيرًا، وتحمّلًا للمعاناة المُرَّة.[١]

١- خطبة الجمعة (٤٥٦) ١٤ رجب ١٤٣٢هـ ١٧ يونيو ٢٠١١م.

ظاهرة طافحة

تكوّنت في الساحة العربية في البُعد السياسي والأمني في العلاقة بين أنظمة الحكم والشعوب ظاهرة واضحة طافحة تتكرر بمشاهدها الثابت والتي قد تختلف في بعض التفاصيل التي لا تضر بوحدتها النوعية في كل مَواطن التحرك الحقوقي والثوري من البلاد العربية، تبدأ هذه الظاهرة تحت ظروف الابتزاز الرسمي للشعوب، وسلب حقوقها، وقهر إرادتها، والتلاعب بمصيرها باحتجاجات، وتجمُّعات، ومسيرات، واعتصامات للمطالبة الحقوقية، وتحسين الأوضاع.

تُقابل هذه البداية بالاستهزاء، والتزوير، والعنف المفرط، والاتهامات الظالمة، والتلفيقات الكاذبة العارية.

وتأتي الضحايا من أبناء وبنات الشعوب الأبرياء متوالية، ويتعاظم عدد الشهداء؛ ليكون الصاعق المفجّر للأوضاع بصورة مُرعبة، وليدخل الساحة في صراع مصيري لا هوادة فيه.

القليل من الأنظمة مَن يتغلّب على غرور السلطة، ويستجيب جزئيًّا لإرادة الإصلاح قبل تفجُّر الأوضاع، وصعوبة أو استحالة تداركها لكسر حِدّة التوتّر الشديد، وتراجع حالة الغليان؛ ليستريح الوطن بعض وقتٍ في ظل هدوءٍ نسبي للأوضاع.

والكثير من الأنظمة لا يملك نفسه أمام غرور السلطة، ولا يسمع لنصح عقل، ولا يُصغي لتقدير مصلحة، وإنما يلجأ؛ للإفراط في استعمال القوّة؛ لينتصر للمعارضة على نفسه، ويرفع من مستوى رصيدها الشعبي، ويزيد من أعذارها، ويُجرّئ عليه قوى جديدة واسعة كان يأمل أن تُحيِّدها فاعلية السلاح، إن لم تكن طوع يده في ضرب المعارضة.

في ظلّ هذا النوع من ردّ الفعل الرسمي ينتقل الوضع إلى حالة المفاصلة العملية التامة، والثورة الشّاملة، التي منها ما لا يغادر حالة الأسلوب السلمي، وهو قليل، ومنها ما يقابل العدوان بعدوان مثله ما وجد إلى ذلك سبيلًا.

واحدٌ الآن بالنسبة للسَّاحات التي بدأت تحرُّكًا جدِّيًا في المواجهة مع ظلم الأنظمة لم نجد شعبًا قد تراجع، وقد وُجِد تراجعٌ بدرجة وأخرى في أكثر من نظام، وإن كان ذلك في عدد من التجارب بعد فوات الأوان حتى كانت أخسَّ نهاية يحاذر منها النظام، وأسوأ ما كان يَفِرُّ منه، وهو السُّقوط، والهروب بالجِلْد، والظهور في قفص الاتهام.

والعقلُ، وللمصلحة، وراحة الأوطان، وما يتمنّاه أهل الحكمة والإخلاص هو خيار الإصلاح الشامل لا السلاح الفتّاك، والمبادرة بالإصلاح المُرضي للشعوب، لا الاستمرار في إلهاب مشاعر الناس بزيادة القتل والفتك حتى تَفْلت كلّ الأمور، ويُقضى على جميع فرص التفاهم، وتغلقَ كل أبواب العودة، وتُسدّ الطرق أمام أيّ حلّ يجمع بين إرادة الطرفين.

وأوضح ما تُجمِعُ عليه تجارب الساحة العربية منذ بداية الربيع العربي هو أن تراجع الشعوب إلى الوراء صار شيئًا ميئوسًا منه على الإطلاق، وذلك لعدد من الظروف والمتغيّرات في مستوى الشعوب، وما ذاقت على يد الأنظمة الحاكمة من ويلات وكوارث ومذلّة.

والتركيز على الإصلاح الجدّي لا المازح، والشّامل لا الجزئي، والجذري لا السّطحي إنّما هو لكونه حقًّا أولًا، ولأنَّ مَن يريد لأيِّ وطن أن يستريح طويلًا، ويجعل أجواءه قابلة للتفاهم عند الخلاف لا يجد من هذا النوع من الإصلاح بُدًّا، ولا عثور له على بديل له يحُلُّ محلّه.(١)

١- خطبة الجمعة (٤٦٧) ٣ شوال ١٤٣٢هـ ٢ سبتمبر ٢٠١١م.

(٤)
الدُّروس

درس بعد درس!!

درس بعد درس، وعظة بعد عظة، وعبرة بعد عبرة يقدّمها قضاء الله وقدره القاهر هذه الأيام[١]؛ فأين المعتبرون؟!

يتساقط أهل القوّة الباطشة، والقبضة الحديدية على الشعوب، والسلطة المتفرّدة واحدًا تلو الآخر في مصائر سوداء مخزية، ومشاهد ذليلة من شأنها أن تكسر جبروت الطغاة، وأن تُلقّن أهل الأرض جميعًا دروسًا من سلطان الله الذي لا يُقهر، وقَدَره الذي لا يردّ، وأخذه الذي لا يقاوم، وأن تذكّر ما عليه الشعوب من قوّة إذا جدّ جِدّها، ومن انتصار الله سبحانه لإرادة المظلومين، ودحر الظالمين.

على مستوى الساحة العربية، قبلُ شهد العالمُ المصيرَ الأسود لسفّاح العراق، وفي هذه الأشهر القليلة فرّ بجلده طاغية تونس، وشوهد فرعونُ مصر في قفص الاتهام، واليوم يُطارد مغرور ليبيا، وأكثر من طاغية يشعر بالتهديد الجدّي، والأرض في نقمة تهتزّ من تحت قدميه، وقضية الرحيل الكئيب المخزي تلتفّ حول عنقه.

أوَ ليس هذا بكافٍ للاستفادة من الدرس، واتخاذ العظة، وحسن الاعتبار؟![٢]

يا رجال أنظمة الحكم الظَّالمة

إذا أردتم أن يبقى لكم ظلمكم واستئثاركم بكنوز الأوطان، واستعبادكم للنّاس، فاقتلوا شعوبكم، واستبدلوا عنها شعوبًا ميتةً ذليلة، تقبل الأسر والاستعباد.

ولن تجدوا بديلًا في الأرض اليومَ من هذا النوع.

١ـ يتحدث سماحة الشيخ عن أيام ما يُعرف بـ«الربيع العربي»، حيث نشبت الثورات الشعبية العارمة في وجه الأنظمة الجائرة.

٢ـ خطبة الجمعة (٤٦٦) ٢٥ شهر رمضان ١٤٣٢هـ ٢٦ أغسطس ٢٠١١م.

شعوبكم العربيّة المسلمة صار يستحيل عليكم بعد صحوتها، وعلى من هو أشدُّ منكم وأقسى أن يحكمها بالحديد والنار، ويقتلَ إرادتها، ويُخمِد في داخلها روح الثورة، وطموحَ الإصلاح والتغيير.

سبيلكم الوحيد إذا عزَّ عليكم الإصلاح والتغيير أن تحصدوا هذه الشعوب حصدًا إلى آخرها إن أمكنكم ذلك، ولا تستطيعون.

وإلَّا فإن أيّ شعبٍ من الشعوب التي حرّكها الشعور بضرورة التغيير على ضوء الإسلام لن تتراجع ما دام الدم ساريًا في عروقها، ولن يطول صبر أي شعبٍ من الشعوبِ المظلومة التي لم تهبّ بعدُ على الظلم والسكوت.

وكلّ الاحتياطات الوقائية من التغيير لن تصمد أمام هبّة الشعوب وعزمتها وجدّيتها، واستمراركم في الظلم يُفقِد شعوبكم الصبرَ، ويستنهِضُ إرادتها.

على أي حكومة عربية ألا تصدّق نفسها بعد اليوم بأنّها ستبقى صاحبة الكلمة الوحيدة، وسيّدة القرار والموقف تتحكم في مصير شعبها كما يحلو لها، أمّا الشعب فسيبقى مكتوفَ اليدِ، مستسلمًا، سهل الانقياد، حاكمًا على نفسه بالقصور والملكويّة والعبودية، راضيًا بالانبطاح![1]

غياب الخَيار الصَّحيح

ما أكثر ما يُغيِّب الخيار الصحيح عند الإنسان في هذه الحياة في ظلّ جهالة النفس التي تغمر العقل، وتُضلّل رؤيته، أو تعزلها عن التأثير فيما يتجه إليه خياره، وهذا سارٍ في شأن القويّ والضعيف، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، وفي كلّ الطبقات.

الخيار الصحيح أن يعترف الإنسان بعبوديته للواحد الأحد، ويظل كلّ حياته ثابتًا على طريق هذه العبودية المشرّفة.

ومن أشدّ ما يُفقد الإنسان رشدَه، وهذا الخيارَ الصحيح أُبّهة الحكم، وغرور السلطان، وبذخ الملك.

١- خطبة الجمعة (٤٨٤) ٥ صفر ١٤٣٣هـ ٣٠ ديسمبر ٢٠١١م.

وضحايا هذا الغرور يملأون ساحة الحياة!

كان يسع الذين أطاحت بهم ثورات هذه الآونة أن يعترفوا بعبوديتهم لله سبحانه، ولا يخسروا شيئًا من اللذّة الحلال في الحياة، وأن يخرجوا منها كرامًا أماجد لا يلعنهم اللاعنون.

وخيار العدل لو كان لرفع لهم شأنًا في الدنيا ما بقيت، وجعل الملايين تودعهم بالدموع، والأجيالَ تذكرهم في الخالدين.

فلماذا الظلم، والبطش، والنّهب، والتّعالي يا ذوي السُّلطان؟!

إنَّ في مقتل القذافي درسًا واعظًا يُضاف إلى دروس كلّها عظة غَنِيَت بها الساحة العربية في زمن قصير.

عِظة للطُّغاة: بأن لا تَطْغَوا فلستم آلهة، إنما أنتم عبيد، ولكم يوم محتوم.

وعِظة للحكومات البديلة: بأن كونوا أذكياء، فلا تخرجوا من هذه الدُّنيا ملعونين كما ودَّعت مَنْ قبلكم لعنات الملايين.

وعِظة لعَبَدَة السَّلاطين: بأن هذا هو مصير آلهتكم المكذوبة، فلا تأووا إلى ركن ضعيف.

وعِظة للمستضعفين في الأرض: بأن لا تنسوا أن الإله الحقّ هو الله، وأنه الرب الذي لا ربّ غيره، وأنه مهلك الظالمين.[1]

١- خطبة الجمعة (٤٧٤) ٢٢ ذو القعدة ١٤٣٢هـ ٢١ أكتوبر ٢٠١١م.

(٥)
موقفنا

موقفنا من ثورات الشُّعوب

ونحن مع حرية الشعوب وحقِّها في تقرير المصير، ورأينا ألَّا مكان لحكومة لا يرضاها الشعب، وأنْ ليس لأي حكومة أن تفرض نفسها قهرًا على شعبها.

نحن مع حق الشعب المصري، والتونسي، والليبي، واليمني، والسوري، والبحريني والشعوب الخليجية، وكل الشعوب في العالم في اختيار حكوماتها، وتقرير مصيرها، وتمتعها بحريتها، وكرامتها.

ولا نختار للشعوب الأخرى غير ما شدَّدنا عليه مرارًا بالنسبة للحَراك الشعبي في البحرين من الأخذ بالأسلوب السّلمي، والنأي بأي بلد من البلدان الإسلامية عن تدخُّلات الخارج، والتمكين للأجنبي من مصير المسلمين، والتحكُّم في ثرواتهم، ومقدُراتهم، ومقدَّراتهم.

وهذا الموقف العام هو الموقف الذي يتّخذه هذا المنبر من قضايا كلِّ الساحات العربية من غير ولوج في تفاصيل كلِّ ساحة ساحة.

وأنتم تجدون أنَّ كلًّا من الساحات العربية قد شغلتها أحداثها الداخلية، ومحنة شعبها عن الدخول في تفاصيل أحداث الساحة الأخرى، وإن كانت لا تنفصل بهمّها عنها.[١]

وموقفنا مع هذه التيارات والثورات والتحرّكات، لأنَّها صادقة ووفيّة ومخلصة ومخلِّصة.[٢]

١- خطبة الجمعة (٤٩٦) ٢٩ ربيع الآخر ١٤٣٣هـ ٢٣ مارس ٢٠١٢م.

٢- خطبة الجمعة (٤٤٠) ٢١ ربيع الأول ١٤٣٢هـ ٢٥ فبراير ٢٠١١م.

(٦)

ثورة البحرين.. امتحان المصداقيَّة للعالم كلِّه

لماذا يا مسلمون؟!

انتهى اجتماع وزراء الخارجيّة العرب تحت مظلّة الجامعة العربيّة في القاهرة هذا الأسبوع في تناوله للوضع السّوري إلى إدانة العنف الرّسمي هناك، والمطالبة بإيقافه سريعًا، والاعتماد العمليّ المفعَّل للتعدُّدية السياسيَّة، واحترام حقّ الشعب كلّ الشعب في المشاركة في الحكم، وتمتُّع جميع أبنائه بالأمن والحريَّة والكرامة وحقوق المواطنة كاملة، والتخلّص من كلّ أسباب الفساد المستشري.

ونحن مع حقّ الشعوب في كلّ ذلك، ومع استقرار جميع أهل الأرض، وحريتهم، وأمنهم، وخيرهم ورفاههم وانتهاء كل ألوان الظلم والفساد.

نحن لا نستبشع الظلم في حقّنا، ونستسيغه في حقّ الغير، ولسنا ممَّن إذا أصابه ظلم استاء له، وإذا أصاب غيره استطابت له نفسه.

نحن ندرك أن الظلم في بقعة من الأرض يُؤسِّس للظلم في الأرض كلِّها، وأنَّ نظامًا سياسيًّا عادلًا في دولة من الدّول يمثّل بشارة خير، وبادرة إصلاح، وتغيير سليم في كلّ الدول.

موقفنا دائمًا مع الإصلاح في كلّ مكان، ومع التغيير الإيجابي في كلّ الدّول.

جميل أن تذهب الجامعة العربية إلى مطالبة سوريا بإنهاء العنف، وسحب القوّات من الشوارع، وبالتعدّدية السياسية، والإصلاح الجذري، لكن لماذا هذا في سوريا دون البحرين مثلًا؟

أهذه حقوق إنسانيّة، أو جغرافية؟!

لماذا يُشدَّد على هذه الحقوق في قِطْرٍ أو أكثر من قِطْر، وتُحرَّمُ نفسها على يد

المتشدّد من أجلها هناك في قطر آخر كالبحرين؟!

لماذا هناك مطالبة، وهنا عقاب؟!

دول الخليج دورها في القرار المتعلّق بالوضع السّوري بارز وريادي، وعدد منها له تواجده العسكري في البحرين لوئد المطالبة بهذه الحقوق، ولِتفرُّغ جيش البحرين لمواجهتها على الأقل حسب الإعلان الصّريح.

كيف ينسجم هذا كلُّه بعضُه مع بعض؟!

كيف يجوز هذا مُجتَمِعًا يا وزراء، يا محترمون، يا مسلمون، يا عقلاء، يا عرب؟

افرضونا غير عرب، افرضونا غير مسلمين لكن هل لا إنسانية لنا على الإطلاق؟!

ألستم تتحدّثون عن هذه الحقوق بما هي حقوق إنسانية؟!

وإذا كانت هذه حقوقًا فيما ترون - وهي حقوقٌ فعلًا -، فلماذا لا يأخذها المطالِب بها الغير حقوقًا على نفسه قبل غيره؟![1]

عين ترى، وعين لا ترى!

وضع جامعة الدول العربية بالنسبة لظلم الأنظمة العربية ومأساة شعوبها وضعُ مَنْ له عينٌ ترى وعينٌ لا ترى، أُذنٌ تسمع وأُذنٌ لا تسمع، العين التي ترى، والأذن التي تسمع متوجهةٌ لأنظمةٍ وشعوبٍ بعينها، والعين التي لا ترى، والأذن التي لا تسمع متوجهةٌ لأنظمةٍ وشعوبٍ أخرى.

بل الأمر أكبر من ذلك، فإنَّ عين الجامعة العربية ترى ظُلم بعض أنظمتها عدلًا، وخطأها صوابًا، وتنكيلها بشعوبها حقًّا، ومعارضة ظلمها جورًا، ومطالبة شعوبها بحقوقها ذنبًا، وحرصها على حريتها وكرامتها إثمًا، والمقابلةَ لصوتٍ شعبيٍ يطالب بالحقوق والحرية والكرامة بكل أنواع القمع والتنكيل والسحق حقٌّ طبيعي لهذه الأنظمة، تُباركه الجامعة العربية، وتقف معه، وتسانده بكل قوة.

١- خطبة الجمعة (٤٦٩) ١٧ شوال ١٤٣٢هـ ١٦ سبتمبر ٢٠١١م.

وترى الجامعة العربية أن تترفّع عن مقابلة مَن يُمثّل المعارضة لظلم هذه الأنظمة المختارة، أو تسمع لهُ وجهة نظر ينقل فيها معاناة شعبه، وما تصب عليه حكومته من ألوان العذاب والمهانة صبًّا.[١]

ما لشعب البحرين ومطالبه المشروعة من الجامعة العربية هي هذه العين التي ترى حقّ هذا الشّعب باطلًا، ومطالبته بحريته وكرامته تعدّيًا، وتطلّعه لتقرير مصيره غرورًا، وترى في سلميّته حربًا.

وليس لها عين ترى من ظلم الحكومة لهذا الشعب شيئًا؛ لا من ظُلْمِ قَتْلِ الأبرياء تحت التعذيب، ولا الاغتيالات للآمنين العاديين، ولا انتهاك حرمة النساء والمساجد والقرآن الكريم، ولا سجن المئات بسبب التفوّه بكلمة ناقدة، أو مشاركةٍ في مسيرة سلمية، ولا حرمان الألوف من أبناء هذا الشّعب القليل العدد، ومَن يعيلونه من سبب الرزق الشريف، ولا سلب طعم الأمن ليلًا ونهارًا للكبار والصغار من أبناء هذا الوطن، وتحويل مناطق كثيرة من مناطقه إلى ساحة حربٍ من طرف واحد[٢]، هذا إلى جانب التمييز، والتهميش، والاضطهاد الديني والثقافي وإنسانية الإنسان.[٣]

كلُّ ذلك لا تراه عين الجامعة العربية، وأُذنها صمّاء عن كل صراخ، وتوجع، وأنين طفل أو ثكلى أو معذّب من أبناء هذا الشعب.

نحن نعرف أنّ النصر إنما هو من عند الله، وأنّه لا يُستجدى إلا منه، ولا يملكه غيره، وليس بيد غيره منه شيئ، ولا يجد من سواه سبيلًا إلى منعه وتأجيله[٤]، وعلينا أن لا نتوكّل إلا عليه، مع الأخذ بما أمر به من بذل المظلوم لما يجد من جهد في سبيل النصر والخلاص من الظلم.

١- أبوا أن يُقابلوا وفد المعارضة، أن يسمعوا منه كلمة.

٢- كلُّ ذلك عين الجامعة العربية لا تراه.

٣- الذي تمارسه هذه الحكومة، كل ذلك والجامعة العربية لا ترى.

٤- فنحن لا نستجدي النصر من المخلوقين، وإنما نسأله ونستجديه من الخالق.

ولكنَّ هـذا لا يتنافى مع إنكار مـا عليه موقف الجامعـة العربية من هـذا الشعب المظلـوم، وتذكيرهـا بأنها تتحمّـل مسؤولية ثقيلـة بين يدي الله ﷻ لهـذا الموقف غير العادل وغير الأخلاقي، والبعيد كلّ البعد عن الحق والدين.

﴿... وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[١]

والله ﴿... خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾[٢].[٣]

البحريـن كأنها خارج السياق في نظر الحكومـة المحلية، في نظر المحيط الخليجي، في نظـر الجامعـة العربيـة، في نظر المجتمع الـدولي، فهل سيعطي الشعب موافقةً على أنـه خارج السياق العربي والثـورات العربية، بحيث يخرج الـكل بنتيجة، ويرجع الشعب البحريني بِخُفَّي حنين؟![٤]

ماذا بقي؟!

ماذا بقي لهذا الشعب من حرية التعبير؟

من حرمة دم؟

من حرمة مال؟

من حرمة عرض؟

من كرامة؟

من كلمة؟

من أمر دين؟

من حرمة دين؟

١- ١٠: الأنفال.

٢- آل عمران، ١٥٠.

٣- خطبة الجمعة (٤٧٧) ١٤ ذو الحجة ١٤٣٢هـ ١١ نوفمبر ٢٠١١م.

٤- خطبة الجمعة (٤٨١) ١٣ محرم ١٤٣٣هـ ٩ ديسمبر ٢٠١١م.

حرمة صلاة؟

حرمة مسجد؟

حرمة قرآن؟

ألم يُهَاجم المصلون وهم يقبلون على الصلاة؟

ألم تهدم المساجد؟

ألم تُنتهك حرمة القرآن؟

ماذا بقي من شيئ لم تنتهكه السياسية الظالمة في هذا البلد الكريم؟!

لا شيئ من حرمة لهذا الشعب المقاوم للظلم، للقهر، للإذلال، للاستئثار، للاستبداد، للتهميش، لنهب الثروة، للاضطهاد، للانتهاك الديني في نظر حكومة تمارس كل ذلك في حق هذا الشعب.

مسؤلو دول كبرى تتوافد، ووفود حقوقية في مجيئ وذهاب والأمور إلى الأسوأ، والانتهاكات للحقوق الإنسانية والوطنية والدينية في تصاعد واتساع!

ونقول للدول الكبرى وللمنظمات الحقوقية الدولية: إمَّا أن رأيها أن الشعب غير محق في مطالبه الحقوقية والسياسية، وإمَّا أنه شعب نشاز من بين كل شعوب الأرض، وأنه ليس أهلًا لشيئ من الحقوق، وعليها لو كان رأيها كذلك أن تعلن هذا بصراحة، ولها أن تدعو الحكومة لمزيد من التنكيل بهذا الشعب، وإلغائه، وإقباره.

وإمَّا أن يكون رأيها غير ذلك، وأنَّ الشعب كسائر شعوب الدنيا، وله من الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية والسياسية ما لغيره من الشعوب، وأنَّ مطالبه في الحرية والكرامة والديمقراطية والأمن والسلام مطالب محقة، وعندئذ عليها أن تدين السياسة المنتهكة من الحكومة، وتمارس عليها الضغط الذي تجد له وسائل وأدوات كثيرة بما يلجؤها إلى الإذعان للحق والاستجابة لمطالب الشعب العادلة.

مَـن يصدِّق أن الدول الكبرى والمنظمات الحقوقيـة الأممية، لا تملك أكثر من دور الواعـظ الـذي لا يجد شيئًا من أدوات الضغط لصالح ما يـراه حقًّا، وما فيه إنقاذ لهذا للشعب؟!

وفـود الأمم المتحدة، الوفود الأمريكية، والبريطانيَّة، والفرنسيَّة، والمسؤولون الذين يجيئون من أمريكا، وفرنسا، وإنجلترا، هؤلاء وعاظ؟!

يسمعون الحكومة كلمة؟! - إن كانوا يُسمعون الحكومة كلمة تُغيضها! -، أهم وعاظ فقط، أم أصحاب دول كبرى تستطيع أن تضغط؟ أين ضغطها؟!

ومَن يصدق بممارسة الضغط الذي تملكه الدول الكبرى، والهيئات الأممية لصالح حقوق الشعب، ولكن لا تؤثر!

أمعقول أنهم يضغطون الضغط الذي يملكونه، ثم لا يؤثر شيئًا؟!

نقـول هـذا - وأملنا في الله وحدَه، ولا تعويل من مؤمن على مخلوق، وشعبنا لا يأخذ عزمه من موقف الدول، ولا يثنيه عن حقه تنكرٌ من أحدٍ أيًّا كان -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]. [2]

١- محمد: ٧.

٢- خطبة الجمعة (٤٨٣) ٢٧ محرم ١٤٣٣هـ ٢٣ ديسمبر ٢٠١١م، جامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.

(تنويه: هـذه الفقرات كتبناها من التسجيل الصوتي للخطبة؛ حيث إنه لم نجدها منشورة في الموقع الالكتروني لسماحته).

(٧)
الإسلاميُّون

الإسلاميُّون أمام تجربة جديدة صعبة

هنـاك أكثر من ثورة عربية أسقطت نظامًا حاكمًا مغضوبًا عليه من شعبه، وهي في طريقها؛ لإقامة حكومة أخرى، ونظام حكم آخر مكانه، وعلى أنقاضه.

والغالبيـة في الشعـوب العربية عاطفـة أو رأيًا وعاطفة لا تُقـدّم نظامًا وحكمًا على الإسلام، ولا تنسجم معه.

وفي حـال أن تجـري انتخابات حرة بالمعنى الحقيقي بعيدة عـن كل ألوان المغالطة، والغش، والخداع، والمراوغـة، والاحتيال، والتّلاعـب، وشراء الـذّمم، فسنجد أن خيار الغالبية من الشعوب الإسلامية هو الإسلام.

وهنـا يكـون الإسـلام والإسلاميون أمـام تجربة جديـدة صعبة، وامتحـان عسيرٍ مكشوفٍ مؤثرٍ بدرجة عالية على مصيرهما.

ولـو أخفقت هـذه التجربـة المتطلّع إليها من قبـل جماهير مسلمـة عريضة، والتي ستكـون مراقبة بالمجهر الدقيق من قبل مختلف الملايين، ومقاومةً من قبل كثيرين فإنها ستكون أشد خطرًا، وأبلغ في تأثيرها السلبي على الإسلام من حالة إقصائه عن السياسة وعداوتها السافرة له.

والإسـلام قد خاض تجربة الحكم قديمًـا وحديثًا، ولم تحقق أي أطروحة أخرى ما حققه من نجاح حينما خاض هذه التجربة برؤيته وعقيدته الدينية والسياسية الصادقة، وشريعته وقيمه وأخلاقيته الحقيقية.

وكذلـك قـد خاض الإسـلام تجربة الحكـم مظلومًـا على يـد التزويـر والأطماع الرخيصـة، ممّـن لا يؤمن به حق الإيمان، وإنما اتخذه مطيّـةً لأطماعه وهو عابدٌ للدنيا

ولأكثر من مرة في القديم والحديث، فسجّل ذلك تشويهًا للإسلام، وتحريفًا لأحكامه وقيمه، وإسقاطًا لوزنه، وانقلابًا في الرأي العام في أوساط المسلمين عليه، وبحثًا عن بديلٍ سيئ له.[١]

واحتيج في تصحيح رأي الناس في إسلامهم بعد ذلك إلى جهود مضنية، وتوعية صبورة، وثورات قاسية، ودماء غزيرة.[٢]

ويبقى امتحان الإسلاميين في التجربة الجديدة لو تأتّى للأمّة أن تعطيهم خيارها، وتضع يدها في يدهم، وتحمّلهم أمانة الحكم وهي أمانة ثقيلة لا يتحمّلها إلا أمناء كبار، وقادة أوفياء، وعقول راجحة، وهمم عالية، ونفوس متحررة من شهواتها، متأبّية على الأهداف الرخيصة، وذمم طاهرة، وأيد نظيفة، وفهم إسلامي ناضج، وقلوب لا تغفل عن ذِكر الله، ولا يصرفها عنه لهو ولا تجارة.[٣]

فهل يكون الإسلاميون في هذه التجربة الجديدة بوزن هذه الأمانة الكبرى بمقدار لا يسيئ للإسلام، ولا يظلمه ظلمًا أشد من ظلم أعدائه؟

هل يقربون في فهمهم من فهمه، وفي طهر نفوسهم ونياتهم من طهره، وفي حكمتهم من حكمته، وفي إنسانيتهم من إنسانيته، وفي عقلانيتهم من عقلانيته؟

وهل يأخذون في سيرة حكمهم نزاهةً تزِينهم من نزاهته، ودرجة عدل تشقهم بها الملايين من عدله المطلق الشامل الذي تفرّد به؟

إن كان لهم ذلك سَعِدت بهم الأمّة، وسعدوا بها، وحمتهم بقلوبها وأيديها، وكانت قلعتهم الحصينة، وسياجهم المتين، ودعامة وجودهم الثابتة بعد دعم الله وحمايته، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وتعمّق إيمانهم به، وتصلّب، وتثبّت اختيارهم الإسلام، ولم يستبدلوا عنه، أو يتخلوا عن نصرته.

١- صارت الأمّة تبحث عن بديلٍ سيئ عن الإسلام لما أصابه من تشويه على يد الحاكمين باسمه، وهم لا يؤمنون به حق الإيمان.

٢- ذاك هو الإسلام، فماذا عن الإسلاميين؟

٣- الحكم الإسلامي، الحكم، موقع الحكم يتطلب كل هذا.

أمَّا لو أساءوا فهم الإسلام، ولو صبغوه بالعصبية العمياء، لو فصلوه عن بُعده الإنساني، لو أوغلوا السيف في رقاب العباد، لو ظلموا وهم يُعلنون انتماءهم للإسلام، ويتحدثون باسمه، لو كان أوّل تنافسهم على المواقع والثروة، لو اشتغلوا بالغنائم عن هموم الناس ومشاكلهم، لو توجّهوا؛ لبناء الأمجاد الدنيوية الشخصية والفئوية ضاربين بمصالح الأمَّة عرض الحائط، فإنهم سيسقطون من نظر الأمَّة، وسيسقطون الإسلام من ناحية عملية إلى حدٍّ كبير، ويجنون عليه أكبر جناية.

وفي الجناية على الإسلام أعظم جناية على الأمَّة المظلومة، والإنسانية المعذبة، وحرمان لأهل الأرض من منقذ لا منقذ لهم سواه إلى مدى قد يطول، وإن كان لا بدَّ أن ينقذ الإسلام العالم من مأساته التي أغرقها فيها البعد عن الله سبحانه على يد الكافرين والظالمين.

ويُسقط الإسلاميين الذين يصلون إلى الحكم باسم الإسلام، وينزل به ضربة قوية أن يساوموا أعداءه عليه[1]، ويحرّفوه مجاملة لهم وكسبًا لودهم؛ ليجدوا فيهم سندًا، أو يأمنوا منهم شرًّا وتآمرًا.

نجاح الإسلاميين في حكم الأمَّة، أو شعب من شعوبها أن يكونوا رساليين مبدئيين بمقدار رسالية الإسلام ومبدئيته، واقعيين عند حدود واقعيته، جدّيين بمستوى جِدّيته، منفتحين بسعة انفتاحه، نزيهين كنزاهته، عادلين في الناس لا يتعدّون عدله، بعيدين عن كل عصبية أرضية تُعكّر نقاءه وصفاءه.

وبهذا يقوون، وتقوى بهم الأمَّة، ويجدون منها حضنًا دافئًا، وحصنًا حصينًا، وعينًا ساهرة، ويدًا ضاربة، وإمدادًا غير منقطع.

وبهذا يحترمهم العدو، ويهابهم، ويعطون لأوطانهم الاستقلال، ولأمَّتهم العزة والمهابة والكرامة.

١- هذا خطرٌ آخر.

يُخطئ الإسلاميون لو طلبوا البقاء في الحكم عن طريق الإكراه، والتحايل على الأمّة وترهيبها.

إنهم يستطيعون أن يضمنوا البقاء في الحكم، والعودة إليه عبر صناديق الاقتراع في كل مرة تعطى الأمّة فيها فرصة الانتخاب، لو رأى الناس منهم صدق الإسلام، وعدله، ورحمته، وأخلاقيته، واهتمامه بتقدم المجتمع في كل مسارات حركته الصالحة، وأبعاد وجوده الكريمة، ولو رأوا منهم التفاني في خدمة الشعب والإخلاص له، والأمانة الصادقة على ما تحت أيديهم من خيراته وثرواته، والاحترام لإرادته وكرامته على خلاف ما رأوا ويرون في غيرهم من الطغاة والمستكبرين وأهل المصالح الدنيوية الضيّقة.[1]

١- خطبة الجمعة (٤٧٥) ٢٩ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، ٢٨ أكتوبر ٢٠١١م.

(٨)
التَّحدِّيات والمخاطر

خطر الأنظمة المتسلِّطة

امتُحِـن الوطن العربـي خاصّة، والوطن الإسلامي عامة لمدى زمني طويل بأنظمة حكـم تسلّطية فرضت نفسها علـى خلاف إرادة الأمّة، ودينها، ولا يمكن لها في ظلّ وعي الأمّــة وصحوتها، وإدراكها لمقتضيات هُويتهــا ومصلحتها، واعتزازها بذاتها وحضارتها أن تنـال ولاءها وثقتها ومناصرتها؛ فصارت تعمل دائما على تجهيلها واستغفالها، وقتل إرادتها، ومنع أسباب القوّة والنهوض عنها درءًا لما تراه خطرًا عليها في صحوتها ووعيها وقوّتها، وإدراك مأساتها، هذا من جهة.

خطر الهيمنة الأجنبيَّة

ومـن جهة أخرى لقد مكّنت هذه الأنظمة للأجنبيّ مـن رقبتها، وأباحت له الأرض العربيّـة والإسلامية وخيراتها، وأعانته على غـزو ثقافتها، وأخلاقيتها، وقيمها، وإفساد دينهـا وتربيتها شعورًا منها أمامه بالضعـف، وحاجتها إلى دعمه وتأييده في قبال حركة الشعوب المتوقعـة، وهذا ما جعـل بقاء هذه الأنظمـة مرهونًا بإرادة الأجنبـي، وأتاح له أن يبتزهـا بـأي درجة من الدرجات متى شـاء، وكيف شاء، وجعل لـه تغلغلًا واضحًا في كل مفاصـل هذه الدول الذليلة المستسلمة، وملّكه علاقـات مهيمنة على مستوى التفكير والشعـور والإرادة ونـوع الطمـوح على كثير مـن أبنائها خارج جسـم الحكومات؛ لتكون البديل المناسب لخدمة نفوذه ومصالحه عند الضرورة.

وقـد جعل هذا الواقع المعقّد حركات الإصلاح والتغيـير الصالح في الأرض العربية والإسلاميـة تواجه خطـر القمع الداخلـي العنيف على يـد الأنظمة الحاكمـة، والدعم الأجنبـي لها والـذي كان قائمًا في المثال الليبي إلى وقت كان القـذافي يقمع فيه الشعب، ويُنـزل حمم سخطه عليه، كمـا تواجه خطر البديل المتعاون مـع الاستعمار الأجنبي من

أبناء شعوبها ممّن صُنعوا على عين المستعمر نفسه لمدة طويلة[١]، وأُعدّوا بصورة جاهزة لخدمته، وتنفيذ سياسته وأهدافه.

خطر الميل إلى التّبعيّة للأجنبيّ

وخطر آخر على حركات الإصلاح والتغيير في البلاد العربية والإسلامية قد أوقعها فيه ذلك الواقع المرير الذي صنعته الأنظمة الفاسدة، والحكومات الجائرة، وهو شعور الكثير من هذه الحركات بالحاجة إلى مغازلة الأجنبي، واسترضائه، والدخول في مساومة معه لا إيمانًا بقيمته، ولكن إذعانًا لهيمنته.

وقلَّ أن تتحرّر حركة تغيير، أو إصلاح من هذا الهاجس، وتتمتع بروح الاستقلال الحقيقي، وتعتمد على قوتها الداخلية، ورصيدها الوطني، وجهدها وجهادها وتضحياتها وإن طال الطريق، وذلك وإن قلَّ إلَّا أنه قد تحقق على الأرض[٢] وهو قائم وموجود فعلًا.

وإذا وجد كان معادى من جميع قوى الظلم والانحراف، والزيغ والضلال، وكان عليه أن يواصل جهوده المضنية، ويصبر على مرِّ عداوة الأعداء الكثيرين، وحربهم وأذاهم، وأن يملك دائمًا انتباهه، ويقظته لما يدور حوله، وما يحاك له من مؤامرات، وأن يبني قوة متينة متنامية تحميه.

ولا أمل في تحرّر الأمّة وانعتاقها من ذُلِّ العبودية لقوى الطاغوتية في الداخل والخارج إلا في حركة إصلاح أو تغيير مستقلّة عن هيمنة القوى المعادية للأمّة، تولد من رحم أمتها المجيدة، ووعيها الإسلامي، وخطّها الحضاري، وإرادتها الحرّة التي لا تخضع إلا لله، ولا تستكين إلا أمام إرادته، ولا تتطلع إلا إليه، ثم لا تعتمد مع بذل كل الجهد إلا على ربّها، وتتحمل المعاناة الصعبة، والتضحيات الجسيمة في سبيله، وتكون على نباهة ووعي بالغين لا يسمحان بأن تسرق صنائع الأجنبي وخلاياه المعدّة عطاء التضحيات الباهظة لجماهير الأمّة ومكاسبها.[٣]

١- بتسهيل الحكومات الظالمة.

٢- أي وجود نموذج التغيير والإصلاح الحقيقي المستقل النابع من ضمير الأمّة، والناظر لمصلحتها.

٣- خطبة الجمعة (٤٧٢) ٨ ذو القعدة ١٤٣٢هـ ٧ أكتوبر ٢٠١١م.

تآمر الأنظمة العربيَّة والغرب ضدَّ الثَّورات

رائع جـدًّا، ومفرح جدًّا أن تتّجه الإرادة في النظام العربي الحاكم إلى إنكار الظلم مـن أي دولة من دوله للشعب الذي تحمَّلت أمانةَ حكمـه بصورة وأخرى، وأن تردّها عن ظلمـه، وتفرض عليهـا الاحـترام لإرادة الشَّعب الذي همَّشـت إرادته، وإرجـاعَ حقوقه المسلوبةِ منه، وحرّيته المصادرة عليه، وثروته المتلاعب بها.

هـذا رائـع، ومحلُّ تثمين كبـير إذا كان من العـودة إلى الحقّ، والأخـذ بالصّحيح، واحترام الشعوب، والنظر إلى الإسلام، وأحكامه، وقيمه.

فهـل هذا هو المنطلق لإدانة هنا، ولخطـوة عملية هناك يمارسها النظام العربي في مساحـة منه ضدّ إحدى دوله ظاهرهـا أنها من أجل تصحيح وضع تلك الدولة أو تغييره انتصارًا للشعب هناك؟!

إذا كان هـذا هـو المنطلق، فالشّعـوب العربية كلّها مضطهـدة، ومهمّشة، ومنهوبة، ومسروقة، ومستخفٌ بها، وحريّتها مصادرة، وكلمتها مقهورة، وحقوقها مضيّعة، ودينها مُغيَّب، وإرادتها مسحوقة.

وكل الحكومـات العربيـة تمارس هذا بدرجـة عـاليـة وصورة فاضحة في حق شعوبها.[١]

وإذا كان كذلك، فعلى كل هذه الحكومات أن تنتفض ضدّ نفسها، وتُدين ظلمها ضد شعوبهـا، وتتخذ قرارًا جماعيًّا شُجاعًا يُنهي تسلّطها على هذه الشعوب وإنهاء مأساتها، والرجوع إلى إرادة الأمَّة في حكم نفسها.

كيـف يصحّ للنظـام الرسمـي العربي أن يكـون منه مطالِـبٌ بالإصـلاح والتغيير ومطالَب؛ بينما كله يعيش الحاجة إلى الإصلاح والتغيير، وكلّه غارق في الظلم، والخطأ، والتَّخلُّف، والاستبداد، واضطهاد الشعوب؟!

١- ولذلك يتساوى الجميع.

وما تفسير أن الصوت المطالب من داخل النظام الرسمي العربي بالإصلاح والتغيير والمحشِّدَ لهما والمستنصر بالغرب أحيانًا؛ لتنفيذهما هو نفسه المدافع عن ظلم حكومات داخل هذا النظام[١]، ويُثبِّت أركانه، ويُدين ويُخوِّن أيّ تحرك داخلي ضدّ تلك الحكومات، وأي حركة إصلاحية تريد أن تغير من الواقع المأساوي التي تعيشه الشعوب، ولا يكفيه إلّا أن يُحشِّد الجيوش؛ لإجهاض أي لون من الحَراك يُقاوم تلك الأوضاع؟

وما تفسير هذا التوافق بين كلمة هذا الصوت، وموقفه مع الكلمة الأمريكية، والموقف الأمريكي في إدانة مَن تدين أمريكا، وحرب مَن تحارب، ومقاطعة مَن تُقاطع، والسكوت عمَّن تسكت، وتأييد مَن تؤيد، ومناصرة مَن تُناصر؟!

وما تفسير الموقف الأمريكي المتباين من حكومات تتساوى ظلمًا وتسلّطًا وديكتاتورية واستبدادًا، ونهبًا وسرقة وعبثًا بمصير الشعوب، ومن شعوب تشترك في المعاناة والمأساة من هذه الحكومات، وتُصادَر حرّيتها، وتوأد إرادتها، وتُحارَب وتُجَهّل وتمزّق بثرواتها على يد الساسة المتسلطين عليها؟!

حكومةٌ من هذه الحكومات تُدان علنًا وتُناصر خفاءً حتى يتمّ اليأس منها، ويُعثر على بديل مناسب لها.

وحكومة أخرى يُتدخّل ضدّها بالسلاح، وبالصورة المكشوفة.

وثالثة تُغازَل، وتُدلَّل، وتُكرَّم؛ لقمع شعبها.

وشعب تُؤجّج مشاعره، ويُلهب حماسه ضد حكومته، وربما مُدَّ بالمال والسلاح، وآخر يُغرّر بكلمة، ويلام بكلمة، وثالث يُغرى بالوعود الزائفة، ورابع يُيأس؛ من أجل أن يركع.

ما السرّ في ذلك؟

السرُّ تعرفه كل الشعوب، وكل الدنيا، وكل الحكومات.

١- من جهة هناك دفاع عن الشعوب، ومن جهة أخرى هناك دفاع عن حكومات، وحماية لها، بينما الحكومات على حد واحد، والشعوب على حد واحد.

السِّرُّ أن أمريكا لها ميزان واحد، ومقدّس واحد ليس هو إلا مصلحتها المادية، وقبل ذلك المصلحة الماديَّة لكبار ساستها، والطامعين في رئاستها، والمراكز السياسية العليا فيها.(١)

الفتنة الطَّائفيَّة

مَن له شيئ من عقل، شيئ من دين، شيئ من ضمير، شيئ من إنسانية، شيئ من غيرة، شيئ من حياء لا يُحرق وطنه، أهل وطنه، ثروة وطنه، أخوّة مواطنيه، دينهم، أخلاقهم، إنسانيتهم، أمنهم، حاضرهم، مستقبلهم، وكل ذلك تحرقه الفتنة الطائفية التي يضيع فيها العقل، ويغيب الدين والضمير، وتعطّل الكوابح، ويقفز على الحواجز.

فلا ريب أن مَن يسعى؛ لإشعال الفتنة الطائفية، فإنما يريد إشعال حريق شامل يجد منه مخرجًا للتحكم في الأوضاع غير مبالٍ في نفوس الناس، ومالهم، من عرضٍ ومال.

إنها جريمة السياسة القذرة في حقّ الوطن والمواطنين أن يعمد أحد إلى إحداث فتنة طائفية.

إنها عملية استهتار، وسحقٍ للدين، والقِيم، والإنسانية، وكل حرمة من الحرمات.

هناك مَن يريد احتراق الوطن، مَن يريد لكم يا أبناء الشعب سنة وشيعة أن تقتتلوا، أن تسفكوا دماءكم، أن تدخلوا في حربٍ مفتوحةٍ لا حدود لها، ولا تستثني مالًا، ولا عرضًا ولا دمًا، ولا ترعى حرمةً من الحرمات، ولا تحترم أخوَّة، ولا تاريخًا، ولا دينًا ولا خلقًا.

أمَّا أنتم، فلا تُحرقوا البحرين، ولا تقتتلوا، ولا تدخلوا حربًا جاهليةً لا يرضاها الله ورسوله ولا المؤمنون.

ولا تلقوا بأنفسكم إلى تهلكة دنيا وآخرة.

١- خطبة الجمعة (٤٧٤) ٢٢ ذو القعدة ١٤٣٢هـ ٢١ أكتوبر ٢٠١١م.

كونـوا عقلاء أذكياء كآبائكم وأجدادكم الذين أفشلوا مثل هذه المحاولات من قبل، وأثبتوا وعيًا سياسيًـا متقدّمًا، وأخوّةً دينيةً ووطنيةً قوية، واجتمعت كلمتهم على مطالب سياسيةٍ موحّدة.

أيهـا الواعـون، أيها الشرفاء، يا أبنـاء هذا الشعب الكريم، أمامكـم مصر، ليبيا، اليمن، سوريا.

انظروا كم حصدت السياسة الدنيوية المقاوِمةُ لمطالب الشعوب، وحركات الإصلاح، وكم حصد إصرار السُّلطات على كل مكاسبها الظالمة من أرواح أبناء هذه الشعوب.

لم يُحصَد الليبيون على يد القذافي السنّي لأنهم شيعة.

ولم يُحصَد المصريون على يد حسني مبارك السنّي لأنهم شيعة.

ولم يُحصَد أهل صنعاء وعدن على يد صالح السنّي لأنهم شيعة.

حُصـد كل أولئك وهـم سنة من الحاكم السنّـي لذنبٍ واحدٍ مشـترك هو المطالبة بالحقوق والإصلاح والحرية والكرامة، ولم تشفع لهم أخوّةٌ دينيةٌ، ولا مذهبيةٌ، ولا وطنيةٌ يشترك الحاكم معهم فيها.

إن السياسة الدنيوية لا تعرف وزنًا لدين ولا مذهبًا، ولا قيمًا، ولا أعرافًا.

كلُّ القِيمة عندها للكرسيّ، والسُّلطة، والدنيا.

ألف شيعي معارض لا يساوي سنيًّا مواليًا عند حاكم شيعي معبوده الدنيا.

وألف سنّي معارض لا يساوي شيعيًّا مواليًا عند حاكم سني مقدّسه الدنيا.

يمكـن لهذا أو ذاك أن يفاوت أحيانًا بين مواليين أو معارضين[1]، ولكنه لا يمكن إلا أن يقدّم الموالي على المعارض من أي دينٍ، أو مذهبٍ، أو قوميةٍ كان هذا، وكان ذاك.

١- لسنية هذا وشيعية ذاك، لنصرانية هذا وإسلام ذاك.

ولا تفتقر السياسة الدنيوية الحيلة والمكر الذي يوقع أبناء الشعب الواحد في الاقتتال حفاظًا على السُّلطة، بل على كل ما تغتصبه من الشعوب، وتصادره من ثروة وحرية وكرامة الأوطان ظلمًا.

والمداخل لهذا المكر متوفرة دائمًا، والفرص ميسورة.

هناك التعدد الديني، التعدد المذهبي، التعدد القومي، التعدد اللوني، التعدد القبلي، التعدد المناطقي، التعدد الطبقي، التعدد اللغوي.(١)

أي شعب يخلو من هذه التعددات ومن غيرها حتى لا تجد السياسة الظالمة مدخلًا تلِجهُ للفرقة، وتفتيت الشعب الذي تحكمه، واحتراب أبنائه؟!

في مصر استُخدِمت ورقةُ التعدد الديني، وفي ليبيا استُخدمت ورقة التعدد القبلي، والمناطقي وكذلك في اليمن.(٢)

تهمة العمالة للخارج

أما ورقة الاتهام بالتآمر، والعمالة للأجنبي، والخيانة فهي ورقة مشتركة استخدمها المصري، والليبي، واليماني، وهي مستعملة في سوريا وفي كل مكان.

والسياسة التي لا تقدِّس إلا الدنيا لا تستثني أي أسلوبٍ دنيئ إجرامي في سبيل الحفاظ على مصالحها.

ومن أبشع هذه الأساليب دناءةً وإجرامًا تمزيق الشعب الواحد، وزرع روح الكراهة بين أبنائه، وإثارة الأحقاد والريبة والبغضاء بين صفوفه، والانتهاءُ به إلى حربٍ داخليةٍ طاحنة لا تلتفت إلى دينٍ ولا قيم، ولا مصلحة وطن.

١- كل هذه التعددات وكثير منها يتواجد في الوطن الواحد والشعب الواحد.
والورقة الرابحة في البحرين هي ورقة الطائفية التي تجيد السلطة لعبة استخدامها.

٢- والورقة الرابحة في البحرين هي ورقة الطائفية التي تجيد السلطة لعبة استخدامها.

وأيُّ شعبٍ يكون ممتحنًا امتحانًا قاسيًا في دينه، وعقله، وبصيرته، وخبرته أمام مثل هذه المحاولات.

وأنتم اليوم ممتحنون أمام فتنةٍ يراد لكم أن تلجوا بابها الخطير، وتدخلوا نفقها المظلم الذي لا ينتهي إلا بنهايةٍ مأساوية.

وعلى هذا الشعب الكريم بسنته وشيعته أن يُبرهن على تفوّقٍ في الذكاء والدين والنباهة والبصيرة وهو يتعرّض لهذا الاختبار، وأن يُسجِّلَ الفشل على كل محاولة تستهدف تفتيته، وإثارة الفتنة بين صفوفه، وتستثير أسباب الحرب الجاهلية المشؤومة قولًا وعملًا بين المواطنين وتؤجّج الروح الطائفية.

إذا كان كل هذا؛ من أجل التراجع عن المطالب الشعبية، فإن هذه التجارب قد باءت بالفشل في الأقطار الأخرى، وقد سجلت فشلها بوضوحٍ في هذا الوطن.

ونرجو أن لا تقوم للفتنة الطائفية قائمة.

إنه لا علاج إلا بالاستجابة لإرادة الشعب، وتحقيق مطالبه العادلة.

والتراجع عن ذلك أصبح من المستحيل، وهو ضارٌّ بالوطن بصورةٍ فظيعةٍ مرعبة.

لا تراجع، ولا حلول سطحيةً تعود بعدها الحرائر والأحرار ثانيةً للسجون، وتُصبَغ الشوارع من دم أبناء الشعب، وتُفتّت اللحمة الوطنية، ويُحرَم الناس من لقمة العيش، وتجيّش الجيوش، ويسلب النوم من جفون الآمنين[1].[2]

١- هتاف جموع المصلين بـ: (هيهات منا الذلة)، و(لن نركع إلا لله).

٢- خطبة الجمعة (٤٧٦) ٧ ذو الحجة ١٤٣٢هـ ٤ نوفمبر ٢٠١١م.

(٩)
الانتصار

لغتان تتصارعان

لغـة حكومات لشعوبهـا أن تموت هذه الشعوب أو تنحنـي، أن تموت جسدًا أو تموت فكـرًا، وإرادةً، وإنسانية، وتتنازل عن حريتها، أن تقبل الهوان، والذل، والفقر، والجهل، والمرض، وتخسر دينها.

وذراع هـذه اللغـة ما بَنَتْهُ ثـروات الأوطان التي هي ملك الشعـوب من قوة عساكر، ومؤسسـات استخباراتيـة، وسجون، وقـوى تسلُحية، وصحافة مواليـة، وقنوات إعلامية تحت التصرُّف، وإمكانات هائلة، ومرتزقة، وكل ما يُستعان به لقهر الآخر وإذلاله.

أمـا اللغـة الأخرى، فهي لغـة شعوبٍ أفاقت مـن غفوة طالت، ونفضت عنها غبار المسكنة، وتخلّصت من عقدة الخوف، وكسرت طوق رُعبها.

ولسان هذه اللغة يعلو مجلجلًا:

الموت لا الانحنـاء.

الحرية وإلا فالمنيّة.

الموت أولى من الذّلّ والعار.

وأُخـذت كلمة الإمام الحسـين عليه السلام التي انطلقت من روحه الأبيّة، وقَطَعَت مسافة القرون المتوالية؛ لتملئ الساحة الثورية العربية والإسلامية الواسعة الملتهبة كلها، وتنطلق مدوّيـة على ألسن الملايـين نصًا أو معنى؛ لتملئ مسمع الدنيا كلهـا بشعار: «هيهات منا الذلة».[1]

١- هتاف جماهير المصلين بـ(هيهات منا الذلة).

كلمة قالها الإسلام من أوّل يوم، وبقيت على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وفي سلوكه، وعلى لسان كلّ إمام بمعناها وبمؤدّاها، وهي باقية على لسان المسلم الحقّ إلى الأبد. (هتاف جموع المصلين بـ: لن نركع إلا لله).

هــذه اللغة سلاحهــا الإيمان بقيمة الإنســان وكرامتــه، وأن الله ﷻ يأبى للمؤمن أن يُـذلّ نفسه، وأن يطأطـئ لإرادة العبيد المخالفة لإرادة ربّـه، وأن يُسلّم للعبودية لغير خالقـه، وســلاحها الصبر على مواجهة الـمـوت، وبذل الـرّوح في سبيل الله، وما أَذِن الله ﷻ أن يُبذل الدَّمُ من أجله.

ولغــة الشعوب هذه أخـذت تتحوّل إلى لغة عامــة ومفهومة ومستذوَقـة بل معشوقة في العــالم العربي والإسلامـي، وأخذت في التعمُّق والتجذّر يومًـا بعد يوم في ظل ظاهرة الاستشهاد المتتابع، وبحورِ دماء شهداءِ هذه اللغة في الأرض العربية.

هذه اللغة بدأت تفرض نفسها على الأجيال الجديدة بقوة بعيدًا عن العدوانية وإنما هو عِشق الحرية والكرامة، ورفض العبودية إلا لله سبحانه الذي لا يُستكثر عليه أي ثمنٍ في سبيل رضاه.[١]

ومــا تجلّـى عنه الصّـراع بين اللغتين لحـدّ الآن هو انتصار لغة الـدم على السيف، والحـق على البطش، والحرية علـى رغبة الاستعباد، والشعـوب المطالبة بالإصلاح على الحكومات المضطهدة للشعوب.[٢]

ولولا الروح الاستبدادية والطاغوتية عند الحكومات، ولولا عملها على قمع الشعوب وإذلالهــا والاستئثـار بـثروات الأوطـان ونهبهــا والتلاعب بهــا، ومعاداتها لوعـي الأمّة ونهضتها لاجتمعت القوّة التي تضع هذه الحكومات يدها المتسلّطة عليها، ووعيُ الشعوب وصلابــة إرادتها، واعتزازها بحريتها لحماية الأمّة واسترداد كرامتها وموقفها الرّيادي بـين الأمم، وفرض إرادة الخير في الأرض، والعمل على تعزيز مبدأ الأخوّة الإنسانية في كل العالم مكان كل التناقضات التي تهزُّ الأمن العالمي هزًّا، وتُسبِّب انتشار الرعب في كل المجتمعات[٣].[٤]

١- قيمة ثمن الموت في سبيل الله؟

٢- وذلك في أكثر من تجربة.

٣- كان من الممكن جدًا، والمطلوب بالضرورة أن تجتمع القوة بيد الحكومات والإرادة الإيمانية الصلبة التي تتمتع بها الشعوب على إحقاق الحق في الأرض، وإبطال الباطل، والتقدم بمستوى هذه الأمّة ولكن!

٤- خطبة الجمعة (٤٧٣) ١٥ ذو القعدة ١٤٣٢هـ ١٤ أكتوبر ٢٠١١م.

إلى أين تتَّجه الأمور، وترسو السَّفينة، ويصير الواقع؟

عناد حكومات، وإصرار شعوب.

حكومات لا تريد أن تتنازل عن شيئ من استبدادها، وظلمها، ونهبها، واستعلائها واستكبارها، أو تعترف بشيئ من قيمة الشعوب، وحقها في رسم مسار حياتها، وتقرير مصيرها، وتمتعها بحريتها، وكرامتها، والاعتزاز بإرادتها.

وشعوبٌ لم يعد يثنيها عن استرداد هذا الحق، صعوبة من الصعوبات، ولا تحدٍ من التحديات، ولا أي آلامٍ تلقاها على الطريق، أو سبب منيةٍ يعترضها.

عود الأمور إلى ما كان ليس في الإمكان، وليس له أيّ مكان.

والتنازل السهل من الحكومات غير واردٍ في الكثير.

والواقع المشهود، وما يُسجّله من استماتة الشعوب رغم كل التضحيات، وتصاعد الروح الثورية في إنسان هذا الجيل يومًا بعد يوم حتى لا يزيده ارتفاع مستوى التضحيات إلا إصرارًا وصمودًا ينفي تمامًا إمكان أن يحصل تراجعٌ في حركة المقاومة لظلم الحكومات واستبدادها، وما تصر عليه من استعباد الشعوب.

والمظلوم إذا استردّ إرادته أقوى من الظالم، والموجَع أشدّ اندفاعة؛ للتخلص من آلامه من مترفٍ يهمُّه أن يحافظ على ترفه.

فالنتيجة للصراع - حسب المقدّمات الموضوعية - هو الإصلاح والتغيير، والتراجع لصالح إرادة المظلومين وحقّهم، وهو التراجع الذي يدعو إليه العقل والدين والضمير، وهو التراجع الذي يحفظ إنسانية الطرفين ومصلحتهما.[١]

عامُ البداية

العام ٢٠١١م ما هو إلا عامُ البداية للثورات العربيّة في وجه الأنظمة الحاكمة التي ضاقت بها الأمّة ذرعًا، بما أوقعتها فيه من مستنقع التبعيّة الذليلة، وسلبتها العزّة، ولقمة العيش، وأذاقتها الهوان.

١- خطبة الجمعة (٤٦٨) ١٠ شوال ١٤٣٢هـ، ٩ سبتمبر ٢٠١١م.

ثـوراتٌ لن تُلقي عصـا السير، ولن تتوقّف عن تصاعدها، ولـن تستريح حتى تكون الحاكميةُ التي تُؤمِن بها الشعوب، لا الحاكميّة التي تُؤمِّن طاغوتيّة السلاطين.

ذلـك لأنها لم تنطلـق من فراغ، ولا نظـرةٍ سطحيّة، أو حالة انفعـالٍ عابر، أو رؤية مُتعجّلة، أو إرادةٍ متلكّئة، أو عزمٍ ضعيف.

وإنّه لن تنفع بعد يَقَظةِ الشعوب، وانبعاث إرادتها، والإصرار على استرداد حقوقها، وحريّتهـا، وكرامتها في إيقاف هذه الثورات أساليب بطشٍ وقمع، ولا حيلةٌ ولا وسيلةٌ ممّا يقع تحت يدِ الباطشين الذين لا يرعون إلًّا ولا ذمّة، ولا يقيمون لإنسانٍ وزنًا.

في أقلّ من عام سقطت ثلاثة أنظمة من أعتى الأنظمة العربيّة، وغادر حاكمُ اليمن موقـع السلطة مُكرهًا تحت ضغط الشعـب الثائر الذي لن تهدأ ثورته حتّى يتمّ له مطلبه في الحريّـة والكرامـة، ويختارَ نظـام الحكمِ الذي يؤمن به من غـير هَيْمنَةِ أحدٍ عليه إلا اللّهُ تبارَك وتَعالى.

وسيبقـى التَّحـرُّك الثّـوريُّ زاحفًـا للأمـام، وعلـى مساحة الأمّـة كلّهـا، وتتعالى الصرخـات، ويستمـرّ الزلـزالُ حتّـى تتحقّـق أهداف الشعـوب في الحريّـة، والكرامة، واسترداد الحقوق، ويُستَجابُ لإرادة الأمّة فيما تختار من حُكمٍ وحاكمين.

لم يبـقَ صبرٌ للأمّـة على الذلّ، والهـوانِ، والإقصاءِ، والتحكّم، ومصـادرةِ الإرادةِ الشعبيّةِ، والفسادِ السياسيّ والاقتصاديّ، وألوان الفسادِ الأخرى.

نعم، هناك صبرٌ جديدٌ مُضاعفٌ كبيرٌ على البذلِ والأذى في سبيل اللّه والتضحيات، لا صبرٌ على طاعةٍ كطاعةِ العبيد.

وفي ذلـك ضمانـةٌ من ضمانـات الاستمـرار على طريق الجهـاد؛ من أجـل العزّة والكرامة.

صار مستحيلًا في وعي الأمّة، وشعورها، وتصميمها أن تكونَ عودةٌ للأمسِ الظالم، وصـار لا بـدَّ أن تُغلَـقَ كلّ أبوابِ العودةِ إليه، بل لا بدَّ أن يكونَ غـدُ الأمّة أفضلَ دائمًا من

يومها الذي تعيشه، والحالِ الذي تكون عليه.

ثـمّ لو كانت الأنظمة الحَاكمةُ في البلاد العربيّة على حكمةٍ بالقَدْر المطلوب ومُقدّرةً ولو لمصلحتها لوجَدت في دروسِ العام ٢٠١١ م ما يكفي؛ لإقناعها بضرورة الإصلاح حتّى قبـل تحـرُّك مَن لم يتحرَّك بعدُ من شعوبها؛ لأنّ رياحَ التغيير لا توقُّفَ لها، وليس في وُسْعِ الوعـود وآلة الإعلام الـكاذب أن تطيل كثيرًا مـن عُمر التخدير للرأي العـام، وأن تُشِلّ إرادة النّاس، وتُعطّل فهمهم.

ولا يمكن لأسلوب البطشِ، وإرهاب الدولةِ بعد هذه القفزةِ الهائِلةِ في الوعي والشعور والإرادة عند الشعب العربيّ أن يَقهَرَ إنسانَ هذا الشعب، ويُحدِثَ له الاستسلام.

كلّ ذلـك لا يملـك اليومَ أن يصرف عن المطالبة بالحقـوق، أو يثبتَ أمام هيبةِ هذا الشعبِ وثورته.

ليس حقيقًا بالحكم، والحكمُ ليسَ محلًّا لِمَن لم يتعلّم من الحكّام العرب من دروس العـام المُنصرم، ولم يفهم أن عليـه أن يستجيبَ للتغيير، بل عليه المبادرةَ إلى ذلك، وأنه ليسّ بإمكانـه أن يُوقِفَ عجلة الإصلاح، ويعطّل حركة التغيـير، لأنّه كي يستطيعَ ذلك لا بـدَّ عليه أن يَرجِع بإنسان الأمّـة وعيًا، وتطلّعًا، وثقةً بالنفس، واعتـزازًا بالذّات، وجرأةً وإرادة، وتشبّثًا بالحريّة إلى مسافاتٍ بعيدةٍ تستحيلُ العودةُ إليها.

ودروس العام المُنقضي تُقدّم خطابًا للحكومات، وخِطابًا للشعوب.

خطابُها للحكومـات: بأنّـه لا مجـالَ للـفّ والـدورانِ، والمغالطةِ والتمييع لَمطلب الإصـلاحِ والتغيير، وأنّ كلّ الوسائـل التي تملكها الأنظمة في التحايُلِ، والتضليل، والقمعِ عاجزةٌ عن مواجهة إرادة الشعوب.

وخطابها للشعوب: بأنّ قدَرَها أن تنتصر بإذن الله إذا أصرّت على الحقّ، وسَلكت سبيلـه، وصبرت على التضحيات، وأحسَنَتِ الأسلوب، وصدقت العزم، وأخلصت النيّة، ووحّدتِ الصفوف.

وجديدُ العام المُنصرم أنْ قامت أنظمةٌ سياسيّة بديلة في أكثر من قِطرٍ عربيّ قد تمّ لها قيامُها، أو أنّها على هذا الطريق.

وبعدَ أن تجدّد وجود الأمّة فكرًا ورؤية، وإرادةً وطموحًا وعزمًا، وشعورًا بالعزّة والكرامة، ووعيًا وخبرة لن يسعَ الأنظمة المُنبثقة عن الثورات العربيّة أن تتعاملَ مع شعوبها تَعامُلَ الأنظمة البائدة، وأن تعودَ بها إلى ما كانت عليه من حالة الإقصاء، والتهميش، والاستغلال، والاستنزاف، والذيليّة والتبعيّة المهينة.

ومن جهةٍ أخرى لا بدَّ أن تتركَ الأنظمةُ الطاغوتيّةُ التي أسقطتها إرادة الشعوب بصماتٍ سيّئة، ومتاعبَ جمّة، وآثارًا مُعرقِلة، وأزماتٍ متراكمةً من مخلّفاتها يُحتاج للتخلّص منها مع الجدّ والإخلاص إلى جهودٍ مُضاعَفة، ووعيٍ كبير، وعملٍ حثيث، وزمنٍ مُمتدّ.[١]

وحركة الشعوب كلّها اليوم إلى الإمام، ولا حركة للخلف.

كل الأنظمة الجائرة عليها أن تعدل.

كل الحكومات المفسدة عليها أن تصلح؛ وإلّا فلا مكان لها في المستقبل.

هذا هو منطق الواقع الجديد لإنسان الأمّة، وشعوب الأمّة، وكل شعوب العالم، وهذه هي الحتمية المترتبة على الصحوة، والثورة العارمة في وعي الأمّة وإرادتها، والمتولدة من وحي الحياة الجديدة في إيمانها بربها وإسلامها.[٢]

١- خطبة الجمعة (٤٨٥) ١٢ صفر ١٤٣٣هـ ٦ يناير ٢٠١٢م.

٢- خطبة الجمعة (٤٨٦) ١٩ صفر ١٤٣٣هـ ١٣ يناير ٢٠١٢م.

الفصل الأخير

المستقبل السِّياسي للعالم

مقدمة

ولادة أمل المستقبل

في يوم الخامس عشر من شعبان تأتي ذكرى غالية عزيزة في الإسلام.

إنّـه يوم ذكرى ولادة الإمام الحجّة المنتظر القائم ﷻ، ومكّن له، وهزم به الكفر والظُّلم والنفاق، وطهّر به الأرض من الرّجس والطغيان.

وبـورك للأمّة المؤمنة يومُ هذه الذّكرى، وجَعَلَه يوم انطلاقة ميمونة في تاريخ أمّتنا، وعهدٍ زاهر جديد.

يـوم هذه الذكرى يومُ وعيٍ رشيد يمنع من استغفـال الأمّة عن قيادتها الإلهية التي أكرمهـا الله بهـا ولم يرضَ لها بديـلاً عنها، ويمنع مـن تمييعها وتدجينهـا، واستلاب أصالتها، ومن ارتمائها في أحضان الغرب والشرق، والرضا بالقيادات الصغيرة.

يـوم يُذكِّر هـذه الأمّة بحجمها وكرامتهـا وعزتها، واختيار الله لهـا لقيادة العالَم، وتعليم النّاس، والإطاحة بالظُّلم، وإقامة العدل، وتحكيم كلمة الله في الأرض.[١]

يـوم للقضاء علـى اليأس الذي عملت الطاغوتيـة العالمية، وآلتهـا العميلة في الأمّة طويـلاً على زرعـه وترسيخه في نفوس الأجيـال المتلاحقة من أبنائهـا وبناتها[٢]، وعلى هـزّ الثّقة بعنف في داخل إنسانها بحيـث لا تُحدّثه نفسه إلا بالتبعيّة للغير، واسترضائه؛ ليتوفّـر على ضروراته في ذُلٍّ ومهانة، مـن دون أن تأتي في نفسه خاطرة الحرية والعزّة، والنّصر، والاستقلال، والكرامة.[٣]

يوم لبعث الأمـل الناهض القويّ المصحوب بالجدّ والسّعـي العملي، والإصرار على مواصلة الطريق الشاقّ للنّصر والعزّ والكرامة.

١- علينا أن ندرك أننا الأمّة التي اختارها الله ﷻ لقيادة العالم، فنحاول أن نكبر، أن ننمو بقدر يؤهّلنا لهذه القيادة.

٢- الإسلام يريد أن يرفع همّة المسلمين، ويرسّخ في داخلهم الشعور بالعزّة، والكفر يعمل بالإطاحة بنفسية الإنسان المسلم.

٣- هكذا يريدون لنا أن نكون.

يـومٌ لانتفاضـة الإرادة الإيمانيـة المكبوتـة، واندفاعتهـا على طريق الهـدى والنّور والصّـلاح؛ لتغيير ما على الأرض من سوء، ونسف مـا فيها من طاغوتية، وما تعاني من فساد، وما تشكو منه من ظلم.

يـوم للجـدّ في العمـل في سبيـل الله، وإعداد النفس والأمّـة؛ لتحمّـل مسؤولياتها الجسام، وحسم معركتها مع الجور في الأرض لصالح الدِّين والقِيم والإنسان، ولمجاهدة النفس أقوى مجاهدة؛ لاجتثاث كل عوامل الضعف والوهن والخور والانحراف منها حتى تستقيـم على طريق البذل والجهاد والتضحية؛ من أجل تصحيح كل الأوضاع لا في بقعة ضيقة، وإنما في كل العالم.

يـوم يلتحم بالأمّة المؤمنـة بطريق الأنبيـاء وأئمّة الهدى عليهم السلام علـى مستوى الفكر والشعور والعمل، ويجعل مواصلة هذا الطريق خيارًا لا بديل له على الإطلاق.[1]

١- خطبة الجمعة (٤٦٠) ١٣ شعبان ١٤٣٢هـ ١٥ يوليو ٢٠١١م.

مراحل المستقبل السّياسي للعالم

المرحلة الأولى

مرحلة التِّيه والضَّياع

النتيجة الحتمية حين يغيب الدين عن الضمير والساحة أن ندخل جميعًا في صراع واصطراع على الدنيا، ونتهارش على جيفتها كما تتهارش الكلاب، وحينئذٍ تكون الحقيقة في حركتنا ومواقفنا، وكلماتنا - حاربنا، أو سالمنا، عادينا أو صادقنا، كذبنا أو صدقنا، جاهرنا بالمعصية، أو أظهرنا العبادة - تهارشًا على هذا المتاع الدنيئ الفاني، والجيفة القذرة، والاختلاف إنما هو بتنوع الأساليب، والتفنن في المظاهر.

وهو تهارش يُزهق الأرواح، ويطحن الجماجم، ويحرِق الأعصاب، ويُحوِّل الحياة إلى جحيم وعذاب منقضٍ هنا، وفي الآخرة مقيم.

وما يطلبه الناس من علاجات لمشاكلهم في غياب الدين والخلق الكريم إنما هي علاجات آنية لا دائمة، وسطحية لا جذرية معمَّقة؛ فحيث لا تكون عودة من الأرض للسماء، واستنجاد حقيقي بقيمها وتشريعاتها ستظل الأرض تعاني من التمزق والضياع والشقاء والعذاب، وسيستمر الاقتتال والاحتراب على اللقمة والخرقة والسَّرف في الانهماك في الشهوة.

الأرض محتاجة حتمًا إلى منهج الله في صياغة الضمير، وتربية الأجيال، وفي ساحة الحكم، وبناء كلِّ الأوضاع.

وهي ستعود مستصرخة بالسماء من شقاء كل الانتماءات والأطروحات الأرضية الشيطانية؛ لتُغاث وتخلّص من عذاباتها المتتالية بعد أن طال بها الشقاءُ، وسيطول حتمًا مادام ركونها لغير الله، وثقتُها بغير منهجه.(١)

١- خطبة الجمعة (٩٦) ٢٨ ذي القعدة ١٤٢٣هـ ٣١ يناير٢٠٠٣م.

أمثلة على نتائج الابتعاد عن الدِّين

لا حلَّ في الأرض بغير دين الله، ستبقى المشكلة الإنسانية تراوح مكانها ما دام الدين مفصولًا عن ساحات الحياة الجادّة، وحركتها العارمة.

١- عشرة بلايين دولار مختلسة من برنامج النفط مقابل الغذاء مما كان مرتبطًا بالعراق، بالإضافة إلى سرقات الحزب ورئيس الحزب في العراق لأموال المحرومين.

٢- مخصصات وأطعمة الجياع في المناطق المنكوبة في العالم، تُختلس وتُسرق من الأمناء الذين تعتمدهم الأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة!

٣- وكلما جعلت رقيبًا عليك أن تجعل على الرقيب رقيبًا في ظل غياب رقابة الضمير، ورقابة الضمير لا تحيا إلا في ظل خشية الله سبحانه وتعالى.

٤- تُقيم المدير؛ ليضبط العمل، فإذا المدير يحتاج إلى ضبط، تقيم الرجل الذي ترى فيه أمانة؛ ليكون أمينك ورقيبك على عدد من العمّال وإذا به يخونك.

أقول باختصار: كلّما نصبت رقيبًا في الأرض تحتاج أن تنصب عليه رقيبًا ما دام بلا دين.

ومَن هم المختلسون والسّرّاق؟

أهم أصحاب حاجة، يأكل الجوع معدتهم وأمعاءهم؟

لا، إنهم أصحاب قصور، وأرصدة ضخمة.

إنَّهم ملّاك الأرض.

وملّاك كنوز الأرض.

وملّاك ما على الأرض.

إنَّهم المترفون.

إنَّهم أصحاب الثروة الهائلة.

وسرقـات واختلاسات بطرق أخرى تعمّ الأرض، وتسيطر على القِيم، والمقدّسات، والخلق، والضّمير، والعبادة، والشَّرف، والكرامة مستعملة عنوان التجارة، والاستثمار!!

وهـؤلاء السـرّاق الكبار يقفون صفًّا واحدًا دون إيمـان أي بلد بالحل الإسلامي، بل حتى بصلاحية الإسلام، وضد احترامه، وحتى الاقتراب منه.[١]

سيطرة الخوف والرُّعب

انتهـت الحضارة الماديَّـة والاستكبار العالمي إلى تعميم الخـوف، وسيطرة الرُّعب، فلا أفغانستان المستضعفة الفقيرة الممزَّقة آمنة، ولا واشنطن المستكبِرة الغنيَّة آمنة، ولا الحكومات آمنة، ولا الشعوب آمنة.

الـدول خائفة من الدول، ومن الأفراد، والجماعـات، والدولة في داخلها خائفة من الشعب، والشعب خائف منها، والجماعة خائفة من الجماعة والأفراد، والأفراد يخافون من الأفراد والجماعات.

وتدخـل العداوة والصراع والاحتراب داخل الأسرة بين الزوج وزوجه، وبينهما وبين الأولاد بتحريض القانون، وغياب القِيم، وسقوط الأخلاق.

وكلَّمـا شنَّت أمريكا القويَّة حربًا كلما تهدد ذلـك أمنها بدرجة أكبر، وكأنها تبحث دائمًـا عن تزايد في عـدد الأعداء من الدول والشعوب والأفراد، حتـى تُسبب لشعبها أن يموت خوفًا ورعبًا، وبما تزرعه من رعب في الأرض كلِّها، وما يُعطي من ردود فعل قاسية لا ترحم ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.[٢]

وهـذا الاضطـراب والرعـب والوضع القلـق في الأرض كلهـا لا بـدَّ أن ينتهي بهذه الحضـارة إلى الانتحار، وقيام البديـل الحضاري الصالح، وهو الحضـارة الإلهية التي توحّد الأرض وتنتشلها من الظلام، وتصنع أمنها الشامل، ومستقبلها الرغيد.

١- خطبة الجمعة (١٦١) ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ ٢ يوليو ٢٠٠٤م.

٢- الحشر:٢.

يقول سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١]، ويقول عزّ من قائل: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.[٢]

حقًّا إنَّ الأرض مندفعة بسرعة في اتجاه هذه الحكومة المنقِذة التي لا تريد في الأرض علوًّا ولا فسادًا، تطلبها بكل أوضاعها التي تمثّل مقدّمة الانهيار لحكومات الاستكبار العالمي التي لا تبتغي إلا علوًّا في الأرض، ولا تريد إلا فسادًا.[٣]

من وَهْم إلى وَهْم!

كان السود في جنوب أفريقيا وهم الأكثرية يعانون الأمرّين من حكومة البيض الأقلية المتفرّدة الطاغوتية الدكتاتورية يومذاك.

وأخيرًا: وصل السود إلى الحكم بعد السعي الحثيث، والبذل الغزير المكلف، والتّضحيات الجسام، وعبر مسيرة طويلة.

وبذلك انفتح أمل كل أسود في العدل، والرَّخاء، والصِّحَّة، والتَّقدم، ونيل الكرامة.

وبعد أن حكم السود، وجاء التطبيق بدأت مشاكل تظهر على السطح، وبدأ الفساد الإداري والمالي، وألوان أخرى من الفساد على يد الأسود كما كان على يد الأبيض، وشكى الأسود من الأسود كما شكى من الأبيض، وجاءت التقارير تحمل أن حكومة السود تشهد من الفساد الكثير.

وهكذا يبقى تتنقل بهم الآمال بل الأوهام من حضن نظام سياسي إلى حضن نظام سياسي آخر، ومن التعلق بحزب سياسي حاكم إلى حزب سياسي آخر ينتقل إلى موقع المعارضة بعد أن كان في موقع الحكم، ومن الوقوع في فخ إلى الوقوع في فخّ آخر، ويستمر

١- القصص: ٥.

٢- الحج: ٤١.

٣- خطبة الجمعة (٩٨) ١٢ ذي الحجة ١٤٢٣ هـ ١٤ فبراير ٢٠٠٣م.

الناس يعطون ويبذلون في سبيل الخلاص على أي طريق، وتحت أي راية وهم لا يلتفتون إلى أن القضية ليست قضية أسود وأبيض، وشرقيّ وغربي، وغير ذلك، ولا ينتبهون أن الأسود والأبيض في مقام الحكم، وبلا دين وقيم معنوية سماوية، وخوف من الله، واستغناء كل منهما به أسود كالح شقي، مشقٍ ظالم، طاغٍ ظالم لا يُؤمن على شيئ.

لن يجدوا السَّعادة في غير الدِّين

وأنّهما مع الدين والقِيم ومنهج الله والخوف منه، والرجاء فيه كلّ منهما أبيض ناصع سعيد، وتسعد به البلاد والعباد، عادل منصف يؤمن على أثمن الكنوز وأغلاها، والأرض وما فيها.

القضية قضية دين قويم وتقوى صادقة إلى جنب العلم والخبرة والكفاءة، فإن كان ذلك في أي أرض وعرق وقومية ولغة ولون كانت الحكومة التي تحقق آمال المستضعفين، وإن لم يكن فالآمال خائبة، والعلاقة علاقة مغالبة، وأحسن أوضاع الأرض حينئذٍ هو ما أمكن الصبر عليه، ولم يفقد الناس كل صبرهم أمامه.[١]

اللَّهث وراء سراب الدِّيمقراطيَّة

لقد ضاقت الأرض بما رحبت على بلايين المستضعفين في هذا العالم، وغامت واسودّت أجواء الحياة في نَاظِرَي النَّاس، ذلك أن الأرض صارت محكومة لقيم المادة بعيدًا عن قيم الروح والإيمان وخطّ الله ﷻ، وحلّت عبادة الطاغوت بالحديد والنار، والترغيب والترهيب، والتجويع والإتخام محل عبادة الله ﷻ في المساحة الأكبر من أوضاع الحياة وعند شرائح واسعة منتشرة في المجتمعات.

وغياب القِيم المعنوية، وحكم الطاغوت من نتيجته الحتمية التي لا بدَّ منها أن تتأزم أوضاع الحياة، وتثقل على النفوس، وتتجاوز بسوئها قدرة التحمّل عند غالبية النَّاس.

١- خطبة الجمعة (٣٦٦) ٢٨ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ ٢٤ أبريل ٢٠٠٩م.

والإنسانيـة اليوم في غالب أبنائها تحت الضغط الهائل غير المُحتَمل الذي تواجههم به أوضاع الحياة بين يأس قاتل، وتمرّد مقموع، وتطلع موهوم.

إنه التطلّع إلى الخلاص على يد الدّيمقراطيَّة الغربية المزعومة المكذوبة في منشئها، المهزوزة الفاشلة في نفسها.

إن الديمقراطية الغربية التي تفرض على العراق - مثلًا - اتفاقية تستعبده، وتحتلّ أرضـه وسماءه، وتهين إنسانه، وتلغي استقلاله إلى أجـل غير مسمّى كما تحاول أمريكا إنما هـي ديمقراطية كاذبـة، ووسيلة جديـدة؛ لتسويق قضية الاستعمـار، والاستغلال، والاستعباد للشعوب والأمم.

الدّيمقراطيَّـة التي لم تُخـرّج إلا حكومات طاغوتية قاسية تعيـث في العالم فسادًا، وتجري على يدها أنهارٌ من دماء الشعوب، وتسرق لقمة الجياع من سكّان الأرض لشهوة جمـع المال وتكديسه، وتتلذذ ببكاء الثكالى وتضوّر المحرومين إنما هي ديمقراطية زائفة كاذبة.

والديمقراطيـة التي لا تقوم على المنظومة الفكرية والمبـادئ الخلقية الإلهية، وحقّ الله ﷻ، ورقابته لا يمكن أن تنتج العدل وتقيم الحق، وتنتصر لإنسانية الإنسان وتعرف لـه كرامتـه في مجال السياسة أو غيرها؛ ومتى كان للشوك أن ينبت العنب، ومتى كان لما انفصل عن الله سبحانه أن يتنزّل على النّاس بالرحمة؟!

الديمقراطيـة عاجزة عن أن تصنع ضميرًا طاهرًا، وتجـذّر في نفس الإنسان قيمًا عاليـة، وتبعث روح عدل وإحسان وتضحيـة وإيثار ورحمة ورأفة، وكل ذلك تحتاجه حياة العدل والإخاء والمودة والاستقرار، وبدونه لا تستقيم الحياة على الخط.

الديمقراطية حتّى في منشئها إنمـا هي احتراب مال الشركات التجارية العملاقة، ومكـر وخـداع غير شريـف، ووسائل كثيرة قذرة على السلطة، ويدخـل في ذلك الكذب والدّس والتآمر والتشهير بظلم، والدعاوى العريضة الفارغة والمهاترات، وبيع الشعوب، وإثـارة الحروب، وتقوم على الهيمنة الإعلامية علـى أكبر قدر ممكن من الرأي العام لا على التنافس العلمي والعملي بين البرامج السياسية المتواجهة.

النَّاس بين محرقتين!

هـذا شأن الديمقراطية وأمّا عن النظام الفـردي الأرضي، فهو أسقط من ساقط، وأفظع من فظيع.

والديمقراطيـة وهي هاجرة محرقة يلجأ إليها النـاس من نار الدكتاتورية الفردية الطاغية.

عالمُنـا في ظـلّ النظام الفردي، وكذلك ما يُدّعى أنـه ديمقراطي كذبًا عالمان: عالم من المستكبرين الطغاة المتبذخين، وعالم من المستضعفين المنهوكين الجوعى المسحوقين، وكل منهمـا مضغوط ومسحـوق لمشاعر الصـراع، ومستعبد لأوضاعـه، ولا يعرف قيمة الإنسانية التي ينتمي إليها، ولا يعرف طعم لذةٍ حقيقية في الحياة التي يعيشها.

وقلّـة مـن النّاس هي التـي تعرف هدفهـا ومنهجها وقيمتهـا، وتشعر بلـذة دورها الرسـالي، وخطّها الذي آمنت به مصيبةً للواقع، منشدّة إلى الحقّ الجلي، وإن كان ذلك وسـط متاعب جمّة ومعاناة مستمرة مما تلقي به الأوضاع المزرية المرهقة لحياة صنعها الاستكبـار في الأرض بعيـدًا عن النهج الإلهي الحق من ظلال سوداء ثقيلة يطال عذابها كل إنسان.

التَّطلع إلى الخلاص

والتطلـع إلى الخلاص تطلّـع مشـروع مـبرّر تُدفع إليـه البلايين من النـاس دفعًا قويًـا بضغط الظروف المأساويـة التي يولدها الانحراف والظلم علـى المستوى الإنساني والمعيشي على حد سواء.

أما التطلع إلى الديمقراطية منقذًا، فهو مَن تمسّك الفريق بالطحلب، والزبد الذي يذهب جفاء.

وإذا كان التطلّـع هو تطلّعٌ إلى إنقاذ الحق من الباطل، والعدل من الظلم، والرحمة مـن القسوة، والإحسان من العـدوان، والصدق من الكذب، فهـذا التطلّع في روحه ولبّه وعمقه وحقيقته إنما هو تطلّع ليوم الظهور، يوم الإسلام الصادق، والإمام الموعود عليه السلام.

فتطلّـع البلايين للخلاص الـذي إنما يدفع إليه حسب الواقع بُعـد المسيرة البشرية عـن الله، والانحدار عن خط دين الحق، وإقصاء القيـادة الربانية الرشيدة والتي يمثّل المعصـوم عليه السلام النمـوذج الأعلـى لها عـن موقع الصـدارة إنما هو تطلّـع إلى الإسلام المضيّع، وقيادته المغيّبة.

ولـو وصل الإسلام بصورته الحقيقيـة إلى البلايين، وتعرفت علـى معالم القيادة الإلهيـة على واقعها لكان انتظار الناس على مستـوى العالم، وبصورة صريحة، وبصوت مرتفع للإسـلام لا للديمقراطية، وللقائم عجل الله فرجه لا لزعامـات الأرض المصطنعة والتي لا تلتقيه على خطّه الصاعد القويم.

ولهـذا لا تجـد جاهلية القرن عدوًّا لها كالإسلام، ولا تجـد أثقل عليها من الحديث عن القائم عليه السلام ومقتضياته، وهي لا تبذل جهودًا مضادة على جميع مستوياتها.

وفي العالم كلّه كما تبذل في مواجهة الإسلام وتشويهه والكذب عليه، ومحاولة تزييفه ومسخه، ومزجه بالرديئ الساقط، وإسقاطِ رموزه وقياداته، والتقوّل عليها وتغييبها، ولا تـترك شيئًا في الوسع إلا وبذلته للحيلولة بـين الصورة الحقيقية للإسلام وقياداته وبين جماهير الأمّة المسلمة، فضلًا عن جماهير العالم.

وهنـا تكبر مسؤوليـة الرساليـين فيما يتعلـق بتبليغ الإسـلام، ونشـره، وتوصيله، وعرضـه علـى العقول والأفئـدة بما هو عليه مـن حُسن، وصـدق، وأصالـة، وإخلاص، وكفاءة، وشموليَّة، وعلم، وروعة، وتخطيط، ودقَّة منهجة، ورحمة، ورأفة.(١)

وَهْمُ الأطروحات والنُّظم الأرضيَّة

نحن نعرف أن الشيوعية قد سقطت، وسقوطها لعدم التناسب بين الحكم والموضوع.

الشيوعية أُريد لها أن تكون منهجًا لحياة الإنسان ونظامًا.

يعنـي جملة أحـكام وتشريعـات ورؤى وقضايا تحكـم تحرّكه وعلاقاتـه، وإذا جاء النظام والحكم بعيدًا عن طبيعة موضوعه، فلا يمكن أن يستقيم.

١- خطبة الجمعة (٣٣٨) ١٣ شعبان ١٤٢٩هـ ١٥ أغسطس ٢٠٠٨م.

لكل موضوع ما يناسبه من أحكام، وحيث تتفارق طبيعة الموضوع وطبيعة الحكم لا يمكن أن تقبل الناحية الموضوعية استمرار حمل الحكم على الموضوع.

وبلغة أخرى لا يمكن أن ينجح نظام للإنسان تضعه على لموضوع النبات، ولا يمكن أن ينجح نظام يتناسب مع الحيوان تضعه للإنسان، وهكذا يكون لكلّ موضوع حكمه الذي يتناسب معه.

ولمخالفة النظام الشيوعي لطبيعة الإنسان كان لا بدَّ أن يسقط، وستسقط الرأسمالية في المال والاقتصاد، وستسقط الديمقراطية، وسيسقط كل طرح آخر يُراد له أن يكون نظامًا للإنسان، ومنهجًا لحياته على بعده عن طبيعته.

إنه سبب يقف وراء سقوط كل الأطروحات التي جرّبها تاريخ الإنسان، وكل الأطروحات التي يمكن أن يجرّبها في حاضره ومستقبله وهي بعيدة عن التناسب مع موضوع الإنسان.

وهذا الإنسان قد حقّق نجاحات واسعة هائلة في مجالات كثيرة معروفة: في الصناعة، في الزراعة، في المواصلات، في الطب، في الاستفادة من الطبيعة، في تسخيرها لأهدافه، وقد عانى من التخلف الذريع في علاقاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأمنه واستقراره وهدايته، وأن يكون على طريق الغاية التي تتناسب مع كرامته بما هو إنسان.

واشتغل كثيرا عن هدف السموّ والتكامل الإنساني، والإشعاع الروحي، والنمو في ذاته، من حيث الروح رغم كل النجاحات القافزة التي تحققت في حياته المادية، وقد عجز عن أن يحقق علاقات عادلة بين أفراده ومجتمعاته.[١]

السَّبب: إنه في مساحة التعامل مع الطبيعة، في البعد الطبي، الزراعي، الصناعي، غيرها صار يعترف بقوانين الله، ويخضع لها، ولحدّية هذه القوانين، ولسرعة مفعول معاندتها ومكابرتها، والتي لا تسمح للإنسان بأن ينسى تأثيرها كان لا بدَّ للإنسان أن

١- ورغم تقدّمه الصناعي والزراعي، وفي فنون عملية نافعة كثيرة كفن الإدارة ظلت مشكلة الفقر والمرض والبؤس العام تفرضها نفسها على الملايين الفقيرة من أبنائه.

يخضع لها، وأن يستكين، وأن يجري مجراها، وإذا حاول أن يتغلب على قانون إنما يتغلب عليه بقانون آخر مما سمح الله تبارك وتعالى له بأن يتغلب به على ذلك القانون.

أما هو في المساحة الاجتماعية والسياسية، وفي العلاقات الإنسانية فكابر، وعاند قوانين الله، وقوانين الله كما هي حاكمة في المجال الطبيعي هي حاكمة في المجال الاجتماعي، وفي المجال الإنساني.

هناك لم يحاول البحث عن البديل، وهنا حاول البحث عن قوانين بديلة، وكابر القوانين الطبيعية التي هي من خلق الله تبارك وتعالى وتكوينه.

تحدث للإنسان على هذا الأساس الهزّة بعد الهزّة، والاضطراب بعد الاضطراب، ويستتبع هروبه عن الله ﷻ دروسًا قاسية في حياته، فتقوم حروب طاحنة، وتسقط حضارات، ويستوعب حياة المجتمعات فقر متقع، ومع ذلك لا يتعلم هذا الإنسان كثيرًا، ولا يدرك أن وراء كثير من أزماته ومشكلاته هذا الإدبار، أو هذه المعاندة والمكابرة لقوانين الله وتشريعاته.

الهزّة المالية العالمية الأخيرة، وتأثّر النظام المالي، وما سينسحب على النظام المالي والاقتصادي بشكل عام من سلبيات هائلة هو إنذار إلهي، وتعرية لقيمة النظام الرأسمالي، وبداية سقوط وتهاوٍ لهذا النظام.

والديمقراطية عرّتها حروب أفغانستان والعراق وأهدافها، والتدخل الغربي في لبنان وغيره، والدعم للدكتاتوريات الموالية، والمواجهة للأنظمة التي لا تحقق المصالح الخاصة لأمريكا والغرب وإن كانت أكثر احترامًا لرأي الشعوب، وحفاظًا على كرامتها.

والجاهلية المادية ستكابر طويلًا ما استطاعت دفاعًا عن وجودها ولكن المحتوم آت، وكل الفقاعات الأرضية ستنتهي وسيبقى الإسلام.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

١- التوبة: ١٠٩.

تهاوي الحضارة المادِّيَّة

انظروا أن الشيوعية سقطت ودولتها قائمة، ووراءها قوة سلاح نووي، وأمبراطورية كبيرة.

نعم سقطت الأطروحة برغم القوّة التي تحتضنها وتدعمها.

وانظروا للرأسمالية وهي تأخذ طريق نهايتها، ودول كثيرة قوية لا زالت تدعمها.

سقوط النظرية من داخلها، وفقدها لقيمتها، وشهادة الواقع على فشلها، وعدم كفاءتها لقيادة البشرية، بينما القوّة الباطشة لا زالت تحميها، العمارة المادية لا زالت قائمة شامخة تشير إليها دليل على الخواء.

أما الإسلام، فصار يعيش القرون بلا دولة، سقطت الدولة، ولكن الدين لم يسقط، والأطروحة صامدة، وعاندت على الزمن، وستبقى ثابتة، والقلوب معها، والناس الآن سيؤون إليها.

فارق جوهري علينا أن نتأمله، وندرك قيمة الإسلام من خلاله.[١]

الدَّوران في حلقة الوهم

ودولنا في العالم الإسلامي لا تتعلم.

لا زلنا نواصل رحلة الغباء، ورحلة السقوط، ورحلة الانحدار.

لا زلنا نأخذ طريقنا إلى التيه، في هروب دائم عن الله في اتجاه الغرب، وعن شريعة الله ﷻ إلى شريعة الأرض، وعن أخلاقيات السماء إلى أخلاقيات الحيوان في حضارة القرد.

لا زال المسلمون لم يكتفوا من سموم الحضارة المادية.

هناك إصرار من حكومات كثيرة في البلاد الإسلامية، ومن أحزاب في البلاد الإسلامية على أن يدخل المسلمون كل الأنفاق المظلمة التي دخلها الغرب، وأن نتلوث بكل

١- هتاف جموع المصلين والشيخ بـ: (لبيك يا إسلام).

المستنقعات التي تلوثوا بها.

الأنظمة تدفع دائمًا إلى التخريب الثقافي والاجتماعي والديني والمعيشي بما يضعف الأمّـة، ويفصلهـا عـن هُويّتها، ونغـرِّب أجيالها، وهي جريمـة بشعة في حق هـذه الأمّة المجيدة، وفي الإنسانية جمعاء.[١]

أين الحلّ؟

لقد قالوا: إنّ الحلّ في العلم.

وقـد تقدم العلمُ كثيرًا، وقفز على خط تقدّمـه قفزات عالية، وبقى الظلم والخوف والفقـر والمرض والتمزّق والعدوان والكوارث المدمّـرة التي تجري على يد الإنسان وآلاته العلمية العملاقـة، وسلاحه النووي والكيماوي والجرثومي، وبخطط جهنمية قائمة على العلم ومكرٍ سياسي خبيث يعتمد عطاء الدراسات العلمية، والتجارب العملية!

وتقـدم بتقدم العلم الاقتصـاد، وتضاعفت الثروة، وتصاعـدت أرقامها إلى أرقام فلكيـة هائلـة، ولا زال التشرد والبطالـة والفقر والرعب والأمراض وموجات من الوباء الفتّاك تجتاح الملايين في بلاد المليارات والأرقام الكونية في تعداد المال!

وتقدمـت بتقدم العلم المواصلات والاتصالات، وحولت العـالم إلى ما يشبه القرية الواحدة من حيث سرعة الانتقال وانتشار المعلومات وسعة هذا الانتشار، وتقدمت في ظل الطفرات العلمية جنبات كثيرة من الحياة ولكن؛ ليزداد شقاء البشرية بقدرة المفسدين على التدميـر الهائل الواسع للأمن العالمي، ولأخلاق الإنسـان، وكيان الأسرة والمجتمع، وتعميم حالة القلق والاضطراب، والترقب السيئ، والخوف من الآخر، وفقد الثقة.

وبقيت مشكلة الاستكبار والاستضعاف تحكم علاقات العالم، والمجتمعات، والفئات والأسرة، وتمثّل منبع فساد دائم وخراب عميم!

لقـد قدّم العلم في غياب الإيمان والقِيم الأخلاقيـة لطغاة العالم قوّة بطش وتحكُّم وسيطرة ظالمة، وإرعاب وإخافة وحروب طاحنة مدمِّرة، وإفساد كبير في الأرض بصورة

١- خطبة الجمعة (٣٤١) ١٧ شوال ١٤٢٩هـ ١٧ أكتوبر ٢٠٠٨م.

مضاعفة وواسعة جدًّا سهّل الوصول؛ لتحقيقها عليهم بما زاد الأوضاع سوءًا، ومشكلة العالم تعقيدًا.

وبقيت المليارات من أبناء البشرية في أفريقيا وآسيا وغيرهما تحت خط الفقر، وبقيت بلاد كثيرة في العالم تشكو وتُهدّد من فقد المياه الصالحة للشرب، ومن الحاجة إلى شبكات الصرف الصحي؛ لتتفاقم في أوساط شعوبها الأوبئة السارية والأمراض الفتاكة.

وصار أناس هذا العالم اليوم وفي ظل التقدم العلمي وتضاعف الثروة، ولتحطيم القِيم بآلة العلم على أيد الطغاة الجهلة أخوف ما يخافون على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ودمائهم من بعضهم البعض، ومن عدوانية الإنسان للإنسان، وجاهليته ووحشيته وخيانته وإباحيته، وذلك على مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات والدّول.

لقد برهن العلم وبدرجة بالغة، وصورة قاطعة على عدم كفاءته في غياب الإيمان، وأخلاقيته الكريمة عن حلّ المشكلة البشرية، وأكثر من ذلك أنّه ضاعفها.

ولقد قالوا: إنَّ الحل في الديمقراطية.

ولا حديث عن الديمقراطيات الناقصة والمزورة المكذوبة، وإنما الكلام عما يوصف بأنه ديمقراطية عريقة وكاملة ونموذج ومثال.

وقد طبقت الديمقراطية التي يُدَّعى لها أنها من النوع الثاني، وهي نوع من الحكم أساسه في الحقيقة الاحتراب السياسي المفتوح على أقذر الأدوات، وأسقط الأساليب، وأمكر المكر السيئ؛ لإبراز الذات، وإسقاط الآخر، والتحايل على كسب الرأي العام الذي يعدّ الأداة الفعّالة في الوصول إلى مواقع السيطرة والتحكّم.

وفي غالب هذه الديمقراطية أنها حكومة رأس المال الضخم بأرقامه الهائلة المستنزَفة بمهارة وفن وروح إباحية جافة وقاسية من عرق المستضعفين؛ لتمكّن لحكومة المستكبرين، وتسلّقهم المناصب عن طريق التلاعب بالرأي العام الذي يُسخّر المال في كسبه بصورة بشعة.

لقد أصبحت الديمقراطية عملية مقامرة خطرة، وتجارب مستمرة غير مضمونة تمارسها الشعوب فيمن تختارهم؛ لتكتشف في كثير من المرات أنها أخطأت الخيار، وأحكمت طوقًا حول رقبتها حين أوصلت عناصر المغامرة بحياة الشعوب وإنسانيتها ومكاسبها في سبيل طموحاتها الشخصية وغرورها إلى مواقع الحكم والسيطرة.

والديمقراطية من بعد ذلك صراع غير شريف، وحرب استنزاف، وحرق أعصاب للشعوب بين الحكم والمعارضة.

وهو صراع مصالح شخصية وحزبية وفئوية في أغلب الأحيان والبلدان.

وهي حرب يخوضها طرف الحكومة والمعارضة في بيئات الديمقراطيات العريقة بإمكانات الشعوب ولشغلها عن الآلام، وتنافسًا على كرسي الحكم وامتيازاته الكبيرة.

وكثيرًا ما تتناوب المعارضة والحكومات على الكرسي؛ لتمارس معارضة الأمس وحكومةُ اليوم دور سابقتها في التلاعب بمقدرات الأمّة ومقدّراتها وقراراتها المصيرية، ولتمارس حكومة الأمس ومعارضة اليوم دور سابقتها في التنديد بالظلم والسرقة، وتوزيع المناصب والأخطاء الخطيرة للحكم، وهكذا يتغير الدور كلما تغير الموقع.

وكل المشاكل التي لم يحلّها العلم لم تحلّها الديمقراطية، والمآسي الإنسانية المتفاقمة في ظل العلم بقيت متفاقمة في ظل الديمقراطية.

والحروب الظالمة، واستنزاف خيرات الشعوب، واستعباد أبنائها، وفرض الهيمنة الاستكبارية برؤوس الأموال المنهوبة أو المنتَجة، وبأفتك الأسلحة وأقذرها وأشدها وأوسعها طاقة تدميرية، وسياسةُ التمييز الظالم، وإلغاء الآخر، كل ذلك لم تقلل منه الديمقراطية الأصيلة العريقة المثال، بل صارت المصدر الأول لكل هذه الكوارث والمآسي ومضاعفتها.

الديمقراطية التي لا تؤمن بقيم عالية، ولا تقوم على تربية خلقية.

ولا تشترط مستوى إنسانيًا كريمًا في مرشح الرئاسة فضلًا عمن دونه، ولا تنظر

إلى دين، ولا تقيم وزنا لكلمة الله، ولا تتجاوز بنظرتها شهوات الحياة لا تعني إلا صراعًا مفتوحًا وإباحيًّا على الحكم، ثم مكتسباته ولو بأقذر الوسائل وأشدها ضررًا بالأمّة.

إنّه الصراع الأرضي الجاهلي الوسخ الذي قد يأخذ صورًا ناعمة ماكرة مسمومة؛ لينقلب إلى صورة حرب دموية ساحقة مكشوفة في بعض الحالات والظروف، وحين يمتنع النصر عن طريق الوسائل الناعمة.

هذا هو حال الديمقراطية.

أمّا الديكتاتورية وهي حكم هوى الفرد، أو العائلة، أو الحزب الواحد بلا شريك ولا معارضة قادرة فليس مثل سوئها سوءًا، ولا قيحها قيحًا، ولا صديدها صديدًا، ولا كارثتها كارثة.

ومن الحق أن يقال: بأنه يستحيل أن يقوم حكم رشيد عادل في الأرض بلا دين حقٍّ، وفهم صادق أمين لهذا الدين، وتربية إلهيَّة عامَّة، وقيادة دلّت عليها السماء.

وحتّى المنهج الإسلامي الرشيد لو توفّرت عليه الدنيا في أصدق وأنقى صورة له إذا لم تسعفه تربية من نوعه تصحح العقول، وتطهّر القلوب، وتزكّي النفوس، وتستبدل عن الأهداف الأرضية الوضيعة الهدف الإلهي الرفيع، وتحول التنافس إلى تنافس أخلاق، والسباق إلى سباق فضائل بدل تنافس الشهوات والنزوات، فإنه لا يحل المشكل.[1]

والمنهج الإسلامي على سموّه بلا قيادة من جنسه لا يمكن أن يتم به الحل.

وإنما الحل في المنهج الإلهي الصدق، والقيادة الربانية الحق، والتربية الإسلامية الرشيدة التي تزرع في الناس رؤية الإسلام، وأهدافه، وقيمه، وأخلاقيته.

فمن كانت له شفقة على أهل الأرض، فليفهم الإسلام، ويخلص له، ويصدق معه، ويعمل في النّاس ما استطاع على نشر هداه.[2]

١- الإسلام نفسه لا يستطيع حل المشكل بلا تربية منه تساند منهجه السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، ... إلخ.

٢- خطبة الجمعة (٤٠٣) ٣٠ ربيع الآخر ١٤٣١هـ ١٦ أبريل ٢٠١٠م.

ويستمر الصِّراع بين الحق والباطل

مـرت أمم وأمم من الكفار علـى مدى التاريخ، حققت انتصارات وقتيّة في معاركها مـع خـط الايمان، ومواكـب النبيين والشهـداء والصالحـين، لكنها سقطـت أطروحات ومناهج، وتعاقبت مناهج متلونة من الطرح تتقدم لتتراجع، وتقوم لتسقط.

وقد أتى قدر الله على تلك الأمم، فأحالها إلى عدم.

وعنـد النـوازل القاصمة من قدر الله كان يضج الظالمون، وينـادون بالويل والثبور، وربما استغاثوا بالله، أو طلبوا مفرًّا ومهربًا، ولكن الحين ليس حين فرار ولا خلاص، ولا استجابة، ولا استغاثـة، أو دعاء، فالعبيد قد ينتفخون ويستعلون ويستكبرون، ولكنهم في الأخـير يقهـرون ويُذلون ويخنعون، والعـزّة بالحق لله الواحد القهّـار وحده، ثم لمن آمن واهتدى، وأطاع الملك الأعلى، لا لمن تمرد وكفر، وطغى وتجبر.

فهذا سيُريه القدر حيث لا صبر ولا مفر.

ومصائـر المستكبرين تقول للمستضعفين: لا تعبـدوا إلا الله، ولا تستكينوا خاشعين إلا إليه، وأن لا قدر إلا من قدر الله، ولا خير ولا شر بمصيب أحدًا إلا بإذنه.

والانقسـام بين الكفـر والإيمان انقسام مستقل لا صلة لـه بالانقسامات الجغرافية والقوميـة والعنصرية، ولا بأي انقسام آخـر، فمعسكر الإيمان ينتشر في كل الأرض، وفي كل القوميات ومن مختلف المستويات، وكذلك هو معسكر الشرك والكفر والإلحاد.

ولـن تخرج الأرض مـن الفوضى والاقتتـال، والأمم من المواجهـات الساحقة حتى تُوَحّد الله، وتُرجع الأمر إليه، وتحتكم إلى منهجه العدل القويم.(١)

وتنتقض عرى الإسلام

لو سألنا أنفسنا: لماذا ظهور الإمام عليه السلام؟

يأتـي الجـواب من الأحاديـث المنقولة من أهـل العصمة (عليهـم صلواته وسلامه عليهـم أجمعين مـن النبي وآله عليهم أفضل الصَّلاة والسَّـلام)، السبب هذا: «لتنتقض

١- خطبة الجمعة (٤٥) ٢٥ ذو القعدة ١٤٢٢هـ ٨ فبراير ٢٠٠٢م.

عـرى الإسلام عروة عروة، كلمـا نقضت عروة تشبث النَّاس بالتـي تليها، فأولهنَّ نقض الحكم، وآخرهنَّ الصَّلاة».[١]

فالإسلام وبعد فترة وجيزة من حاكميته الكبرى صار يتعرض على أيدي البشر إلى انحسار جزئي يكبر شيئًا فشيئًا.

كان الحكـم الإسلامي على يد القيادة المعصومة المباركة المختارة من الله سبحانه وتعـالى به تمام الإسلام، وبه استمرارية الإسـلام وهو ما يفهم من قوله تبارك وتعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...﴾[٢]، فـلا تماميَّة للإسـلام، ولا بقاء للإسلام، ولا شهود للعدل الإسلامي ومرونة الأطروحة الإسلاميـة إلا مـن خلال الشكل الكامل، وبصورة التامة إلا من خـلال حكم المعصوم (عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام)، ويأتي حكم من دل الأئمة ﷺ على حكمهم في غَيبتهم في الدرجـة الثانيـة من حيث حفـظ الإسلام، ومن حيث تجلِّي صورتـه الرائعة في أفئدة الناس، وفي الواقع العملي والساحة الخارجية.

أمـا حـين يغيـب الإسلام علـى مستوى الحكـم، فإنَّه لا بـدَّ أن يبدأ العـد التنازلي للإسلام على كل الأصعدة، ومن مختلف الحيثيات، وهذا ما حدث بالضبط.

الصـلاة هي آخر عروة تُنقض، وفعلًا نُقِضت الصلاة على مستوى التطبيق العملي في كثـير مـن أوساط المسلمين، وجاءت مـدة من الزمن تقلَّص فيها وجـود الصلاة إلى أن ضـاق في حـدود شريحة اجتماعية ضيقة جـدًّا، ثم بدأت الصحـوة: لتعود الصلاة؛ وحيويتها؛ وفاعليتها بدرجة ما.

وربمـا واجهت الصلاة أيضًـا إنكارًا عمليًّا حتى جاءت دعـوات تقول: بأن الإسلام يعنـي أن لا تبغض الآخرين فقط ألا تعادي الآخرين فقـط، ومنهم هؤلاء الآخرون سواء كان مؤمنًـا أم كان كافـرًا عليك ألَّا تبغض أحدًا حتى لعملـه عايك، ألا تبغض أحدًا حتى لباطله.[٣]

---

١ - الأمالي - الشيخ الطوسي - ص١٨٦.

٢- المائدة:٣.

٣- خطبة الجمعة (٣١) بتاريخ ١٦ شعبان ١٤٢٢هـ ٢ نوفمبر ٢٠٠١م.

يعود الإسلام غريبًا!

من أحاديث هذه المسألة، وما يقف خلفيةً وراء ظهور الإمام هذا الحديث الشريف:

١- «بعثت بين جاهليَّتين لأخراهما ...»[1]، الجاهليـة الأولى التي كانت قبل البعثة جاهليـة طاغية، جاهلية مقتـه، إلا أن الجاهلية التي تعقبت حكـم الإسلام هي جاهلية أكـثر طغيانًـا، وأكثر عمى وأكثر إغـراء؛ لما يدعى لها من باب الزور مـن حيث التأصيل الزائـف لفكـر الجاهلية وتقديمه في صـوره مفلسفة تغري كثير ممـن لا يملك أن يمعن الفكرة وألا يتأمل، وإذا تأمل لم يسمع له عمقه الفكري بأن ينفذ إلى الحقيقة.

٢- «إنَّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء»[2]، وأنتم تجدون غربـة الإسلام حتى في مساجده وفي قلاعه، وأنه مطـارد في كل زاوية من زوايا المجتمع المسلـم والوطن الإسلامي العام، وأن المؤمـن يتوجس خيفة في تنقلاته، وإلى طرح فكرة يطرحـه؛ ليواجـه من كثير من الأقـلام، ومن كثير مـن الألسن، وينكر لـه حتى شرائح تحسب على الإيمان والمؤمنين!

هـذا كله لا بدَّ به من أن يظهر الإمام حين تكاد الأرض تغرق في الجهل، وحين تغيم الحقيقـة، ويكاد يتعـذر على طالب الحقيقة أن يصل إليها، وهذا الظرف ظرف أن تغيم الحقيقـة، وأن تنسـد السبل عـن الكثير للوصـول إلى أي ضياء الحق هـو ظرف إرسال الرسـل وظرف مجيئ المصلحين والمصلح الأكـبر هو الإمام القائم، فلا بدَّ من أن تتسم الحجة لله على الناس أن يظهر في الوقت المحدود.[3]

ما أحوجنا للمنقذ

١- نحتاج إلى نظام منقذ موحد للعالم.

١- الرواية: «بعثت بين جاهليتين، لأخراهـما شرّ من أولاهما»، العقل والجهل في الكتاب والسنة - محمد الريشهري - ص ٢٧٣.

٢- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨ - الصفحة ١٢.

٣- خطبة الجمعة (٣١) بتاريخ ١٦ شعبان ١٤٢٢هـ، ٢ نوفمبر ٢٠٠١م.

والنظـام البيئي، والنظام القومـي، والنظام القطري، والنظـام العنصري، نظام أرضـي لا يستوعب الأرض والسمـاء، ولا يستوعب علاقات الكون كلهـا، ولا يستوعب ما تزدحـم به كينونـة الإنسان، وهو لا بد أن يكون عنصريًا، وهــو لا بدَّ أن يكون قوميًا، فلا تتوحـد الأرض إلا في ظل نظام منقذ مـن رب الأرض والسماء؛ لتتحـد مسيرة الأرض، وتلتحم بالمسيرة الكونية العامة في تناسق وتناغم، يوصل إلى الهدف الكبير.

الحاجـة إلى النظـام المتقد الموحَّد، وليس هو إلا النظام الـذي يأتي على يد الرسل من خالق الكون كله.

٢- الإنسانية ضلت كثيرًا في محاولتها؛ لتحقيق السعادة التي تطيقها الدنيا، فكيف ترسم الدرب إلى سعادة الآخرة؟

مـرةً ننظـر إلى الإنسـان على أنه مادة فقـط، ضرورات وحاجـات ومطامح وآمال مادية، ومرة ننظر إليه على أنه حاجات وضرورات ومطامح مادية وروحية معًا.

تـوازي الضرورات، والمطامح، والآمال المادية فيـه ضروراتٌ ومطامح وآمال روحية عليا.

ومرة ننظر إليه أنه ابن الدنيا فقط، ومرة ننظر إليه ابن الدنيا والآخرة.

والإنسان في واقعه ابن الدنيا والآخرة.

والإنسان في واقعه مادة وروح.

والنظام الذي يكفل معالجة مشاكل المادة والروح ليس هو إلا النظام الذي يأتي من الله سبحانـه وتعـالى، وكل الخـبراء في الأرض يعجزون عن إبداع هـذا النظام من دون بعثة الرسل.

٣- الأطروحة الكاملة لا تحل المشكل من دون قيادة كاملة.

الإسلام الكامل إذا طبق على يد إنسان ناقص أصبح نظامًا ناقصًا.

أي أطروحـة تأخذ حجمهـا في مقام التطبيق، من مستوى القيـادة التي تطبق هذه الأطروحـة، لا يمكن أن تكبر الأطروحـة من ناحية عملية، القيـادة الأمينة على أمرها،

الإسلام الإلهي الكبير، الإسلام الأطروحة المعصومة، لا يمكن أن يبقى في التطبيق العملي معصومًا، ولا يمكن أن يبقى على نقائه السماوي، إلا على يد الرجل الذي ينشد بكله إلى السماء، فلذلك لا بدَّ من أنبياء، ولا بدَّ من مرسلين.

٤- البشرية كلها - بكل مستوياتها - تحتاج إلى قدرات تشع بأكبر طاقة ممكنة للإنسان، بالصفات الكمالية؛ لتعطي التربية والتكميل للآخرين.

أنتم تجدون أن عمالقة الروح في عالمنا الإسلامي، كما هم عمالقة الفكر يستدفئون بروحية المعصوم، يقتبسون هداياتهم من شخصيات المعصومين عليهم السلام، يشعرون أمام روحية المعصوم عليه السلام، الإمام الخميني وعرفانيته، أبو ذر وزهده وتقواه، سلمان المحمدي وانقطاعه إلى الله، يشعر باليتم، يشعر بالغربة، يشعر بالفقد، عندما يبتعد عن المعصوم عليه السلام تلك المنارات التي لا تشع في أفق محدود من الدنيا، إنما أفقها أفق الدنيا بكاملها، أفقها أفق الحياة كلها، أفق اشعاعها، ذلك الأفق الوسيع الممتد؛ لتهتدي كل الأجيال إنما تتجسد في الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم المعصومين عليهم السلام.

تأتي منارات في الطريق.

السيد الإمام منارة.

السيد الشهيد منارة.

علماء المسلمين من المذهبين يمكن أن يكونوا منارات، لكن هذه المنارات تمتد إلى زمن، تحدث موجًا ويبدو هائلًا إلا أن هذا الموج يبدأ ليختفي، يبدأ ليتراجع مع الأيام.

أما الموج الذي لا ينحسر، والمد الذي لا يعقبه جزر، فهو مد نور النبوة، ونور الرسالة، الذي يبقى دائمًا يستقي ويستمد من نور الله سبحانه وتعالى.

فالنور الذي يكون قدوة، والنور الذي يكون حجة على الأجيال، هو نور ذلك الإنسان الكامل النبي والرسول، ووصي النبي والرسول.

البشرية كلها تحتاج إلى قدوات تشع بأكبر طاقة ممكنة للإنسان بالصفات الكمالية؛ لتعطي التربية والتكميل للآخرين.

وهذه القدوات هم الرسل والأوصياء.

وانظر إلى ما عليه مختلف الأمم من درجة التحلي بالقِيم الروحية تجد أنها تتفاوت في ذلك بقدر ارتباطها بخط الرسل.

تخفت الروح تمامًا، وتبتسر الأخلاق، وتعم الفوضى الخلقية، وتتركز الحيوانية والوحشية، بقدر ما تبتعد أمّة عن خط الرسل وهدايات الأنبياء، والعكس هو الصحيح.

على أن الرسل لم يأتوا بديلًا عن المختصين، ولإعفاء الناس من مهمة الإبداع والاختراع، إنما جاؤوا؛ ليثيروا في الناس الحركة على مستوى كل الأبعاد النافعة، ويستثيروا فيهم دفائن العقول، ويفجروا فيهم منابع الخير.[١]

١- خطبة الجمعة (٦١) بتاريخ ١٨ ربيع ١٤٢٣هـ ٣١ مايو ٢٠٠٢م.

المرحلة الثَّانية
مرحلة الظُّهور والثَّورة العالميَّة

يوم الخلاص

تشتدّ أزمة العالم يومًا بعد يوم، وتزيد الأوضاع في الأرض سوءًا، ويضيق الناس بحياتهم ذرعًا، ويضيق بهم الخناق بما عمَّ وتعمَّق من ظلم، وما تعملق من سوءٍ في ظلّ الهروب عن الدّين، والإدبار عن الله، ونسيان القِيم.

وهناك يوم إنقاذ للأرض من ويلاتها، وللإنسان من مأساته، ويوم خلاص.

هذا الإنقاذ لا يمكن أن يكون على يد أنظمة قائمة أو مستجِدّة، وحكوماتٍ شاخصة أو بديلة، وشعوب خامدة أو مزمجرة إذا كان الكل من المتخلّين عن الدين، الهاربين عن الله، المكبّين على الأرض.

هذا الإنقاذ هيّأ الله سبحانه له رجلا لا يتّخذ من دونه إلهًا في شيئ، ولا يستبدل عن دينه في كبيرة ولا صغيرة، ولا يتخلّف عمّا أمره، ولا يُقدِم على ما نهى، ولا يأتي حركة إلاّ بإذنه، ولا يعدل به عمّا كُلّف به دينًا إعصارٌ ولا زلزال.

ويُعِدّ له جيلًا لا رأي لهم إلا الإسلام، ولا إيمان عندهم إلا بقيادته المعصومة، وأكبر همّهم إعزاز الدين، وإظهار كلمة الله في الأرض، وأن تكون في حياة النّاس هي العليا على المكشوف كما هي في الباطن.

الأرض غارقة في الظلام، مملوءة ظلمًا وجورًا، ولا تخرجها من ظلامها، وظلماتها ديمقراطية ولا شيوعية، ولا رأسمالية، ولا اشتراكية، ولا علمانية، ولا قومية، ولا عصبيات وطنية، ولا حكومات استكبارية، ولا حكومات تابعة ذيلية، ولا شعوب تختار نفسها على خلاف ما اختار الله لها، وتُعطي لرأيها حقّ السيادة والتشريع في قبال سيادته وتشريعه.

ما يُنقذ الأرض، ما يخلّصها، ما يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ما يُنهي

مأساة الظّلم والتمزق والاقتتال في حياة النّاس هو ما يأخذهم في اتجاه الله ﷻ، وعلى طريقه، ويخرجهم إلى عبادته من عبادة الطاغوت، ويُخرس صوت الشيطان في حياة المجتمعات، وهو الإسلام عقيدةً، وشريعة، وأخلاقًا وقِيَمًا، ومنهجًا وقيادة تُجسّد الإسلام عِلمًا وعملًا لا تضيع منه شيئًا، ولا يفوتها منه شيئ، ولا تُخالفه في شيئ، ولا تخذله في أمر، وهي قيادة الإمام القائم (عَجَّل الله فَرَجَه الشريف، وجعلنا من أنصاره وأعوانه في غَيْبَتِه وظهوره).[١]

يوم الظُّهور والثَّورة

وهو يوم مواجهة الطاغوتية العالمية والجاهلية المنتشرة التي تكاد أن تكون قد دخلت كل بيت.

ولا يُدرى أنه يبقى بيت لم تدخله الجاهلية حين ظهور الإمام عليه السلام أو لا يبقى.

هو يومٌ على الكافرين والمؤمنين عصيب إلا من رحم الله؛ عصيب على الكافرين لما يواجهونه من شدة الإمام القائم عليه السلام، وقتل ذريع، ونسف كيان، وعصيب على المؤمنين، لأنه يوم امتحان كبير، يوم ابتلاء عظيم، تُمتحن فيه النفس المؤمنة.

يوم القائم عليه السلام يحتاج إلى مؤمن من مستوى خاص، وعلينا أن نؤهّل أنفسنا لذلك المستوى؛ لئلا نخسر قضية ارتباطنا بالإمام القائم عليه السلام.

يوم شدّة، يوم هول، يوم مواجهة للطاغوتية العالمية، ونحن لا نصبر حتى على المعارك الصغيرة، فكيف بمن لا يصبر على معركة صغيرة أن يصبر على معركة هي أكبر المعارك، يضحّي فيها المؤمن بكل شيئ، ليس بنفسه فقط وإنما بأهله وولده، ويضحي فيها بما أسسته التربية المنحرفة في داخله، يضحّي فيها بقناعات بنتها آثار الجاهلية فيه، ومن امتحانه أن يسلّم تسليمًا.

يوم يحتاج إلى أن يعد المؤمنون له، فإنه يحتاج إلى عدة وعدد، ويوم المواجهات،

١- خطبة الجمعة (٤٦١) ٢٠ شعبان ١٤٣٢هـ ٢٢ يوليو ٢٠١١م.

ويوم الكفاح، ويوم يتطلب مستويات راقية تكون وجها لثورة الإمام القائم عليه السلام.

يوم يتطلب صبرًا لم تعرفه حياتنا كلّها، فهو يوم يحتاج إلى إعداد، ونحتاج اليوم إلى أن نعدَّ أنفسنا له؛ لتحمُّل مسؤولياتنا.

يوم قرب أو بعد لا بدَّ أن يعيش المؤمنون معركته اليوم، وتأجيل معركته إلى غد تفريط بمعركة الغد.

التحضير: إعداد جيش الإمام القائم عليه السلام.

إعداد فقهاء يوم القائم عليه السلام.

إعداد خبراء يوم القائم عليه السلام كلّه اليوم وليس غدًا، فإذا لم يكن اليوم إعداد، فهو الخذلان في الغد.

يوم الثورة يوم قد جُهِّزت فيه كل الاستعدادات، اتُّخذت فيه كل الضمانات، ولا تأجيل إلى ساعة الصفر، أو لحظة الصفر.

لحظة الصفر ليست لحظة الإعداد، اليوم يوم الإعداد، وغدًا يوم التنفيذ.

يواجه القائم عجل الله فرجه حربًا شرسة ضدّه

عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ القائم عليه السلام يلقى في حربه ما لم يلقَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم - يلقى عنتًا، يلقى شدّة، يلقى مقاومة عنيفة، يلقى فكرًا فلسفيًّا مؤصلًا وفي إطار الإسلام المنحرف.

ربما لقي عقيدة صلبة على غير الخط الصحيح للعقيدة الإسلامية -، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاهم وهم يعبدون الحجارة المنقورة والخشبة المنحوتة -، وهذا فكر مهلهل، غير مفلسف، غير مؤصَّل، فكر سطحي، لا يلبث صاحبه أن يفيق على الحقيقة، فيتركه إلا من خلال تلبث العادة فيه، أما القائم عليه السلام فيجد فكرًا غير هذا الفكر-،

وإن القائم يخرجون عليه، فيتأولون عليه كتاب الله، ويقاتلونه عليه».[١]

فيواجـه مقاومة عنيفة شرسة من داخل الأمَّة، وربما بسبب طغاتها الذين يضللون جماهيرها باسم الإسلام، كما يفعلون في كل مرة.

والإمام القائم سيتحرك بِمَن؟

سيقاوم بمَن؟، بالمؤمنين.

فهناك مرحلتان: مرحلة الطريق؛ لتحقيق النصر، ومرحلة ما بعد النصر.

وإذا كانـت جنة أبدان، وجنة راحـة ورفاه، وعلاقات اجتماعية مستقرة وعدم قلق، وما إلى ذلك فإنما هو بعد النصر.

أمـا الطريق إلى تحقيـق النصر، فهو طريق شاقٌّ مكلفٌ صعـب، ومَن لم يبنِ نفسه اليوم على تحمل شدائد ذلك الطريق، فليس هو مع الإمام القائم عليه السلام على الطريق.

فـإذًا، جنة الدنيا وهي التـي تتحقق يوم النصر لا يكون تحققها إلا من خلال جهاد مرير وأتعاب مضنية.[٢]

١- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ - الصفحة ٣٦٣.

٢- خطبة الجمعة رقم (٨٢) ١٨ شعبان ١٤٢٣هـ ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٢م.

المرحلة الثَّالثة

مرحلة قيام الدَّولة الإسلاميَّة العالميَّة
معالم دولة آخر الزَّمان

جنَّة الدُّنيا

وعن جنّة الدنيا ويومُها - يوم انتصار الإسلام على يد صاحب الزمان عليه السلام - جنّة الدنيا لا تتأتى إلا في يوم واحد، جنة الدنيا تبدأ بعد انتصار الإمام عليه السلام،...قد جاء فيها:

١- «ويجمع» أي الله يجمع للقائم عليه السلام «إليه أموال الدنيا من بطن الأرض» كل كنوز الأرض تكون تحت تصرف الإمام القائم عليه السلام، أي تخرج الأرض كنوزها، وهذا لا يحتاج إلى غيب وإنما يكون إخراجًا طبيعيًّا من خلال سياسة حكيمة عادلة، ومن خلال الدفع بحركة العمل الجهادي على كل الأصعدة، ومن خلال الوضع السياسي الصحيح، ومن خلال الإيمان بقيمة العمل والجهاد تحت راية الإمام القائم عليه السلام، لا نحتاج هنا إلى إدخال العنصر الغَيْبِي في التقدم السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي أيام الظهور وإن كان لتوفيقات الله الغَيْبِية دور واضح مع جهاد الإنسان، وجهده الكبير حين يوضع على الخط، فإن الجهاد البشري حين يوضع على الخط الصحيح منتج إنتاجًا كبيرًا هائلًا نافعًا **«وظهرها»** الزراعة والصناعة **«فيقول للنَّاس»** أي الإمام القائم عليه السلام: **«تعالوا إلى ما قطَعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرَّم الله عزّ وجلّ»** ها هو ميسور، ها هو مبذول **«فيُعطي شيئًا لم يعطه أحد كان قبله»**، يثري إلى الحد الكبير جدًّا، بحيث يستكثر الآخذون العطاء، ويملون كما سبق في الحديث -، **«ويملأ الأرض عدلًا وقسطًا ونورًا كما ملئت ظلمًا وجورًا وشرًّا».** [1]

١- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ - الصفحة ٣٥١.

فهنا جنَّتان: جنَّة بدن، وجنة روح - «يملأ الأرض عدلًا وقسطًا ونورًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا شرًّا».

٢- وفي حديث آخر: «... ولو قد قام قائمنا لأنزلت السَّماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد» جَنْبَة ماديَّة وجَنْبَة معنويَّة، «واصطلحت السباع والبهائم، حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام، لا تضع قدميها إلا على النبات، وعلى رأسها زبيلها لا يهيِّجها سبع ولا تخافه».[١]

٣- «إنَّ المؤمن في زمان القائم عليه السلام وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق».[٢]

الآن العلم أوصلنا إلى أن نرى صور إخوان لنا في الآدمية في المشرق ونحن في المغرب، أو هم في المغرب ونحن في المشرق، أما في دولة القائم القائم عليه السلام وبحسب ظاهر الحديث أنك ترى أخاك لا صورته فقط.

«إنَّ المؤمن في زمان القائم عليه السلام وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب...» لا يرى خياله فقط، وإنما ترى شخصه حسب ظاهر الحديث، وهذا تقدم علمي متفوق.

نسأل: وما هو الجديد الذي يحوِّل الدنيا جنَّة ويزرعها خيرًا؟

ماذا سيجد؟

ستنزل ملائكة؟

ستخرج الأرض كنوزها تلقائيا؟

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ ...﴾.[٣]

١- المصدر نفسه - الصفحة ٣١٦.

٢- المصدر نفسه - الصفحة ٣٩١.

٣- الأعراف: ٩٦.

٤- يقول الحديث: «إنّ العلم بكتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله ينبت في قلب مهديّنا كما ينبت الزرع على أحسن نباته، فمن بقي منكم حتى يراه، فليقل حين يراه: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة والنبوة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه».[1]

الحديث جامعٌ مانع.

الحديث يقول: إن الجديد في أمر الدنيا حين ظهور القائم عليه السلام أن علم الكتاب على واقعه وحقيقته، وليس على المستوى الاجتهادي فقط متوفر للقيادة.

ويقول: إن القيادة هي القيادة التي اختارها الله سبحانه وتعالى في أكبر نصابٍ لها، في أتم نصابٍ لها، والقيادة المختارة لله عزّ وجلّ في أتم نصاب لها مصاديقها أهل بيت الرحمة والنبوة.

وقائد من أهل بيت الرحمة والنبوة، رحيم بالعباد، روح النبي صلى الله عليه وآله بين جنبيه، وشفقة النبي، وأخلاقية النبي، وعلم النبي، وسيرة النبي، وعدل النبي، وهو معدن العلم، وموضع الرسالة حفظًا وتبليغًا وتطبيقًا.

نعم هذا الذي جدّ في الأمر؛ ظهور بقية الله، وآخر مخزون من النماذج الإنسانية الكاملة، وآخر واحد من الكمّل على مستوى البشر صلوات الله وسلامه على الكمل، وهو بقية الله في الأرض، الشمس الوحيدة التي ينتظرها العالم.

الجديد في الأمر أن بقية الله، بقية من اصطفاهم الله، من اختارهم الله، البقية التي أبقاها الله؛ لإنقاذ الأرض تظهر وتحكم.

هذا هو الجديد ودائمًا الأوضاع في صحتها وسقمها من تواجد الإسلام وخفائه، من ظهور الإسلام وغَيْبَته، من صحة الإسلام وتزويره.

٥- في حديث آخر: «... يصنع ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله» هذا هو الجديد أيضًا بلسان آخر «يهدم ما كان قبله» يعني البناء الذي تبنيه الأرض على مستوى الفكر والشعور

١- المصدر نفسه - ص٣١٧-٣١٨ ج١٦.

والرؤية الكونية والفهم السياسي، والفهم للرجل، والفهم للمرأة، والفهم للعلاقات والحقوق، فهم جاهلي سيأتي عليه الهدم من المعصوم عليه السلام، فيه كثير من الغلط، وفيه كثير من التزوير، ودرجة الانحراف التي يعاني منها عن خط الإسلام الصحيح - اتساع دائم «كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديدًا».(١)

ومن خلال ثقافتنا التي تقترب من الغرب، وتبتعد من الإسلام يوميًا سنبني إسلامًا يحتاج إلى أن يهدمه القائم عليه السلام.

يهدم الإسلام الموجود الآن بالفهم المزور، ويستأنف إسلامًا جديدًا على فهمنا، جديدًا على قناعاتنا، جديدًا على من انطوت عليه مشاعرنا، ونظراتنا، ورؤانا.

تلك جنة الدنيا، وعرض سريع عنها.(٢)

دولة الإمام المنتظر شموليَّة

الأحاديث تبشر بوضع عالمي متقدم جدًا في كل أبعاده:

١- «تنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدرارها، ولا تدع الأرض شيئًا من النبات إلا أخرجته، والمال كدوس، متراكم، كثير».(٣)

٢- «العلم سبعة وعشرون جزءًا، فجميع ما جاءت به الرسل جزءان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الجزأين، فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين جزءًا، فبثها في الناس، وضم إليها الجزأين حتى يبثها سبعة وعشرون جزءًا».(٤)

وعلم القائم إنما هو من علم محمد صلى الله عليه وآله، ولكن ليس علمًا تحمل رسول الله صلى الله عليه وآله.

١- المصدر ص٣٥٢ ج ١٠٨.

٢- خطبة الجمعة رقم (٨٢) ١٨ شعبان ١٤٢٣هـ ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٢م.

٣- الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٤٩.

٤- الرواية في البحار: «العلم سبعة وعشرون حرفًا ....» بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٣٦.

كان النَّاس يطيقـون أن يتلقـوه، فلذلـك كان الكثـير مـن علمه خزانـة عند أمير المؤمنين عليه السلام، وعنـد الإمـام بعـد الإمام مـن أئمة العصمـة (صلـوات الله وسلامه عليهـم أجمعين)، ولكل زمن ما يناسبـه من مستوى الطرح العلمي ومن مستوى الأحكام الشرعيـة والزمن الذي يكون أكثر تقدمًا هو زمن الإمام القائم عجل الله فرجه حيث تكثر المبادئ والأطروحات، فتأتي الأطروحة الإسلامية بكل إشعاعاتها؛ لتفضح كل أطروحة، ولتسقط كل واحدة من هذه الأطروحات.

وحاجة العالم اليـوم إلى الأحكام المضاعفة بمقدار آلاف أو ملايين المرات بالنسبة لحاجـة العـالم إلى الأحـكام زمن رسـول الله صلى الله عليه وآله؛ نظرًا لتعقد الحضـارة، وتشابك مسائلها، وغموض قضاياها

٣- «إنَّـه إذا تناهت الأمور إلى صـاحب هذا الأمر رفـع الله تبارك وتعالى له كل منخفض مـن الأرض، وخفض له كل مرتفـع منها؛ حتى تكون الدنيـا عنده بمنزلة راحته، راحة الكف «فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها؟!».[1]

فـكأن الإمـام عليه السلام يكون في موقعه الخاص من الأرض يملـك رؤية وليست غَيْبِيَّة، وتكـون علمية معللـة تعليلًا طبيعيًا، ومن خـلال القوانين الطبيعية يملـك رؤية لكل هذا العـالم، وقد يكون التقدم في قـوة الإبصار الصناعي أكثر مما هي عليه الآن، وفي قضية أمر التوصيل أكثر مما عليه الآن بمرات مضاعفة.

تتبـع الأحاديث هنا وبصورة مختصرة تقدم لنا وضعًـا حضاريًا متقدمًا جدًا على المستوى المـادي، والمستوى السياسي، والمستوى العلمي، والمستـوى الاجتماعي، والمستوى الأمنـي، ومن كل الحيثيـات؛ حتى يتجلى للناس جميعًا بأن الإسـلام لا تماثله أطروحة، وأن الإسلام فعلًا وحقًا هو القادر الوحيد على إنقاذ البشرية.

وهـو يومٌ تتجلى فيـه عظمة الإسلام، وهو يـومٌ من أيام إشراقـات النور الإلهي في الأمـن، هنالـك يعـرف الإنسان حقًـا أن العدل عنـد الله وليس عند غـيره، وأن الله هو أرأف بعبـاده من أي جهـة، وأن النظام الذي جاء من عند الله هو نظام الرأفة والرحمة

١- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ - الصفحة ٣٢٨.

والحكمة والعلم واللطف والتقدم، وبهذا يكون النظام وتطبيقه آية دالة على الإسلام، وقائدة للناس على توحيد الله سبحانه وتعالى.

إنسان الدَّولة والعزَّة والعشق

- «إذا خرج المهدي ألقى الله تعالى الغنى في قلوب العباد».(١)

هذا مستوى إنساني متقدم جدًّا؛ النفوس التي الآن تتهافت وتتبع ذاتها رخيصة، الإنسان الذي يبيع كامل شخصيته، وكامل تاريخه، ويبيع وطنه ودينه، ويبيع آخرته؛ من أجل لقمة العيش، ومن أجل ثمن بخس، عند ذلك تكبر نفسه وتعلو ذاته وتكون شخصيته الشخصية العزيزة الكبيرة العملاقة بحيث لا تعدل الدنيا شيئًا بما يشعر به من عزة وكرامة الانتماء إلى الله سبحانه والعزة بالله!

حينئذٍ لا يستلفته المال، ولا يكون معشوقه المال بعد أن صار له معشوق حق وهو الله سبحانه.

وأنتم ترون من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، ومن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والمعصومين كيف أنهم يكبرون على المال، ولا تستطيع الدنيا أن تشتري منهم لحظة واحدة من العمر، في حين أن أصحاب الشهادات العلمية الأكاديمية الكبيرة الذين لم يُصنعوا صنعًا إنسانيًا وإيمانيًا يبيعون أنفسهم بأبخس الأثمان!

رئيس الولايات المتحدة قد يُرشى، رئيس أكبر دولة قد يُرشى إلى حرب، أو يوقف حرب؛ ليخون بلاده!

أنتم ترون هذا في كل مكان!

أمَّا الشخصية الإيمانية التي صنعت على يد الله سبحانه، فيستحيل جدًّا أن تشتريها الدنيا بكاملها؛ وكيف لقلب هوى الله، وكيف لقلب شد إلى الله يرى للمال بريقًا يخفت بريق المال كل جمال أمام جمال الله، وعظمة الله، وجلال الله، وجمال الله، وقدس الله.

١- الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٥٠.

والإنسان في تربية الإمام القائم ﷺ يصعد بمستواه إلى بعيد جدًّا، حيث يكبر على هذه الدنيا بكاملها.

المهدي ملاذ الأفئدة الوالهة

١- «**يرضى عنه ساكن السماء، وساكن الأرض**»[1]، هو التواصل التام القلبي والقناعة التامة، والرضا التام من كل المحكومين بالنسبة إلى الحاكم.

٢- «**تأوي إليه أمّته كما تأوي النّحل إلى يعسوبها**».[2]

ويعسوب النحل هو رئيسها، التفاف، لأنه قمر الدنيا، ولأنه شمس الدنيا، لأنه نسيم الدنيا يرون فيه قناتهم الذي يعبرون بها إلى الله سبحانه، من خلال علمه.

من خلال سلوكه.

من خلال معطيات سيرته ﷺ.

من خلال عدله تتعلق به القلوب، وتلتف به الأفئدة، يستقطب كل القلوب التي تهوى الحقيقة، والتي تعشق الجمال.

٣- «**المهدي كأنما يلعق المساكين الزّبد**».[3]

الزّبد بالنسبة للمسكين طعام مقوي، يعيد له نشاطه، وحيويته.

المهدي كأنما يلعق المساكين الزّبد، أي زبد؟

وأي مساكين؟

إنهم مساكين المعنى، مساكين المعرفة، مساكين العدل، مساكين الإنسانية.

ليس مستوى الدكتوراه، مستوى الأستاذية، مستوى إباحث، كل هؤلاء المثقفين الذين كانوا يركضون وراء السراب، يبحثون عن الحقيقة، يبحثون عمّا يروي عطشهم

١- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ٨١

٢- الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٤٧.

٣- المصدر نفسه - ص ١٤٤.

من خلال الأطروحات الأرضية.

كل أولئـك يجدون ضالتهم في الإمام القائم عليه السلام، فيعتبرون أنفسهم مساكين، وأن الإمام القائم عليه السلام يقدّم الزّبد.

ويقدم لهم الطعام.

ويقدم لهم الطعام المُلذ.

ويقدم لهم غذاء إنسانيتهم، وغذاء معناهم.

كيف يتمُّ التَّحوُّل الكبير؟

التحول الكبير لا يأتي بمعجزة سماوية وفي الإسلام، وفي القيادة الإسلامية الكفاية.

نعـم عندمـا يُطبَّق الإسلام، وعلى يـد القيادة الكفؤة الأمينة تأتـي توفيقات علوية خاصة للأرض، ولأصل الأرض، للقيادة، للنخبة، للناس جميعًا.

أمـا أساس الانطلاقة الناجحة، فهو أن تكـون، أن تتمكن الأطروحة الإسلامية من قيادة البشرية.

ولا تتمكـن هذه الأطروحة من قيادة البشرية بدقة إلا على يد المعصوم الذي يمتلك شخصية تتحمل ثقل القرآن، وتتحمل ثقل السنة بأمانة وبالكامل.

أركان التَّحوُّل الكبير:

الركن الأوَّل: عودة الأطروحة الإسلاميَّة

اسمعـوا أيها الإخوة، عن التحول الكبير، وكيـف يتم من خلال ما تقدمه الأحاديث الشريفة، وأقرأها بسرعة:

١ - «إنَّ قائمنا إذا قام دعا النَّاس إلى أمر جديد، كما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله».[1]

١- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٦٦.

فهـو نفسـ الأمر، ولكـن الأمر الذي دعا إليـه رسول الله ﷺ ؛ لمفارقـة الأمّة له طويلة، ولانحساره من الساحة العملية حتى ينتهي الانحسار إلى مستوى الفكر والروح.

ذلك الأمر الذي كان معروفًا يصبح مجهولًا، ولا يعود جديدًا إذا قوبل به الناس إذا طرح على الناس.

فالإمـام القائم عجل الله فرجه يطـرح إسـلام رسـول الله، ولكن إسـلام رسول الله ﷺ لهجران الأمّة له يُرى جديدًا، ويُرى شيئًا بِدعًا يهدم ما قبله كما صنع رسول الله ﷺ دون الجاهليـة تناطح السحـاب، جاهلية عمقت جذورها في الأرض، رفدت بناءها من خـلال حضارة مادية ساخرة بالقِيم، ساخـرة بالألباب، ساخرة بالنفوس التي لم تتفتح علـى الحقيقة، هذه الحضـارة التي تمتلك من آليـة الإعلام، وتمتلك مـن وسيلة المال، وتمتلك من وسيلة السياسة ما يضلل العقول، وما يزيغ بالأفئدة.

لا بدَّ لهذه الحضارة أن تنهدم؛ حتى ينفسح للإنسان أن يرى الحقيقة؟

لا، يهدم ما قبله كما صنع رسول الله ﷺ ، ويستأنف الإسلام جديدًا.

ألا نحتـاج إلى إسـلام جديد والمصطلحات الغربية تغـزو شبابنا، وعقولنا، وعقول باحثينا، وعقول علمائنا، وعقول متعلمينا؟!

كل يـوم نحـن نبتعد عن الصـورة الإسلامية، نبتعـد عن فهم الإسـلام، نسلك في المفهوم الإسلامي لهذا الغزو الفكري الهائل!

٢- «أبطـل» أي رسـول الله ﷺ «ما كان في الجاهلية، واستقبل الناس بالعدل» ليسـ عدل المـال فقط، وليس عـدل الحكم فقط، العـدل في كل مساحـة الحياة، العدل على مستوى الفكر، العدل على أي مستوى من مستويات الحياة وأبعاد الإنسان «وكذلك القائـم عجل الله فرجه إذا قـام يبطـل ما كان في الهدنة ممّـا كان في أيدي الناس، ويسـتقبل بهم العدل».(١)

١- وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٥ - الصفحة ٧٧.

٣- «إذا قام القائم عليه السلام دعا الناس إلى الإسلام جديدًا، وهداهم إلى أمر قد دثر، فضلّ عنه الجمهور».(١)

هناك كتّاب يمتلكون من الخبرة، يمتلكون من الفن.

وهنـاك ألسن خطابية تستطيـع أن تضلّل الجمهور، وأن تبعـد الجمهور عن الفهم الإسلامـي لدرجة مائة في المائة، وإنما سمي القائم مهديًـا، لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه، وسمي بالقائم؛ لقيامه بالحق.

هـذه الأحاديث كلها تقدم لنا دعوة الأطروحة، تبشرنا بعودة الأطروحة الإسلامية، بعـودة شمـس الإسلام التي لا حيـاة لأهل الأرض على مستوى الـروح والعقل والعلاقات الإنسانيـة والأوضاع الاجتماعية، وحتى العدل الاقتصـادي إلا بها، فهذا ركن من أركان الإنقاذ.

الركن الثاني: هو القيادة المعصومة

- «يقفـو أثري لا يخطـئ» الوصف المنقول عن النبي صلى الله عليه وآله في الإمام القائم عليه السلام هذا الوصـف: «يقفـو أثري لا يخطـئ»، لا على مستوى فكر، ولا علـى مستوى شعور، ولا على مستوى تطبيق، وهذه هي العصمة.

٢- «وسنّته سنتي، يقيم الناس على ملتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي»(٢) دعوته صادقـة، وحكمه صادق، وعلمه صادق، فهو المعصوم عليه السلام، وهـو القيادة الأمنية، وهو القيادة النزيهة، وهو الداعية إلى الله، والقائد إلى هداه.

٣- «يبلـغ مـن رد المهدي للمظالم حتى لو كان تحت ضـرس إنسـان شيئ انتزعه حتى يرده».(٣)

١- الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ - الصفحة ٣٨٣.

٢- كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤١١.

٣- الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٤٣.

حبَّـة بسيطة وصلت إلى ما تحـت سن الغاصب ينتزع الإمـام القائم ﷻ؛ ليعيد الحق إلى أهله، يعيد الحق إلى أهله مبالغة في التقصي الدقيق للمظالم، وردّ هذه المظالم، فهو العدل الكامل الدقيق.

٤- «يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا».[١]

هـذا هـو الإنقـاذ، ولا نحتـاج ماذا، من بـاب لطـف الله سبحانه وتعـالى، في هذه الألطاف، في لطف الأطروحة الكاملة، وفي لطف الإمام المعصوم كفاية لأن تنعم الأرض بكل ما تعشقه النفوس الإنسانية السوية من خير الدنيا وخير الآخرة، ينضاف إلى ذلك توفيقـات وعنايات وألطاف خاصة ورحمـات متتابعة من الله سبحانه وتعالى حين تطبق الأطروحة الإسلامية، وحين يطاع الله في الأرض.[٢]

١- بحار الأنوار- العلامة المجلسي- ج ٢٦ ص ٢٦٣.

٢- خطبة الجمعة (٣١) بتاريخ ١٦ شعبان ١٤٢٢هـ ٢ نوفمبر ٢٠٠١م.

خاتمة

كيف نتهيّأ للمستقبل؟

شرط الغلبة

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.[1]

أمّا الظهور العملي، وغلبة المجتمع على المجتمعات الأخرى، فهي مربوطة بشرط؛ شرط أن يأخذ هذا المجتمع بالإسلام، أن يحتضن الإسلام فكرًا واضحًا ظاهرًا، وأن يلتحم بالإسلام شعورًا، وأن يقيم الإسلام مشروعًا.

هذا المجتمع يستحيل أن يُعلى عليه، ولا بدّ أن يعلو ولو من بعد حين.

ولقد قالت التجربة النبوية الكبرى في تعاملها مع أمّة كانت ساقطة أن المجتمع الإسلامي الآخذ بالإسلام يعلو ولا يُعلى عليه.

وما ضيّعت الأمّة الإسلامية مستواها، وتخلّفت هذا التخلّف حتى عادت مأكولة، وحتى عادت مأسورة ومهزومة في نفسها فضلًا عن خارجها إلا بعد أن شطّت مسيرتها عن الإسلام.

والآية الكريمة تقول لنا: بأن كل مجهود بشري يمارسه الشرك والكفر والنفاق على المستوى الثقافي والفكري لا يمكن أن ينهزم أمامه الإسلام في نفسه، ولا يمكن أن ينهزم أمامه فكرٌ يحمل الإسلام بحق.

وإن الإسلام سيبقى هو الأقدر على الإنقاذ، وعلى قيادة المسيرة البشرية حتى تطوي السماوات وتنتهي الأرض.

١- التوبة: ٣٣.

وإن للمسلمين عودة لموقع العزة و الكرامة والريادة ذلك بشرط واحد هو أن يأخذوا بالإسلام.

الغرب والشرق يبذلان الكثير الكثير في المواجهة الثقافية مع الإسلام، وسننهزم ثقافيا أمامهم حين لا نكبّ على الفكر الإسلامي والفهم الإسلامي، وحين تضلّ بنا السبل عن الإسلام.

أمّا الأمّة التي تستقي فكرها من فكر القرآن والسنة المطهّرة، وتتوفّر على رؤية إسلامية حقّة، فإن كل الثقافة الواردة أمام هذا الفكر، وأمام هذه الرؤية ستذهب أدراج الرياح.

إن كل جهود الشرق والغرب والمنافقين في البلاد الإسلامية، والذين يشنّون حربًا لا هوادة فيها على الفكر والثقافة الإسلاميين لا يمكن أن تنجح إذا أمسكنا بالإسلام فكرًا ورؤية.

إذًا، فالسر الأكبر في فشل هذه الأمّة ليس جهود أعداء الإسلام، وإنما عدم تحمّل المسلمين أمانة الإسلام.[1]

فلسفة انتظار ظهور المُنقذ

صار العالم لما ضاقت به أوضاعه الجاهلية يدرك ضرورة ظهور المنقذ - عرفه، أو لم يعرفه، سمّاه أم لم يسمه -.

وكلّ العالم إلا المستكبرين في تطلّعٍ شائق ليوم الظهور، وكل المستكبرين في خوف منه وحذرٍ شديد.

أما المُنتظِرُ بحق، وعن وعيٍ وبصيرة، فالانتظار في فكره وشعوره وموقفه العملي تأكيدٌ بعد تأكيد؛ للانتماء الصادق الفعّال للإسلام، ورفع شعاره، والأخذ برؤاه.

١- خطبة الجمعة (٢٣٨) ١٥ ربيع الأول ١٤٢٧هـ - ١٤ أبريل ٢٠٠٦م.

وهو صوغٌ لخياراته كلّها في جميع القضايا والأحداث وما يدخل في تكوين شخصيته صوغًا ينسجم مع قضية الانتظار، وخط الانتماء للمنتظر عليه السلام.

المنتظِـرُ حقًّـا إنما ينظر فيمـا يأخذ ويرد، ويقبـل ويرفض، ويقـوم ويقعد، ويوالي ويعـادي، ويقدم ويؤخـر، وينصر ويخذل، ويقول ويسكت رضـا إمامه الذي هو من رضا ربّـه، ويسعى دائمًـا أن تنسجم حياته مع إرادة منتظره بما هي من إرادة الله عزّ وجلّ، وبما هـي مطابقة لله في الرضا والسخط، وهذا لايمكـن أن ينفصل عن فهم الشريعة والفقه الكافي في الدين.

علـى المنتظِر حقًّا أن يتخندق فكرًا، وشعورًا، وكلمة، وعملًا مع الخطّ الذي ارتضاه الإمـام المنتظـر عليه السلام، وأوصى بـه الأمّة في غَيْبَتِـه الكبرى، وهو خط الفقهـاء الأكفاء الصادقين الصالحين، وأن لا يُبدي استكبارًا وتنكُّرًا لهذا الخطّ على الإطلاق.

علـى المنتظـِر حقًّـا أن ينسلخ عـن التقليـد الأعمى، والتبعيَّـة الفكريـة والشعورية والسّلوكيـة للغرب والشـرق، ولأيٍّ من الجاهليات القديمة والحديثـة، ويقيم حياته كلّها على أساس الإسلام.[1]

١- خطبة الجمعة (٢١٣) ١٨ شعبان ١٤٢٦ هـ ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٥م.

الحمدُ للهِ

ربِّ العالمين

الفهرس

المقدمة ٥

الفصل السَّابع

قضايا سياسيَّة معاصرة

(١): قضيَّة الطَّائفيَّة ١٣
مشروع الفتنة الكبرى ١٣
العلاقة بين الطَّوائف ١٤
ما هي الأرضيَّات للتَّقارب؟ ١٥
مَن يقف وراء الطائفيَّة داخل بلدنا؟ ١٨
الطَّائفيَّة السِّياسيَّة ٢٢
المطالبة بالعدالة نقيض الطَّائفيَّة ٢٣
لا للطَّائفيَّة، نعم للحقوق ٢٦
الطَّائفيَّة والحياة الإصلاحيَّة ٢٧
صُنَّاع الطَّائفيَّة ٢٨
تكفير المسلمين ٣١
الدَّم الحرام ٣٢
الخطاب التَّحريضي ٣٣
الصَّحافة والفتنة للطَّائفيَّة ٣٧
تعدُّد الطَّوائف والمذاهب ٣٨

هل يمكن إلغاء الخصوصيَّات المذهبيَّة؟ ٣٩
نبذ الطَّائفيَّة ليس معناه إلغاء الطَّوائف ٤٠
إسلام بلا مذاهب! ٤١
(٢): الإرهاب ٤٤
مفهوم الإرهاب ٤٤
أولًا: المصطلح الغربي ٤٤
ثانيًا: المصطلح الإسلاميُّ ٤٥
الحكومة الإسلاميَّة وموقفها من الظُّلم والعدوان ٥٠
أسباب ظاهرة العدوانيَّة ٥٠
مناشئ الإرهاب ٥١
إرهابان مدمِّران ٥٢
الإرهاب لا دين له ٥٤
الارهاب ومسؤوليَّة الحكومات ٥٥
استغلال قوانين مكافحة الإرهاب ٥٥
كلمة «الإرهاب» قنبلة إرهاب! ٥٦
الحرب الإرهابيَّة على الإرهاب! ٥٧
ازدواجيَّة المعايير: الإرهاب نموذجًا ٥٧
الحرب الإرهابيَّة التي تشنُّها أمريكا هي نهاية الإرهاب أم بدايته؟ ٥٩
هدف الحرب الإرهابيَّة على الإرهاب ٦٠
إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلاميِّين ٦١

هل الإسلام يدعو إلى الإرهاب؟ ... ٦٣
كيف نتخلص من الإرهاب؟ ... ٦٥
(٣): الوطنيَّة والمواطنة ... ٦٧
العلاقة بين الوطن والأمَّة والدِّين ... ٦٧
حبُّ الوطن واستقلاله ... ٧٠
وكيف نحبُّ الوطن؟ ... ٧٠
الوطنيَّة والإسلام ... ٧٢
الولاء للوطن والولاء للأمَّة ورجالاتها ... ٧٣
الولاء للوطن والولاء للأمَّة والدِّين ... ٧٤
ماذا يعني الولاء لله؟ ... ٧٤
موقعيَّة الولاء للوطن من ارتباطات الدِّين والأمَّة ... ٧٥
الوطنيَّة وموالاة الحكم! ... ٧٩
الولاء من أين يبدأ، وإلى أين ينتهي؟ ... ٨٠
المسلمون للسُّنَّة والشِّيعة وتهمة عدم الولاء للأوطان! ... ٨١
مَن يَبيع الأوطان؟ ... ٨٤
الولاء للوطن لا للأشخاص ... ٨٦
ولاء الوطن وولاء النِّظام ... ٨٧
معيار المواطنة في الحقوق والواجبات ... ٨٧
(٤): قضيَّة حقوق المرأة ... ٩١
شعار حقوق المرأة ... ٩١

المرجع في تحديد حقوق المرأة ٩٢
المرأة والتّشريعات الإسلاميّة ٩٣
١- قاعدة الاشتراك في الأحكام ٩٤
٢- الاشتراك على أساس الإنسانيّة ٩٤
٣- الرَّجل والمرأة حقيقة واحدة ٩٥
قضيَّة المرأة بين التأصيل الإسلامي، والتّسطيح الوضعي ٩٥
أصل: المرأة الإنسان ٩٧
شواهد من القرآن الكريم ٩٨
قيمة مشتركة ١٠٠
مسؤوليَّة مشتركة وتوزُّعٌ في الأدوار ١٠٢
نتائج مشتركة ١٠٥
جبهتان تقسمان المجتمع ١٠٨
حقوق المرأة والقانون المنصف ١١١
المتاجرون بالمرأة! ١١٢
حرِّيَّة المرأة ١١٨
شعار (حرِّيَّة المرأة) الدَّوافع والأسباب ١٢٠
كرامة المرأة ١٢٢
(٥): العلمانيَّة ١٢٣
العلمانيَّة والإسلام ١٢٣
الإسلاميُّون والعلمانيَّة ١٢٤

التَّوافقات السِّياسيَّة مع العلمانيِّين ١٢٤
أمَّة إسلاميَّة ونظام علمانيٌّ! ١٢٥
النِّظام السِّياسي العلماني ١٢٦
غيرة على العلمانيَّة ولا غيرة على الإسلام؟! ١٢٨

الفصل الثَّامن

مفاهيم ومقولات سياسيَّة

مقدمة ١٣٣
تزوير أخطر من تزوير العُملة! ١٣٣
(١): مقولة: الانفتاح على الآخر ١٣٥
١- ماهو الآخر المفترض الذي عليَّ أن أنفتح عليه؟ ١٣٥
٢- نسأل ما هي المساحة المعنيَّة بهذا الانفتاح؟ ١٣٥
٣- ماهي طبيعة الانفتاح المطلوب، ومداه، وهدفه؟ ١٣٦
التَّعامل مع الآخر له حدود وضوابط ١٣٩
شعارات تتعمَّد التَّضليل ١٤٢
ماهو الانفتاح؟ ١٤٣
ومن هو الآخر الذي يُطلب الانفتاح عليه؟ ١٤٤
أنواع من الآخر في نظر القرآن الكريم ١٤٥
الآخر الذي لا انفتاح عليه ١٤٥
الآخر الذي ننفتح عليه ١٤٦
الخلاصة ١٤٧

(٢): مقولة: «لا وصاية» ١٤٩
أسئلة ثلاثة ١٤٩
١- دينيًّا: الولاية المطلقة هي لله وحده ١٤٩
٢- أرضيًّا: الولاية للأقوى ١٥٠
الولاية والوصاية أمر واقع في مختلف مناحي الحياة ١٥١
١- الولاية في الحكم ١٥١
٢- الولاية على القاصر ١٥١
٣- ولاية المتصدّين للشّؤون الاجتماعيَّة العامَّة ١٥١
خلاصة ١٥٢
ردود أخرى ١٥٢
هل توجد صنميَّة الولاية؟! ١٥٢
إطلاق المقولة! ١٥٤
(٣): التَّعدُّديَّة ١٥٦
التَّعدُّديَّة السِّياسية بين المسموح والممنوع ١٥٦
(٤): الرِّساليَّة والواقعيَّة ١٥٨
بين الواقعيَّة والرِّساليَّة ١٥٨
الرَّأي في الموضوع ١٥٩
آثار الفهم الخاطئ للرِّساليَّة والواقعيَّة ١٥٩
التَّوفيق بين الرِّساليَّة والواقعيَّة ١٦١
مثال للواقعيَّة المغلوطة ١٦٢

(٥): مقولة: (ما لله لله، وما لقيصر لقيصر) ١٦٦
(٦): شعاراتٌ محارِبة ١٦٨
١- التنوُّع الثقافي ١٦٨
٢- شعار الانفتاح والتَّسامح ١٧٠
٣- شعار المصلحة الاقتصاديَّة ١٧١
٤- شعار للفتوى مجالها وللقانون مجاله ١٧٢

الفصل التَّاسع

السِّياسات العالميَّة

(١): سياسات الاستكبار والاستضعاف ١٧٧
المنهج الفرعوني ١٧٧
لا استكبار ولا استضعاف ١٧٩
الاستكبار وسلاح الإعلام الكاذب ١٨٢
سياسة إضعاف الشُّعوب ١٨٤
تبعيَّة أنظمة الأمَّة للمستكبرين ١٨٥
التَّحالف مع الاستكبار! ١٨٦
غيظ المستكبرين علامة قوَّة ١٨٨
إملاءات غربيَّة ١٩٠
الاستكبار وسياسة الفساد والإفساد ١٩١
أساليب السَّيطرة ١٩٢
قوَّة المؤمن وضعف الجاحدين ١٩٤

(٢): سياسات الأمن والسَّلام العالمي ١٩٦
الحرب والطَّريق إلى السَّلام العالميّ! ١٩٦
أمننا في خطر ١٩٧
مجلس الأمن ودعم الحروب العدوانيَّة! ١٩٨
قضيَّة السِّلاح النَّووي ١٩٨
خوف كاذب؛ لتبرير سياسة الهيمنة ٢٠٠
الأمن العالمي وهو مفقود، فكيف يتمُّ التَّوفُّر عليه؟ ٢٠٢
موقف الإسلام ٢٠٤
(٣): سياسة نشر القِيم الغربيَّة ٢٠٥
من كلمات المسؤولين الأمريكيِّين وأفكارهم ٢٠٥
القِيم في ميزان المنفعة المادِّيَّة ٢٠٧
قيمة الإنسان ٢٠٧
واقع القِيم الغربيَّة ٢٠٩
قِيم الدِّيمقراطيَّة الشَّكليَّة ٢١٠
مشفقون، ولكن! ٢١١
الغرب ثقلٌ ماديٌّ و خفَّةُ إيمان ٢١٣
(٤): سياسة الإصلاح الأمريكي ٢١٦
إصلاح أو أمركة؟! ٢١٦
الإصلاح الأمريكي! ٢١٨
غاية البؤس والإفلاس ٢١٨

(٥): سياسات حقوق الانسان ٢٢٠
الغرب وشعارات حقوق الإنسان ٢٢٠
مناهضة التَّعذيب ٢٢٠
كيف يناهض التَّعذيب شعبيًّا؟ ٢٢١
كيف يناهض التَّعذيب على المستوى الرَّسميّ؟ ٢٢١
رعاية المعذَّبين والمشوَّهين! ٢٢٢
اليوم العالمي لمناهضة التَّعذيب ٢٢٢
حقوق الإنسان الرُّوحيَّة ٢٢٤
أهمية العمل الحقوقي ٢٢٤
المعالجة الحقوقيَّة والحل السِّياسي ٢٢٥
(٦): سياسات الاقتصاد العالميّ ٢٢٦
مشكلة الفقر ٢٢٦
منشأ المشكلة ٢٢٦
كذبة المنشأ ٢٢٧
المنشأ الحقيقي للفقر ٢٢٧
عامل الفساد ٢٢٨
معرفة الدَّاء نصف الدَّواء ٢٢٩
النَّفط هو القيمة العليا! ٢٣٠
الإفساد وطغيان رأس المال ٢٣١
الاقتصاد والرَّذيلة ٢٣٢

الاستثمار القذر ٢٣٢
تحرير الثَّروة ٢٣٣
(٧): سياسات الإعلام العالميّ ٢٣٥
إعلام هدى وإعلام ضلال ٢٣٥
من مفارقات الإعلام العالمي ٢٣٧
مقاومة الاستهداف الإعلامي ٢٣٨
وسيلة الصَّحافة ٢٣٩
الإسلاميُّون والصَّحافة ٢٣٩
(٨): سياسة الغزو الثَّقافي ٢٤٠
الإسلام المصنوع في معامل السِّياسة ٢٤٠
الصِّين ومقاومة الغزو الثَّقافي ٢٤١
فرنسا ومقاومة الغزو الثَّقافي ٢٤١
الغزو لا يقف عند الاجتياح العسكري ٢٤٢
علاقة الأمَّة المسلمة مع بقيَّة الأمم ٢٤٤
أوقفوا الهرولة ٢٤٧
التَّقليد الأعمى للأعداء في النُّصوص الدِّينيَّة ٢٤٩
دمج المسلمين ٢٥١
الغزو السُّلوكي أسرع نفوذًا من الغزو الفكري ٢٥٢
التَّغريب السُّلوكي هو الأوسع خطورة ٢٥٣
التَّغريب اللُّغوي ٢٥٤

التَّغريب الفكري ٢٥٥
١- ثقافة التَّشكيك ٢٥٥
٢- ثقافة التَّخدير ٢٥٥
ثقافتنا ثقافة الإيقاظ ٢٥٦
العلاقات وضوابط الانفتاح الحضاري ٢٥٩
موقفنا تجاه الغزو الحضاري ٢٦٣
مسؤوليَّة الأمَّة ٢٦٦
مسؤوليَّة الحكَّام ٢٦٦
قوا أنفسكم وأهليكم ٢٦٧
الحرب المستمرَّة ٢٦٨

الفصل العاشر

الإسلام والغرب

الباب الأوَّل: العلاقة بين الغرب والإسلام ٢٧١
الغرب بين العدوانيَّة والحوار ٢٧١
الاستهداف الغربي للأمَّة الإسلاميَّة ٢٧٢
١- استهداف العقيدة ٢٧٢
٢- استهداف الشَّريعة ٢٧٢
نموذج واقعي من الاستهداف ٢٧٣
المتغرِّبون ٢٧٤
الهجوم الغربي على المقدَّسات بذريعة حرية التَّعبير ٢٧٥

أمريكان يحرقون القرآن! ٢٧٦
من حقّنا أن ندافع عن مقدّساتنا ٢٧٧
الشّعوب الغربيّة تبحث عن الخلاص ٢٧٩
أمريكا وشراء العقول المسلمة ٢٨٠
الجمعيّات الشّبابيّة والمال الأمريكي ٢٨٠
بيع الذّمم ٢٨١
أسواق بيع الذّمم ٢٨٢
الباب الثّاني: الإسلام والغرب في واقعهما السّياسي المعاصر ٢٨٤
قراءة في خارطة الواقع السّياسي المعاصر ٢٨٤
منقذو العالم ٢٨٦
الغرب وعلاقته مع الحكومات والمعارضة في البلاد الإسلاميّة ٢٨٧
الأمّة والغرب ٢٨٨
أمريكا تدعو الشّباب للانفصال عن فكر الأمّة! ٢٩٢
معارك للاستنزاف ٢٩٣
الاستكبار وخيارات استبدال الأنظمة ٢٩٤
هل يتحقّق الحلم الأمريكي بالانتصار على الإسلام؟ ٢٩٦
قبول الإملاءات الأمريكية هدم للثّقة بين الشّعوب والأنظمة ٢٩٦
أمريكا وواقع الأنظمة التّابعة ٢٩٦
العلاقة بين الإسلاميّين والغرب ٢٩٨
الحوار مع الإسلاميّين ٢٩٨

كسب الودِّ الغربي ٢٩٩

الباب الثَّالث: الحرب الغربيَّة على الإسلام ٣٠١

أمريكا ومعاداة الإسلام والأمَّة الإسلاميَّة ٣٠١

من حرب إلى حرب ٣٠٢

ماذا تريد أمريكا وأوروبا للمسلمين؟ ٣٠٣

الغزو في وجهه الجديد (الاستجابة لاستغاثة الشعوب!) ٣٠٥

أمريكا وإدارة الأزمات ٣٠٧

المطالبة بحاكميَّة الإسلام، هل هي جرم؟! ٣٠٨

خاتمة ٣١١

لماذا استهداف الإسلام ومعاداته؟ ٣١١

ما هو دور المسلمين بإزاء الجهالات التي ترتكب ضدَّ الإسلام؟ ٣١٢

الدِّفاع عن أرض المسلمين ٣١٣

الفصل الحادي عشر

الأمَّة الإسلاميَّة

مقدمة ٣١٧

متطلبات صناعة الأمَّة الرَّائدة ٣١٧

خيانة الأمَّة ٣١٩

الباب الأوَّل: الأمَّة والهُوية ٣٢١

ما هو الانتماء؟ ٣٢١

ما هو حجم هذه الأمَّة؟ ٣٢٢

ما هو الخَيار المستقبلي؟ ٣٢٤
ما هي الوسيلة؟ ٣٢٥
الباب الثَّاني: **الأمَّة والعلاقة بالأنظمة الحاكمة** ٣٢٦
تقويم العلاقة بين أنظمة الحكم والأمَّة ٣٢٦
اتحاد الأنظمة لا يكون من دون مرجعيَّة الشُّعوب ٣٢٨
أزمة الثِّقة بين الأنظمة والأمَّة ٣٢٩
منشأ الخلاف ٣٢٩
الوقاية خير من العلاج ٣٣٠
الباب الثَّالث: **الأمَّة والوحدة الإسلاميَّة** ٣٣٢
الوحدة الإسلاميَّة الكبرى ٣٣٢
المراد من الوحدة ٣٣٣
الوحدة بين الإلغاء والاحترام ٣٣٥
بين الوحدة والشَّتات ٣٣٦
لا توحُّد على الباطل ٣٣٦
ما هي الأمَّة المسلمة المؤمنة التي خوطبت بوجوب الوحدة؟ ٣٣٧
واقع الأمَّة وقضيَّة الوحدة ٣٤١
أسباب الفرقة بين المسلمين ٣٤٣
الطَّريق إلى الوحدة ٣٤٥
ركائز الوحدة ٣٤٥
دواعي الوحدة ٣٤٥

١- الحاضر والمصير المشترك بخيره وشرّه ... ٣٤٦
٢- توحد الجبهة المعارضة ... ٣٤٦
٣- الواقع المشترك ... ٣٤٦
٤- الإجماع على حرمة بعضنا البعض ... ٣٤٧
العلماء والمسؤوليَّة المحوريَّة ... ٣٤٧
مقترحات للوحدة الإسلاميَّة ... ٣٤٨
لا أقل من التَّعايش السِّلمي ... ٣٤٨
مقترحات وحدويَّة ... ٣٤٩
أسبوع الوحدة ... ٣٥٠
بين وحدتين ... ٣٥٣
التَّعدُّدية وعلاقتها بالوحدة ... ٣٥٣
الدَّعوة للوحدة وعقبة الحكومات الظَّالمة ... ٣٥٤
الوحدة الوطنيَّة ووحدة الأمَّة ... ٣٥٥
التَّوازن بين هموم الأمَّة والهموم الدَّاخليَّة لأقطار الأمَّة ... ٣٥٦
وحدة الهمِّ الدِّينيِّ ... ٣٥٨
مقولة: «عدم التَّدخُّل في الشُّؤون الدَّاخليَّة» ... ٣٥٩
متى تملك هذه الأمَّة زمام أمرها؟! ... ٣٦٠
معركة واحدة ضدَّ أمَّة واحدة ... ٣٦٠
الباب الرَّابع: الأمَّة وواقعها المعاصر ... ٣٦٦
توصيف الوضع الأمنيِّ والسِّياسي المعاصر ... ٣٦٦
واقع الأمَّة والابتعاد عن المواثيق الإلهيَّة ... ٣٦٩

أمريكا وإرادة الأمَّة الإسلاميَّة ٣٧٣
أمريكا وقوَّة العضلات! ٣٧٦
أمريكا وإسرائيل معسكر الشَّر بحقٍّ ٣٧٧
الغزو الأمريكي ٣٨١
لن نستسلم للغزو الكافر ٣٨١
الغرب مع مَن؟ ٣٨٢
الباب الخامس: كيف نغيِّر واقع الأمَّة؟ ٣٨٤
بحث مقتضب حول الإرادة والتَّغيير ٣٨٤
قانون التَّغيير: التَّغيير الخارجيُّ يقتضي تغييرًا داخليًّا ٣٨٤
هل لإرادة الإنسان موقع في قانون التَّغيير؟ ٣٨٦
لا إرادة لأمَّة تابعة ٣٨٧
أهم أسباب التَّخلُّف السِّياسي ٣٨٨
كيف ننهض بالأمَّة؟ ٣٨٨
الاكتفاء الذَّاتيُّ للأمَّة ٣٩١
جهاد واجبٌ لا تطوُّع ٣٩٢
صمود الأمَّة ٣٩٤
الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ٣٩٤
الجهر بإنكار المنكر ٣٩٥
مواجهة المنكر ٣٩٦
أمَّة آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر ٣٩٦
الرَّقابة ٣٩٨

هكذا يقوم الدِّين وتنهض الأمَّة ٤٠٠
نحتاج إلى إعداد الرِّساليِّين ٤٠٣
الباب السَّادس: الأمَّة والصَّحوة الإسلاميَّة ٤٠٤
معنى الصَّحوة الإسلاميَّة ٤٠٤
من علائم الصَّحوة ٤٠٤
استهداف الصَّحوة ٤٠٥
أمريكا والصَّحوة الإسلاميَّة ٤٠٦
صوت العدالة يتعالى ٤٠٨
الباب السَّابع: الأمَّة الإسلامية.. المقاومة، الجهاد، والثَّورة ٤١٠
المستكبرون وإسقاط روح المقاومة عند المستضعفين ٤١٠
عودة الشُّعوب لإسلامها ناقوس خطر لأعدائها ٤١٤
الوعي هو البداية ٤١٤
المسلم وانتصارات الكفر ٤١٦
كيفيَّة التَّغلُّب على المشاعر السِّيئة ٤١٧
المقاطعة سلاح ٤٢١
الجهاد وإسقاطاته على الواقع المعاصر ٤٢١
للتَّخطيط في للتَّضحية ٤٢٣
لا حدَّ للتَّضحية ٤٢٤
الدِّين مقدَّم ٤٢٤
رؤى مبدئيَّة ٤٢٧
زمن الثَّورة والدَّولة ٤٢٨

الفصل الثَّاني عشر

قضيَّة فلسطين

فلسطين القضيَّة والمحكُّ ٤٣٣
موقع الأمَّة من الحرب على فلسطين ٤٣٣
مسؤوليَّة الحكومات ٤٣٥
مسؤوليَّة الشُّعوب .. ٤٣٦
رسالة الموقف .. ٤٣٦
وطأة الضَّغط .. ٤٣٧
خطُّ الوعي والبصيرة والقيادة ٤٣٨
بوصلة الجبهة الإسرائيليَّة ٤٣٨
لا مبرِّر للتَّقاعس ٤٣٩
العمق الاستراتيجيُّ للمقاومة .. ٤٤٠
خطر الفتنة الطَّائفية على القضيَّة الفلسطينيَّة ٤٤٣
حرف البوصلة إلى أعداء وهميين! ٤٤٤
وعد بلفور ٤٤٤
بناء الذَّات مسلك؛ لاسترداد الحق ٤٤٥
ازدواجيَّة المعايير الغربيَّة ٤٤٥
التَّطبيع ٤٤٦
فلسطين .. واخجلتاه!! ٤٤٧
ولماذا تحرص أمريكا وإسرائيل على التَّطبيع؟ ٤٤٨
يوم القدس العالمي ٤٤٨

ستستمر المقاومة ولو بالسِّنِّ والظُّفر ٤٥٢

الفصل الثَّالث عشر

الصحوة الإسلاميَّة و(الرَّبيع العربي)

(١): رياح التَّغيير ٤٥٧
بين ربيع وخريف!! ٤٥٨
(٢): المنطلقات والأسباب ٤٦٠
منطلقات الثَّورات العربيَّة المعاصرة ٤٦٠
إذا حصل السَّبب حصل المُسبَّب ٤٦٠
توقيت الانفجار ٤٦١
جور الحكومات ٤٦٢
استرداد الحقِّ السِّياسي ٤٦٣
التَّطلُّع للحياة الأفضل ٤٦٦
للحرِّيَّة، للكرامة ٤٦٦
منطلق الصَّحوة الإسلاميَّة ٤٦٧
أمَّة تعود إلى ماضيها ٤٦٧
(٣): الانفجار ٤٦٩
ظاهرة مشتركة ٤٦٩
ظاهرة طافحة ٤٧٠
(٤): الدُّروس ٤٧٢
درس بعد درس!! ٤٧٢

يا رجال أنظمة الحكم الظَّالمة ٤٧٢
غياب الخَيار الصَّحيح ٤٧٣
(٥): موقفنا ٤٧٥
موقفنا من ثورات الشُّعوب ٤٧٥
(٦): ثورة البحرين.. امتحان المصداقيَّة للعالم كلِّه ٤٧٦
لماذا يا مسلمون؟! ٤٧٦
عين ترى، وعين لا ترى! ٤٧٧
ماذا بقي؟! ٤٧٩
(٧): الإسلاميُّون ٤٨٢
الإسلاميُّون أمام تجربة جديدة صعبة ٤٨٢
(٨): التَّحدِّيات والمخاطر ٤٨٦
خطر الأنظمة المتسلِّطة ٤٨٦
خطر الهيمنة الأجنبيَّة ٤٨٦
خطر الميل إلى التَّبعيَّة للأجنبيِّ ٤٨٧
تآمر الأنظمة العربيَّة والغرب ضدَّ الثَّورات ٤٨٨
الفتنة الطَّائفيَّة ٤٩٠
تهمة العمالة للخارج ٤٩٢
(٩): الانتصار ٤٩٤
لغتان تتصارعان ٤٩٤
إلى أين تتَّجه الأمور، وترسو السَّفينة، ويصير الواقع؟ ٤٩٦
عامُ البداية ٤٩٦

الفصل الأخير

المستقبل السِّياسي للعالم

مقدمة ٥٠٣
ولادة أمل المستقبل ٥٠٣
مراحل المستقبل السِّياسي للعالم ٥٠٥
المرحلة الأولى: مرحلة التِّيه والضَّياع ٥٠٥
أمثلة على نتائج الابتعاد عن الدِّين ٥٠٦
سيطرة الخوف والرُّعب ٥٠٧
مِن وَهْمٍ إلى وَهْمٍ! ٥٠٨
لن يجدوا السَّعادة في غير الدِّين ٥٠٩
اللَّهث وراء سراب الدِّيمقراطيَّة ٥٠٩
النَّاس بين محرقتين! ٥١١
التَّطلع إلى الخلاص ٥١١
وَهْمُ الأطروحات والنُّظم الأرضيَّة ٥١٢
تهاوي الحضارة المادِّيَّة ٥١٥
الدَّوران في حلقة الوهم ٥١٥
أين الحلُّ؟ ٥١٦
ويستمر الصِّراع بين الحق والباطل ٥٢٠
وتنتقض عرى الإسلام ٥٢٠

يعود الإسلام غريبًا ٥٢٢
ما أحوجنا للمنقذ ٥٢٢
المرحلة الثّانية: مرحلة الظُّهور والثّورة العالميّة ٥٢٦
يوم الخلاص ٥٢٦
يوم الظُّهور والثّورة ٥٢٧
يواجه القائم ﷺ حربًا شرسة ضدّه ٥٢٨
المرحلة الثّالثة: مرحلة قيام الدّولة الإسلاميّة العالميّة ٥٣٠
معالم دولة آخر الزّمان ٥٣٠
جنّة الدّنيا ٥٣٠
دولة الإمام المنتظر شموليّة ٥٣٣
إنسان الدّولة والعزّة والعشق ٥٣٥
المهدي ملاذ الأفئدة الوالهة ٥٣٦
كيف يتمّ التّحوّل الكبير؟ ٥٣٧
أركان التّحوّل الكبير ٥٣٧
الركن الأوّل: عودة الأطروحة الإسلاميّة ٥٣٧
الركن الثاني: هو القيادة المعصومة. ٥٣٩
خاتمة ٥٤١
كيف نتهيّأ للمستقبل؟ ٥٤١
شرط الغلبة ٥٤١
فلسفة انتظار ظهور المُنقذ ٥٤٢

الأمَّة الإسلاميَّة

بحاجة للإصلاح الشَّامل الذي ينهض بها، ويضعها في الموقع الريادي المتقدم الذي أراده الله تعالى لها باعتبارها المؤتمنة على خاتمة الرسالات الإلهية لكافة البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

ومن أهم المداخل الأساسية لعملية الإصلاح الشامل هو الإصلاح السياسي الذي يمثل في الواقع المعاصر الشريان الرئيس لمختلف مناحي الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وإنَّ التخلف السياسي ينتج تخلفاً شاملاً لكل تلك الجنبات التي لا تنهض أي أمَّة من دونها.

جامعة المصطفى العالمية

ممثلية جامعة المصطفى العالمية في البحرين

دار المحجة البيضاء

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمَال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail almahajja@terra net.lb

www daralmahaja com info@daralmahaja com

ISBN 978-614-426-371-6